

تاريخ الشرق الأدنى القديم و حضارته

منذ فجر التاريخ حتي مجئ حملة الإسكندر الأكبر



الجزء الأول
إيران - العراق

أستاذ علم المصريات
كلية الآداب - جامعة المنيا

تأليف : د. رمضان عبده علي

دار نهضة الشرق للطبع و النشر و التوزيع

تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته

منذ فجر التاريخ حتى مجى حملة الإسكندر الأكبر

الجزء الأول
إيران - العراق

تأليف

د. رمضان عبده على

أستاذ علم البصریات

كلية الآداب - جامعة المنيا



الكتاب : تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته

الجزء الأول (إيران - العراق)

المؤلف : د. رمضان عبده على

رقم الطبعة : الطبعة الأولى

تاريخ الإصدار : يناير ٢٠٠٢

حقوق الطبع والنشر : محفوظة للناس

الناشر : دار نهضة الشرق

العنوان : ٣٢ شارع طلعت حرب - القاهرة

تليفون : ٥٧٩٥٩٦٠ - ٥٧٥٨٣٨٤

فاكس : ٥٧٩٥٩٨٠

رقم الإيداع : ٩٨٩٤

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-245-160-3

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على
سيدنا محمد النور وآله

التعريف الجغرافي

تعريف منطقة الشرق الأدنى القديم :

قد يختلف علماء التاريخ حول مهد الجنس البشرى بوجه عام غير أنهم لا يختلفون حول المهد الذى نشأت فيه أقدم التواريخ وأقدم الحضارات التى عرفها الإنسان أنه " الشرق الأدنى " .

والشرق الأدنى مصطلح جغرافى أطلقته أوروبا فى بادئ الأمر فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبصورة غير محددة ، على هذا الجزء من جنوب شرقى أوروبا الذى كان ما يزال حينذاك تحت الحكم العثمانى ثم اكتسبته الولايات المتحدة وأضافت إلى رقعة الشرق العربى ، وأصبح المصطلح أكثر تحديدا يشمل المنطقة الواقعة بين الخليج العربى شرقا وحدود شمال أفريقيا غربا ، وأعلى آسيا الصغرى وأعلى بلاد النهرين شمالا ، وسواحل بحر العرب (أو المحيط الهندى) جنوبا .

وقد ظل المصطلح الجغرافى " الشرق الأدنى " شائع الاستعمال حتى الحرب العالمية الثانية ، عندما أنشأت الحكومة البريطانية منطقة عسكرية تمتد من إيران إلى ليبيا ، وأطلقت عليها اسم الشرق الأوسط وهو مصطلح كان حتى ذلك الحين يضم عادة الهند والبلدان المجاورة لها ، ثم أنشئ بعد ذلك فى القاهرة مركز تموين للشرق الأوسط ، الذى أصبح فيما بعد مشروعا أنجلو أمريكيا ، وأصبح الشرق الأوسط يتكون حسب ما هو متداول فى وقتنا الحاضر إيران وتركيا ، وقد تضاف أفغانستان إليهما ، وكذلك العراق والجزيرة العربية وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصر بالإضافة إلى بعض الإمدادات المختلفة المحددة تجاه الجنوب والغرب حتى المناطق الأفريقية التى تتحدث بالعربية .^(١)

(١) د. عمر عبد العزيز : تاريخ المشرق العربى ، بيروت ، دار النهضة العربية ،

واندمج الاصطلاح الجديد " الشرق الأوسط " مع الاصطلاح القديم " الشرق الأدنى " وتحولا إلى اصطلاح عام ، وأصبح المصطلح الجغرافى " الشرق الأوسط " مصطلحا شائع الاستعمال حتى الآن ويستخدم عند الحديث عن الأوضاع السياسية فى منطقة الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، إلا أن المصطلح القديم " الشرق الأدنى " ^(١) فقد أعيد استخدامه بواسطة أغلب العلماء الأجانب والمصريين فى مؤلفاتهم العلمية وأبحاثهم عن تاريخ وحضارات المنطقة فى التساريخ القديم ^(٢).

(١) وذلك تميزا عن اصطلاح " الشرق الأقصى " الذى نجد فيه حضارات الصين

والهند والبلدان المجاورة لهما . عن المفهوم الجغرافى للشرق القديم ، راجع : د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة ، (من أقدم العصور إلى عام ١١٩٠ ق. م) (الشرق الأدنى القديم : بلاد ما بين النهرين - بلاد الشام) ، بيروت ، دار دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، ص ١٥ - ٢١ .

(٢) د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ستة أجزاء الإسكندرية

١٩٥٩ ؛ عبد العزيز عثمان : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت

١٩٦٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ،

بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٩ ؛ المؤلف نفسه : معالم تاريخ الشرق

الأدنى القديم (من أقدم العصور إلى مجئ الإسكندر) بيروت ، دار النهضة

العربية ، ١٩٨١ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر

والعراق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

وفى بعض المراجع المترجمة إلى اللغة العربية مثل : هنرى فرانكورت :

فجر الحضارة فى الشرق الأدنى (ترجمة ميخائيل خورى) بيروت ، ١٩٥٦ ،

أنطون مورتجات : تاريخ الشرق الأدنى القديم (ترجمة توفيق سليمان) .

دمشق ١٩٦٧ . وفى بعض المراجع الأجنبية مثل :

Hall, The Ancient History of the Near East, London 1947;

Pritchard, the Ancient Near East, Princeton 1951;

Frankfort, The Birth of Civilisation in the Near East,

London 1951; Braidwood, The Near East and the

Foundations of Civilisations, Eugene 1953; ==

■

وأحيانا يستخدمون اصطلاحاً أقل انتشاراً وهو ' الشرق القديم ' .^(١)

وبناء على ذلك فإن الشرق الأدنى القديم كان يتكون من ثماني مناطق رئيسية والتي تشمل حالياً إيران (بلاد فارس) ، العراق (بلاد النهرين) ، الأناضول (تركيا) ، بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) ، دول الخليج العربي (الكويت ، البحرين ، قطر ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، وسلطنة عمان) ، شبه الجزيرة العربية ، اليمن وأخيراً مصر بوضعها الفريد بين الشرق وشرق شمال القارة الأفريقية .

لعبت منطقة الشرق الأدنى دوراً هاماً في التاريخ القديم كما أنها كانت مركزاً لحضارات قديمة كان لها تأثيرها الفعال على حضارات العالم القديم .

وسوف نستعرض في الصفحات التالية ' تاريخ الشرق الأدنى القديم ' ونترك الحديث عن مظاهر ' حضارات الشرق الأدنى القديم ' لدراسة أخرى تفصيلية ولكن سوف نشير إلى بعض هذه المظاهر . وسوف لا نتحدث هنا عن تاريخ مصر القديم وبعض مظاهر حضارته فهذا موضوع يحتاج وحده إلى مئات الصفحات^(٢) .

Mellart, Earliest Civilisations of the Near East, London 1965; --
Brottero, The Near East : The Early Civilisations, London
1967; Contenau, les Civilisations du Proche – Orient, Paris
1963; Amiet, les Civilisations Antiques du Proche – Orient,
Paris 1971 .

(١) استخدم هذا المصطلح :

د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٥٨ ؛ المؤلف نفسه في ترجمته لكتاب : جيمس هنري بريست : انتصار الحضارة ، تاريخ الشرق القديم ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

(٢) قمنا بتأليف كتابين عن ' تاريخ مصر القديمة ' ، ظهر الجزء الأول منه في سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، هيئة الآثار المصرية ، تحت رقم ١٦ عام ١٩٨٨ ، وصدر الجزء الثاني في السلسلة نفسها تحت رقم ٢١ عام ١٩٩٣ .

ولكن سوف نهتم في هذه الدراممة بطبيعة مظاهر تلك العلاقات التي كانت قائمة بين مصر وغالبية بلاد الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور .

ويشمل هذا المؤلف ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول : إيران والعراق ، والجزء الثاني : الأناضول وبلاد الشام ، والجزء الثالث : دول الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية واليمن .

أهمية دراسة ومعرفتنا لتاريخ الشرق الأدنى القديم ومصر مظاهر حضاراته (١) :

ترجع أهمية دراسة تاريخ وحضارات منطقة الشرق الأدنى القديم إلى عدة عوامل :

أولاً : أنها منطقة يتوافر فيها أقدم الآثار والوثائق التاريخية التي تخص حياة إنسان الشرق القديم وأطولها بقاء في الزمن ، وأكثرها كماً وتنوعاً وليس هناك

(١) من أهم المؤلفات والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة عن تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ، ما يلي :

د. أحمد فخري : المرجع السابق ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم من أقدم المصوّر حتى عام ٣٢٣ ق.م) ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ؛ المؤلف نفسه : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، سبق ذكرهما .

أهم المراجع الأجنبية :

Contenau, les Civilisations du Proche Orient; Amiet, les Civilisations Antiques du Proche – Orient; Ghirshman, L'Iran des Origines a'l' Islam, Paris 1951; Chr. Et J. Palou, la Perse Antique, Paris 1967; Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus, Paris 1967; Renald, les Grands enigmes des Civilisations disparues, Paris 1971.

من رقعة جغرافية أخرى في العالم توافر فيها مثل هذا السجل الحضارى الذى حرص إنسان الشرق القديم على تدوينه ليكون سجلا مطردا استمر أكثر من خمسة آلاف سنة وربما أكثر بكثير ، كما أن المنطقة لا تزال تحتفظ فى باطن أرضها بالكثير من الآثار والوثائق التى لم يكشف عنها معول رجال الحفائر حتى الآن . فإذا كانت مصر بآثارها المتنوعة تعتبر متحفا مفتوحا فإن بلاد الشرق الأدنى القديم تعتبر متحفا عالميا مترامى الأطراف .

ثانيا : أنها منطقة نشوء للحضارات القديمة ، فظهرت فيها حتى الآن أولى وأقدم الحضارات التى عرفنا عنها معظم أو أغلب مظاهرها نظرا لأصلاتها ، فكانت مهدا حضاريا توصل فيه إنسان الشرق إلى أقدم المعارف والتجارب والمظاهر أكثر مما حققه الإنسان فى بقية مناطق حضارات العالم القديم مثل حضارات : بحر إيجه (المينوية) واليونان والهند والصين واليابان وكوريا والمكسيك والمايا ، واليوقاتيه والأندى (الأربعة الأخيرة فى أمريكا الوسطى والجنوبية) .^(١)

فإذا قارنا حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم ببقية الحضارات التى كانت معروفة فى العالم القديم ، نجد أنه فى الشمال حيث القارة الأوروبية والجزر البريطانية ، هى منطقة عرفت عصور ما قبل التاريخ ولكنها لم تدخل على مسرح التاريخ الحضارى إلا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية ابتداء من القرن الخامس الميلادى ، وحتى بعد ذلك التاريخ ظلت حتى عصر النهضة فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى فى شبه انغلاق مظلم على نفسها ، بينما ظلت الجزر البريطانية فى انعزالها الحضارى حتى أوائل العصر الحديث .

وإذا كان الرومان قد انطلقوا من خلال عصورهم إلى غالة (فرنسا الحالية) وإلى بريطانيا ، فإن انطلاقهم كان فى حالة غالة لا يشكل إلا حركة تأمين لحدود الإمبراطورية الرومانية ضد القبائل للكتانية المتبربرة الموجودة فى هذه المنطقة وباستثناء ذلك فقد بقيت المنطقة مغلقة على نفسها ، ومن ثم منعمة التأثير والتأثر الحضارى .

(١) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم، ص ٤٦ - ٤٧ حاشية (١) .

والشيء ذاته نجده في المنطقة إلى جنوبي منطقة نشوء الحضارات والتي يسكنها الجنس الأسود إلى الجنوب من الصحراء الكبرى التي تمتد عبر القارة الأفريقية من غربها إلى شرقها ، وهي منطقة لها منجزات حضارية قديمة بسيطة ، وبقيت مغلقة في أرجائها دون أن تجد سبيلها للانتشار الواسع أو للتأثير الفعال لخسارج حدود منطقتها .

وتأتي أخيرا المنطقة الواقعة إلى الشرق من منطقة نشوء الحضارات والتي يقطن أغلبها الجنس الأصفر أو العنصر المغولي ، وهذه المنطقة لم تظهر فيها الحضارة إلا في وقت متأخر . ففي الصين مثلا التي كان يعتقد خطأ أنها ذات حضارة بالغة في القدم ، نجد أن أول - قطعة معدنية تشير إلى استخدام الصينيين للمعادن وترجع إلى القرن الثاني عشر ق. م . أي بعد استخدام المعادن في مصر بنحو ثلاثة آلاف سنة على الأقل ، وبعد استخراجها في غربى آسيا بأكثر من ذلك وكذلك بلاد فارس .

أما عن الكتابة ، فإن أقدم وثيقة مكتوبة باللغة الصينية عثر عليها ترجع إلى القرن الحادى عشر ق. م . أو إلى القرن الذي يسبقه على أكثر تقدير ، أي بعد ألفى سنة أو أكثر من ظهور الكتابة في منطقة الشرق القديم وخاصة في مصر وبلاد النهرين وبلاد إيران .^(١)

وعلى الرغم من أن هذه الحضارات قد اضمحلت وتوارت ، إلا أن تأثيرها لا يزال مستمرًا على الحضارات التالية لها لترك بذلك تأثيرها ، بشكل مباشر أو غير مباشر ، على المسيرة الحضارية التي نعيش الآن أحداث مراحلها .

ثالثا : خلف إنسان الشرق الأدنى القديم للأجيال التالية تراثا حضاريا غنيا بالنظم الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والأفكار الدينية والمعارف في الحياة الثقافية

(١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب في العصور القديمة (مدخل حضارى فى تلويخ

والعلمية وأساليب التعليم والإبداع في الحياة الفنية والتنوع في مجال العلاقات الخارجية ولا تزال جميعا نشعر بقيمة هذا التراث وهذه المنجزات الحضارية فالشواهد الأثرية خير دليل على ذلك .

فقد ساعدت عدة عوامل هذا الإيمان على وضع أسس للحضارة والتطور بها منها : ملائمة المناخ للنشاط البشرى ، سهولة المواصلات أو الانتقال بين أرجاء المنطقة ، وسهولة الطرق البرية ، كما كانت البحار عاملا اسهم إلى حد كبير في سهولة الاتصالات ، وجود الحدود شبه المائنة للمنطقة^(١) ، توافر المواد الأولية في المنطقة مثل أنواع الأحجار والمعادن والأخشاب ، إن الإنجاز الحضارى لم يكن حكرا على عنصر بشرى دون غيره من العناصر المنتشرة في المنطقة ، ولكن كان هناك أشبه بالتجانس البشرى في كل بلد على حده ، وأدى هذا التجانس إلى بروز الشخصية الحضارية لكل بلد ، وأدى بالتالى إلى بروز الشخصية الحضارية الجماعية لمنطقة الشرق الأدنى القديم ، أخيرا أنها حضارات قامت على قدرات إنسان الشرق القديم نفسه ونشاطه وتجاربه وجلده وصبره وتقانيه في عمله وفي منجزاته ، وأدى ذلك إلى نجاحه في التطور بتجاربه وتميقها بدلا من بعثرتها وقسطيحها وأدى كذلك إلى تطور وتعمق التجربة الحضارية وأصبح لها جنور ممتدة إلى الأعماق في باطن التاريخ وهذا ساعد على عدم تهتمرها وعاشت بدلا من أن تتدثر .

فكان إنسان الشرق الأدنى القديم أول من أنشأ وألف الحياة المدنية ذات الحكومات وأول من وضع أسس لنظم الحكم والإدارة . وتطور بهذه النظم من بداياتها الفردية، التى تقوم على المساعدة من جانب المعبودات واكتساب الحق المقدس للحاكم حتى وصلت إلى تحديد ما على الحاكم وما على كبار رجال الدولة من مسؤوليات وواجبات ، وقد ظهر هذا الاتجاه في مصر في عهد الملك تحوتمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق. م) ، عندما نقرأ وصايا هذا الملك لوزيره رخمسى رع يسوم أسند إليه منصب الوزارة ورسم له الطريق الذى يجب أن يسير عليه ، وهى وصايا

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٦ - ٣٢ .

وتوجيهات لم تكن دستورا صالحا لعصرها فقط ، بل صالحة لكل زمان ومكان وفيها تحليل نفسى للشعب ، والصلة التى يجب أن تكون بين الحاكم والمحكوم .^(١)

وأول من وضع النظم الاجتماعية ، فظهرت أول مجموعة قانونية متكاملة تنظم القيم الجماعية والعرف والتقاليد والعلاقات فى بلاد النهرين فى عهد الملك اوركاچينا من سلالة لجش فى أواخر العصر السومرى الأول ، والذي يعد أول مشروع فى تاريخ البشرية حيث وردت بعض الإشارات التى تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه الإدارة وإزالة الظلم عن طبقة الفقراء .

ويورنمو مؤسس أسرة أور الثالثة والذي كان يعد أيضا من أقدم واضعى التشريعات المكتوبة فى بلاد النهرين. ولبت عشتار خامس ملوك مدينة لسين فى عصر الأحياء السومرى . ويلا لاما أهم ملوك مدينة اشنونا فى عصر الأحياء السومرى^(٢) وأخيرا التشريعات الشهيرة للملك حمورابى (عام ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م)^(٣) وتشريعات جور محب فى مصر (١٣٣٩ - ١٣١٤ ق. م) .^(٤) كما أن تقسيم المجتمع إلى طبقات ظهر أول ما ظهر فى بلاد الشرق الأدنى القديم .

وأول من وضع النظم الاقتصادية ، وتطور بمعارفه فى مجال الزراعة والصناعة والتجارة . أقام الملك امنحات الثالث سدس ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٨٨٤ - ١٧٩٧ ق. م) خزانا أو سدا عند مدخل الفيوم وذلك لخزن مياه فيضان النيل . وكان هذا الخزان مقفلا بواسطة سد كبير له أهوسة وعيون تفتح فى نهاية

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٢٨٤ .

(٢) راجع فيما بعد ، ص ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١١ - ٢١٣ ، ٢١٥ - ٢١٥ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

فصل الخريف وفي بداية فصل الصيف^(١). ويذكر بعض المؤرخين أن اليمنيين قد أنشؤوا مئات السدود والخزانات وأنهم أول من توسع في إقامتها . وكان أعظمها سد مأرب وذلك لتنظيم عملية ري الأراضي ومنعا لحدوث فيضانات نتيجة للأمطار التي كان ينتج عنها سيولا مدمرة . كما اعتنى اليمنيون بزراعة النباتات النادرة والحبوب المختلفة والفواكه المتنوعة^(٢). واشتهر أهل الشرق القديم بعدة صناعات أصبحت لها شهرة عالمية ، مثل صناعة البردي في مصر ، والنسيج في سوريا . فقد برع الفينيقيون في صناعة النسيج ، وكانوا يصنعون الأقمشة الصوفية منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ، وعرفوا المنسوجات القطنية بعد ذلك بزمان طويل ، وربما في القرن السابع أو السادس قبل الميلاد ومما ساعد على رواج النسيج والأقمشة الفينيقية إتقانهم لصباغتها بالألوان الزاهية وبخاصة اللون الأرجواني^(٣).

وكان الفينيقيون من أقدر الشعوب الملاحية التي عرفها العالم القديم ، بل ربما كانوا أقدرهم ، فكانوا يحملون منتجات الشرق القديم إلى مختلف أنحاء العالم القديم فوصلت سفنهم التجارية إلى موانئ البحر المتوسط وموانئ أبعد من ذلك ، هذا بالإضافة إلى تأسيسهم للمدن والمراكز التجارية في شمال أفريقيا وفي جميع البلدان المطلة على البحر المتوسط .. كما كان أهل اليمن القدماء وسطاء نشيطين في نقل تجارة الهند وجزر الهند الشرقية والصين وسواحل شرق أفريقيا إلى مصر وبلاد النهرين وسوريا^(٤). كما اهتم المصريون القدماء بعلاقاتهم التجارية مع الساحل السوري وأفريقيا وسواحلها الشرقية منذ أقدم المصور .

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، ص ٦٨٠ .

(٢) د. توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٩١ .

(٣) د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، الطبعة الثانية ، القاهرة

١٩٦٣ ، ص ١١٩ .

(٤) د. توفيق برو : المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٢ .

وأول من فكر في المعبودات والعبادات المختلفة وأول من فكر في الديانة والمعتقدات في الدنيا والآخرة وما على الإنسان أن يقوم به تجاه المعبودات وما يجب عليه أن يتبعه من مبادئ وقيم في الحياة ، وظهر هذا الاتجاه في مصر في نصوص كتاب الموتى والنصوص الدينية من الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ - ١٣٢٠ ق. م) وتبين فصول هذا الكتاب فكرة الحساب والمسئولية أمام الأرباب في عالم الآخرة .
وحينئذ يتحدد مصيره ، فأما إلى جنات ذات عذران وزروع ترتفع سنابلها إلى سبعة أذرع ، وإما إلى جحيم تنتوع فيه صور العرمان وألوان العذاب والفزع والخوف وأذى الوحوش والحيات وعذاب النار .^(١)

وأول من وضع أسس الحياة الثقافية فكان أول من اخترع الكتابة ووضع أسس لنظم التعليم : يقول رالف لنتون بأن الكتابة هي إحدى مخترعات دول الشرق الأدنى القديم ، وأن فضلها وأثرها أعظم كثيراً من اكتشاف المعادن ومعرفة الزراعة . فلولا الطرق الفنية الخاصة بتسجيل وحفظ نتائج الملاحظات ، لما تيسر ظهور العلوم والمعارف إلى حيز الوجود .^(٢)

فقد ظهرت تبشير الكتابة منذ صصور ما قبل التاريخ في حوالي عام ٣٥٠٠ ق. م . في حضارة الوركاء في بلاد النهرين ونقادة في مصر وحضارة عيلام في إيران وقد أطلق العلماء على هذه الكتابة الأخيرة اسم " قبل العيلامية " .^(٣) وكانت جميعها في البداية كتابة تصويرية وقد ظهرت للكتابة في وقت واحد في كل من مصر وبلاد النهرين . وتحتل الكتابة المصرية مجال السبق مع الكتابة المسمارية ، ولم يثبت حتى الآن أيهما أقدم تاريخياً ، وإن كلفت الآثار المصرية التي تحمل كتابات

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤٤ .

(٢) د. شعبان خليفة : الكتابة العربية في رحلة التشويع والارتقاء ، دار العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٨ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٨٩ - ٥٤٧ .

مصرية أقدم تاريخيا بأكثر من ألف عام . ومن هنا اعتقد كثير من الباحثين أن الكتابة المصرية اسبق وجودا من الكتابة المسمارية .

وكان أهل بلاد النهرين والمصريون القدماء والفينيقيون أول من اخترع الحروف الهجائية .^(١) كما كان المصريون القدماء وأهل بلاد النهرين يميلون إلى العلم والتعليم ويعرفون ما يجنيه المتعلم من ثمار التعليم ومن فائدة التعليم . فكانوا أول من وضع النصوص التي تمثل المفاهيم الدراسية . كما حدثنا ديودور الصقلي (الذي زار مصر في حوالي عام ٥٩ ق.م) عن المناهج الدراسية في مدارس المعابد المصرية وقد عثر على بقايا هذه المدارس حول المعابد ، كما أن المعابد الكبرى كانت تضم مكتبات تحفظ فيها وثائق المعبد ومجموعة من النصوص المختلفة الأغراض ومنها ما يخص العلوم والمعارف المتعددة ومنها ما يخص التعاليم والأدب وفروعه ومنها ما يخص الفنون . ومن الأدب السومري لدينا نصا مسماريا وصف تلميذ فيه طرعا من حياته المدرسية بناء على أسئلة وجهت إليه .^(٢) كما نعرف أن سرجون الثاني (عام ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) أنشأ مكتبة في نينوى ، وزاد هذه المكتبة

(١) هناك من يذكر بأن اللغات السامية كما هو معترف بها اليوم هي مجموعة لغوية خاصة تضم اللغات الآشورية - البابلية (الأكديّة) واللغمانية (الفينيقية) والآرامية والعبرية والعربية والحبشية وكذلك المصرية القديمة واللغات الحامية والتي كانت منتشرة في غرب آسيا وشمال وشرق أفريقيا مشتقة كلها من لغة واحدة ، لأن الأسلاف البعيدين للذين كانوا يتحدثون هذه اللغات كانوا غنبا يشكلون جماعة واحدة قبل أن تحدث بينهم هذه الاختلافات اللغوية أو اللهجات ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (ترجمة : جورج هداد وعبد الكريم رافق) الجزء الأول ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٦٦ - ٦٧ ؛ د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ٣١ حاشية (١) ؛ خالد العاك : تاريخ القدس العربي القديم ، ص ٥١ حاشية (١٤) .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

وأسس مثلها أولاده وحفنته . وكان أكثرهم اهتماما بالثقافات القديمة وجمعها فى مكتبات هو آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) .^(١)

وأول من وضع الأسس العلمية لبعض المعارف التى توصل إليها ، فقد شهدت منطقة الشرق القديم أولى المحاولات لتحويل المعرفة القائمة على التجربة أو الخبرة إلى نمق علمى فى ميادين الرياضة والصاب والفلك . فى مجال الهندسة المعمارية ظهرت أولى السدود المستخدمة فى التحكم فى المياه وتخزينها فى بلاد النهرين واليمن . كما ظهرت أول معجزات البناء الذى تركز فيه عشرات الآلاف من أطنان الحجر على سقف غرفة صغيرة فى داخل الهرم الأكبر بالجيزة فى مصر .^(٢) وكان يوجد فى بلاد فارس ومصر الأطباء المتخصصون كما برع المصريون القدماء فى فن التحنيط وفى مجالات أخرى .

وأول من وضع أسس الفنون المختلفة ، فى العمارة الديورية والدينية والجنائزية وفى النحت والنقش والرسم والتلوين والتطعيم والفنون الصغرى ، ونرى ذلك فى البقايا الأثرية فى العواصم القديمة فى الشرق الأدنى القديم : سومر ، بربسى بوليس ، بابل ، نينوى ، نمرود^(٣) ، بوجازكوى ، مارى ، صيدا ، بيبيلوس ، رأس الشمرا ، تدمر ، القدس ، الفاو ، مبرواح ، مأرب ، وفى بقايا العواصم والأقاليم والجبانات المصرية القديمة فى مصر العليا وفى الوجه البحرى .

ويكفى أن نذكر أنه من بين عجائب الدنيا السبع التى اشتهرت عند اليونانيين حتى القرن الثانى قبل الميلاد ، ثلاث منها فى بلاد الشرق القديم : السهرم الأكبر ، منارة الإسكندرية ، زاقورة بابل وملحقاتها .^(٤) كما أبدع إنسان الشرق القديم فى الفنون الأخرى فى الموسيقى والغناء بأنواعه والرقص بأنواعه . فكان المصريون

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .
 (٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٢ .
 (٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٣٦ - ٥٤٥ .
 (٤) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٠٨ حاشية (١) .

القدماء أول من وضع النوتة الموسيقية . كما عنى الفينيقيون بالموسيقى وانتشرت
الاتهم الموسيقية في جميع بلدان الشرق القديم .

وأخيرا كان أول من وضع أسس العلاقات الدولية ، من ذلك نرى أن
الصلات السياسية بين مصر وجاراتها في آسيا وفي البلاد المطلة على البحر
المتوسط وفي بعض المناطق في أفريقيا كانت قائمة على قواعد وأعراف متفق
عليها ، وكانت لغة المراسلات الرسمية هي اللغة البابلية وكانت تعد معاهدات صدقة
بين مصر وتلك البلاد يؤكد بها إرسال الهدايا مع رسل من الجانبين ، وعقد أوامر
المصاهرات . إذ أن ملوك بابل وأشور وميتاني كانوا على حدود مناطق النفوذ
الخاضعة لمصر في بلاد الشام ، وفضل الملوك المصريون أن يكونون على صفا
معهم (١).

ويؤكد هذه العلاقات المراسلات التي عثر عليها في تل العمارنة (٢) ،
ورأس الشمر (٣) وماري (٤) وبوغازكوي (٥) فمقد الملك حور محسوب معاهدة مع
مورسيل الثالث ملك الحيثيين ضمنمت له استقرار الأمور على الحدود (٦) ، والمعاهدة
التي وقعتها رمسيس الثاني مع خاتوسيل في عام ١٢٨٠ ق. م . وكان أصلها مكتوبا
بالخط المسماري على لوح من الفضة وقد ترجم الأصل إلى اللغة المصرية كما عثر

(١) د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٧ - ٨٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص
٣٠٨ - ٣١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٦) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ٣٣٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع
السابق ، ص ٥١٤ .

على الأصل في حفائر بوغازكوى . وهي تعتبر معاهدة سلام ودفاع ومساعدة مشتركة بينهما .. وأيضا تعاهدا على تقاضى الحرب بينهما واحترام مناطق نفوذهما فى مكان ما فى شمال سوريا لا يمكننا التعرف عليه ، وألا يعتدى أحدهما على حدود الآخر ، ومعاونة أحدهما الآخر فى حالة اعتداء دولة أجنبية أخرى على أحدهما ، والتعاون ضد الثورات الداخلية وتبادل اللاجئين السياسيين والقارين والتعهد بعودتهم إلى بلادهم الأصلية دون أن يتعرضوا لأية عقوبة ، وأذا القسم أمام ألف معبود حيثى وألف معبود مصرى أن يراعيا تنفيذ بنود هذه المعاهدة .^(١) كما عثر فى حفائر رأس الشمرى على مجموعة من المراسلات الدبلوماسية التى تبادلها ملوك أوجاريت مع ملوك الحيثيين ، ومن بينهما معاهدة صداقة عقدت بين ملك أوجاريت والملك الحيثى شوبيليوما .^(٢)

ومن رسائل تل العمارنة نعرف بعض قواعد البروتوكول المتبعة . فعند تولى أمحتب الرابع العرش أرسل إليه ملك هيتا رسالة تهنئة . وكان من عادة ملوك ميتانى وأشور وبابل أن تبدأ خطاباتهم بتحية الملك وزوجه ، ولكن ملك قبرص كتب إلى أمحتب الثالث باعثا إليه بالتحية ثم اضاف " وإلى أقاربك وخادماتك وأبنائك وزوجاتك ، وأبعث بتهانى إليك على عرباتك المعيدة وخيولك ، كما أبعث أيضا بسلامى إلى بلادك " .^(٣)

ولم تكن كل هذه المظاهر والمنجزات مجرد نظم حضارية ظهرت وانقرضت فى الحدود المحلية للمنطقة ، وإنما كانت منجزات أثرت فى غيرها من المناطق واستمر تأثيرها كأساس للتطور الحضارى الإنسانى فيما بعد .

رابعاً : لم يعرف الكثيرون قبل مئة سنة أن حضارة الشرق الأدنى القديم كانت مقدمة لنشأة الحضارة الأوربية القديمة . ولم يكن أحد يدرك مبلغ الدين

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ٨٥ .

الحضارى الذى كانت بلاد اليونان وروما مدينتين به لحضارة الشرق الأدنى القديم . ونعلم أن الحضارة اليونانية نشأت متأخرة عن حضارات الشرق الأدنى جميعا ولذلك أفادت منها كثيرا فى أكثر من مظهر حضارى بل أن ظهور هذه الحضارة على سواحل آسيا الصغرى لا فى اليونان نفسها راجع إلى احتكاكها واتصالها بالحضارة الفينيقية . على أن اقتباس الحضارة اليونانية لمعارف ومظاهر من حضارة بلاد النهرين لم يكن بصورة مباشرة وإنما عن طريق شعوب آسيا الصغرى التى كانت على اتصال دائم بالبابليين والآشوريين والتى خضعت لنفوذهم ، وقولنا هذا لا يقلل من شأن عظمة بلاد اليونان وحضارتها ولا من شأن عظمة روما ولا من إنجازاتها فى ميدان الحضارة الإنسانية لأن المنجزات الحضارية التى حققها الإنسان فى الشرق الأدنى القديم انتقلت إلى جزر بحر إيجه ، ومن جزر بحر إيجه وجدت هذه المنجزات سبيلها إلى أوروبا حيث أصبحت نواة للحضارة الكلاسيكية التى نشأت فى بلاد اليونان وفى روما وهى أم الحضارة الأوروبية .

ويقول جوردون تشيلد فى كتابه عن فجر الحضارة الأوروبية :

« لا أتردد فى القول أن الغرب مدين للشرق بفضل تقدماته الأولية من أدوات وصنائع وفنون حررت الإنسان ووضعت بين يديه سلاحا يعتق به نفسه من كابوس محيطه الطبيعى ، وهو مدين للشرق أيضا بفضل الروابط الروحية التى وجدت الإنسان فى سمعته نحو الحضارة والتقدم » (١).

وفى مؤلف آخر له بعنوان : « أضواء جديدة على الشرق الأدنى القديم »

يقول :

« إن تاريخ أوروبا السابق للتاريخ المدون ليس سوى تقليد - أو إن شئت تكيف - لما قام به الشرقيون من أعمال حضارية » (٢).

(١) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ،

ص ٧٦ حاشية (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٦ حاشية (٢) .

كانت جزيرة كريت فى البحر المتوسط ومقاطعة ميسيا فى جنوبى اليونان نقطتى ارتكاز تنطلق منهما هذه المنجزات الحضارية إلى داخل القارة الأوروبية . كما أن بلاد الأناضول وفينيقيًا ومصر كان أشبه بجسور تعبر عليها إلى جنوب أوروبا .

انتقلت بعض مظاهر حضارات الشرق الأدنى القديم إلى بلاد اليونان عن طريق خمسة طرق أولاً : بفضل ما نقله الفينيقيون من معارف وخبرات . فقد أنشأ الفينيقيون المراكز والموانئ التجارية على سواحل البحر المتوسط وجزره وجعلوها أسواقاً تجارية لهم ومحطات لتموين سفنهم فى قبرص وصقلية وسواحل آسيا الصغرى^(١) ، وثانياً : بفضل المرتزقة اليونانيين الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى فى القرن السابع ق. م . وكانوا يعودون إلى بلادهم يحملون معهم إلى الشاطئ الآخر من البحر المتوسط قصصاً عجيبة عن رخاء المصريين ووجودون لغائتها وفنونها وآدابها وديانيتها وكل ما رأوه فيها .^(٢)

وثالثاً : بفضل الرحالة اليونانيين الذين كانوا يتوافدون على بلاد فارس وبلاد النهرين وسوريا ومصر ابتداء من القرن الخامس ق. م . وسجلوا العديد من المعارف التى توصل إليها أهل الشرق القديم ونقلوها إلى بلادهم . ورابعاً : بدأ اليونانيون من جانبهم يقدون على بلاد الشرق الأدنى القديم لدراسة الديانة والطب والرسم والنحت والعمارة والموسيقى وخاصة فى مصر . فطاليس (٦٤٠ ق. م) استمد ثقافته من مصر وبلاد النهرين ، وهيرثاغورس (٥٨٠ ق. م) زار مصر وتعلم من كهنتها كثيراً من الممائل الفلكية والهندسية وزار أيضاً الجزيرة المربية وسوريا وبابل .

وفى خلال مراحل الاتصال هذه نجد أن الحضارة اليونانية طورت ما أخذته من مجتمعات الشرق الأدنى القديم ، وزادت عليه وصاغت كل ذلك صياغة جديدة وبخاصة خلال القرنين الخامس والرابع ق. م .

(١) د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص ١٠٤ .

(٢) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، ص ٤٢٩ .

وظلت حضارات الشرق تمد الحضارة الإغريقية طوال تاريخها بكثير من عناصر تراثها . فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد وصناعة الغزل والنسيج واستئناس الحيوان ، بل أن أثينا وهو لفظ غير يوناني قد أسسها مصري يدعى ميكروبس ، وطبية أسسها كادمويس وهو فينيقي (ولمي رأى آخر أنه أحد الأمراء المصريين الذين عاشوا في القرن الرابع عشر ق. م .^(١))

وخامسا : زاد هذا الاتصال بفضل حملة الإسكندر المقدوني حيث كان تأثير الحضارة اليونانية هو الظاهر هذه المرة على الشرق الأدنى القديم سواء في جوانب العلم أو الفكر أو الأدب والفن . على أن ذلك لا يعنى أن الشرق قد غلب على أموه ، إذ كانت الروح الشرقية أصيلة راسخة فظل الناس يتخاطبون بلغتهم الوطنية ويمارسون عاداتهم المألوفة من قديم الزمان لأن الغشاء اليوناني الذي غش الروح الشرقية كان رقيقا ويزداد رقة وتختفى ملامحه كلما توغلنا في أعماص أقطار الشرق وبعدنا عن ساحل البحر المتوسط الذي كانت المراكز الثقافية الإغريقية منتشرة عليه ، لقد عجزت الروح اليونانية عن أن تتغلغل فتسرى في أعماق العقيدة الشرقية ، إذ كانت الديانة راسخة في الأعماق ومؤثرة في معظم بلدان الشرق القديم منذ أقدم العصور ، ومن ثم يتعذر أن نزعزعه روح عشقت مباحج الحياة الدنيا والمادة ، فاستسلم اليونانيون للطغوس الدينية في مصر وفينيقيا وموريا . لقد عرض اليونان على الشرق الفلاسفة وعرض الشرق على اليونان الدين والحكمة فكانت الغلبة للدين والحكمة ، لأن الفلسفة كانت ترفا يقدم للأقلية من الناس بينما الدين سلوى لأكثرهم وراحة نفسية لأغلبهم .^(٢)

اتصلت حضارة اليونان بثلاث حضارات كبرى في الشرق الأدنى القديم ، وهي حضارة مصر القديمة ، وحضارة فينيقيا القديمة وحضارة بلاد النهرين

(١) د. أحمد صبحي : في فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافة

الجامعية ، الإسكندرية ، ص ١٨ (وهامش) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

القديمة .

كان للحضارة المصرية القديمة تأثير كبير على الحضارة اليونانية وجزر بحر إيجه وخاصة في مجال الحياة الثقافية .

ويرى د. ليفار أن ما قدمته مصر للحضارة الإنسانية عامة ولحضارة اليونان خاصة لم يحظ بالتقدير المطلوب ، وذلك لأنها زودت اليونان بعلوم ومعارف عديدة . وقد آلت هذه المعارف إلى اليونان عن طريق الفينيقيين والسوريين واليهود والكريتيين واليونانيين المرتزقة والرومان أنفسهم ^(١) . ونذكر على سبيل المثال أن الفينيقيين هم الذين أدخلوا البردي بلاد الإغريق .

ومن الصعب تحديد إلى أى مدى استطاعت الحضارة المصرية القديمة التأثير في الحضارة اليونانية الناشئة ، ولكن يمكن القول بأنه كان للحضارة المصرية فضل كبير في تطور الحضارة اليونانية في العديد من مظاهرها .

كانت مصر هي الدولة الوحيدة المنتجة والمصدرة للبردي في الشرق القديم وكانت بلاد اليونان منذ نهضتها الثقافية الكبرى في القرن الخامس ق. م . في حاجة ماسة إلى هذه السلعة .

وهيرودوت ذلك المؤرخ اليوناني الذي أطلق عليه الخطيب الروماني شيشرون لقب " أبو التاريخ " والذي زار مصر في حوالي عام ٤٤٨ ق. م . يقول : " وعن طريق اليونانيين وصلت إلى الحضارة الغربية بعض الأفكار المصرية " ^(٢) .

نشطت في الأمرات المتأخرة العلاقات مع المدن اليونانية ، وكان المرتزقة اليونانيون الذين كانوا يخدمون في القوات المصرية ، يعودون إلى بلادهم حاملين

(١) د. ليفار ليمنر : الماضي الحى (حضارات تمتد سبعة آلاف سنة) (ترجمة

شاكر إبراهيم ومراجعة د. أبو المحسن عصفور) القاهرة ١٩٨١ ، ص ٧٤ .

Vercoutter, L'Egypte Ancienne, p. 8.

(٢)

معهم إلى الشاطئ الآخر من البحر المتوسط قصصا عجيبة عن رخاء مصر وثرها
مظاهرها الحضارية ويروجون لكل ما رأوه وتأثروا به .

وفي الفترة فيما بين القرنين قبل الميلاد والثاني بعد الميلاد جاء عدد كبير
من الشخصيات اليونانية إلى مصر منهم الرحالة والمؤرخين الذين كتبوا وصفا لمسا
شاهدوه وسمعوه في مصر : أمثال هولا : هيكتيه الملقى ، هيرودوت ، وديودور
الصفلى ، وسترابون ، وبلوتارخ ، ومنهم الفلاسفة من أمثال أفلاطون . كما قصدهما
النايفون من أهل العلم والفكر في اليونان ، وكانوا يفخرون دائما بتلك السنوات التي
قضوها في مصر مع الكهنة المصريين في المدارس المختلفة الملحقة بالمعابد في
إيوانو وأبيدوس ومنف والأشمونين وطيبة وسائس حتى الطلبة اليونانيين بدأوا
يختلطون بدور العلم المصرية ، ولدينا نص بردية يونانية ، عبارة عن رسالة من أم
يونانية إلى ابنها الذي يقيم في مصر لتلقى العلم ، جاء فيها :

و " عندما بلغني أنك تتعلم الكتابة المصرية فرحت لك " (١).

وفي ذلك ما يدل على أن اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر منهم من كان
يرى أن الإفادة الكاملة لن تتم دون تعلم لغة البلاد أي اللغة المصرية . وكان بعض
المصريين الذين هاجروا إلى بلاد اليونان يقومون بتعليم الموسيقى والعزف على
الآلات المختلفة لبعض اليونانيين (٢).

وبدأ اليونانيون من جانبهم في دراسة الثقافة والعلوم المصرية في بلادهم
وخاصة في مجال الهندسة والطب .

وكما تعلم أفلاطون فروع العلم المختلفة ، وتعلم تلميذه بودكس الفلك ، ومن
الفلاسفة نعرف أيضا ديمقراط . ومن الرياضيين نعرف طاليس الذي تعلم أسرار

(١) د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص ٢٤٢

حاشية (٢) .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٩ .

المعارف من الكهنة المصريين ونقل عنهم أصول النحت والهندسة إلى مواطنيه اليونان ، وقد نصح طاليس تلميذه بيتا جوارس أن يتم دراسته مع الكهنة المصريين ، فقام في مصر اثنتين وعشرين عاما تعلم فيها الفلك والهندسة في معابدها . كما تعلم بيتا جوارس أصول النوتة الموسيقية والسلم الموسيقي في مصر . ومن الرهساضيين نعرف أيضا فيثاغورس الذي درس فيها الفلك والهندسة وفي الطب نعرف هيبوقراتس . وكل من هؤلاء كان معروفا بنظرياته العلمية والرياضية والفلسفية ، ومن المشرعين سولون ولوكورج . ومن الموسيقيين أورفي ومن الشعراء هوميروس والوبيدز . وكان هوميير يتغنى بحكمة مصر وتفوقها في مختلف ميادين العلم والفنون .^(١)

وقد أخذ اليونانيون عن المصريين الكثير من مبادئ العلوم ومنها حوالى ثلاثين نظرية في قواعد العلوم المختلفة .^(٢)

وهي مبادئ علمية لم يقتصر مجالها على الخبرة الناتجة عن الممارسة فحسب وإنما دونها المصريون القدماء في شكل قواعد علمية كما يظهر لنا بوضوح في أوراق البردي الطبية مثل بردية إيرس المحفوظة الآن في جامعة لايبزج ، وبردية هرست المحفوظة الآن في جامعة كاليفورنيا ، وبردية إدوين سميث الموجودة حاليا في حيازة الجمعية التاريخية في نيويورك ، وبردية برلين الموجودة الآن في متحف برلين .

وقد تركت هذه البرديات وغيرها وما سطر عليها أثرها على المنجزات الطبية في الطب اليوناني القديم وهو أثر وصل إلى درجة الاهتباس الكامل في كثير

- (١) عن ذكر مصر والمصريين انظر الاوديسية ، نشيد ٤ : ٨٣ ؛ نشيد ١٤ : ٢٦٣ ، ٢٨٦ ؛ نشيد ١٧ : ٤٣٢ ، راجع : د. لطفي عبد الوهاب : هوميروس تاريخ حياة عصر ، مركز التعاون الجسامعي ، الإسكندرية ١٩٦٨ ، ص ١٥ حاشية (١٣) ، ص ٣٢ ، ٤٧ ، ١٠٨ .
- (٢) د. إبراهيم نصحي : تاريخ التربية والتعليم في مصر (الجزء الثاني - مصر البطالمة) ، ص ٢٠٣ ؛ د. أحمد بدوي - د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

من الأحيان كما يظهر لنا بوضوح فى كتابات فيوسكورينيس وجالينوس وهيبوقراتيس ، (أبقراط) الذى يعتبر المعلم الإنسانى الأول لمهنة الطب ، وهو أول من رتب الطب وبوبه ، وذلك فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ولقد بنى الطب على أسس علمية صحيحة وظهره من الخرافات وجعل التجربة الصحيحة أساسا له .^(١)

كذلك أخذ اليونان عن المصريين المبادئ الأولى لفن النحت فجاءت التماثيل اليونانية فى عصرها المبكر نسخة من الاتجاه المصرى فى الوقفة المعتدلة والنظرة المتجهة إلى الأمام والذراعان الملتصقان إلى الجانبين واليدان المقبوضتان والقدم اليسرى المتقدمة قليلا عن اليمنى . وهذه أوضاع نجدها جميعا فى عدد من التماثيل اليونانية الموجودة فى المتحف الوطنى فى أثينا .

كما أخذ اللغاثون اليونانيون ابتداء من عصر الطفلة (حوالى القرن السادس ق. م) عن معابد مصر صارة الأبهاء والأصدة لتصبح بعد ذلك هى النمط السائد عند اليونانيين كما يتضح من مقارنة معبد الكرنك وبقايا معبد أبوللون فى أوليمبية .^(٢)

أما عن تأثير الحضارة الفينيقية فى الحضارة اليونانية ، فلنا أن نذكر أن الحروف الهجائية التى طورها الفينيقيون عن حروف المخريشات السينية ونقوها^(٣) من آخر المقاطع التصويرية للكتابة الهيروغليفية التى كانت لا تزال علقسة بها ، بحيث أصبحت الأبجدية تمثل القيم الصوتية فحسب ، قد نقلوها فى أثناء نشاطهم التجارى فى البحر المتوسط ، إلى بلاد اليونان لتصبح (بعد أن زاد اليونان عليها

(١) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٢ ، ص ٢٠ : د. محمد أحمد : مظاهر الحضارة فى مصر العليا فى عهد سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية للقاهرة ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ ، ص ٣١٤ حاشية (٢٦٢) .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) عن الأبجدية الفينيقية أم الأبجديات وتأثيرها فى الكتابة اليونانية ، راجع :

د. شعبان خليفة : للكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء ، ص ٤٨ - ٥٢ .

حروف الحركة) أداة طيعه لمرعة انتشار الكتابة ، ومن ثم لانتشار الحركة الثقافية بكل عمقها واتساعها وقد تم دخول الكتابة إلى بلاد اليونان بين بداية القرن التاسع ق.م. وأواسطه تقريبا ، حتى إذا وصلنا إلى أواسط القرن الثامن (٧٥٠ ق.م) وجدناها قد انتشرت في مناطق يونانية كثيرة .^(١) فنحن نعترف أن أصل اللغات الأوروبية الحديثة هي اللغة اللاتينية ، وأن اللاتينية مأخوذة أساسا عن الرومان ، وأن الرومان قد أخذوها بدورهم عن اليونانيين ، وأن اليونانيين بدورهم قد أخذوها من الفينيقين ، وكما ذكرنا أن الأبجدية الفينيقية استمدت أصولها من بضع مصادر أهمها الخط الهيروغليفى الذى كتبت به مخربشات سيناء . وقد عثر فى شبه جزيرة سيناء على نقوش عرفنا منها أصول كثيرة من الحروف الفينيقية .^(٢) كما تأثر اليونانيون بمارينوس الصورى مؤسس للجغرافية الرياضية التى كان يعتمد عليها بعض مفكرى العالم القديم .

وعن بلاد النهرين أخذ اليونان مبادئ الرياضيات التى لم يقتصر فيها أهل بلاد النهرين على نتائج التجارب العلمية وإنما وصلوا فيها إلى درجة للتطوير العلمى (وضع النظريات) . ويكفى أن نذكر فى هذا المجال أن الأصل الذى أخذ عنه عالم الرياضيات اليونانى فيثاغورس نظريته ، توصل إليه أهل الخبرة فى بلاد النهرين وكتب على لوح من الطين المحروق محفوظ الآن فى متحف الأثار ببغداد . وقد نقل اليونانيون آراء الكلدانيين فى علم الفلك الذين أطلعوا البشرية لأول مرة فى التاريخ على نظام ثابت للأجرام السماوية .^(٣) فأخذ اليونانيون عن البابليين استخدام الساعة المائية والشمسية . كما اقتبسوا عنهم مبادئ الفلك وآلات الرصد والجدول الفلكية والخرائط الجغرافية وطريقة تقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة وكل درجة إلى ٦٠ دقيقة

- (١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٢٢؛ المؤلف نفسه :
 هوميروس تاريخ حياة عصر، مركز للتعاون الجامعى ، الإسكندرية ١٩٦٨ ،
 ص ٢٣ ، ٣٩ .
- (٢) د. أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١١٧ - ١١٨ .
- (٣) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٢١ ؛ د. عبد الحميد
 زايد : الشرق الخالد ، ص ١٩٨ .

وكل دقيقة إلى ٦٠ ثانية وما استطاع طاليس أن يتنبأ بكسوف الشمس الذي حدث في عام ٥٨٥ ق. م. إلا بفضل معرفته لحسابات ومعارف البابليين عن حركات النجوم. (١)

كما أننا نجد أن تأثير بلاد النهرين كان واضحاً كذلك في مجالين آخرين :

أحدهما : هو مجال أدب الملاحم الذي ظهر عند السومريين والبابليين فسي عدد من الملاحم أبرزها ملحمة جلجامش وملحمة اينوما ايلش وأثر الملحمة الأولى يظهر في أكثر من جانب في ملحمة الأوديسية المنسوبة إلى الشاعر اليوناني هوميروس .

والمجال الثاني : هو مجال الأساطير التي كان الإنسان في العصور القديمة يحاول أن يفسر الظواهر الطبيعية وظواهر الكون المحيط به ، مثل مظاهر الخلق والحياة والموت والفصوبة والإجداب وغيرها ومن ثم يحدد علاقته بها وموقفه منها .

وهنا نجد قدراً غير قليل من الأساطير اليونانية تكاد تتطابق فكرة وتفصيلاً مع الأساطير التي سبقتها في بلاد النهرين ، مثل الأساطير المتعلقة بقصة الطوفان وقصة خلق الإنسان من طين ومساء وروح مقدسة ، وأسطورة اثانا وتموزي (وعشتار وتموز) البابلية ونظيرتها أسطورة افروديتي وأدونيس اليونانية التي وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين . (٢) كما يظهر تأثير الآشوريين في الفن اليوناني في طريقة نحت التماثيل الحيوانية ونقش الأفكار التي كان يتبعها اليونانيون في بادئ الأمر .

خامساً : أن الشرق الأدنى القديم صاحب الإرث الروحي ، وصاحب الرصيد الديني الذي لا يوجد له نظير في مناطق أخرى من العالم القديم والحديث .

(١) د. محمد عباد : تاريخ اليونان ، الجزء الأول ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨١ ، ص ١٣٥ .

(٢) د. لطفي عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢١ .

فإذا كان الاتجاه الدينى فى بادئ الأمر كان قلنا على عبادة عدة معبودات ، فلقد أن اخناتون فى مصر ، حاول أن ينشر عبادة موحدة لمعبود واحد هو أتون ونشيد الكبير هو الأصل الذى نقل عنه الجزء الأكبر من مزمور ١٠٤ لسيدنا داود ، كما أن بردية امنموبت كانت أيضا الأصل الذى نقل عنه جامع سفر الأمثال لسيدنا سليمان ، وبعبارة أخرى كان لمصر فضل لا ينكر على العبرانيين فى تكوين جانب من فكرهم الدينى ، عندما بدأوا ، فى القرن الثامن قبل الميلاد ، فى كتابة بعض أجزاء من كتاب العهد القديم . فالكتاب المقدس هو نفحة من نفحات الشرق الأدنى القديم ، وقد استمد الكثير من أصوله الأولى من بلاد النهرين وأيضاً من مصر .^(١)

وكان لبعض المعتقدات الدينية القديمة فى الشرق القديم أثرها فى أوروبا فى القرن الأول الميلادى . فقد كان للمعبودة المصرية إيزيس معابد كثيرة فى روما وغيرها من المدن للرومانية فى هذه الفترة . وكان يقوم على خدمة تلك المعابد كهنة من المصريين يساعدونهم كهنة من أبناء البلاد . وكانت مواكب هذه المعبودة وتمثيل قصتها كل عام ذات أثر كبير على أفكار الناس عامة فى ذلك العهد ، بل أن التمثيلات التى كانت تقام سنوياً فى أعياد المعبودة ، وبخاصة قصة الصراع بين أوليروس وهورس وست التى كانت تمثل منذ أربعة آلاف عام وتعتبر أقدم المسرحيات الدينية فى تاريخ العالم القديم لأنها تمثل الصراع بين الخير والشر ، كانت الأصل للتمثيلات الدينية فى العصور الوسطى فى أوروبا ، كما عبد المعبود آمون المصرى فى بلاد اليونان .^(٢)

كما اقتبس اليونان عبادة المعبود الكتلانى أنون (بمعنى سيد) وجعلوا منه ادونيس ، وأصبح أشهر المعبودات السورية وأقيمت عبادة له فى اليونان فى القسرن الخامس ق. م . كما انتشرت عبادة رفيقة حد (أترغاتس) بين اليونانيين فى العصر السلوقى وبواسطتهم وصلت إلى روما حيث أقيم معبد باسمها .^(٣) كما أشرت

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٥٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٥٠ - ٤٥١ د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٣) د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، ص ١٢٦ ، ١٨٨) .

الديانة الزرادشتية على اليونانيين والرومان (١).

وبعد ذلك جاءت فترة ظهر فيها في مختلف بقاع الشرق الأدنى القديم الأنبياء والرسل أصحاب الرسالات نادى كل منهم برسالة التوحيد والإيمان والتسليم لله وحده وعبادته دون سواه ، أمثال سيدنا إبراهيم الذى ظهر فى بلاد النهرين وفلسطين ومصر وشبه الجزيرة العربية ثم عاد إلى فلسطين ودفن فى مدينة الخليل (٢) وسيدنا نوح الذى وصلت سفينته إلى جنوب وادى النهرين (٣) وسيدنا يحيى فى فلسطين وسيدنا أيوب الذى يعد أقدم الأنبياء فى الجزيرة العربية وربما كان من شمال نجد وشرق العقبة (٤) وسيدنا هود فى منطقة الأحقاف وسيدنا صالح فى الحجر وسيدنا شعيب فى شمال الجزيرة العربية ، وسيدنا لوط فى سهل الأردن ، وسكن سيدنا يعقوب أرض فلسطين وجاء إلى مصر ، كما نعلم الكثير عن قصة سيدنا يوسف ومجيئه إلى مصر ثم مجئ أخوته إليه ومجئ أبويه إليه وغير هؤلاء الذين ظهروا فى أماكن عديدة من بلاد الشرق القديم .

كل ذلك كان تمهيدا لأن يصبح الشرق الأدنى القديم منبعاً لديانة التوحيد ومهبطاً للكتب السماوية التى نادت بعبادة الله وحده وحسم الشرك به وكان هذا الشوق عينه ، وهذا الجزء من الشرق العربى بالذات ، هو الذى قدم للإنسانية ثلاثة من أعظم رسلها ومعلميها وذلك لهداية البشر أجمعين ، لقد ولد سيدنا موسى ونشأ فى أرض مصر ، ولم يكن قومه إلا من المصريين أنفسهم وعناصر من أهل هذا الشرق ، وربما من شمال الجزيرة العربية أو من أراضى فلسطين ، ولكنهم كانوا يعيشون آنذاك فى مصر وتبليغهم ومعه سيدنا هارون رسالة التوحيد والإيمان لأحد المسئولين الذى كان يحمل لقب فرعون على أرض مصر ، وولد

(١) د. أحمد فخري : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ٢٣٢ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٤٢٩ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى

تاريخ العرب قبل الإسلام) ، ص ٥٥ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ .

سيدنا عيسى ونشأ في فلسطين ، وولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونشأ في مكة
وسط الجزيرة العربية .

وفي أهل الشرق القديم نزلت الكتب المعمولة التي هي بمثابة وثائق
ووصايا إلهية أنزلها الله سبحانه على رسله ، فيها هدى ونور لعباده وضمنها ما
يصلح أحوالهم في العقائد والعبادات والأحكام والآداب ، ونبا المرسلين ، وقصص
الأولين ؛ لتصلح دنياهم ، وتساعد آخرتهم . وقد ذكر القرآن منها أربعة : الزبور الذي
أنزل على سيدنا داود^(١) والكتاب الذي أنزل على سيدنا موسى^(٢) أو الفرقان الذي
أنزل على سيدنا موسى وهارون^(٣) والإنجيل الذي أنزل على سيدنا عيسى^(٤) ،
والقرآن الذي أنزل على سيدنا محمد .^(٥) لقد أنزل الله هذه الكتب المقدسة على هؤلاء
الرسل والأنبياء ، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى : " لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقيم الناس بالقسط " .^(٦) وجاء ذكر هؤلاء الرسل في عرصات
كثيرة . ابتداء من سيدنا آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف
وأيوب ويونس والأنبياء وعيسى وموسى وهارون وداود وسليمان^(٧) ، وإدريس وداود

(١) سورة النساء : الآية ١٦٣ ؛ سورة الإسراء : الآية ٥٥ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٤٩ ؛ سورة القصص : الآية ٤٣ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٤٨ .

(٤) سورة الحديد : الآية ٢٧ ؛ سورة المائدة : الآية ٤٦ .

(٥) سورة الإنشآن : الآية ٢٣ .

(٦) سورة الحديد : الآية ٢٥ .

(٧) سورة البقرة : الآيات ١٣٠ - ١٣١ ، ١٣٦ ؛ سورة آل عمران : الآيات ٣٣ ،

٤٥ ، ٦٨ ؛ سورة النساء : الآية ١٦٣ ؛ سورة الأنعام : الآيات ٨٣ - ٨٦ ؛ سورة

الأعراف : الآية ٥٩ ؛ سورة هود : الآيات ٥٨ ، ٦١ ، ٧١ ، ٨٤ ، ٩٦ ؛ سورة

مريم : الآيات ٣٠ ، ٣١ ، ٤١ ؛ سورة طه : الآية ١١٦ ؛ سورة الأنبياء : الآيات

٤٨ ، ٧١ - ٨١ ، ٨٣ - ٨٤ ، ٨٩ - ٩١ ؛ سورة الشعراء : الآيات ١٦ ، ٢١ ، ١٠٧ ؛

العنكبوت : الآية ٢٧ ؛ الصافات : الآيات ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١١٩ - ١٢٣ ، ١٢٩ -

١٣٤ ؛ ص : الآيات ١٧ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٤٥ - ٤٨ ، ٧٢ - ٧٤ ؛ سورة غافر : الآيات

٢٣ - ٣٥ ؛ سورة الذاريات : الآية ٣٨ ؛ سورة القمر : الآيات ٩ - ٤٢ .

الكفل وزكريا ويحيى والسيدة مريم^(١) والياس واليسع^(٢) وياسين^(٣) وهود وصالح ولوط وشعيب^(٤) مصدقا لقوله تعالى : " أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين " ^(٥) . ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب . ^(٦) هذا بالإضافة إلى الرسل الذين لم يذكرُوا في آيات القرآن " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " ^(٧) .

سايديا : فَن تلك الآثار الذي لا يزال معظمها قائما في مكانه في معظم بلدان الشرق الأوسط أو العالم العربي ، في إيران والعراق وتركيا وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن وفي بعض مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية وخاصة في الجزء الجنوبي منها أو التي نقل بعضها أثناء فترة الضعف السياسي التي مر بها الشرق الأوسط وعالمنا العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من العصر الحديث إلى دور التحف العالمية في أوروبا وأمريكا واسكتلندا واليابان ، أو التي لا يزال بعضها ضمن ملكيات ومجموعات خاصة في أوروبا وأمريكا وغيرها تعد كلها أدلة حقيقية وشواهد ثابتة بما كان لأهل الشرق الأدنى القديم من سبق

(١) سورة آل عمران : الآيات ٣٩ ، ٤٢ ؛ سورة مريم : الآيات ٢ ، ٧ ، ١٢ ، ٥١ ، ٥٣ - ٥٦ ؛ سورة الأنبياء : الآيات ٨٥ ، ٩١ ؛ سورة المؤمنون : الآية ٥ .

(٢) سورة الأنعام : الآيات ٨٥ - ٨٧ ؛ سورة : ص الآية ٤٨ .

(٣) سورة يس : الآيات ١-٦ ؛ سورة الصافات : الآيات ١٣٠-١٣٢ .

(٤) سورة الأعراف : الآيات ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٠-٨١ ، ٨٥ ، ٩٢ ؛ سورة هود : الآيات ٥٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٤-٩٥ ؛ سورة الشعراء : الآيات ١٢٤-١٢٥ ، ١٢٥ ، ١٤٢-١٤٣ ، ١٦١-١٦٢ ، ١٧٧-١٧٨ ؛ سورة العنكبوت : الآيات ٣٣ ، ٣٦ ؛ سورة الصافات : الآيات ١٣٣ - ١٣٤ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٣٣ .

(٦) سورة الحديد : الآية ٢٦ .

(٧) سورة النساء : الآيات ١٦٤ - ١٦٥ .

تاريخي وما كان لأهل الشرق الأدنى القديم من سبق في الحضارة أيضا ^(١). وأن مجد إقامة هذه الآثار كلها ، وما تكل عليه من مظاهر حضارية وتاريخية يتقاسم الفخر فيه كل ملك وحاكم وكل مهندس معماري ومشرف وكل رئيس عمال وكل فنان وصانع وعامل في كل بلد من بلدان الشرق الأدنى القديم .

لكل هذه الأسباب المنة التي ذكرناها يستلزم تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم باهتمامنا فلم يكن عالما غامضا أو متخفا ولكنه كان بكل حضاراته المختلفة يمثل الحلقات الأولى في السلسلة التي تمثل الحضارات المتتابعة للإنسانية منذ بدايتها حتى عصرنا الحالي . فمن حضارة الشرق الأدنى القديم أخذ اليونانيون كما ذكرنا ، دروسهم الأولى وطوروها واستفادوا منها ، ثم أعادوها للشرق الأدنى القديم فسي أعقاب فتوحات الإسكندر الأكبر وصدرها اليونانيون بدورهم للرومان ، وعمقها الرومان في أنحاء إمبراطوريتهم الرومانية التي شملت كل حوض البحر المتوسط وجزءا من منطقة الشرق الأدنى القديم . وعن هذا التراث الحضاري كله أخذ العرب بعد ظهور دعوة الإسلام والفتوحات العربية التي أعقبها وطوروها وأضافوا إليها . فعندما اهتم المسلمون بالعلوم العقلية فإنيهم استمدوا آراءهم وعلومهم من الثقافة اليونانية (المدينة أصلا لحضارة الشرق الأدنى القديم) التي كانت منتشرة منذ فتوحات الإسكندر في انطاكية وحران والرها وقنسرين في شمالي سوريا ونصيبين في العراق وجند يسابور في جنوب إيران والإسكندرية في مصر . وقامت في هذه المدن مراكز ثقافية خرج منها العلم والفلسفة الإغريقيان . وقد استمرت هذه المراكز في تأدية دورها في نشر الثقافة اليونانية حتى العصر الإسلامي حتى بلغت حركة الترجمة من اليونانية إلى العربية ذروتها في عصر الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) . خاصة في مجال الطب والرياضة والعلوم والفلسفة التي استوعبها العلماء العرب بسهولة وأضافوا إليها ، فإلى أهل حران يرجع الفضل في ترجمة كثير من الكتب عن اللغات الأجنبية .

(١) د. عبد الحميد زبيد : للمرجع السابق ، مقدمة ص (و) .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية أول من عنى بنقل علوم الطب والكيمياء إلى العربية ، فدعا جماعة من اليونانيين من مدرسة الإسكندرية حيث راجت المعارف الكيميائية فيها . وطلب منهم أن ينقلوا له كثيرا من الكتب اليونانية والبرديات المكتوبة بالخط القبطي التي تتناول البحث في مجال الكيمياء العلمية .. كما طلب إليهم أن يترجموا كتب جالينوس في الطب . ووضع بذلك أسس المعارف الطبية ، وعقب حركة الترجمة هذه جاء عصر الابتكار والإنتاج والتأليف من قبل العلماء المسلمين في شتى العلوم . وطور علماء العرب كل هذه المعارف بعد ذلك ، ولقد شهد للعصو العباسي الأول نهضة علمية شاملة بظهور أعلام المسلمين والنوابغ من أمثال الكندي الذي اشتغل بالطب والحساب والهندسة والفلك ومن بعده ابن رشد واسحق بن حنين والغزالي والفارابي وابن سينا وغيرهم الذين كانوا يشتغلون بالطب والطببيات والرياضيات (١).

(١) وغيرهم من أمثال : الحارث بن كدة الذي ولد في الطائف في القرن السادس الميلادي وكان أشهر أطباء عصره ، وقد درس الطب بمراستان جند بسابور بخوزستان إذ أسسه كسرى أنوشروان ، ولما ظهر الإسلام قربه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وكان محل ثقة العرب ، وتوفي في عام ٢٣هـ . كما تخرج من هذا المعهد ابن الحارث : النصر الذي ذاعت شهرته أيضا . كما استعان الأمويون ببعض الأطباء الذين كانوا يعملون في هذا المعهد للطبي . كابن أثال الطبيب النصراني الذي اتخذ معاوية ابن أبي سفيان طبيبا له ، وحكم دمشق ، وتياقوق وغيرهم ، راجع : د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الجزء الأول ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ ؛ د. محمد صياد : تاريخ اليونان ، الجزء الأول ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٤ ؛ د. فتح الله خليف : ترجمة التراث اليوناني وأثرها على الحضارة الإسلامية (حوليات كليات الإنسانية والعلوم الإنسانية ، جامعة قطر) العدد الثاني عشر عام ١٩٨٩ ، ص ٢٤٧ .

وأصبح كل هؤلاء يشكلون جزءاً أساسياً من تراث العرب الثقافى والعلمى .

وعما تبقى من التراث اليونانى والرومانى وعن العرب أخذت أوروبا فى عصر النهضة (فى القرن السادس عشر الميلادى) وفى بدايات العصر الحديث ثقافتها العلمية لتطورها بدورها وتنتشرها فى العالم الحديث بما فيه العالم العربى (المهد الأسمى) ليسترد بذلك جزءاً من تراث معارف حضاراته القديمة ولكن فى صورة متطورة وحديثة .^(١) لهذا كله يقول هنرى فيلد فى مؤلف له :

" ليس فى الأرض بقعة قدمت للبشرية من المنافع والخدمات ما قدمته المنطقة التى نطلق عليها اسم جنوبى غربى آسيا . فإن المعارف الزراعية الأولية وتدجين الحيوانات واختراع الكتابة ومبادئ علم الفلك والبحث العلمى ، وجمع الشرائع وتدوينها وفن العمارة والرعى وغيرها من التخدمات لخير البشرية وتوحيدها ظهرت أول ما ظهرت فى هذه البقعة من الأرض ."^(٢)

ويجب أن نشير هنا إلى مدى تسابق معظم متاحف أوروبا وأمريكا وأصحاب السلطة والنفوذ والثراء المادى فيها فى اقتناء البرديات العربية فى ظل غياب الوعى العربى عن العناية بتراث الوثائق البردية . فكلنا يعرف قصة تهريب أغنى مجموعة بردية إلى النمسا ربما تتعدى الـ ١٠٠,٠٠٠ وثيقة متنوعة مصرية قديمة ويونانية وفارسية وعربية . وهى " مجموعة الأرشيدوق راينر " وهى محفوظة فى قاعة البرتينا ، جمعها واشتراها ثلاث شخصيات نمساوية من أطلال الفيوم ومنف والاشمونين والبهنسا وأهناسيا وأخميم وأسيوط وأدفو وطما والنوبة والفسطاط والالتسا

(١) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، د. حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٥٢٢ - ٥٢٤ .

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحالى (ترجمة : د. أنيس فريجة ومراجعة : د. نقولا زيادة) بيروت ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ، ص ٧٦ وحاشية (٣) .

وغيرها (١).

بداهة الاهتمام بدراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته :

لم تصبح دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم ممكنة أو ميسرة إلا بفضل الاكتشافات الأثرية التي حدثت في منتصف القرن التاسع عشر بوجه عام . ففي تلك الفترة ، قامت البعثات الأجنبية المختلفة بأول حفائر أثرية في العديد من مناطق الشرق الأدنى القديم .

وقد بدأت هذه الحفائر أولاً في أماكن العواصم القديمة في بلاد الشرق الأدنى القديم ، وانتقلت بعد ذلك إلى بقية المواقع الأخرى . فمن العواصم التي كشف عنها : سوس ، بربسى بوليس (في بلاد فارس) ، وأور ، وبابل ، ونيوى ونمرود (في بلاد النهرين) ، وبوغازكوى (في الأناضول) ومارى ، وبيلوس ، وأوجاريت (في سوريا ولبنان) ، والقدس والسامرة (في فلسطين) ، وتدمر (في جنوب الأردن) ، والفاو (في الجزيرة العربية) ، وصروح ومأرب (في اليمن) ، هذا بالإضافة إلى مئات المواقع الأثرية في مصر . وفي الواقع أن كل هذه الحفائر لم تحقق الغرض المطلوب منها إلا بفضل النشر العلمى للكثير والتوصل إلى حل رموز الكتابات القديمة التي تحملها وترجمة هذه الكتابات والنصوص ترجمة علمية دقيقة . وقد نشرت النتائج العلمية لهذه الحفائر والأبحاث التي أسهمت فيها معظم بلاد أوروبا وأمريكا ، في مؤلفات علمية مستقلة ذات أهمية كبرى أو في مجلات علمية متخصصة وكل هذه المؤلفات والمجلات العلمية تسمح للدارس العادى بأن يطلع على أحدث الاكتشافات الأثرية في مناطق الشرق الأدنى القديم ، ومعرفة الكثير عن تاريخها وحضارتها .

(١) د. سعيد مغاورى : البرديات العربية في مصر الإسلامية ، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٢١ - ٢٣٩ .

وقد بدأت تلك الحفائر أولا في أشور وخورمباد بالقرب من نينوى عام ١٨٤٢ بواسطة العالم الفرنسي "بوتا - Botta" وانتشرت الحفائر شيئا فشيئا في بلاد الشرق القديم ، فبالإضافة أنها عمت كل آشور نجد أن الحفائر قد امتدت إلى جنوب العراق (بلاد سومر) بفضل أعمال العالم الفرنسي "دي سارزك - De Sarzec" عام ١٨٧٧ ، ومنذ عام ١٩٠٠ حتى الآن تقوم بعثة فرنسية بعملية تنقيب في إيران في موقع العاصمة القديمة سوس ، وبدأت حفائر العالم الألماني "ونكلر Winckler" عام ١٩٠٦ في آسيا الصغرى في موقع العاصمة يوغازكوى . وأيضا حفائر الفرنسي "رينان - Renan" في سوريا العليا "وكلرمونت - جانو Clermont - Ganneau" في فلسطين ، وأخيرا حفائر المالمين "راتجنس - Rathjens" و فيسمان Wissmann اللذين قاما في عامي ١٩٣١ - ١٩٣٢ بعمل أول حفائر في منطقة النخلة الحمراء و غيمان و مجه في اليمن .

وقد نشرت نتائج هذه الحفائر في مؤلفات مستقلة أو في بعض المجلات العلمية المتخصصة مثل :

- La Revue d'Assyriologie .
- La Revue Biblique .
- La Revue Arche'ologique .
- Syria .

وكلها تتناول مقالات تخص وثائق وآثار خرجت أصلا من حفائر إيران والعراق وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية واليمن .

ومن ناحية أخرى نجد أن بعض الأثر التي خرجت من هذه الحفائر قد نقلت إلى عواصم البلاد الأوروبية التي اسهم علماءها في الكشف عن هذه الآثار وبعضها الآخر قد بقي في البلاد العربية التي اكتشفت فيها .

وتمتلك معظم المتاحف الرئيسية في أوروبا وأمريكا مجموعة كبيرة من الآثار التي خرجت من بلاد الشرق الأدنى القديم ، مثل متحف اللوفر ، والمتحف البريطاني ، ومتحف برلين ، ومتحف بروكسل ، ومتحف ليند في هولندا ، ومتحف

تورينو فى إيطاليا ، ومتحف فلانليا ومعهد الدراسات الشرقية فى شيكاغو فى الولايات المتحدة وغيرها من متاحف المدن الكبرى .

هذا إلى جانب متاحف : طهران وبغداد والكويت وقطر والوطنى بالرياض وعدن ومأرب وصنعاء وأنقره والعثمانى بأسطنبول و حلب واللاتينية والوطنى فى دمشق والوطنى فى بيروت ومتحف الجامعة الأمريكية فى بيروت ومتحف القدس وغيرها .

وكانت النصوص والكتابة المختلفة التى وجدت على تلك الآثار موضع بحث من جانب العلماء وأمكن التوصل إلى حل رموزها ، ومعرفة قواعدها ونحوها ، ولهذا أمكن عمل تراجم لأغلب هذه النصوص بواسطة المتخصصين فى مجال اللغات القديمة فى جامعات أوروبا وأمريكا .

وإذا قمنا بدراسة هذه الآثار وتحليل تراجم تلك النقوش التى كتبت بعدة لغات قديمة فى بلاد فارس وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وسوريا ولبنان والفسطين والأردن ومنطقة الخليج العربى والبلاد المطلة عليه وشبه الجزيرة العربية واليمن ومصر فإنه يتضح لنا أنه لم يكن لدى شعوب الشرق الأدنى القديم وسيلة أو منهج لكتابة التاريخ كما هو مفهوم فى عصرنا الحالى ، وأغلب ما وصل إلينا من وثائق ونقوش هى عبارة عن نصوص تاريخية تتحدث بصفة عامة عن الأعمال التى حققها بعض ملوك وحكام وأمراء الشرق القديم فى مجال السياسة الداخلية أو الخارجية ، وهذا النوع من النصوص يمكن الاعتماد عليه عند التفكير فى كتابة التاريخ القديم للشرق الأدنى أو تتبع حدث ما أو هى نصوص تحدثنا عن مظهر معين من المظاهر الحضارية التى كانت معروفة فى دول الشرق الأدنى القديم ، فهى إما دينية وتتحدث عن عبادة المعبودات والأساطير الدينية والطقوس والأنشيد المختلفة ، أو وثائق أدبية متنوعة ، ولا سيما نصوص أدب القصة التى نتعرف منها على حقيقة وتطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت السائدة فى المجتمع فى فترة ما فى العصور القديمة المختلفة .

فلم يكن لأهل بلاد النهرين ومصر القديمة عهد ثابت قاموا بتاريخ حوادثهم به ، ولكنهم كانوا يؤرخون الحوادث بالنسبة إلى سنى حكم الملوك . وكان بعض الكتبة يقومون بتدوين حوادث الملوك فى قوائم منذ توليهم العرش . وقد عرف الشرق الأدنى القديم مؤرخين قداماء . أولهما المؤرخ البابلى الشهير **بروسيدس** (برغوث) الذى قام بكتابة تاريخ بلاد النهرين باللغة اليونانية فى القرن الثالث ق. م . ولم تصلنا أصول هذا التاريخ ولكن جاء بعضها فى كتابات بعض الكتاب اليونانيين . وثانيهما هو المؤرخ المصرى **مانيتون** أو **مانيتون السمنودى** (٢٢٢ - ٢٤٥ ق. م) الذى كتب تاريخ مصر باللغة اليونانية كما فعل البابلى ، ولكن ضاعت الأصول التى كتبها أيضا والتى كانت موضوعة فى مكتبة الإسكندرية ، فلما تعرضت هذه المكتبة للحريق ضاعت تلك الأصول ووصلت إلينا مقتطفات منها ، فى **تواريخ جوليوس** الأكريقى وأوسب .^(١)

ويبدأ تاريخ الشرق الأدنى للقديم بالمصور الحجرية التى يختلف ظهورها من بلد إلى آخر ، ثم تبدأ بعد ذلك المصور التاريخية التى تبدأ بالآلاف الثلاثة ق. م ، وتختلف بدايتها أيضا من بلد إلى آخر .

ويمكن اعتبار الآلاف الثلاثة ق. م . المرحلة التى استقرت خلالها الجذور الحضارية وتحققت معظم المظاهر الحضارية ، وبدأ كل بلد فى منطقة الشرق الأدنى القديم فى اتخاذ نمط من التشكيل الحضارى وتأهبت المنطقة لمراحل توسع وانتشار وقيام إمبراطوريات شاسعة خلال الألفين الثانية والأولى ق. م . وظهورت النظم السياسية فى كل بلد من بلاد منطقة الشرق الأدنى القديم .^(٢) ولكنها كانت واضحة المعالم فى كل بلاد فارس وبلاد النهرين ومصر أكثر منها فى أى بلد آخر .

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٤ ، ٢١١ .

(٢) د. سليمان سعدون : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم : منطقة الخليج

العربى خلال الألفين للتانى والأول قبل الميلاد ، الكويت ١٩٧٨ ، ص ٢١ .

والغزوات الداخلية والدخيلة . ومما ساعد على التطور الحضارى أيضا أن هذه الحضارات قامت على علقى إنسان الشرق الأدنى القديم وقراته فى مجال الفكر والمادة معا فى كل بلد على حدة ، ولهذا كن لكل حضارة خصائصها ، وأن هذه الحضارات قامت على عقائد دينية استوحاها الإنسان من بيئته . فكان إنسان الشرق الأدنى القديم فى معظم البلدان بعيدا عن كل مظاهر التعصب والعنف ، كما أن هذه الحضارات قامت على القيم والفضائل التى أوجدت فى معظمها نظم اجتماعية متماسكة بعيدة عن الاضطرابات وحافظت على تماسكها مجموعة من القوانين والتشريعات تضمنت فى ثنائها أحكاما راقية وبسيطة يتقبلها المنطق والعقل فى كل مكان وزمان .

كما كانت هناك عوامل ضعف أثرت فى تاريخ وحضارة كل بلد ، وكان لهذه العوامل أثرها على حياة الإنسان فى الشرق الأدنى القديم ، فكان عليه أن يواجهها بفكره وقراته وإمكانيات عصره ، حتى نجح فى التغلب على معظمها .

ويتضمن تاريخ إنسان الشرق الأدنى القديم الأحداث التى تعرضت لها الممالك والأمم والإمارات والمدن والحكام والحكومين وقامت حضاراته على مجموعة من المعارف والنظم والمظاهر فكان تاريخه أطول تجربة إنسانية ، وكانت حضاراته سلسلة مترابطة الحلقات .

لذلك تعتبر منطقة الشرق الأدنى القديم (بما فيها مصر القديمة) صاحبة أقدم أحداث وتأثيرات تاريخية ومنجزات حضارية حققها الإنسان منذ آلاف السنين .

كما أن هذه المنجزات كبيرة كانت أم صغيرة تدل على مدى قدرة الإنسان الذى استقر فى مناطق الشرق القديم منذ أقدم العصور .

وسوف نقتصر فى دراستنا الموجزة هذه على تاريخ الشرق الأدنى القديم وبعض مظاهر حضاراته فى المناطق السبع التى ذكرناها ، وسوف نتبع تاريخ كل منطقة على حدة مع نبذة عن بعض المظاهر الحضارية العديدة والمتوعة فى أسلوب تطورها ، ولو أننا أحيانا نجد أن بعض المظاهر الحضارية متداخلة مع أحداث التاريخ ولا يمكن فصلها عن بعضها البعض لأنها جزء من تاريخ الإنسان ومما

حققه . وذلك منذ أقدم العصور التى يمكن الرجوع إليها حتى اللحظة التى ظهرت فيها حملة الإسكندر المقدونى فى القرن الرابع قبل الميلاد وعبرت من وجه العالم القديم وأرست قواعد ونظم حضارية جديدة . وعلى الرغم مما أحدثته حملة الإسكندر من تغيرات حضارية وسياسية وإدارية على معظم بلدان الشرق الأدنى القديم ، إلا أن الإسكندر المقدونى ، وكذلك خلفاؤه من الإغريق ، فضلا عن الرومان من بعدهم . لم يكتب لهم نجاحا بعيد المدى أو قصير فى السيطرة على شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم بقى هذا الجزء العزيز من العالم العربى القديم ، بعيدا عن قبضة اليونانيين والرومان ، رغم المحاولات المتكررة التى بذلها هؤلاء وأولئك للسيطرة على شبه الجزيرة وإذا كان قد كتب لهم بعض النجاح فى الانتشار فى أطراف شبه الجزيرة ، فإنهم فشلوا تماما فى أن يخترقوا قلبها وربوعها فحافظت بذلك على نقلاوة وسلامة تاريخها القديم .^(١)

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٢٢ .

وقد ارتبطت بالعصور الحجرية بعض المظاهر الحضارية ، كما ارتبطت بالعصور التاريخية العديد من المظاهر الحضارية تطورت طبقاً للمقومات الداخلية في كل بلد . ولهذا فقد تميزت منطقة الشرق الأدنى بالسبق التاريخي والسبق الحضاري (في عدة مجالات) على حد سواء .

وقد أثرت في تاريخ وحضارة كل بلد من هذه المنطقة التاسعة عدة عوامل منها عوامل طبيعية كمعامل المناخ وظروف البيئة ، وكذلك للهجرات البشرية أو ما يسمى بالهجرات الدورية المنتظمة من داخل المنطقة من بلد إلى آخر أو من بلد إلى بقية أرجاء المنطقة بسبب القحط أو الجفاف أو الإفقار أو بسبب اختلال الأمن وتدهور العناية بالموارد الاقتصادية (مثل بعض الهجرات التي يقال عنها السامية من الجزيرة العربية إلى شمالها) ، أو الهجرات الكبرى من حين لآخر من خارج المنطقة إلى داخلها (مثل هجرات العناصر الآرية والهندأوروبية) وكان لهذا العامل أثره الكبير والتعال في مجريات الأحداث والتطور الحضاري في عدد من دول منطقة الشرق القديم ، أو الغزوات داخل المنطقة - بلد على بلد آخر ، أو الغزوات من خارج المنطقة على بعض البلدان في الداخل (الهكسوس وشعوب البحر)^(١) ، وهذا بالإضافة إلى الصراعات المحلية للتوسع في حدود بلد على حساب بلد آخر ، أو الصراعات الداخلية على السلطة أو العرش داخل حدود كل بلد وما كان له من تأثير على الأوضاع الداخلية والخارجية لهذا البلد . وربما كان من العوامل التي ساعدت على التطور الحضاري في المناطق السبع التي ذكرناها وفي مصر ، أن طرق الشرق الأدنى البرية والتي ملكها أهل القداماء في تنقلاتهم واتصالاتهم كانت مفتوحة ومطروقة في أغلب العصور ، وخاصة في أوقات للهجرات الداخلية والدخيلة

(١) بالنسبة للنصوص المتعلقة بهجرات وتحركات شعوب البحر التي حاولت أن تستقر في مناطق مختلفة على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط ، راجع : د. لطفي عبد الوهاب : العرب في العصور القديمة (مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل اسلام) ، ص ٧٢ حاشية (٣١) .

تاریخ ایران القديم القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ إيران القديم*

جغرافية المنطقة الإيرانية :

يتكون القسم الأكبر من إيران من أرض واسعة تحيط بها سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب فتحدها من الناحية الشرقية ثلاثة من الجبال المتوازية تعرف

* عن تاريخ إيران القديم رجعنا إلى :

حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم (من البداية حتى نهاية العصر الساساني) ترجمة : د. محمد نور الدين عبد المنعم ود. السباعي محمد السباعي . ومراجعة : د. يحيى الخشاب ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩ .

د. محمد عبد القادر : إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، بعض المراجع الأجنبية :

- Chr. Et. Palou, la Perse Antique, Paris, 1967.
- Dupont-Sommer, les Civilisations de Iran, Paris 1952.
- Chirshman, L'Iran des Origines a l'Islam, Paris 1952 .
- Id., Perse, Proto-Iraniens, Medes, Achemenides, Paris 1963 .
- Filliozet, les Sciences grecques dans Empire Achemenide, la Civilisation Iranienne, Paris 1952 .

راجع حديثاً : د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٢٢٩ - ٤٤٩ . وأيضاً المؤلف نفسه : إيران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ١٣ - ٢٤٠ . وهناك قائمة بأهم المراجع الأجنبية عن تاريخ شعوب إيران للقديم نجدها عند Ghirshman, Pesre, Proto-Iraniens, Medes, Achemenides, Paris 1963, p. 405 - 418 .

بجبال سليمان (القوقاز) وتحيط بها من الشمال جبال البرز التي تطوقها كالسلسلة من الشرق إلى الغرب حيث تنفصل في الغرب عن جبال أرمينيا ، مارة بجنوب بحر الخرز ، عن طريق جبل بابا لتواصل امتدادها إلى بلاد الهند ، حيث تتصل بجبال الهمالايا أعلى جبال العالم . وتحدها من الغرب جبال كرديستان أو زاجروس (كما يسميها الأوروبيون) ، التي تمتد من الشمال إلى الجنوب ، ثم تعرج جنوبا وشرقا لتصل إلى بحر عمان .

وتتكون الجبال الجنوبية والشرقية من المواد الجيرية ، ونشاهد في الجبال الغربية قريبا من بحيرة أورمية أحجار جرانيتية . وتتركب بعض الجبال الشمالية من مواد بركانية . وتبلغ الهضبة الإيرانية أقصى ارتفاعها في الجنوب ، ويقل كلما اتجهنا شمالا . وتبلغ مساحة الهضبة الإيرانية ستمائة ألف ومليونين كيلو متر مربع تقريبا ، وتشغل إيران الحالية حوالى ثلاثة وستين فى المائة من تلك المساحة تقريبا ، أى ما يقرب من الثلثين .

ويتسم المناخ فى إيران بالجفاف وبخاصة وسط الهضبة إذ توجد صحراء يسميها أهل الجنوب لوت (ويسميها أهل الشمال كوير) وتعد من أكثر مناطق العالم ارتفاعا فى درجة الحرارة ، مع استثناء جيلان ومازندران وسواحل الخليج ، حيث تنهمر الأمطار هناك بشدة ولا تتجاوز كمية مياه الأمطار طوال العام فى مناطق إيران الأخرى إلا كميات بسيطة ومتفاوتة .

ورغم عدم التباين الشديد بين أجزاء الهضبة الإيرانية فى الارتفاع ، حيث لا يقل الارتفاع فيها عن ٦٠٩ مترا ، فإن عبور الصحراء أمر فى غاية الصعوبة بالنسبة للقوافل التجارية نتيجة لمستعملتها وامتلائها بالرمال المتحركة . ويعسد نهر كارون هو النهر الوحيد الصالح للملاحة فى الهضبة الإيرانية وينبع هذا النهر من جبال بختيارى ، حيث يخترق منطقة خوزستان ليصب فى شط العرب . وفى الشمال يوجد ثلاثة أنهار أرس وسرخ رود أو قزل أوزن واترك وفى الناحية الشرقية مرغاب وهريرود اللذان يجريان فى صحراء التركمان وفى الشمال الشرقى ينبع نهر

جيحون من بدخشان ويصب في بحر آرال (١).

وتوجد في الهضبة الإيرانية عدة بحيرات ، يعتبرها علماء الجيولوجيا بقايا بحر كان يغطي الجزء الأكبر من هذه الهضبة ، وهذه البحيرات هي : بحيرة أورمية ، وبحيرة وانفي تركيا وبحيرة كى جاى . وأهم تلك البحيرات بحيرة أورمية التي يصل عمقها إلى خمسة عشر ذراعاً ومياهها شديدة الملوحة .

وتوجد في مقاطعة فارس بحيرتان : مهارلو ونيريز ، وفي سيستان بحيرة هامون التي تصب ما يتبقى فيها من مياه الأمطار في منخفض زرة ، وبحيرة بنمسك زار (يذكرها بعض الباحثين باسم بحيرة جز مزبان) وتوجد بحيرة قم أو حوض سلطان بين طهران وقم .

وقد سبق القول بأن الهضبة الإيرانية يحدها من الناحية الشمالية بحر الخوز وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى الأكرام التي استوطنت الشاطئ الشمالى الغربى من هذا البحر لقرون عديدة وكانت تعرف باسم الخزر . ويزداد عمقا في الناحية الجنوبية منه بينما يقل العمق كثيرا في الناحية الشمالية .

ويحد الهضبة الإيرانية من الناحية الجنوبية الخليج وبحر عمان ، وهذا الخليج من أكثر بقاع العالم حرارة ، ويفصل الجزيرة عن إيران ويتصل ببحر عمان عبر مضيق هرمز ، حيث ترتبط مناطق للمالم المختلفة عن طريقه . ويصب شط العرب في هذا الخليج ويضم هذا الخليج العديد من الجزر أكبرها قشم والبحرين .

وفي الهضبة الإيرانية الكثير من المعادن مثل الفحاس والحديد والرصاص والفحم الحجري والمرمر والطين الأحمر (المغرة) والفيروز وغير ذلك . وكذلك كشف عن الذهب ويقول علماء الجيولوجيا أن الهضبة الإيرانية تسبج فوق بحر من النفط وتعتمد الزراعة في بعض مناطق إيران على السرى (رى الحياض) نظرا لنقص مياه الأمطار أو قلتها نتيجة لتغير الأحوال الجوية وطبيعة

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥ - ٧ .

ونوعية المناخ ، وأكثر المناطق الزراعية هما المنطقتان الشمالية والغربية من الهضبة فنجدهما أكثر غنى فى محصولاتهما الزراعية من المنطقتين الوسطى والشرقية ، ولعل السبب فى ذلك وجود بحر الخرز فى الشمال حتى سلسلة جبال البرز وتأثير بحر العرب فى الغرب .

وعلى الرغم من أن العرض الجغرافى للهضبة الإيرانية يتراوح بين خطى ٢٤ و ٤٢ شمالا ، وأن هذا العرض لا يؤدى إلى اختلاف بين فئى مناخ مناطقها المختلفة إلا أن تفاوت الارتفاع بينها والمناطق الملاصقة لشواطئ البحار والبحيرات ، وسفوح الجبال والمناطق المجاورة للصحراء قد أدى إلى وجود اختلاف كبير بين تلك المناطق فى المناخ داخل الهضبة ، ولذا فإن الأشجار تنبت والسرود والرياحين فى غيران كلها .

وطرق التجارة والاتصال الحالية فى إيران هى التى كانت موجودة فى إيران القديم ، نذكر بعضها لأهميتها التاريخية : الطريق الممتد من بلاد النهرين حتى الهضبة الإيرانية حيث يبدأ المكان الذى سقى بعد ذلك سلوقية والقريب من بغداد الحالية ، ثم يعبر نهر دجلة إلى وادى دباله ليصل إلى أرتى ميتا قرب قزل أرباط الحالية لينتهى عند مدينة شالا حاضرة حلوان (إحدى القلاع فى جبال كردستان)^(١) ثم يبدأ مسوده بعد ذلك إلى الهضبة الإيرانية . ويستمر هذا الطريق فى امتداده عابرا جبال زاجروس وكامبا دين اوكرمانشاه الحالية ليصل إلى وادى بلندجرخه ، ثم يعبر كنكاور لينتهى إلى همدان . وترتبط همدان بشوش (أوسوس) والمدن الأخرى بكثير من الطرق . ومن للطرق الأخرى للجديرة بالذكر الطرق الممتدة من الهضبة الإيرانية حتى الهند ، إحداها الطريق الذى يبدأ من وادى كابل إلى بيشاور عبر جبال سليمان فى وادى السند ، والطريق الآخر أقصر من الأول ويعبر ممر خيبر ، وقد سلك فتحو الهند وكذلك نادرشاه هذا الطريق . وآخر هذه الطرق الطريق السذى يربط أفغانستان الحالية بوادى آموية (جيحون) والطرق الممتدة من الرى إلى أنزبجان وجيلان وخراسان وأصفهان ومن خراسان إلى آسيا الوسطى ومن بندر

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٨ - ١٠ .

عباس (كمرون العهد القديم) إلى سيزار . ومن الرى عن طريق دافعلان إلى طبرستان وجرجان .^(١)

ووسط هذا الحزام الهام من الطرق يمتد الطريق الوحيد بين مشرق آسيا وغربها ، وهو طريق الحرير الشهير الذى يصل إلى الصين فى الشرق وعليه تسير القوافل حتى تصل إلى القسطنطينية فى الغرب بعد لتقاتها بالطريق الملكى وغيره من الطرق ، وعلى طريق الحرير هذا سارت الجيوش العربية حتى نهر جيحون فعبرتة واستولت على بخارى وممرقند وتابعت سيرها حتى حدود الصين .

وتمتاز انذربيجان التى تنتهى بها جبال البرز عند نهايتها الغربية بكثرة ما ينمو فيها وفى وديانها من حنطة ودخن وتبغ وارز . وهى الباب الأول الذى انحدرت منه الاكوام الفارسية المشهورة مثل قبائل الميديين والفرس وغيرها من الاكوام: اللولوبيين والاورارتيين .^(٢)

وتعد الهضبة الإيرانية جسرا يربط بين الأجزاء الشرقية والغربية من آسيا ، وقد أكسب هذا الموقع إيران أهمية خاصة عبر التاريخ ، فقد كانت غيران الطريق الوحيد لربط أجزاء آسيا مع بعضها البعض وكذلك ربطها بممالك بحر العرب وأوروبا فى الأزمنة التى لم يكن عبور البحار فيها سهلا ممكنا ، كما أن موقع إيران فى الطرق الأربعة للعالم القديم جعلها ملتقى لكثير من الشعوب والأجناس .^(٣) وكان لهذا الموقع الجغرافى كثير من النتائج الإيجابية .

ترك معظم الأريين موطنهم فى جنوب روسيا واتجهوا إلى سهول وسط آسيا ، ولم يبق إلا عدد قليل من الأريين ، فقد أقام بعض الإيرانيين فى الهضبة . ومن أقدم المناطق التى قام بالتنقيب فيها علماء الآثار هى منطقة نية سيالك . وكان

(١) حسن بيرتيا : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ .

سكانها قديما يقومون حول بحيرة يصب فيها نهر صغير . وتبين لعلماء الآثار أن أهل هذه المنطقة كانوا يعرفون الزراعة منذ حوالي عام ٥٠٠٠ ق. م . وأن أهل سيالك قاموا بفلاحة الأرض وحفظ الحبوب .^(١)

مصادر دراسة تاريخ إيران القديم وحضارته :

أولا - المادة الأثرية بأنواعها :

تعد الآثار بأنواعها المصدر الأول لدراسة تاريخ إيران القديم ومظاهر حضارته القديمة . وتشمل هذه المادة الأثرية جميع أنواع البقايا الأثرية القائمة والمكتشفة والتي يتم العثور عليها أثناء عمليات الحفائر والاكتشافات الأثرية التي تنفذ من وقت لآخر في المناطق الأثرية . فالمادة التاريخية تأتي بوجه خاص من نصوص هذه الآثار .

ولعل أهم ما يميز هذه المادة الأثرية عن غيرها من المصادر : أنها جزء من تراث هذا البلد ، أنها المصدر الأكثر صدقا والأقرب إلى الصحة ، أنها المصدر الوحيد الذي عاصر كل الأحداث التي مر بها تاريخ إيران القديم ، أنها من تفكير وصنع وإنتاج وتنفيذ الشعوب القديمة التي سكنت بلاد إيران وتمبر عن أحداث عصورهم القديمة والكثير من معارفهم ، أنها تغطي جميع فترات التاريخ منذ أقدم العصور أي فجر العصور التاريخية حتى فترة مجئ الإسكندر الأكبر إلى بلاد الشرق الأدنى القديم .

وتتقسم هذه المادة الأثرية إلى نوعين منها ما هو منقوش أو مكتوب ومنها ما هو غير منقوش ولا يحمل أى كتابات ولكن له أهميته .

(١) عن جغرافية الهضبة الإيرانية وقدم الأريين إليها واستقرارهم فيها ، راجع :

حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥ - ١٩ .

ثانيا - ما كتبه الرحالة اليونان والرومان :

يعد ما كتبه هؤلاء المؤرخون والرحالة اليونان من كتابات عن إيران القديم من أهم المصادر لدراسة تاريخ هذه البلاد ومظاهر حضارتها القديمة ومنهم :

هيكاتيه الملتى : مؤرخ وجغرافى يونانى من بلدة ملتية ، عاش فى القرن السادس ق. م . ألف كتابا عن البلاد التى زارها وأسماء " رحلة حول العالم " من جزئين الأول خاص بأوروبا والثانى بآسيا وتتميز كتابته التى وصلتنا عن بلاد فارس بأنها أقرب إلى الوصف الجغرافى .^(١)

هيرودوت : ولد عام ٤٨٩ ق. م . فى هاليكارناس إحدى المدن اليونانية وقد قام بعمل بحث عن العلاقة بين اليونانيين والفرس فى كتابه " الأسماء " كما كتب عن تاريخ إيران . وزار العديد من بلاد الشرق الأدنى القديم .^(٢)

إيسفولوس : كان شاعرا ومؤلفا مسرحيا ، كتب مسرحية عن الفرس واشترك فى معركة الماراتون ووردت بعض المعلومات فى مسرحيته عن معركة سلاميس البحرية التى وقعت بين اليونانيين والفرس عام ٤٨٠ ق. م .^(٣)

ثوكيديدس : (٤٦٥ - ٣٥٥ ق. م) الذى ألف كتابا عن الحروب البلوونيزيه من بدايتها حتى عام ٤١١ ق. م . وألقى فيه الضوء على الحروب الفارسية .^(٤)

(١) د. أحمد سليم: تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ؛ د. رمضان عبدمنعم: تاريخ مصر القديم ، القاهرة دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ٢٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣١ - ٣٣٥ وأيضا : د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ - ٢٥٢ .

(٣) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٥ - ٣٣٧ ؛ Petit Larousse (1735)

زينوفون : قائد ومؤرخ يوناني درس على أيدي سقراط عاش من ٤٣٠ - ٣٥٢ ق.م ، وألف كتابا عن حروب قوروش . قام بإعادة المرتزقة اليونانيين إلى اليونان ويسمى هذا باتسحاب العشرة آلاف ، بعد معركة كوناكسا بين ارتاكسركسيس الثاني وأخيه قوروش الصغير . ويعد ما كتبه زينوفون مصدرا هاما لدراسة جغرافية المناطق التي مر بها .^(١)

كتسياس : كان طبيبا في بلاط الملك ارتاكسركسيس الثاني (٤٠٤ - ٣٥٩ ق.م) وصاحبه في معركة كوناكسا . وألف كتابا عن تاريخ إيران والهند في ثلاثة وعشرين جزءا ، ولكن للأصف لم يبق منه شيء . ولكن وصلنا الموجز الذي كتبه عنه فوتيوس .^(٢)

ديودور الصقلي : عاش في منتصف القرن الأول قبل الميلاد . كتب مؤلفا عن تاريخ العالم تحت اسم " المكتبة التاريخية " ، يتناول في الكتب الأولى تاريخ الفترة السابقة على الحروب الطروادية ، وأشار في الجزء من ١١ - ٢٠ إلى تاريخ إيران القديم .^(٣)

سيراينون : (٥٨ ق.م - ٢١ أو ٢٥ ميلادية) وكتب كتابا عن جغرافية العالم القديم وخصص جزءا مما كتبه عن إيران ومصر . ووصف الكثير من المناطق التي شهدت الحروب الفارسية ، كما تحدث عن الخليج الفارسي .^(٤)

(١) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، وفيما بعد ، ص ٩٤ - ٩٥

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٣٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

(٤) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥٦ - ٥٧ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

ملوثاريخ : (عاش بين عامي ٥٠ و ١٢٥ ميلادية) ، أشار في مؤلفاته إلى الحروب الفارسية وقوال العديد من ملوك الفرس وقوادهم (١).

بداية الاهتمام بآثار بلاد إيران القديمة :

بدأ التعرف على آثار ونقوش إيران منذ أن زارها بعض المبشرين والرحالة الأجانب في القرن الخامس عشر الميلادي . حتى جاء انجلبرت كيمبفر على رأس بعثة سويدية عام ١٦٨٢ . وكان أول من وصف آثارها وصفا علميا ، وقام بتسجيل نقوشها ، وكان أول من أطلق عليها اسم الكتابة المسمارية . وجاء بعد ذلك نيپور عام ١٧٦٥ وقام بزيارة برسي بوليس ونينوى وعمل تخطيط للمناطق الأثرية ، وكان مشغولا بنسخ مجموعة من الكتابات المسمارية التي قدر لها أن تكون المادة الأساسية في حل رموز الخط المسماري على يد العلماء اللاحقين في القرن الثامن عشر (٢) . وكان أول من أشار إلى أن ما تحمله الآثار من نقوش كتب بثلاثة خطوط مختلفة . وجاء بعد ذلك مجموعة من العلماء منهم جروتفند عام ١٨٠٢ ، الذي اعتمد في التعرف على الأماكن الأثرية في إيران على بعض كتابات هيرودوت التي كتبت باليونانية القديمة . وحاول أن يترجم أو يحل بعض الرموز التي كتبت بالمسمارية القديمة . وتعرف بالفعل على أسماء ثلاثة ملوك وأمكنه قراءتها . وجاء في أعقابها مجموعة من علماء اللغات القديمة الذين حللوا دراسة رموز الكتابات والخطوط الفارسية القديمة منهم راسك (الدنمركي) ، وبرانوف (الفرنسي) ولانسن (النرويجي) وحاول كل منهم قدر جهده معرفة جانب من جوانب هذه اللغة وسعوا إلى إكمال النتائج التي توصل إليها جروتفند (٣) . ولعل أبرز الذين درسوا هذه اللغة هو الإنجليزي رولنسون ابتداء من عام ١٨٢٥ الذي تمكن من نسخ نقشين (الميلامى والبابلي) من النقوش الثلاثة الموجودة على صخور جبال بيهستون (أوبهستون أو بيهستون) جنوب همدان وكل من النقشين كتباً بخطوط ثلاثة : الفارسية القديمة ، الميلامية العتيقة ، والبابلية (أو الآشورية) (٤) . وبعد جهد دام لثقتي

- (١) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
 (٢) د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ١٥ .
 (٣) د. أبو المحسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٣٩ - ٤٠١ .
 (٤) المرجع السابق ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ راجع فيما بعد ، ص ٨٧ - ٨٨ حاشية (٣) ، ١٤٢ - ١٤٤ .

عشرة سنة كاملة نجح في ترجمة النصين العيلامي والبابلي عام ١٨٤٧ . وذلك بمقارنة الفارسية القديمة منها بخصوص أخرى عثر عليها في اصطخر (برسي بوليس) .^(١)

وقد بدأت الحفائر العلمية في إيران عام ١٨٢٨ واستمرت حتى عام ١٩٦١ .^(٢) وجاءت بعثات أثرية من إيران نفسها ومن إنجلترا وألمانيا وأمريكا وبنجيكا وفرنسا واليابان والسويد .^(٣)

ثم بدأت الحفائر الأولية في سوس ، وهي إحدى العواصم القديمة في بلاد فارس ولا تعرف العلماء على هذا الموقع الهام في منتصف القرن التاسع عشر ، بفضل الحفائر السطحية التي قام بها العالم الإنجليزي " لوفتوس " وبعد ذلك بحوالي ثلاثين عاما تقريبا ، في عام ١٨٨٤ ، قام الفرنسي " ديلاكو " بعملية حفائر على نطاق واسع وكشف عن لوحة الرممة التي ألقاها الملك قورش والملوك دارا الأول ، وهي الآن بمتحف اللوفر في باريس . ثم اكتشف فيها العالم الفرنسي " دي مورجلان " عن بعض الآثار التي كانت قد نقلت من بابل ، منها تمثال من البرونز للملكة نابير - اسو التي عاشت في القرن الثالث عشر ق. م . ولكن هذا التمثال تنقصه الرأس (وهو الآن موجود بمتحف اللوفر أيضا) وهو يزن حوالي ١٧٥٠ كيلو جرام ، كما كشف فيها عام ١٩٠١ عن لوحة حمورابي التي تعد من أهم الآثار الشرقية بمتحف اللوفر كذلك . وبالقرب من سوس ، عثر في تشوجا - زامبيل على موقع هام عثر فيه على زاقورة ضخمة ، وعثر حولها على كثير من المعابد المشيدة من الطوب اللبن والتي تحمل اسم الملك العيلامي " لونتاش - جال الذي عثر في القرن الثالث أو الثاني ق. م " .

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧١ .

(٢) Ghirshman, Perse, Proto - Iraniens, p. XVI.

(٣) Ghirshman, op. cit., p. XVI.

وامتدت الحفائر كذلك إلى برسى بوليس ، وهى العاصمة الثانية فى بلاد فارس وكانت قد شيدت فى عام ٥٢٠ ق.م . وكشف فيها على بقايا قصر الملك دارا الأول . ولا تزال عمليات الحفائر مستمرة حتى الآن .

وبفضل هذه المادة الأثرية (المتجددة بفضل الحفائر والاكتشافات) وما تحمله بعض عناصرها من نقوش ونصوص استطاع علماء الدراسات الشرقية وتاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته ترجمتها وتحليلها وفهم الغرض منها . وبفضل ما كتبه بعض للرحالة اليونان والرومان وما أظهرته الحفائر والدراسات المتواصلة للآثار والنصوص المتعددة أمكن للعلماء المتخصصين من تحديد العصور التى مر بها تاريخ إيران القديم منذ أقدم العصور أى فجر العصور التاريخية حتى عام ٣٢٥ ق.م . عندما دخلت إيران تحت سيادة الإسكندر الأكبر وخلفائه من السلوقيين .

عصور ما قبل التاريخ (أو فجر العصور التاريخية) :

أثناء العصور الجليدية التى اجتاحت أوروبا ، كانت إيران تزخر بالسفوح المائية لتعرضها للأمطار الغزيرة وفيما بين الألفين الخامسة عشرة والعاشر ق.م . أخذ المناخ يميل إلى الجفاف وحدثت بعض التطورات فى البيئة أدت إلى تراكم رواسب الأنهار عند مصباتها مكونة مدرجات مرتفعة كونت فاصلا بين الجبال وبين السهول ^(١) ، وفى هذه العصور عاش الإنسان فى الهضبة وكان يعيش فى جماعات متفرقة متباعدة . وقد عثر على بقاياها فى عدة مناطق ، دلت هذه البقايا على أن إيران عاشت العصور الحجرية القديمة أو عصور فجر التاريخ .

العصر الحجري القديم :

عثر على البقايا الأثرية لمراحله الثلاث : الأسفل والأوسط والأعلى فقد عثر جيهير ثمان على بعض الأدوات الحجرية من العصر الحجري القديم الأسفل فى كهف " تنجى باندا " فى جبال بختيارى فى الغرب ^(٢) وهى عبارة عن فؤوس

(١) د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

حجرية صغيرة . مما يدل على ان الإنسان كان يسكن الكهوف . أما العصر الحجري القديم الأوسط فقد عثر على أدواته على سفوح جبال زاغروس وشمال جبال السبرز ، وتمتاز هذه الأدوات بأنها كانت صغيرة الحجم ومتنوعة الأشكال . أما العصر الحجري القديم الأعلى فقد عثر على أدواته في كهف هوتو ، وتمتاز بأنها أدوات حجرية دقيقة وحادة ، وقد عثر في هذه المناطق على العديد من الكهوف التي كان يسكنها إنسان هذه الحقبة البعيدة .^(١)

العصر الحجري الوسيط :

عثر على بقايا هذا العصر في كهف بلت (غاري كامارباندا) ويقع إلى الغرب من مدينة بهشهر . وعثر في هذا الكهف على كميات كبيرة من قرون الغزال وعدد من الفؤوس والسهام ذات النصال ، ويرى البعض أنه شغل بسكنى الإنسان منذ حوالي منتصف الألف العاشرة ق. م . واعتمد سكانه في حياتهم على صيد عجل البحر . ويرجع إلى نفس الفترة ، موقع آخر ، هو تبة أسياب إلى الشرق من كرمانشاه . وكشف فيها على أدوات حجرية مصنوعة من حجر الصوان . ويرجع العلماء تاريخ هذا الموقع إلى الألف الثامنة أو السابعة ق. م .^(٢)

العصر الحجري الحديث :

عثر على بقايا هذا العصر في عدة مناطق في " لورستان " في وسط منطقة زاغروس ، وتبة ماراب بالقرب من كرمانشاه حيث عثر فيها على أكواخ للصيادين ، كانت تؤويهم لفترة وجيزة طوال العام .^(٣)

وعرف الإنسان في هذا العصر الفخار الملون . فقد عثر في تبة جيان بالقرب من نهاوند على فخار ملون بأشكال هندسية يشبه الفخار الذي كان سائدا في

(١) د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار للمعرفة الجامعية،

الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٥٧ - ٣٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٥ - ٣٦٩ .

(٣) Amiet, les Civilisations Antiques du Proche - Orient, p. 20.

حضارة تل حلف في العراق . وعرفت سهول عيلام بعض التطورات المشابهة ، فقد عثر على مجموعة من المواقع بالقرب من سوس ، اكتشفت فيها حضارة تماثل حضارة تل حمنة مما يدل على أنه كان هناك تأثير ما من حضارة بلاد النهرين ..^(١) ولعل أهم ما يمثل حضارات العصر الحجري الحديث تلك الحفائر والدراسات التي قام بها العالم الفرنسي " جهير ثمان " في منطقة سيالك في الشمال الغربي من إيران على مقربة من قلستان في الجنوب الشرقي من طهران ، على بعد ٢٣٠ كم وهي بعثة فرنسية بدأت حفائرها عام ١٩٢٢ - ١٩٣٤ و ١٩٣٧ حيث عثر هناك على أقدم موضع لاستقرار إنسان السهول^(٢) ، فقد كشفت حفائره عن بقايا قوى وأكواخ مبنية من فروع الأشجار . وقام جهير ثمان بتقسيم هذه الحضارة إلى ثلاث مراحل^(٣) :

فترة سيالك الأولى :

وهي التسمية التي أطلقت على أقدم الطبقات التي دلت على أول استقرار للإنسان . وهي ترجع إلى حوالي الألف الخامسة ق. م . وقد تعدى الإنسان فيها مرحلة الصيد وأصبح الآن راعيا ومزارعا . فقد عثر على بقايا عظام جاموس وخراف بالقرب من مساكنه ، مما يدل على أنه استئلف الحيوان مثل الماشية والأغنام . واستخدم الفخار الذي كان يصنع باليد ، وهو إما أسود أو أحمر . وكان ملونا في بعض الأحيان . وكانت جميع أدواته مصنوعة من الحجر . واستخدم نسي

(١) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ١٣ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

(٢) صور لنا جهير ثمان موقع سيالك الذي كان عبارة عن تل من الطوب اللبن والحجارة (ويرجع إلى الألف العاشرة أو التاسعة ق. م) ، راجع : Ghirshman, op. cit., p. 9 Fig 5.

(٣) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢٣ ؛ وأيضا : Ch. Et J. Palou, op. cit., p. 8 - 12; Ghirshman, op. cit., p. 21 - 22.

هذه الفترة السلال . وبدأت تظهر في هذا العصر أولى الأدوات المصنوعة من النحاس مثل الدبابيس وهناك عدة تساؤلات يمكن أن يسألها كل قارئ : كيف وبأي طريقة ووسيلة عرف إنسان العصر الحجري الحديث أماكن وجود النحاس كمادة خلم في البيئة أو في المحاجر ؟ وكيف استخرجه ؟ وكيف تم صهره ؟ وكيف تخلص من الشوائب فيه ؟ وكيف تم تصنيعه وإخراجه في أشكال عديدة ؟ هي في الواقع أسئلة هامة محتاجة منا إلى مزيد من البحث لمعرفة مدى الجهد الذي بذله إنسان هذه العصور السحيقة لاستخدام هذا المعدن وغيره من المعادن . وكان الإنسان يستخدم الكحل الذي كان يمسق في أواني حجرية . وكان للموتى يوسدون في وضع القرفصاء ، ويتم الدفن في مقابر معدة تحت أرضية المساكن^(١) وتوضع معهم بعض الأدوات المصنوعة من اللخار كمتاع جنازى . واستخدم الإنسان أيضا القواقع والأحجار للزينة وصنع منها القلائد^(٢) . ومن أجمل ما عثر عليه مقبض سكين تمثل إنسانا يضع قلنسوة . ويعد هذا من أقدم التماثيل التي عثر عليها في بلاد الشرق الأدنى القديم^(٣).

Comtenau, les Civilisations Anciennes du Proche-Orient, p. 89. (١)

وقد صور لنا جهير شمان جبانة من سبالك بها عدة مقابر ، راجع : Ghirshman, op. cit., p. 9 Fig. 5 وعن موقع سبالك بوجه عام وما استخرجه منه من آثار ، راجع : Id., op. cit., p. X11 - X1V, p. 1 - 4, 6, 9, 22 - 26, 41 - 42, 51, 60 - 62, 73, 77 - 79, 81, 85, 97, 115, 123, 131, 136, 230, 234, 237, 249, 256, 260, 269, 277, 280 - 286, 290 - 293, 296 - 297, 320, 332, 335 - 337, 338.

(٢) د. أبو المحاسن حصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٣) كتب جهير شمان عن هذا الموقع مؤلفين :

Ghirshman, Fouilles de Sialk, pres de Kashan, 1933, 1934, 1937, Vol. I, Musée du louvre, departement des Antiquités orientales, serie archéologique, T. IV, Paris, 1938; Vol. II, Musée du louvre, serie archéologique, T. V, Paris, 1939.

فترة سبيلك الثانية :

ترجع هذه الطبقة إلى الألف الرابعة ق. م . وعرف فيها الإنسان تشييد المساكن التي شيدت من الطوب المصنوع باليد ، والمجفف تحت أشعة الشمس وأصبحت المساكن أكثر تساعا ومزودة بأبواب أو منافذ مغطاة بالحصير .

وتقدمت صناعة الفخار في هذه الفترة وأصبح أكثر تطورا وأكثر دقة . واخترع الإنسان عجلة الفخار وكان مزيئا برسومات تمثل الحيوانات والطيور ويشهد هذا النوع من الفخار لفنان ذلك العصر بالإبداع والمهارة والمقدرة الفنية لأنه لم يعثر على هذا النوع من الفخار في أية منطقة أخرى من الشرق القديم .^(١) وتطورت أساليب الزراعة واستخدم الإنسان في هذا العصر المحراث . وكان يزرع الشعير والقمح على السهول وعرف أيضا الخيول الصغيرة " السيسى " والمائمية والأغنام وكلاب الصيد . وقد استخدم الإنسان في ذلك العصر المعادن ، ولكن بقدر يسير وذلك في صناعة بعض الأدوات وذلك بدلا من العظام كما كانوا يستخدمون النحاس بعد طريقته في صناعة بعض أدوات الزينة وكانوا يدفنون موتاهم تحت أرضية المساكن .^(٢)

-
- (١) صور لنا جهير شمان مجموعة كبيرة من هذه الأواني الملونة الجميلة ، ويحتفظ متحفى طهران والوفر بمجموعة كبيرة منها وهي ترجع إلى نهاية الألف الرابعة ، راجع : Ghirshman, op. cit., p. 1 Fig. 1, p. 11-14 Fig. 6- 14. ؛ وأنظر أيضا : Parrot, Assur, p. 239 Fig. 294 ؛ وأيضا : د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم، ١٩٥٨، ص ٢٠٦ - ٢١٠ .
- (٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٩٢-٣٩٣ ؛ وأيضا : Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 9.

فترة سبيلك الثالثة :

وتشغل الجزء الثاني من الألف الرابعة ق. م . وكانت أكثر تقدما وتطورا من الفترات السابقة . فقد شيد الإنسان المساكن من الطوب وأدخل فيها الأساسات والنوافذ من الحجارة . وكانت هذه المساكن موزعة في أحياء ويفصل بينها شوارع صغيرة وكانت تلك المساكن مزودة بأبواب ونوافذ صغيرة تغطي باللون الأحمر . وشاع استخدام عجلة الفخار في هذه الفترة . ونجد أن عجلة الفخار أصبحت ذات ألوان متعددة منها الرمادي والأحمر الوردى والأخضر الداكن . وأخذ الفنان يرسم عليه أشكالاً حيوانية أكثر واقعية وصور عليه أيضا مناظر تمثل الصيادين والمزارعين وبعض المجموعات التي تؤدي رقصات دينية .^(١) واستخدم الإنسان النحاس المصهور في قوالب ، والحلى المصنوعة من الأحجار الكريمة . وقد عثر أيضا على بعض الأشكال والتماثيل الصغيرة للمعبودة الأم ومعها طفلها .^(٢) وكان الإنسان يدفن موتاه ، كما في العصر السابق ، تحت أرضية المنازل فسي وضع القرفصاء مع تزويده ببعض المتاع الجنائزي . ويبدو أن هذه الفترة قد انتهت بحريق كبير لأن البقايا التي عثر عليها كانت مغطاة بطبقة سميكة من الرماد .

وفي حوالي الألف الثالثة ق. م . ظهرت فوق طبقة هذه الحضارة ، طبقة حضارية أخرى تجعلنا نعتقد بأنه ربما حدث نوع من الغزو المفاجئ لأراضي تلك الحضارة من عناصر دخيلة ، لأنها حضارة أكثر ثقافة وأكثر تطورا ، كما تميزت بظهور بعض علامات الكتابة ، وترجع هذه الطبقة إلى فترة ما قبل العيلاميين .^(٣)

إلى جانب موقع سبيلك الهام من العصر الحجري الحديث ، عثر على مواقع

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ شكل ٣٥ - ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ د. أحمد فخري : دراسات فسي تاريخ

الشرق الأدنى القديم ، ص ٢١٢ د. أحمد سليم : المرجع السابق، ص ٣٧١ -

٣٨٧ .

Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 12.

(٣)

أخرى من الألفين الخامسة والرابعة قبل الميلاد . وكان معظم إيران واقعا تحت تأثير حضارتى المبيد والوركاء فى بلاد النهرين وتحولت القرى الصغيرة إلى قرى كبيرة نوعا ما . وعثر على عدة مواقع هامة فى هضبة إيران غير سيلاك وهى مواقع تقع شرقى الخليج العربى وسوف نتحدث عنها عندما نتناول تاريخ الخليج القديم . وتؤرخ هذه المواقع من ٧٠٠٠ ق.م . إلى ما بين ١٠٠٠ - ٧٠٠ ق.م^(١)، منها حضارة ثبة جنى داره فى غرب إيران وتعد من أقدم الحضارات وترجع إلى ٧٠٠٠ ق.م ، حضارة تل جربى ب ، التى تتميز بفخارها اللخشن الملمس ويمكن تاريخها ما بين ٥٥٠٠ - ٥٠٠٠ ق.م ، وحضارة تل موشكى وتمتاز بفخارها الأحمر وترجع إلى ٥٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق.م ، وحضارة تل كفتارى وتتميز بثلاث مجموعات من الفخار وترجع إلى ٥٣٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م ، وحضارة تل القلعة وتمتاز بفخارها المصنوع من صلصال محروق حرقا جيدا وترجع إلى ٢٥٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م ، وحضارة تل شوغا وتمتاز بفخارها الذى يشبه الأوانى وترجع إلى ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م ، وحضارة تل تيموران وتمتاز بثلاث مجموعات من الفخار وترجع إلى ١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م ، وحضارة تل تيموران ب وتتميز هذه الحضارة بفخارها الأسود الغير ملون وترجع إلى ١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م . وأخيرا حضارة تل جالاهد وعثر فيها على أوانى غير ملونة سوداء وحمراء . وهذا الفخار يشبه فخار حضارة سيالك ب ، ويمثل هذا الفخار هؤلاء الإيرانيين الذين وصلوا إلى سهل فارس (اصطخر) ما بين ١٠٠٠ - ٧٠٠ ق.م .

وهناك مواقع أخرى فى قم ، ساوه ، رى ، تل باكون ، ولعل أهمها سوس أو سومه أو شوشه . فقد عثر فى هذا الموقع الأخير على أكواب ملونة من الأكف الرابعة وهى بمتحف اللوفر .^(٢)

(١) عن هذه المواقع ، راجع : د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ١٣ -

يعطينا جهير ثمان في مؤلفه عن " فارس " قائمة أثرية تمثل أهم الآثار في كل عصر ابتداء من عصور ما قبل التاريخ أو عصور فجر التاريخ ، فهناك قائمة تتكون من ٤٨ أثرا عثر عليها في مناطق مختلفة من عصور ما قبل التاريخ هي :
تبة توراج (من الألف الثانية ق. م) ، تبة سيالك (من القرن العاشر إلى التاسع ق. م) ، وهورفن (من القرن التاسع إلى الثامن ق. م) ، وحسنلو (من القرن التاسع إلى الثامن ق. م) ، ويورستان (من القرن الثامن إلى السابع ق. م) ، واملاشي (من القرن التاسع إلى الثامن ق. م) .^(١)

المصور التاريخية :

سوف نلاحظ عند استعراض الأحداث التاريخية لبلاد فارس القديمة أن هذه الأحداث يغلب عليها طابع التداخل والتشابه نظرا لتعدد الولايات والمدن وكثرة المنازعات بين الأقاليم القوية .^(٢)

(١) راجع : Ghirshman, Perse, Proto-Iraniens, Medes, Achemenides, p. 419 – 421.

(٢) تناول جهير ثمان في مؤلفه عن " فارس " تاريخ فارس وفنونها ، وقسم مؤلفه إلى جزئين تناول في الجزء الأول في خمسة فصول المواضيع الآتية :
في الفصل الأول تحدث فيه عن الفن قبل العصر التاريخي الإيراني ، وفي الفصل الثاني تحدث عن الكيميين والفن اللوريستاني ، وفي الفصل الثالث تحدث عن الفن الإيراني في القرن السابع ق. م ، وفي الفصل الرابع تحدث عن الفن الفارسي الأخميني من عمارة ونحت ، وفي الفصل الخامس تحدث عن الفن الفارسي الأخميني : فن الكاليات والصناعات والحرف .

وتناول في الجزء الثاني في ثلاثة فصول المواضيع الآتية :

في الفصل السادس تحدث عن عصر ما قبل التاريخ والتاريخ ، وفي الفصل السابع تحدث عن الأورارتيين ، وفي الفصل الثامن تحدث عن ميراث الفن الأخميني ، راجع : Ghirshman, Perse, Proto – Iraniens, Medes, Achemenides, Publ. Gallimard (Paris), 1963, p. 9 – 345.

العلاميون :

ظلت النهضة الإيرانية خلال الألف الثالثة قبل الميلاد مسرحا لهجمات كثيرة من جيرانها من الجوتيين واللوبيين ، وأن أهل النهضة لم يكن لهم في الألف الثالثة أو الألف الثانية قبل الميلاد أى وحدة تجمع قبائلها تحت سلطان رجل واحد .^(١)

وقبل الدخول في تاريخ الإيرانيين يجب الإشارة هنا إلى العيلاميين الذين وضعوا أسسا لحضارة تساعدنا على فهم تاريخ إيران ، لأنه في بداية الألف الثالثة ق. م . لم يدخل من مناطق إيران في العصور التاريخية سوى منطقة عيلام ، وأطلق لفظ " عيلام " (الذى يعنى المنطقة الجبلية) على مملكة شملت الولايات الآتية :

خوزستان . لرسناى . بشت كوه . جبال بختيارى ، ومن أشهر مدن عيلام سوس (شوش) التى تعتبر أهم مدن عيلام ومن أقدم مدن العالم القديم^(٢) ، ومدينة ماداكتو خايدالو (حزام آباد الآن) والأهول .

لما من أصل جنس العيلاميين فيعتقد أنهم من أصل اسسياني أوزاجرو - عيلامى أو من سواحل الخليج . ولم ينحدروا من عائلة سامية أو هندوا أوروبية . ويضعهم بعض العلماء ضمن مجموعة الشعوب التى تتحدث اللغات القوقازية . وقد ازدهرت مملكتهم فكانت تشمل سهل سوس وتحدها مرتفعات زاجورس وتمتد إلى الشرق حتى أصفهان وإلى الغرب حتى بابل^(٣) ، وأطلق سكان عيلام على مملكتهم اسم ائزان موسونكا .

ينقسم تاريخ العيلاميين إلى قسمين^(٤) :

(١) د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ٥٤٧ .

(٢) هناك منظر عام لموقع سوس عند Parrot, Assur, p. 191 Fig. 239

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٤٨ .

(٤) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .

- عصور ما قبل التاريخ .

- العصور التاريخية .

~ تشمل عصور ما قبل التاريخ ، العصور الحجرية ، وعثر على حضارات هذه العصور في موسه ، وهي ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد . وعثر في موقع موسه على بقايا مساكن شيدت بعناية وكانت مزودة بموائد لإعداد الطعام . كما عثر بها على بقايا أثاث متواضع خُشن الصنع ، كما عثر أيضا على أدوات للزينة مطعمة بالأصداف والأحجار الكريمة وأقراط مزينة بقطع من الذهب وأساور من فضة وعقود ، وعثر كذلك على فخار جميل الشكل . واستخدم الإنسان الختم الأسطواني بدلا من الختم المخروطي . وتتحصر أهمية حضارة موس في اختراع الإنسان لعلامات الكتابة التي كانت تسجل على ألواح من الطين وهي التي عرفت باسم ' قبل العيلامية ' والتي عرفت في موسه ودخلت أيضا إلى منطقة سيالك^(١) . وكانوا يدفنون موتاهم كما هي العادة ، تحت أرضية المنزل ويضعون معهم بعض الأدوات الجنائزية .

- أما العصور التاريخية لعيلام فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة عصور :

(١) عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ السومريين والأكديين في بلاد النهرين (منذ أقدم العصور حتى ٢٢٢٥ ق.م) .

(٢) عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ بابل (من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ ق.م) .

(٣) عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ آشور (من ٧٤٥ إلى ٦٤٥ ق.م) .^(٢)

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٢ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٥٢ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٩٢ - ٣٩٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ - ٤٠٨ .

(١) لفى الفترة الأولى : دخلت مملكة عيلام فى صراع مع السومريين والأكديين - وكان من نتيجة هذا الصراع :

(أ) هزيمة عيلام على أيدي السومريين والأكديين فى البداية .

(ب) ثم قضاء عيلام على مملكة السومريين بعد ذلك فى عصر الأحياء السومري .

فى حوالى الربع الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد قامت أسرة عيلامية كانت تحكم مساحات كبيرة من السهول والمناطق الجبلية . وكان من بين حكام عيلام حاكم وطنى يحمل اسم " بوزور - انتوشناق " الذى حاول النهوض بعيلام . وفى أثناء هذه المرحلة الأولى ، استقرت أقوام من السومريين الأكديين منذ زمن غير معروف فى إحدى الممالك التى عرفت منذ القرن الثالث والعشرين باسم دولة أكد . وكان السومريون يعيشون على رأس الخليج وعلى شاطئ شط العرب واستقر الأكديون فى الناحية الشمالية . وليس من السهل تحديد حدود مملكة سومر وأكد .

(أ) هزيمة عيلام على أيدي السومريين والأكديين فى البداية :

كان العيلاميون يقومون بشن حملات مستمرة على السومريين فاضطر حاكم لجش السومري (حوالى ٢٥٠٠ ق. م) إيلنام الأول لمحاربتهم . وبعد زوال حكم السومريين بدأ عهد الأكديين ، وتولى حكم أكد عام ٢٣٥٠ ق. م . مانيشتومو الذى أسس أسرة كيش ، ونجح فى إخضاع ملك عيلام واصطاحبه إلى أكد . ومن هنا أخذ نجم الأكديين فى الصعود . وأخذ ملكها الذى عرف باسم سرجون الأول فى توسيع مملكته على حساب جيرانه . وكان الهدف من فتوحات الأكديين فى المناطق المجاورة لهم هو الاستيلاء على دولة العيلاميين على الرغم من أن العيلاميين كانوا يدفعون الجزية للأكديين . وبعد فترة تولى الحكم أسرة سامية أخرى فى أكد واتخذت عاصمتها فى مدينة لرخ . وفى عهد تلك الأسرة كون سكان المشرق دولة سامية عرفت باسم حكم الجوتيين . وفى عام ٢١٢٥ استعادت سومر مجدها وصارت مدينة لجش عاصمة الملك للحاكم الأكبر جوديا واستعاد السومريون قوتهم من جديد .

وامتدت فتوحاتهم واستولوا على عيلام ومنطقة لوابي^(١).

(ب) ثم قضاء عيلام على مملكة السومريين في عصر الأحياء السومري :

كان ملوك السومريين سببا في عدة اضطرابات في المملكة وقيام ثورات عديدة مما أجبر السومريين على تعبئة الجيوش وشن الحملات المتفرقة . مما كان سببا في إضعاف السومريين وإنهك قوتهم . وفي نهاية الأمر تمكن العيلاميون من شن حملة مكثفة على سومر وقبضوا على ملكها وحملوه إلى عيلام . ففي عام ٢٢٨٠ ق. م . استولى ملك عيلام على المدينة وغربها وأطاح بالأسرة الحاكمة وهي أسرة أور الثالثة في عصر الأحياء السومري . ومن حكام عيلام الذين نعرفهم في هذه الفترة " سوكالماه " الذي استمد سلطته من المعبودات وكان يخضع لأوامر حكام ذوو سلطات أقل ، سوف يصلون شيئا فشيئا إلى المراكز العليا . ويلاحظ من جهة أخرى أن هذا الحاكم قد طبق في عيلام بطريقة عملية ومنظمة ، النظام الإقطاعي ، مع منح هبات من الأراضي التي كانت تعد وفقا حقيقيا وقد عثر على وثيقة في سوس تعطينا معلومات قيمة بالنسبة لشخصية أحد كبار الحكام في ذلك الوقت وهو : كوك ناشور الذي كان معاصرا للملك إمى زادوجا من الأسرة البابلية الأولى . وقد اقترح العالم سيدنى كتاريخ لهذه الفترة عام ١٦٤٧ - ١٦٢٦ ق. م .^(٢)

(٢) وفي الفترة الثانية قويت مملكة عيلام واستقلت ودخلت في صراع مع البابليين ونجحت في هزيمتهم بعد ذلك :

اعتلى زعماء الساميين عرش بابل منذ عام ١٨٨٠ ق. م . وأسسوا دولة كانت من أقوى وأكبر الدول التي تجاور عيلام . تعاقب على عرشها خمسة ملوك حتى تولى حكم بابل سادس ملوكها وأكثرهم شهرة وهو حمورابي ، واستهدف في بداية حكمه توحيد بلاد النهرين مع القضاء على النفوذ العيلامي في جنوب الميسراق ، فسجلت له حولياته أخبار جهوده في إخضاع مدن كثيرة مثل اوروك واسين وملحي .

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٥ .

Contentuau, op. cit., p. 96.

(٢)

ولعله أراد بانتصاراته عليها أن يحد من نفوذ أعنف منافسيه ريم مسين ذو الأصل العيلامي آخر ملوك لارسا .

أجست دولة بابل بتسللات الكاسيين والهوريين والخاتيين أيضا واستطاعت جيوش حمورابي أن ترد خطرهم فأنكسرت شوكتهم إلى حين وبعد ذلك ساد الكاسيون جزءا كبيرا من المراق عام ١٥٨٠ ق. م . وفي هذه الفترة كانت عيلام دولة مستقلة وقوية فأخذت عيلام في التوسع حتى وصلت إلى " بندر - بوشير " التي كانت تسمى في ذلك الحين " ليان " . وكان يحكم في هذه الفترة ملك يسمى " اونتاش - جال " (أو اونتاش - هويان) وقد ترك لنا هذا الملك نصوحا عديدة تحدثنا عن أعماله المعمارية ومن عصره تؤرخ بقايا لوحة كبيرة باسمه وأيضا تمثال للملكة " نابيراسو " ، ويوجد هذان الأثران في متحف اللوفر . وقد تمتعت مدينة " دورونداش " التي تقع على بعد قليل من سوس برخاء كبير في عصر هذا الملك . وقد عثر على بقايا هذه المدينة في منطقة تشوجا - زامبيل بفضل حفائر جيهير شمان . وبعد إتمام عملية الحفائر أمكن سن إعادة ترميم زاورة كبيرة عثر على بقاياها في هذه المدينة كما عثر على بقايا بعض المعابد والقصور . وأرادت عيلام أن تأخذ بثأرها من السيطرة التي فرضتها عليها بابل ، واستغل ملوكها الخلاقات التي وقعت بين آشور وبابل وأخذوا يؤازرون المؤامرات والفتن التي أركوا ناراها في بابل . وشعرت عيلام بقوتها المستزادة في عصر أشهر ملوكها :

شوتروك - ناخونتا الذي أثار على بابل وأنزل ضرباته القوية عليها ، وفي ذلك الحين أيضا هاجم الملك الآشوري " آشور - دان " بابل ، فأنضم إليه شوتروك - ناخونتا وعلى الرغم من مقاومة ملك بابل " انليل - نادين - أمي " (علم ١١٧٣ - ١١٧١ ق. م) إلا أن شوتروك - ناخونتا نجح في إقصاء الأسرة الكاسية عن العرش . ونتيجة لهذه الهزيمة تعرضت العاصمة بابل والمدن الرئيسية لعلمية نهب وطلب شديدة . وحمل شوتروك - ناخونتا معه من كل مدينة هامة الكثير من الغنائم التي شملت بعض القطع الفنية . وقد محى من على بعضها أسماء ملوكها لكى يضع اسمه هو عليها ولكى يسجل ذكرى هذا الانتصار . وكشفت لنا حفائر سوس عن بعض هذه القطع الفنية مثل اللوحة التي أطلق عليها " لوحة المسلة " والخاصة بالملك

"مانيشنو - سو" ملك أكد . وقد عثر مع هذه اللوحة على تماثيل لنفس الملك السابق كائنا قد نهبها من مدينة كيش وأيضا لوحة للملك مليشيباك ، وعقود ووثنائق خاصة بأوقاف وهبات الأراضي التي كان يطلق عليها اسم "كودورو" . وقد سجلت هذه الهبات على كتل حجرية نقشت عليها رموز المعبودات التي كانت تمثل بوجه عام مجمع المعبودات والتي كان عليها مسئولية حراسة الأثر وحماية الهبات حتى يخلد ذكرها . والملك مليشيباك هو ملك كاسي ترك لنا لوحة "كودورو" عثر عليها في سوس وهي معروضة الآن بمتحف اللوفر . نرى في أعلاها الملك وهو يقود ابنته إلى إلهة جالسة على عرشها (١).

وبعد أن أجهزت حروب العيلاميين وغاراتهم المستمرة على الأسرة الكاسية وقضت عليها ، تولى حكم بابل أسرة جديدة هي الأسرة الرابعة (الباثون) التي حاربت العيلاميين حربا شعواء حتى جاءت الأسرة السادسة (البازيون) وحكمت على الأماكن البحرية من عام ١٠٥٢ - ١٠٣٢ ق.م ، وفي ذلك الوقت عادت السيطرة للعيلاميين على بابل وجلس أحد الملوك العيلاميين على عرش بابل ، ولم يدم حكمه أكثر من ست سنوات (٢).

(٣) وفي الفترة الثالثة نخلت مملكة عيلام في صراع مع الآشوريين ونجاحهم في القضاء عليها :

في هذه الفترة تولى عرش آشور الملك سنحاريب الذي هاصر "كالودوس" ملك عيلام وقتله ودخل مدينة سوس وخربها وأسر أهلها وعاد بهم إلى آشور . وعندما تولى اسرجدون عرش آشور رأى ملك عيلام أن ملك آشور كان

(١) د. سيد توفيق : تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، دار

النهضة العربية ١٩٨٧ ، ص ٣٦٣ صورة ٢١٨ .

(٢) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٤٢ ؛ أيضا :

Contenuau, op. cit., p. 107.

مشغولا بحروبه فى أماكن أخرى فشن هجمات على مملكة بابل . وتقدم حتى مدينة سيار ورجع بعدها إلى سوس محملا بالعتائم فى عام ٦٧٤ ق.م . وتولى بعد ذلك آشور بانيبال عرش آشور فى عام ٦٦٩ ق.م . فتحارب الطرفان حربا لا هوادة فيها فأنزلت آشور بعلام هزيمة كبيرة . وفى عام ٦٤٥ ق.م . كان الملك الآشورى غير راض عن نتائج حروبه مع بعلام لذلك هاجم ملك آشور سوس فى نفس العام وسقطت مدينة بعلام واستولى الآشوريون على كل ما يستطيعون حمله من غنائم ^(١)

وحمل الآشوريون على عرباتهم كل تماثيل المعابد العيلامية وأرسلوها إلى نينوى وهكذا محيت بعلام من الوجود على يد الآشوريين عام ٦٤٥ ق.م . وطواها النسيان بمرور الأيام .

وهكذا على الرغم من أن العيلاميين قد حافظوا على قوميتهم لفترة طويلة من الزمان إلا أنهم لم ينجحوا فى صد هجمات السومريين والأكديين والدول القوية مثل بابل وآشور ^(٢)

وعندما تتبعنا نشاط العيلاميين الحربى والسياسى كنا نعتمد على وثائق غير عيلامية . وقد جاءت أخبارهم مكتوبة أحيانا فى عهد لاحق لمهدم . فقد كشف عن بعض قوالب من الطوب سجل عليها تأسيس بعض المعابد . ومن هذه السجلات أمكننا معرفة نشاط ملوك بعلام ، وإذا جمعنا النصوص التى كتبت على هذه القوالب وعادة ما تكون قصيرة ومتشابهة ، فهى تعطينا اسم المنشئ " وسلسلة نمبه ولقبه " ، والعبارة الأكيدة " تمت بإقامة بناء كذا وكذا من أجل للمعبود ومنحته له " . وفى بعض الأحيان تصب اللعنة على كل من تخوله نفسه تشويه البناء ودعاء من المعبود إلى الملك الذى قام بالبناء أو الدعوات لكى تصبح أيلمه كلها رخاء وأن يعيش حياة طويلة ^(٣)

ويعطينا د. زايد قائمة بأسماء بعض ملوك بعلام مع تواريخ حكمه وهم :

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٥٢ - ٥٥٣ .

خورباتيلا ، باخيراشمان ، اتار - كيڤاخ ، خومبان - نومنا ، أوننتاش جال ،
ونباتار - جال ، وكيدين - خوتران ، وحكموا من ١٣٥٠ إلى ١٢٣٩ ق.م .^(١)

ولدينا وثائق عديدة من أيام رابع هولاء الملوك خومبان - نومييا ، ومنها
استطعنا أن نعرف أنه قام ببناء مقصورة في لوان . كما ذكر اسم الخامس اوننتاش -
جال على العديد من الآثار التي عثر عليها في سوس ، ويبلغ عدد ما شيده من
مقاصير عشرين مقصورة . وشيد في سوس زاقورة بنيت على غرار زاقورات نيبور
وغيرها من الأماكن المتقدمة في بلاد النهرين .

وتعد زاقورة تشوجازامبيل التي شيدها لونتاش - جال رائعة أطلال هذه
المدينة وقد كشف عنها عام ١٩٣٥ ، وقام بتكملة الحفائر من حولها الأثرى جهير
شمان عام ١٩٥١ . وتختلف زاقورة تشوجازامبيل عن زاقورات بلاد النهرين في
طريقة البناء وفي تصميم الزاقورة . ففي تشوجازامبيل نجدها مربعة ، ويرتفع المطابق
الأول ثمانية أمتار ويبلغ ارتفاع البناء كله ٥٢,٦ مترا . وقد أحيطت الزاقورة
بمعبدين للمعبود أن شوشيناك وأفنية واسعة مبلطة . كما أحيطت الزاقورة بأبنية
أخرى كانت معابد لمعبودات مرتبطة بالمعبود الرئيسي .^(٢)

ويحتفظ متحف اللوفر بلوحة باسم لونتاش - جال وبها إطار على هيئة
ثعبانين وقد مثل الملك في أعلى اللوحة وقد وضع فوق رأسه قلنسوة زودت بثلاثة
أزواج من القرون وصور الملك وفي صحبته زوجته نابيراسو .

كما عثر على تماثيل من الحجر الجيري من أيام لونتاش - جال وأحدها يمثل الملك
وكتب على نصفه السفلي بالأكدية والعيلامية . كما عثر على تماثيل مسن البرونز
للملكة نابيراسو ويبلغ ارتفاع التمثال المفقود الرأس ١,٢٠ متر ويبلغ وزنه نحو
١٧٥٠ كيلو جرام . ولم يعرف بعد الطريقة التي استخدمت في صب هذا التمثال
الكبير الحجم من المعدن ، ويعد هذا الأثر قطعة فنية رائعة . وقد قام الفنان بإخراج

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥٢ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٥٥ .

هذا التمثال ، بما في ذلك الطيات المختلفة من المعدن والتطريز والأنشطة والتطعيم مثل الحلى الموجودة فى الأصابع وفى الرسغين ، فى غاية الدقة والإتقان . وهو يمثل الملكة واقفة واضعة يديها متقاطعة فوق صدرها . وارتدت ثيابا مطرزة ملتصقة تماما بكتفيها وصدرها . وقد كتب على طرف الثوب نص عيلامى موجه من المعبودات إلى كل من تخوله نفسه تشويه هذا التمثال أو محو اسم الملكة من عليه .^(١)

ومن أعمال الملك أونتش - جال أنه شيد عاصمة جديدة أسماها " دور أونتش " على المكان الذى يسمى حاليا تشوجا - زامبيل .

ونذكر أنه بنى وكرس للمعبود خومبان أحد معبودات عيلام والمعبود أن - شوشيناك مقصورة زينت بقوالب طليت بالميخا وطعمت بالفضة والذهب وبالأوبسديان والمرمر^(٢) ، وقد علق فى أحد الحجرات قبارة .

ومن معبودات عيلام المعروفة أن - شوشيناك ، وخومبان ، وناهونتا ، وبينيكير ، وأبوركويك ، هذا إلى جانب العديد من سوس البابلية التى عبدت فى سوس مثل نابو ، وسين ، واداد ، وزوجه شاله . وقد قام الملك أونتش - جال بنحت تمثال لكل معبود من هذه المعبودات من الحجر أو المعدن ووضعها فى مكان ممتاز بالمعبد وقد كثف عن حوالى إثني عشر معبدا من هذه المعابد فى مدينة سوس .^(٣)

الشعوب التى وضعت على إيران بعد ذلك :

إننا نجهل تماما التاريخ الصحيح لوصول الهندوإيرانيين (الأريين) إلى هضبة إيران . وغالبا ما حدث هذا فى أوائل الألف الأولى قبل الميلاد . ويرى بعض العلماء أن تحركات الهندوإيرانيين بدأت فى النصف الثانى من

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .

الآلف الثانية ق. م . وقد جاءت هذه الجماعات من أربع مناطق من المنطقة الواقعة بين بحر أرال والبحر الكسبي ومن المنطقة الواقعة إلى شمال المنطقة السابقة ومسمن القوقاز ومن غرب البحر الأسود واتجهت إلى الشرق^(١).

وبعد أن هاجر اريو الهند وإيران من هذه المناطق الأربع عاشوا معا زمنا طويلا ، ثم اتجهوا غربا ، واتجهت العناصر الهندية إلى الهند وانتشروا في البنجاب في الهند ، واتجهت العناصر الإيرانية إلى الجنوب والغرب وانتشروا في الهضبة الإيرانية مع بداية الآلف الأولى ق. م^(٢). ومن هنا يتضح أن اسم إيران مشتق من اسم هؤلاء الأقوام ، لأنهم كانوا يطلقون على أنفسهم اسم " آيريا " أى النجيب أو الوفى . وكان اسم غيران فيما مضى إيران ثم حرف إلى إيران . وعندما وصل الإيرانيون إلى الهضبة وصلوا بزوجاتهم وأولادهم ولتتهزوا فرصة انقسام البلاد إلى دويلات فدخلوا في خدمة أمرائها كمحاربين مرتزقة ، وتمكنوا في النهاية من الحصول على السلطة وأجبروا السكان الأصليين على الخضوع لهم^(٣).

وكانت هذه الشعوب تعيش حياة البداوة معتمدين على قطعانهم . ولم يكونوا من الشعوب الزراعية ، كما كانوا يحسنون أيضا تربية الخيول ويحسنون ركوبها واستخدامها في الحروب . ولم يمض وقت طويل حتى كان زعماءهم يحبون حياة الأمراء الإقطاعيين ، يعيش كل منهم محاطا بجنوده ويلاظه ، ويبدل العمال والصناع جهودهم في خدمته ، ويعمل الفلاحون من أجله في أراضيه التي يملكها^(٤).

(١) د. عبد الحميد زليد : المرجع السابق ، ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦٤ .

(٣) حسن بيرنيس : المرجع السابق ، ص ١٦ حاشية (١) ، ص ٥٣ ؛

د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٦٧ د. محمد

عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٩ ؛ أيضا :

Contenuau, op. cit., p. 109.

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

وقد استقر أمراء تلك الشعوب في بعض جهات آسيا الغربية أو في هضبة إيران وما جاورها ، وعثر في بقاع مختلفة من الهضبة على بعض مقابر الإيرانيين وعلى القليل جدا من بقايا عمائرهم الحربية . ومن أهم تلك الأماكن سيالك في واحة قاشان حيث شيد أولئك القوم الحصن الذي كان يقيم فيه زعيمهم فوق المرتفع الذي كان يقيم فيه أهل سيالك في عصر ما قبل التاريخ . ولم يتبع الإيرانيون ما كان يقبعه أهل سيالك القدماء من عادة دفن الموتى تحت أرضية المساكن ، بل كانوا يدفنون موتاهم في جبالات خاصة وكانت سقوف المقابر مدببة على هيئة جملون . وكلوا يضعون إلى جوار المتوفى أسلحته وحليته وملابسه وكثيرا من الأواني . وقد عثر جيهير شمان على آلاف من تلك المعدات ، من حرايب وسيوف وخناجر وأنواع الأسلحة المختلفة ومنها أطقم الخيل ، كما وجد أيضا كثيرا من الحلي مثل الأساور والعقود والإكسراط والخلخل ، وبعض ما كان يتحلى به النساء والرجال من أحزمة وصدریات ، وما كان النساء يضعنه في شعورهن من دبابيس معدنية طويلة لها رؤوس حيوانات ، أما المعادن التي صنعت منها تلك الأسلحة والحلي والأواني فكانت من النحاس والبرونز وأغلب الأسلحة من الحديد . كما استمر الإيرانيون في صناعة الأواني الفخارية وزخرفتها . ولجدهم قد مزجوا الفنون المحلية القديمة ببعض تأثيرات غريبة جديدة ونرى على بعضها زخارف جميلة يدخل في صناعتها رسم الحصان والشمس مع بعض رسوم هندسية .^(١)

وتوزعت هذه الشعوب بعد ذلك في ثمانى أجناس أربعة كسهرى وأربعة

صغرى هم :

السكيثيون ، الكيمريون ، الميديون ، والفرس الأخمينيون . وقد لعبت هذه الأجناس الأربعة دورا رئيسيا في تاريخ إيران في الألف الأولى ق. م . كما أنه كان يوجد أربعة شعوب أخرى صغيرة أثرت في تاريخ إيران أيضا وهم :

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

اللؤلؤيون :

(١) شعب جبلى كان يقيم فى القسم الشمالى من مرتفعات زاجروس ، وكانوا يكونون مجموعة من الشعوب التى تنتمى لأصل اسباني أو ماسمى زاجرو- عيلامى ، وقد امتد إقليمتهم حتى بحيرة أورميا وربما إلى أبعد من ذلك شمالا . وكانت لهم مملكة قوية فى نهاية الألف الثانية ق. م ، واصطدمت هذه الدولة بالآشوريين ومنذ القرن التاسع ق. م . اختفى اسم اللؤلؤيين .^(١)

المنايون :

هم من العائلة التى اصطلح على تسميتها زاجرو - عيلامى وهم أقرباء للؤلؤيين واختلطوا بالهوريين . ومنذ بداية القرن التاسع إلى الثامن ق. م . بدأت تظهر أسماء إيرانية بين المنايين . وقد ذكرت مملكتهم جنوب بحيرة أورمية لأول مرة فى النصف الثانى من القرن التاسع ق. م . وكانت عاصمتها اسيرتا التى تقع على بعد ٥٠ كم إلى الشرق من المدينة الحديثة ساكيز . وقد كانت هذه المملكة نفسى القرن الثامن ق. م . غالبا لقوى مملكة بعد مملكة اورارتو ، وقد فاقتها فى التطور فى نهاية هذا القرن . وقد اتحد السكيثيون مع المنايين نفسى القرن السابع ق. م . وعاونوهم فى الصراع الذى كان قائما بينهم وبين الآشوريين . وقد قضى آشور بانبيال على المنايين وأصبحوا من رعيا آشور ، ثم ساروا فى ركب الميديين عندما انتصر هؤلاء على الآشوريين .^(٢)

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦١ - ٥٦٢ ؛ حسن بيرنيس :

المرجع السابق ، ص ٥٣ ؛ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٦ ،

٣٩ - ٥٥ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

الأورارتيون :

شعب له صلة بالحوريين ، وأصل لغته قوقازي . وقد قامت مملكة أورارتو في أثناء النصف الثاني من القرن التاسع ق. م . فاحتدت عدة إمارات صغيرة في إقليم نائري في مساحة حول بحيرة فان الحالية وجبال أرارات شرقي آسيا الصغرى وكونت دولة سميت أورارتو ، وقبل نهاية هذا القرن ، انتهزت هذه الدولة فرصة ضعف آشور ومدت حدودها وسيادتها إلى ما وراء بحيرة فان . ولهذا يقال أرارات أو الأورارتيون أي الجنس الغلي . وأقاموا عاصمتهم في توشبه . ونعرف من ملوكها أربعة : منو الذي حكم من عام ٨١٠ إلى ٧٨١ ق. م ، و إرجشتي الأول الذي كان معاصرا لثالثا - نصر الرابع ، وجاء بعد ذلك إرجشتي الثاني (٧١٤ - ٤٨٥ ق. م) ، و سايور الثاني ، وامتد سلطانهم في القرن الثامن ق. م . إلى الجنوب من بحيرة أورمية ، وإلى الشرق حتى أراكيس ، ووصلت في الشمال إلى حدود البحر الأسود ، ووصلت في فترة ازدياد نفوذها وكانت هذه الدولة تمثل العدو الخصم الشديد المراس للأشوريين الذين نجحوا في عهد نابوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق. م) ، في وضع نهاية لمملكة أورارتو . وفي بداية القرن السادس انضمت إلى الميديين .^(١) ولدينا عدة نماذج عن الفن الأورارتي .^(٢)

اللوريستانيون :

وهم شعوب من الكاسيين الذين من أصل اسيلاني زاجرو - عيلامي وكانوا يقيمون في الجزء الأوسط من مرتفعات زاجروس ، وهي منطقة لورستان الحالية ،

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٥ ، ٥٧٤ - ٥٧٥ ، ٧٠٤ - ٧٠٥ د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١١ د. عبد الميز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ، ص ٥١٧ .

(٢) عن هذه النماذج راجع :

Ghirshman, Perse, Proto-Iraniens, p. 423 - 426 (119, 126, 133, 138 - 141, 145, 168 - 169) .

وقد حكموا في بابل من القرن السادس عشر إلى القرن الثاني عشر ق. م . وتسموا بعد ذلك باللوريستانيين وكفوا فرسانا مهرة في ركوب الخيل وترويضها . ونحن نجهل تماما ما حمله هؤلاء من موطنهم الأصلي ، وغالبا ما ستكون أدوات حوب أو زينة للخيل من منطقة القوقاز التي جاءوا منها^(١) ، وكانت هناك بينهم وبين الكيمريين والميديين علاقات خصوصا في المعتقدات الدينية وقد تأثروا في فنونهم ببلاد النهرين^(٢).

أما الشعوب الكبرى التي استقرت في إيران وأثرت في تاريخها القديم تأثيرا مباشرا فهي :

السكيثيون :

شعب من أصل إيراني ، جاء من غربي آسيا من جنوب روسيا ، وغالبا عن طريق القوقاز ، وقد جاء ذكرهم في النصوص الآشورية وذكرهم أيضا هيرودوت . كما جاء ذكرهم في العهد القديم تحت اسم اسجوزا . وقد ارتبطت هجرتهم إلى غرب آسيا بهجرة الكيمريين في القرن الثامن ق. م . وقد كان السكيثيون بداية رحل ، على هيئة قبائل محاربة وكفوا يرتزقون من القتال فعملوا مع الميديين

(١) أعطانا جهرشمان قائمة كاملة بالآثار التي تمثل الفن اللوريستاني بوجه عام (ويبلغ مجموع هذه الآثار ٥٨ لثرا) راجع :

Ghirshman, op. cit., p. 421 – 423 (49 – 108)

كما أعطانا قائمة بالمعبد من المؤلفات العلمية عن فن السبرونز في لوريستان

(ويبلغ عددها ٤٨ مؤلفا) راجع : Ghirshman, op. cit., p. 416 – 418 ،

وأخيرا يعطينا باروه صورا لعدة نماذج من الفن اللوريستاني ترجع إلى النصف

الأول من الألف الأولى وهي موزعة بين متحف اللوفر والمجموعات الخاصة ،

راجع : Parrot, Assur, p. 128 – 134, 137 Fig. 149-156, 158 – 159, 163- 166.

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦١ ، ٥٧١ .

ومع الآشوريين - ويؤرخ تسللهم إلى الشرق ابتداء من القرن السابع ق. م. وقد مووا في هذه الفترة بمنطقة الشرق الأدنى من القوقاز حتى فلسطين ومن أورارتو حتى إيران . وقد ذكر اسمهم في كثير من الوثائق التي عثر عليها في الأماكن التي مسروا بها . ويبدو أن السكيثيين قد رجعوا إلى شمال القوقاز في القرن السادس ق. م. ^(١) وعثر على مقابر ملوك السكيثيين في جنوبى الاتحاد السوفيتى . وامتد نفوذهم إلى إقليم انزيبجان الإيرانية وإلى منطقة واسعة حوله . وقد عثر رجال الآثار منذ سنوات على مقبرة لأحد الملوك السكيثيين على مقربة من مدينة " ساكيز " في جنوب بحيرة أورمية في الكرستان ، وهي من أهم ما عثر عليه في تلخيز إيران القديم ، نرى في محتوياتها الفن السكيثى الوطنى ونرى بينها أيضا بعض التحف الآشورية التي تلقاها ذلك الملك كهنية من الملك اسرجدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) أو أحد خلفائه . ^(٢)

وعلى ذكر كلز مدينة " ساكيز " يجب ألا ننسى أنه قد عثر أيضا في منطقة لورستان في إيران على كثير من الأدوات البرونزية الهامة ، وهي أيضا صناعة إيرانية من أيام السكيثيين ^(٣) ، وبعضها كان متأثرا بالفن الآشورى وبعضها الآخر متأثرا بالفن الأورارتى ^(٤) ، ولكنها تمايز بالكثير من مظاهر الفن السكيثى النقى وبخاصة إتقانهم لتمثيل الحيوانات ، وتتجلى مهارتهم أيضا في القطع المصنوعة من

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٣ .

(٢) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٣) عن الفن السكيثى ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٧٨ -

٥٨٢ ؛ وأيضا د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ . وعن نماذج للفن

السكيثى ، راجع خاصة : 132 (425 - 426) Ghirshman, Perse, p. 148 - 151, 156 - 159, 164 - 165.

(٤) وعن نماذج من الفن السكيثى - الأورارتى ، راجع : Ghirshman, op. cit., (143, 172) p. 425 - 426 .

البرونز ، والتي كانت فى الأصل أجزاء من أطقم الخيل وكانت مثبتة فى بعض أدوات القتال .

ولقد تأثر السكيثيون كثيرا بالحضارة الأورارتية ، كذلك كانت توجد علاقة بين الفن السكيثى واللوريستانى وقد اقتبس السكيثيون استخدام الصنديات من الأورارتيين . وعثر على الصنديات فى القبر الملكى بزاوية بالقرب من مدينة ساكيل إلى الجنوب من بحيرة أورمية ، والذي عثر فيه على أجزاء من تابوت من البرونز وأختام أسطوانية وصنديات (١).

الكيميريون :

شعب من أصل إيرانى ، جاء من جنوب روسيا عن طريق القوقاز إلى غرب إيران فى القرن الثامن ق. م . وأصبحت لهم السلطة فى شمال غربى إيران فى القرن السابع ق. م . وكانوا معروفين بالشدة والعنف . وربما كان الكيميريون من سكان شبه جزيرة القرم وتركوا موطنهم وداروا حول البحر الأسود .

وكانت أولى الممالك التى تحطمت أمام جحافلهم هى أورارتو حوالى عام ٧١٤ ق. م . ثم انقسموا بعد ذلك إلى فريقين ، سار فريق منهم إلى بحيرة أورمية فى الهضبة ، وسار الفريق الآخر إلى آسيا الصغرى ، ثم استقروا أخيرا فى جنوب البحر الأسود . وقضى الكيميريون على مملكة الفريجيين فى آسيا للصغرى . وانتحر ملكها " تيداس " كما فعل " روساس " (٢) ملك أورارتو من قبل ، ثم هجموا على مملكة ليديا فهزموها ، وساروا إلى كيليكية ولكن آشور بقليل استطاع أن ينفذ أسبيا الصغرى وسوريا منهم ، فهزمهم وغرروا راجعين إلى الهضبة ليعيشوا مع أبناء عموماتهم

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٩٣ - ٥٩٦ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢١١ ؛ د. محمد عبد القادر : المرجع

السابق ، ص ٣٩ - ٤٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٦٣ ؛

د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

السكيثيين . وقد اتحد الكيمريون مع الأوراراتيين منذ القرن الثامن ق. م . وقد انقسم هؤلاء إلى فريقين :

الفريق الأول : اندفع إلى آسيا الصغرى ، بينما تسلك الفريق الثاني إلى شرقي آشور وقد استقر في تلك المنطقة ليحمل اسم الكاسيين والذين تسموا بعد ذلك باللوريستانيين . وقد تأثروا بالفن في بلاد النهرين وخاصة في الرسوم التي تصور صراع بين حيوانين . وعثر في معبد سورك دوم بمنطقة لوريستان على دبابيس وضعت عادة داخل حوائط المعبد وكانت مصنوعة من البرونز وهي مؤرخة ما بين القرنين الثامن والسابع ق. م . وزينت من الداخل بالمعبودة الأم الآشورية التي كانت تنتشر عبادتها من آسيا الصغرى إلى سوس ، وهي غالبا تمثل المعبودة ائشى أخت المعبود سيراوش . ولم يهتد العلماء إلى السر في وضع هذه الدبابيس في المعابد ربما لغرض سحري . كما عثر في لوريستان على مئات من التماثيل على هيئة حيوانات أو طيور وكذلك عثر في مختلف تلك المنطقة على جميع معدات الخيل والعربات ، وقد زينت بزخارف مختلفة . كما عثر على فؤوس من البرونز مختلفة الأشكال في مقابر لوريستان . أما عن معارفنا عن فخار مقابر لوريستان فهي بسيطة ، وغالبا ما كان الفخار يقلد الأواني البرونزية . وكان الفن اللوريستاني متقدما جدا في صناعة المعادن من ناحية التنوع في الأشكال والزخارف ، وواضح أنه كان متأثرا بالأوراراتيين (١).

ونلاحظ أن السكيثيين وكل الشعوب التي لها صلة بهم كانوا يدفنون مع موتاهم خيولهم . وقد بينت لنا مقبرة بامبانلو ، وهي الوحيدة التي عرفت في إيران ، صحة هذه النظرية ، وقد قام أهالي لوريستان بالاستعاضة عن هذه الخيول بالمتساود وكانت توضع ، تحت رأس المتوفى ، وذلك لخداع الموتى بسلامة وسيلة للرحلة إلى عالم الآخرة ، وقد فحص الكثير من هذه الأجمة فوجد أنه لا يوجد أي أثر لاستخدامها . وكان بعضها يزن كيلو جرامين (٢).

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٧١ - ٥٧٤ .
(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ٥٧٢ ، د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ - ٤٣١ .

ظهور شعوب الميديين والفرس :

وصل الميديون (أقوام آريه) إلى الجنوب الشرقى ، فى إقليم همدان ، ووصل الفرس أيضا (أقوام آريه) إلى الغرب والجنوب الغربى من بحيرة أورمية . وفى هذا الوقت أيضا ظهرت أسماء الإيرانيين فى جيش ملوك أورارتو . ويبدو أن الفرس لم يطيحوا بإقامتهم فى الشمال الغربى من إيران . ففى القرن الثامن ، كانوا يتحركون ، ويرسمون خطة للاتجاه نحو الجنوب الشرقى متتبعين منحنيات مرتفعات زاغروس . ولا نعلم تماما الفترة التى عاشوا فيها تحت سيطرة شعوب الأورارتو . وقبل أن يغادروا حدود أورارتو ، وقبل أن يغزو نهائيا فارس ، كانوا قد عرفوا الكثير عن الحضارة الأورارتية ، فنقلوا عنهم الكثير من الخصائص المعمارية التى تجدها فى بازار جادة ويرسى بوليس ^(١) .

وقد أثر الفن الأورارتى كثيرا فى الفنون الإيرانية وكان الحصان عنصرًا هامًا فى حياة الأورارتيين العسكرية والاقتصادية . وقد أشارت النصوص الأورارتية الملكية إلى آلاف من هذه الدواب التى كانت تربي فى الهضاب المرتفعة ، ومن الجائز أنه كانت توجد عند هؤلاء الناس معبودات كانت لها صلة بالحصان ؛ ويوجد بين ودائع المتحف البريطانى تمثال صغير من البرونز لمعبودة جالمة على مقدمة حصانين ، وهذا التمثال من أصل أورارتى .

ويوجد فى متحف اللوفر تمثال آخر من البرونز يمثل أحد المحاربين تملسو رأسه ريشة وهى التى نراها دائما فوق رؤوس المحاربين الأورارتيين كما ذكر روسا ملك أورارتو أنه حصل على عرشه بفضل خيوله ويفضل قائد عربته ، ويدل كل هذا على أهمية الحصان فى القتال .

وأخيرا سلك الفرس طريقة الأورارتيين فى المراسلات أو المراسم الملكية ^(٢) . وعندما وصل الفرس فى البداية إلى الهضبة الإيرانية أبعدها إلى الجنوب

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .

بواسطة الميديين الذين احتلوا الجزء الشمالي وأخضعوا الفرس تحت سيطرتهم . وقد نزل الميديون في شمال غرب الهضبة ثم كونوا دولة لم تستمر طويلا هي الدولة الميديّة . ونزل الفرس في الجزء الجنوبي الغربي وأصبح اسمهم يطلق على هذه المنطقة التي استقروا فيها .

وفي الواقع أن ظهور هذه الشعوب في هضبة إيران واندماجها مع سكانها الأصليين قد بث فيها حيوية ونهضة حضارية عظيمة .

الميديون وتأسيس دولتهم وأهم ملوكها :

أقوام آرية الجنس استوطنوا أذربيجان وكردستان الحالية .^(١) وشعب الأمازيين هو الشعب الميدي ؛ وهذه التسمية أطلقها عليهم الآشوريون في القرن التاسع ق. م . وظل الميديون تابعين للآشوريين فترة طويلة . فقد تكررت غزوات الآشوريين وحملاتهم على منطقة كردستان والمناطق المجاورة لها . ويذكر هيرودوت أن الميديين ظلوا تابعين للآشوريين فترة خمسمائة عام .^(٢) وكان الميديون يعملون بالرعي وكانوا يملكون الأتعام والعبيد ومارسوا الزراعة واستوطنوا المدن وكانوا يتحركون في عربات ، ويعرفون الصناعات من الذهب والفضة .^(٣) هذا وقد تأثر الفن الميدي بفنّين آخرين هما الفن السكيثي^(٤) ، والفن الكيمري .^(٥) وقد ورد اسم الميديين في النصوص الآشورية منذ القرن التاسع ق. م . على أقل تقدير .

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٥٨٣ - ٥٨٩ ، ٥٩٠ - ٥٩٣ ؛ حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥٨ ؛ محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٤٩ - ٥١ .

(٢) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٥٩ ؛ أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤١٥ - ٤٢٠ .

(٣) عن نماذج من الفن الميدي ، راجع : Ghirshman, Perse, p. 423 - 424 (109, 111-114, 118, 120-122, 124-125, 127-129, 159).

(٤) عن الفن الميدي - السكيثي ، راجع : Id., op. cit., p. 423-426 (115-116, 170-172).

(٥) عن الفن الميدي - الكيمري ، راجع : Id., op. cit., p. 423 (117)

مبا الكو :

حكم هذا الملك في الفترة من ٧٠٨ - أو ٧٠١ - ٦٥٥ ق . م . وكان قد اختير ملكا بواسطة عامة الشعب لأنه كان محل تقدير بينهم . واختار عاصمته في أكباتان^(١) التي كانت قد دمرت أيام الآشوريين . وأعاد هذا الملك إلى هذه المدينة رونقها وجعل منها مدينة محصنة تحيط بها أسوار عالية . وعمل توحيد كلمة كل العناصر المدنية^(٢) . وعمل على تقديم الجزية للآشوريين وحكم من بعده ثلاثة ملوك .

تحالف الميديون مع الكيمريين ومع سكان جبال الكردستان ؛ واطمأنوا إلى ارتباطهم برباط الصداقة أيضا مع السكيثيين . وتم لملكهم خشاثرتا إخضاع الفرس الذين قبلوا دفع الجزية لهم . وبعد ذلك طمعوا فيما هو أكثر من ذلك ، فقرر ملكهم غزو بابل ، وهنا استغل السكيثيون هذه الفرصة فهاجموا الميديين في عقر ديارهم وأخضعوهم لنفوذهم فظلوا على ذلك ثمانية وعشرين عاما من ٦٥٣ إلى ٦٢٥ ق . م ، كما ذكر هيرودوت . وكان ملك السكيثيين في ذلك الوقت يسمى ماديس . وكان هذا الانتصار خير مشجع للسكيثيين على التوسع في فتوحاتهم فاتجهوا غربا وخرّبوا آشور ، وانضم إليهم الكيمريون ، فاتحدت قبائل الشعبين ونزلت لتنهب كل ما تجده في آسيا الصغرى وشمال سوريا وفينيقيا وفلسطين ، ناشرين القتل والحرق والتهب في كل مكان ، ثم عادوا بعد ذلك إلى موطنهم^(٣) .

وبعدئذا هيرودوت عن الميديين بأنهم كانوا يمدون أنفسهم للنشأ من السكيثيين والاستقلال بأسورهم فتم لهم ذلك بعد ثمانية وعشرين عاما . وهزموا أعداءهم وأجلوا جنودهم عن المنطقة .

(١) مكانها الآن مدينة همدان .

(٢) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٣) د . أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

كان ملك الميديين الذى قام بتخليص بلاده يسمى " كياكسارس " وقد تم له توطيد نفوذه ، وعادت لبلاده قوتها واسترجعت سيطرتها على القرس وعلى المنابيين سكان جبال الكردستان ، ولم يكتف كياكسارس بذلك بل أراد مهاجمة بلاد النهرين وأشور على وجه الخصوص .^(١) وكثت عياله قد سقطت فى عام ٦٤٥ ق. م . على أيدي الآشوريين وتعرضت للتهب والمذابح . كما تعرضت لنفس المصير مدينة موس وهدمت معابد ومقابر ملوكها وتمثال معبوداتها . وعقب وفاة الملك آشور بانيبال فى عام ٦٢٦ ق. م . خطط الميديون للقضاء على آشور والتأثر منها عما فعلته مع عياله وسوس . ونجح الميديون بالاتحاد مع البابليين وشعوب الميث (وهم قبائل من البربر كانت تعيش فى جنوب روسيا) وكانوا حلفاء للآشوريين فى أول الأمر ولكنهم خالوهم وانضموا إلى أعدائهم ملك بابل وملك الميديين^(٢) للقضاء على آشور وذلك تحت قيادة الملك البابلى نابو بلاصر الذى حكم عام ٦٢٦ - ٦٠٥ ق. م. ونجحوا فى دخول عاصمة آشور ، وتابع الميديون تقدمهم حتى آسيا الصغرى . ورث الميديون أملاك الآشوريين الشمالية والشرقية وابتلعوا مناطق أورارتو شينا فشيئا ، واستمروا فى زحفهم نحو الشمال الغربى حتى بلغوا نهر هاليس فى آسيا الصغرى . وهنا اضطمت أطماعهم بدولة ليديا المتأخرة والتي جمعت فى سياستها وعلومها وحياة ملوكها بين معارف وتقاليد الشرق والغرب معا ، وتطور التنافس بين الميديين وبين الليديين بعد فترة إلى صدام مسلح وقتل بابل فيه بجانب حلفائها الميديين ولكن هذا الصدام توقف بصلح ثم انتهى الأمر إلى هدنة أيدها الببتان الحاكمان بالمصاهرة .

ولكن لم يطل الأمر بالنهضة الميديية ، وأحاط بها بعد وفاة ملكها هراخشير (كياكسارس) ما أحاط بجيرانها أكثر من مرة من تفكك أوصالها وظهور

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٢) د. أبو المحسن صفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ حاشية (١) .

المنازعات الداخلية^(١) التي ظهرت هذه المرة في إقليم أنشان (في عيلام القديمة) . وهو إقليم كان يحكمه أمراء لهم صلة قرابة بالبيت المالكي وكانوا يعتقدون أنهم أحق بالملك . وحقق حكمهم هذا أمير قورش (حوالي عام ٥٥٩ ق.م) فجمع الحاقدين على البيت المالكي وقضى على عرش الميديين في حوالي ٥٥٥ ق.م . وبدأ أسرة حاكمة جديدة . ذكرتها المصادر الفارسية باسم الدولة الهخامنشية ، وأطلقت المصادر اليونانية عليها اسم الدولة الأخمينية . وتذكرها المؤلفات الحديثة باسم الدولة الفارسية الأولى . وعثر في برسي بوليس على نقش يمثل رأس ميدي ، يرجع إلى القرن الخامس أو الرابع ق.م ، ويوجد الآن بمتحف اللوفر^(٢) .

الفرس الأخمينيون ومولتهم وأهم ملوكها :

طبقا لهيرودوت ينقسم الفرس إلى ست طوائف من سكان المدن والقرى وأربع طوائف من سكان الخيام^(٣) .

وكانت أسرة الأخمينيين من أكثر الأسر الفارسية عراقة بين هذه الطوائف وعقب وفاة نابوخذ نصر الثاني ملك بابل ، ظهر على مسرح الأحداث في الشرق القديم من ملوك الأسرة الأخمينية الملك قورش العظيم ، الذي كان يحمل لقب ' قورش الملك العظيم ملك أنشان ' ، وورث ملك الميديين وكان لظهور الدولة الفارسية وازدياد نفوذها سببا في إزعاج كل من بابل ومصر ومملكة ليديا . وكانت ليديا في أوج مجدها في عهد ملكها كرويسوس (٥٦٩ - ٥٤٦ ق.م) وأصبحت تتطلع إلى إخضاع الدول المطلة على البحر المتوسط فتقدمت جيوشها ناحية الشرق ، وخاصة وأن ملك ليديا كان متحالفا مع الملك المصري أمازيس ومع ملك اسبرطة . وكان من الطبيعي أن تصطدم جيوش ليديا بجيوش الفرس القوية . ومار قورش تجاه ليديا غزوا آسيا الصغرى بعد معركة بتريا واستولى على عاصمة ملك ليديا ساردس وأسر ملكها عام ٥٤٦ ق.م . ومن عام ٥٤٥ إلى ٥٣٩ غزا عدة بلاد في آسيا الصغرى

(١) ظهرت المنازعات في عهد استياجس الذي خلف أباه كيكسارس .

(٢) Parrot, Assur, p. 188 Fig. 237.

(٣) حسن بيرثيا : المرجع السابق، ص ٧١ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٩٥ . ٥٥ .

مثل فريجية وقلقية وليقية . وهكذا خضعت لمسيطرته كل آسيا الصغرى . وفى بابل لم تستمر فترة القوة بعد نابوخذ نصر الثانى طويلا ، وتعاقب من بعده ثلاثة ملوك حكموا سبع سنوات ، ثم انتقل الحكم منهم إلى نابونيهيد الذى تظاهر فى البداية بمناصرة قورش الفارسمى ضد الميديين حلفاء بابل سابقا . ولكن قورش كان يطمح فى قرارة نفسه أن يضم بابل إلى مملكته ، وهنا حاول نابونيهيد أن يجمع الأحلاف حوله ، ولكنه لم ينجح فى ذلك كثيرا ، وخشى الآخرين من بطش الفرس . وبالفعل فى عام ٥٣٩ ق.م . دخل قورش بجيوشه إلى بابل وادعى فى نصوصه أن أهلها رحبوا به ملكا . وتوج قورش ملكا فى معبد بابل الكبير طبقا للطقوس الدينية البابلية (١) . وانتهى دور بابل فى تاريخ الشرق القديم كدولة مستقلة فى عام ٥٣٩ ق.م . ومن هذا التاريخ بدأ ميلاد إمبراطورية جديدة .

لقورش (٥٣٩ - ٥٢٩ ق.م) :

أصبح حاكما لأكبر إمبراطورية شهدها حتى الآن (٢) تاريخ الشرق القديم . واتبع سياسة جديدة فى تلك الإمبراطورية ، فقد حاول أن يكسب محبة وصدقة الشعوب التى غزاها عن طريق سياسة التسامح عوضا عن تنفيذ سياسة القوة والقهر . فسمح للعبرانيين بالعودة إلى اورشليم وإعادة تشييد معبدهم الذى كان قد هدم بواسطة الآشوريين . ورجع اثنان وأربعون ألفا من العبرانيين إلى اورشليم (٣) .

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٧٧ - ٨٢ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٤٣١ - ٤٤٩ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٠٠ - ٦٠٨ .

(٣) لا يمكن أن نحدد بالضبط عدد اليهود الذين استقلوا من هذه الفرصة . وكان زعيم اليهود المعادين زروبابل هو من ملأ الملك يهوياكين . وقد أرجع معه كنوز الهيكل المزعوم (٤) التى نهبها نابوخذ نصر واعترفت به الجماعة العائدة حاكما عليها لبعض الوقت . وبعد صعوبات كثيرة انتهى من بناء الهيكل (٤) للمرة الثانية فى عام ٥١٥ ق.م. فى عهد الملك دارا الأول . وقد هذا --

وكان للإمبراطورية الجديدة أكثر من عاصمة ، فكانت أولا في موس فسي
بلاد أنشان أو أنزان القديمة ، والتي خرج منها قورش العظيم ، وحلت محلها بعد ذلك
كل من يلزار جادة ^(١) ويرمي بوليس ^(٢).

== ارتاكمركيس الأول حذو قورش فسمح بعودة فريقين متتاليين من المسبيين :
الأول برئاسة نحميا والآخر برئاسة عزرا ، وقد وصل اورشليم حوالى عام
٤٤٤ ق. م. وكان هدفه الصريح إعادة بناء أسوار المدينة ، راجع د. فيليبس
حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة : د. جورج حداد
وعبد الكريم رافق) ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ؛ حصن بيرنيا : المرجع السابق ، ص
٨٣ - ٨٤ .

(١) توجد في الشمال الشرقى . وهناك منظر علم لبقايا قصر بازار جادة من القرن

السادس ق. م . ، راجع : Parrot, Assur, p. 192 Fig. 240

وعن أهم آثار هذه العاصمة ، راجع : Ghirshman, Perse, p. 174 - 175 ,
178-179, 181-184 .

وعن الاكتشافات الأثرية بها ، راجع : Id., op. cit., p. 131 - 133, 135-
136, 139-140, 145, 224, 227, 230-237, 295-296, 347-348 .

(٢) وهناك منظر علم لبرمي بوليس عند : Parrot, op. cit., p. 193 Fig. 242

وهناك بقايا للمسلم الضخم من الجزء الشرقى للقصر الملكى بالعاصمة ، راجع :

Parrot, op. cit., p. 195 Fig. 243

وعن هذه العاصمة والاكتشافات الأثرية بها ، راجع :

Ghirshman, Perse, p. XI- XV, p. 20, 57, 68, 70, 87, 94,
120, 123-124, 133, 135, 138, 142, 147, 154, 201, 205, 207,
209, 215, 222, 226-230, 234, 243, 245, 250-252, 256, 258,
260-261, 263-264, 283, 295, 312, 318, 347-348, 350, 353, 355-
357, 362, 364.

وقد اختار قورش مدينة موس عاصمة عيلام لتكون مركزا لإدارته^(١) ولكنه غير العاصمة بعد ذلك واتخذ مدينة "أكباتان" العاصمة الجديدة للشهيرة عاصمة له.^(٢)

فلما تم فتح بابل عام ٥٣٩ ق. م. اتخذها أيضا كعاصمة له واستقر رأيُه بعد ذلك على إنشاء عاصمة جديدة في مدينة بلزار جادة والتي تقع إلى الشمال من مدينة بركسي بوليس ويعنى اسمها الأصلي فسي الفارسية "مخيم الفرس" ومكانها الحالي "مشهدى مرغاب".

وبدأ الفرس يتجهون بأنظارهم إلى مصر ، ومن المحتمل أن الذى أنقذ مصر من الخطر هي وفاة الملك قورش في عام ٥٢٩ ق. م. أثناء حملة قام بها ضد قبائل البارث وهي إحدى القبائل البدوية في شمال بلاد فارس ، وكان قد ذهب إلى هناك لإخماد ثورة اندلعت في هذه المناطق فأصابه سهم قاتل.^(٣)

(١) ذكرت في التوراة باسم شوشن والآن تسمى شوش ، راجع : د. فليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ص ٢٤٠ حاشية (١) . عن هذه العاصمة موس وما تم فيها من حفائر ، راجع :

Ghirshman, Perse, p. 20, 48, 59, 70, 77, 81, 90, 129, 135, 138-140, 142, 144-145, 147, 156, 209, 214-215, 222-225, 236, 243, 249-250, 258, 260, 262, 264, 268, 283-284, 290-291, 293, 318, 326, 333, 339, 347-348, 353, 355, 357, 362 .

Id., op. cit., Fig. 186-189, 190-192, : وعن أهم آثارها ، راجع : 194- 195, 318, 348, 318, 348, 351, 545, 562 .

(٢) عن هذه العاصمة أكباتان وما تم فيها من حفائر ، راجع :

Ghirshman, Perse, p. 42, 80, 85-87, 94-95, 97, 138, 224, 229, 237, 250-252, 256, 261, 263-264, 266, 285, 295, 297, 322, 338, 346, 362.

Id., op. cit., Fig. 122, 124-125, 309-310, : وعن أهم آثارها ، راجع : 317, 326-328, 478, 548-557, 560.

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ : 120. Contenau, op. cit., p.

أما الحملة الثالثة فقد كان نصيبها للفشل أيضا ، وهناك أكثر الجيش لنقص المؤن ولم يتمكن من الوصول إلى عاصمة نبالا مروى فعاد مهزوما نحو الشمال .^(١) وكان فشل هذه الحملات الثلاث سببا في فقدان صوابه ، وصب جام غضبه على المصريين ومعتقداتهم .

وجاءت إلى مصر أنباء عن قيام ثورة في فارس فأمرع قمبيز للرحيل عنها للقضاء على من تزعم الثورة وكان يدعى " جوماتا " وكان قد استغل ملامح الشبه بينه وبين أخيه برديا وادعى أحقيته في الملك بعد أن قتل أخو قمبيز الحقيقي . وقد صدقته العديد من الولايات وبليعته بالحكم وكان ذلك في عام ٥٢٢ ق. م . ولكن هذا المدعى وجد من يقف في وجهه ، إذ اجتمع سبعة من النبلاء بزعامة دارا بن هيستابوس وقاوموه ، ولكن قمبيز توفي وهو في طريق عودته بالقرب من جبال الكرمل عام ٥٢٢ ق. م . وتضاربت الروايات في سبب وفاته ، فذكرت بعضها أنه انتحر عمدا وذكر البعض الآخر أنه مات متأثرا من جرح أحدثه بجسده فسي إحدى نوبات الصرع التي كانت تصيبه من حين لآخر .

دارا الأول (٥٢٢ - ٤٨٥ ق. م) :

تولى الحكم عقب المؤامرة التي أشرنا إليها ، واستطاع أن يقضى على المتآمرين والمغتصبين في مختلف أنحاء البلاد بعد مضي عام واحد من توليه الحكم . وحكم بإرادة قوية استطاع معها للتغلب على جميع المشكلات التي واجهته وأخذ يدعم أركان حكمه في داخل بلاد فارس ، ولكن كان عليه أن يواجه بعد قليل ثورة في عيلام ، فقد أعلن أحد الحكام في عيلام للتمرد على حكم دارا فأرسل إليه هذا الأخير جيشا وصل إلى سوس حيث قضى على المتمردين وتم للقضاء عليه . وفي بابل خرج شخص يدعى بخت نصر الثالث ابن نبيونيد ملك بابل السابق ورفع راية العصيان . فتوجه دارا إلى بابل على رأس جيش كبير وأنزل بالبابلين هزيمة نكراء . ثم أمر دارا أحد قواده بإخماد ثورة قامت بها عناصر من الميديين ، وبعد

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

ذلك هاجم بنفسه الميديين وانتصر عليهم وبعد ذلك أخذت الاضطرابات تتفاقم فى أيديا ولكن دارا قضى عليها . وبعد أن انتهى دارا من تثبيت أركان الأمن فى الممالك التابعة له . قام بضم عدة ولايات لمملكته إحداهما البنجاب والأخرى السند . وعندما كان فى الهند عمل على تشييد أسطول من السفن ، ثم استولى على آسيا الصغرى .

وجاء إلى مصر وحكم فيها وقام فيها بعدة إصلاحات .^(١) وترك الحاميات فيها وقد استغرقت عمليات دارا الحرية لإخضاع الممالك للثائرة عشرين رحلة . وترك من ورائه إمبراطورية ضخمة تضم عشرين إقليما كبيرا . وكان يطلق على كل إقليم اسم " ولاية " حيث كانت تربطها بالعاصمة فى فارس شبكة من طرق المواصلات .

ومما ساعد الملك دارا على تكوين هذه الإمبراطورية الشاسعة وبسط نفوذه المباشر على جميع ولاياتها ما أنشأ من طرق تربط أطراف بلاده ، ونظام البريد المنتظم بين العاصمة والمراكز الهامة فى جميع الولايات . وكانت أهم الواجبات الملقاة على عاتق كل والى هى إدارة ولايته وحفظ الأمن فيها ثم جمع الضرائب ، وكانت الجزية المقررة على كل ولاية هى مقدار معين من الفضة أو العملة .

وكانت ولاية الهند على رأس جميع الولايات فى كمية الجزية السنوية ، وتليها بابل وآشور ومصر ، ومما ساعد على تماسك الإمبراطورية تفشيد النقود المصكوكة فى عهد الملك دارا الأول . ومن الأمور الهامة التى حدثت فى عهد هذه الإمبراطورية هى محاولة إيجاد لغة واحدة من أجل التعامل التجارى ، فكانت اللغة الآرامية هى لغة التجارة كما كان الخط الآرامى مستخدماً إلى جانب الخط المعمارى الفارسمى الذى انتشر فى أرجاء الإمبراطورية .

لم يقتنع دارا بالعواصم التى اختارها خلفاؤه . واستقر رأيه على إنشاء عاصمة جديدة فى موطن قومه ، أى فى فارس . واختار العاصمة التى أطلق عليها

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٤٣١ .

الإغريق اسم " برسى بوليس " أى مدينة الفرس ، وهى نفسها البلد المعروف باسم " اصطخرا " أى الحصن .^(١) (وهى تحت جمشيد الحالية) وبدأ دارا فى تشييدها عام ٥٢٠ ق. م ، ولكنها لم تتم إلا فى عهد أرتكسركسيس الأول حوالى عام ٤٦٠ ق. م . وقد حُفرت فى حفائرها على آثار هامة كما ذكرنا من قبل .^(٢)

وقد سجل دارا انتصاراته فى النقش الشهير المعروف باسم " نقش بيستون - Bisutun " فى أحد الممرات الجبلية فى الطريق بين كرمشاه وهمدان .^(٣) ويقع على بعد ٣٠ كم شرق كرمشاه .

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٨٢ حاشية (٢) .

(٣) أمر الملوك الفرس بكتابة نقوش فى أماكن مختلفة من إيران . ويبلغ عدد النقوش المكتشفة حتى الآن سواء على الآثار المختلفة أو على أشياء أخرى أربعين نقشا . أهمها النقوش التى خلفها دارا الأول ، وأشهر هذه النقوش وأكثرها تفصيلا نقش بيستون الكبير الذى حفر أو نقش بثلاث لغات (أو كتابات) هى الفارسية القديمة والعلامية العتقة والبابلية (البعض يسميها الآشورية) . وكان أول من اهتم بنسخ هذا النص هنرى رولنسون أحد موظفى السلك الدبلوماسى البريطانى الذى جاء إلى بيستون عام ١٨٣٥ . وأخذ يصعد هذه الصخرة التى نقش عليها النص وهى على ارتفاع ١٣٠ أو ١٤٠ مترا وكاد يمرض حياته لأشد الأخطار . وكثيرا ما كان يشد نفسه بحبل وهو يقوم بنسخ كل حرف من حروف هذا النص بعناية . وبعد جهد دام لثنتى عشرة سنة كاملة فى عمل مقارنات بين ألفاظ ومفردات الكتابات الثلاث نجح فى ترجمة النصين العيلامى والبابلى عام ١٨٤٧ . وأرادت هيئة الجمعية الملكية للدراسات الآشورية فى لندن أن تتأكد مما توصل إليه رولنسون وغيره من العلماء من قراءات لهذا النص وغيره من الوثائق . أرسلت أربع نسخ من وثيقة مسمارية غير منشورة وغير معروفة إلى ثلاثة من علماء الآثار الآشورية وهم اليونز المستشرق فى جامعة السربون والأيرلندى

أما عن أسماء الولايات العشرين التي أخضعها دارا ، فهي :

| | | |
|--------------|-----------------|--------------------|
| (١) مصر | (٢) فلسطين | (٣) سوريا |
| (٤) هينيقيا | (٥) ليديا | (٦) فريجيا |
| (٧) أيونيا | (٨) كبادوكيا | (٩) كيليكيا |
| (١٠) أرمينيا | (١١) بابل وآشور | (١٢) بلاد الميديين |

== هينكس والمستشرق الإنجليزي تالبوت ونسخة إلى رولنسون نفسه، وطلبت إلى كل منهم على انفراد أن يعد ترجمة مستقلة عن الثلاثة الآخرين دون أن يتصل بهم أو يرسلهم أحد فلما جاءت الردود الأربعة وجدت كلها متفقة مع بعضها اتفاقا يكاد يكون تاما وذلك بعد ان شكلت هيئة الجمعية الملكية للدراسات الآشورية في لندن لجنة خماسية لدراستها وتبين بعد المقارنة ان التراجم الأربع متقاربة للنص الذي كان يخص الملك تيجلات بلاصر الأول، ونشر بعد ذلك النص الكامل لنقش بيستون بالكتابة البابلية عام ١٨٥١ . ولقب رولنسون بأبي الدراسات المسمارية . وتولت بعدها الدراسات من مختلف الدول الأوروبية ، وقد تبين للعلماء أن هذه الكتابات المسمارية الثلاث تضم حوالي ٥٠٠ علامة، وتبين أيضا أنها لم تكن مؤلفة من حروف هجائية بل من رموز مقطعية . راجع : حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ؛ د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٦٩ ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الغالد ، ص ١٩١ - ١٩٢ ؛ د. توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب أسية القديمة ، ص ٢٥ - ٢٦ ؛ نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ، الجزء الأول ، ص ٢٣٢ ؛ د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢١٩ ؛ د. بيومي مهري : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ١٤٥ حاشية (٢) ؛ د. شمعان خليفة : الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء ، ص ١٥ ؛ د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٣٢٢ ؛ د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ١٦ - ٢٠ . وانظر فيما سبق ، ص ٤٩ راجع فيما بعد ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

- (١٣) فارس
(١٤) القوقاز
(١٥) أفغانستان وبلوخيستان
(١٦) الهند
(١٧) بلاد الصفد
(١٨) بلاد اليخت
(١٩) مساجينا
(٢٠) ولاية تضم قبائل التركمان في أواسط آسيا .^(١)

ونقش بيستون عبارة عن صخرة تطل على الطريق التجارى القديم على مسافة مائة كم جنوب أكباتان وبالقرب منها دارت معركة كوندور والتي قضى فيها دارا على آخر خصومه .

وبيستون تعنى بالفارسية القديمة " باجا ستانا " أى مكان المعبود .

ويتكون النص الذى كتب بالفارسية القديمة من خمسة أعمدة تضم ٤١٤ سطرا . والنص العيلامى يتكون من ثلاثة أعمدة تضم ٢١٣ سطرا . والنص البابلى يتكون من ٢١٢ سطرا .^(٢) وفوق هذا النقش نقش بالحفر البارز منظر يمثّل المعبود اهورا مازدا بنصف أعلى (الجسم إنسان) يبرز من قرص مجنح^(٣) وأسفل صورة المعبود صور الملك وصور دارا واقفا وقدمه اليمنى فوق . جاوماتا مدعى العرش وأمامه الملوك المخادعين مكبلين .^(٤)

ويذكر دارا فى هذا النقش نسبه وأصله ثم يتحدث عن الاضطرابات التى نشبت فى بداية حكمه والحملات التى قام بها والحروب التى خاضها لإخماد تلك

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق : ٢١٩ - ٢٢٩ . وعن هذا النقش السهام

راجع : Ghirshman, Perse, p. 89, 234, 236, 269

وعن مناظر هذه النقوش ، راجع : Id., op. cit., Fig. 278, 282- 284

(٢) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٧ ، ١٩ .

(٣) صورة اهورا مازدا بهذه الهيئة على أكثر من أثر وعلى مجموعة من الاختام

الأسطوانية بمتحف اللوفر ، راجع : Parrot, Assur p. 167 Fig. 214. P.

208 Fig. 256, p. 209 Fig. 261.

(٤) Ghirshman, Perse, Proto - Iraniens, p. 229 Fig. 278, p. 235

Fig. 283.

الثورات ويتحدث عن الولايات العشرين التي أخضعها لحكمه . ويتحدث فى نهاية
النقش قائلا :

" إن الاضطرابات نشبت نتيجة ادعاءات كاذبة من بعض الأشخاص ، فقد
ادعى شخص فى كل ولاية انتسابه إلى العائلة الملكية وخدع الناس بذلك " .

وأنهى نقشه بهذه النصيحة :

" يا من ستتولى مقاليد الملك . احترم من الكذب بكل ما أوتيت من قوة .
وإن فكرت ماذا أفعل لكى أحافظ على مملكتى أقول لك . فتنس عن الكاذب واجتنبه ولا
تصادق الكاذب والظالم وجز رقابهما بالسيوف " .

ويدعو فى نهاية النقش إلى المحافظة على هذه الآثار وأن من يقومون
بحفظها يبلغون الناس بمضمونها .^(١)

ومن أشهر النقوش بعد هذا النقش نقش معروف باسم رستم^(٢) الذى يتحدث
دارا فيه عن أقصام بلاد فارس وحدودها فى ذلك الوقت . وفى نهاية حياته وقعت
الحرب بينه وبين اليونانيين وانهزم الجيش الفارسي فى معركة الماراثون ٤٨٦
ق. م .^(٣)

وقضى دارا بعد عام واحد أو أكثر من هذه الحرب أثناء استعداداته لحرب
جديدة أو جولة جديدة وكان يبلغ من العمر أربعة وستين عاما ، حكم خلالها ستة
وثلاثين عاما .

(١) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٢) نقش رستم هو مقبرة دارا الأول، راجع : Parrot, Assur, p. 200 Fig. 298

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق، ص ٢٣١ - ٤١١ د. فيليب حتى :
المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

ويقال إن الملك دارا ركز كل اهتمامه فى الانتقام من الآثينيين حتى أنه كلف
شخصا ليذكره بذلك كل صباح بقوله : " مولاي لا تنس الآثينيين " ، راجع :

حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٩ .

عثر للملك دارا في عام ١٩٧٢ على تمثال ضخيم من اللبوريث الأسود في بقايا العاصمة القديمة سوس وعثرت عليه للبعثة الفرنسية التي تعمل هناك منذ عام ١٩٠٠، وهو محفوظ الآن بمتحف طهران وهو تمثال مغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروغليفى يحدثنا فيها عن فترة حكمه لمصر وعن شعوب الإمبراطورية الفارسية التي أخضعها ونلاحظ ان اسم كل بلد كتب داخل خرطوش ملكى ، ومثل كل شعب من هذه الشعوب بشخص رافع فوق كل خرطوش ويرفع يديه إلى أعلى . ويلاحظ ان كل شخص اتخذ ملامح الشعب الذى يمثل . وتمثل كل شخص فى هذا الوضع رافعا يرافعا يديه إنما يرمز إلى خضوع الشعب الذى يمثل للملك (١).

أكسركسيس الأول (٤٨٥ - ٤٦٤ ق. م) :

كان أكسركسيس أثناء حكم دارا واليا على بابل طيلة إثني عشر عاما . وقد عينه أبوه دارا قبل وفاته ليخلفه فى حكم البلاد .

فاحتل العرش وكان أول عمل قام به هو إخماد الثورات التي كانت قد اندلعت فى مصر وفى غيرها . واتبع فى ذلك قسوة بالغة أعادت إلى الأدهان أسوأ أيام قمبيز .

وسار على الأسلوب نفسه فى إخماد ثورة قامت فى بابل ، وبلغ من غضبه أنه بعد انتصاره دك حصون المدينة ومعابدها ونهب ما فيها من تماثيل ذهبية ، وبلغ تخريب مدينة بابل إلى الحد الذى جعل أكثرها أكواما وخرائب ومنها زاقسورة بابل الشهيرة .

ولم يكن أكسركسيس الأول ميالا إلى الحروب بل كان ميالا إلى حياة الترف وإلى تشييد القصور والاستمتاع بأبهة الملك .

(١) Yoyotte, *Inscriptions Hieroglyphiques Egyptiennes de la statue Darius*, dans C. R. Academie des Inscriptions et Belles lettres, Paris (1973), p. 256 – 259; Id., dans *Journal Asiatique* (1972), p. 235 – 239 et p. 253 – 266.

ولكن ضغط الجماعات التي كانت تحيط به وتكره دائما بضرورة القضاء على قوة اليونانيين جعله ينشغل كثيرا بحملاته ضد اليونان . وبدأ في الاستعداد لحرب اليونانيين واستمرت هذه الاستعدادات للجولة الثانية ثلاث سنوات ، ومار على رأس جيش كبير لغزو بلاد اليونان عن طريق البر . وقد بنى له الفينيقيون في مدى سبعة أيام جسرا على البسفور عبرت عليه جيوشه .

وتم اختيار كبادوكيا الواقعة في آسيا الصغرى مكانا لتجمع كل الجيوش الفارسية . ومن المحتمل أن عدد جيش اكسركسيس الأول من قوات برية وبحرية بلغ حوالي ٣٥٠ ألف جندي .

وكان له في البحر ١٢٠٠ سفينة حربية و ٣٠٠٠ سفينة نقل وحملة مؤن (قد يكون في هذه الأعداد الهائلة نوع من المبالغة التي تقتضيه الأخبار الحربية) وتحرك الجيش في شكل فرق صغيرة من آسيا الصغرى حتى بلاد اليونان ووصل أخيرا إلى أثينا واستولى عليها .. ولكن هذا الحدث لم يضع نهاية للحرب إذ تعرض الجيش الفارسي لهزيمة كبيرة في معركة سلاميس البحرية في عام ٤٨٠ ق.م .^(١)

(١) كان الأسطول الفينيقي عماد البحرية الفارسية في هجومها على اليونان ، ويبدو أن الفينيقيين رحبوا بفرصة ضرب منافسيهم اليونانيين في مراكزهم التجارية التي أنشأوها في البحر المتوسط، لذلك قدموا ٢٠٧ سفينة . كما نجح الفينيقيون في حفر قناة في المضيق الذي يقع بين جبل أثوس والبر واصلوا على أن يكون عرض سطح القناة مساويا لعرض قاعها لتجنب العواصف حول اثوس ، مما يدل على مهارتهم ، كما أنهم اشتركوا في بناء الجسر الخشبي القائم على مراكب والذي عبرت عليه جيوش اكسركسيس الأول فوق الدردنيل إلى الشاطئ الأوروبي . وبذلك يكونوا أول من استخدم الكبساري العائمة في الحروب . ولكن على الرغم من كل ذلك فقد دمر الأسطول الفارسي كله في معركة سلاميس البحرية عام ٤٨٠ ق.م ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص ٢٤٦ ؛ المؤلف نفسه : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور لتاريخية ، ص ١٨٨ ؛ د. أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٣١ - ٦٣٩ .

وحطم الأسطول الفارسي ، مما اضطر الجيش الفارسي إلى الانسحاب شمالا . وبعد ذلك أخذ اكسركسيس الأول يعد العدة لحملة أخرى . وتقابلت القسوات الفارسية بقيادة ماردونيوس مع الجيش اليوناني في معركة بلاتيا ، وانتصر اليونانيون في هذه المعركة أيضا . وكان ذلك بفضل شجاعة الجنود الأسبرطيين ولقد كانت معركة بلاتيا " سياتيرون " مع معركة سلاميس من المعارك الحاسمة في التاريخ . وبعد أن قتل ماردونيوس في معركة بلاتيا ، تولى قيادة جيش الفرس بعده ارتابازوس على رأس قوة بلغت ١٠٤ ألف من المقاتلين . وبدأ هذا الأخير في العودة إلى هلمس بونت .

وعاد اكسركسيس الأول إلى عاصمة ملكه وفي نفسه مرارة من عدم تمكنه من القضاء على قوة اليونانيين ولم يستأنف حملاته الحربية ضد اليونانيين بعد ذلك . بل انصرف إلى إقامة العماثر وتجميل عواصم مملكته وبخاصة برمسي بوليس (اصطخرأ) وسوس . ويمكن اعتباره آخر ملوك الأسرة الأخمينية الأقوياء .

وفي هذه الفترة قتل الحاكم فراندتس في مصر . وعين اكسركسيس الأول اخمينس بدلا منه .

وفي عصر اكسركسيس الأول ثار يهود أورشليم ، وتحركت قوات اكسركسيس إلى فلسطين لإخماد ثورتهم .

ارتاكسركسيس الأول (٤٦٤ - ٤٢٤ ق.م) :

في عام ٤٦٤ ق.م . تولى الحكم - ارتاكسركسيس الأول - وهو الابن الثاني لأكسركسيس الأول . وكان عليه أن يواجه الثورات التي اندلعت في مصر بزعماء أناروس وأميرتي الذي استطاع أن يحصل على العون من أثينا . ونجح المصريون في هزيمة الجيش الفارسي بفضل معاهدة المرتزقة اليونانيين والأسطول اليوناني . ولكن ارتاكسركسيس الأول أرسل حاكما جديدا إلى مصر هو ارسامس ومعه قوات كبيرة من سفن فينيقية وعتاد وأسر أناروس واصططحبه إلى سوس وحكم

عليه بالإعدام وهزم أسطول الإمدادات اليوناني بواسطة البحارة الفينيقيين وانسحب أميرتي إلى الدلتا . وسقطت بقية مصر من جديد تحت قبضة الفرس .

دارا الثاني (٤٢٤ - ٤٠٤ ق.م) :

تولى الحكم في عام ٤٢٤ ق.م ، وتوج ملكا على مصر . وحاول أن يطبق سياسة أكثر مرونة تجاه المصريين . وبموت دارا الثاني تنقسمت مصر الحرة وبعد عشرين سنة أي عام ٤٠٤ ق.م . نالت مصر استقلالها .

ارتاكسر كسيس الثاني (٤٠٤ - ٣٥٩ ق.م) :

في مستهل حكمه للبلاد تعرض لمحاولة فاشلة للاغتيال إذ قام أخوه الأصغر ، وكان يسمى قورش الصغير ، بقطعنه بخنجر أثناء الاحتفال بتتويجه في المعبد في مدينة بازار جاده . ولكنه عفا عنه أمام توسلات أمه ، بل وزاد عفوه بتعيينه واليا على آسيا الصغرى وقائدا عاما للجيوش الفارسية هناك . ولكن قورش لم يقابل هذا العطف بما يستحقه بل لم يمض عليه وقت طويل حتى جدد عصيانه وأعلن الثورة على أخيه وقاد جيشا وزحف به على فارس لخلع أخيه عن العرش . وضم إلى هذا الجيش مرتزقة من الإغريق . وكان عددهم عشرة آلاف جندي يوناني . وتقابل الجيشان في كوناكسا على مقربة من بابل . وهناك تبارز الأخوان واستطاع قورش أن يجرح أخاه ولكن ارتاكسر كسيس قضى عليه بضربة رمح فانهزمت جيوشه . ولم يحاول المرتزقة الإغريق مساعدة قورش الصغير . وقد سمح الفرس لهؤلاء الجنود المرتزقة أن يعودوا إلى بلادهم ففضلوا العودة عن طريق غير الطريق الذي سلكوه عند حضورهم مجتازين بلادا لا يعرفونها وكان يقودهم عند العودة كليرخوس وأرسل ملك الفرس معهم قلندا فارسيا لمراقبتهم أثناء العودة حتى يستركوا حدود البلاد الفارسية . وأثناء العودة اقترح القائد الفارسي تسماسفيرنوس على قائد المرتزقة الإغريق كليرخوس عقد مؤتمر يحضره جميع الضباط الإغريق . وكانت مؤامرة استطاع خلالها كليرخوس تنفيذها وقتل جميع الضباط الإغريق . ولكن الجنود المرتزقة انتخبوا واحدا منهم وهو زينوفون ليكون قلندا لهم وكان زينوفون

قائدا وكاتباً ، درس على أيدي سقراط .^(١) وأعيد هؤلاء المرتزقة اليونانيين إلى اليونان بفضل قيادة زينوفون ، ويسمى هذا باتسحاب العشرة آلاف . وقد نجح في مهمته وعادوا إلى أوطانهم . وقد وصلت إلينا جميع هذه التفاصيل من الكتاب الذى كتبه زينوفون بعد عودته ، وهو مصدر عام أيضا لدراسة بلاد المنطقة من الناحية الجغرافية كما أنه مصدر هام كذلك لمعرفة الشعوب التى كانت تسكن تلك المناطق فى القرن الخامس قبل الميلاد .^(٢)

ومن الطريف أن زينوفون مر على أنقاض مدينة نينوى دون أن يلاحظ شيئا يدونه لأنها كانت قد خربت قبل ذلك بحوالى مائتى عام ، ويبدو أن التخريب كان كاملا . ولما وصل الجيش إلى منطقة تسمى " زاخوا " ذكر زينوفون أنه كان يسكن هناك قوم أطلق عليهم اسم الكردوجيين وهم الأكراد ، ويصفهم بأنهم قوم أشداء محبوبون للقتال : " يعيشون فى الجبال ولا يطيعون الملك " .

وعندما لاج للجنود الإغريق البحر الأسود من بعيد ورأوا مياهه أخذوا يصيحون جميعا " البحر ، البحر " وأخذوا يعانقون بعضهم البعض وقد اغرورقت عيونهم بالدموع . وفكر أرتاكسر كسيس الثانى فى غزو قبرص ومصر .

وبدأ يعد العدة لغزو قبرص ويعد أن تم له غزو قبرص ، بدأ يوجه أنظاره إلى مصر لاستمادة سيطرة الفرس عليها . وعندما تقدم الجيش الفارسمى لمحاصرة منف لم يستطع الاستيلاء عليها ونجت مصر للمرة الثانية من سيطرة الفرس ، كما حدث أيام هكر (اخوريس) عندما هاجم الفرس إقليم سيود فى شرقى النلتا واضطروا إلى الانسحاب .

(١) Barraclough, Atlas of World History 1984, p. 333.

(٢) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

أرتاكسركسيس الثالث (٣٥٩ - ٣٣٨ ق.م) :

وكان على شئ من الحنكة السياسية ولكنه كان قاسيا إذ نجد أن أول عمل قام به عند توليه للعرش ، هو قتل جميع أخوته الذكور والإناث على حد سواء ^(١) ثم اتجه بعد ذلك إلى إخماد الثورات وحاول استعادة مصر وجاء لغزوها عام ٣٥١ ق.م . ولكنه فشل . وبعد هذا فشل الفارسي قامت الثورات ضد الاحتلال الفارسي في كل مكان في فينيقيا وكبرص . وتقدم الملك الفارسي على رأس جيش يقدر عدده بحوالى ثلاثمائة ألف مقاتل وقضى على الثورة في حينها قضاء نهائيا .

وفي عام ٣٤١ ق.م . بدأ يفكر مرة أخرى في غزو مصر من جديد ونجح في غزوها . ونفى بعض الأمراء المصريين إلى بلاد فارس وعاد أرتاكسركسيس الثالث إلى بلاده بعد أن أسس أسرة فارسية في مصر للمرة الثانية هو وخليفته ارسس (٣٣٨ - ٣٣٥ ق.م) ودارا الثالث - قودمان (٣٣٥ - ٣٢٥ ق.م) .

لم يتقبل المصريون هذا الوضع . وبدأت الثورات تتعرج في كل مكان وكان أهمها تلك التي تزعمها أمير وطني من الدلتا والذي ظهر في حوالى عام ٣٣٦ ق.م ، وأعلن نفسه ملكا وتلقب بالانقلاب الملكية وهو خباباشا . ولم ينجح خباباشا في تحرير مصر من قبضة الفرس . ولم يتمكن من قهر الأسطول الفارسي ، وتوج دارا الثالث ملكا على مصر عام ٣٣٤ ق.م .

ومنذ عام ٣٣٨ ظهرت مقدونيا ، مقدونيا جديدة تريد السيطرة على العالم القديم . ففي هذه الفترة كان فيليب الأول ملك مقدونيا (٣٥٦ - ٣٣٦ ق.م) قد أعاد تنظيم الدولة المقدونية وأعد جيشا قويا كان الغرض منه الانتقام من الحملات التي شنّها الفرس ضد اليونانيين وحتى لا يتدخل الفرس في شئون اليونان مرة أخرى . وجاء من بعده ولده الإسكندر الأكبر الذي حافظ على نفس القوة العسكرية وقام بإعداد

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ، عن ملوك الفترة الأخيرة من الأسرة الأخمينية ، راجع : حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ١١١ - ١١٩ ، ١٢١ - ١٢٨ - ١٣١ - ١٣٩ .

جيشاً قوامه أربعين ألف مقاتل من المقدونيين واليونانيين وعبر الإسكندر بوجاز الدرنيل في ربيع عام ٣٣٤ ق. م . ودخل آسيا الصغرى . وحدثت المعركة الأولى مع الجيش الفارسي على شاطئ نهر كراتيك . وكان الجيش الفارسي يتكون آنذاك من عشرين ألف مقاتل ومثلهم من المرتزقة اليونانيين . وبعد أن استولى الإسكندر على آسيا الصغرى اتجه إلى سوريا واستعد دارا الثالث للقاء الإسكندر الأكبر في إسوس عام ٣٣٤ ق. م . ولكن الإسكندر الأكبر نجح في هزيمة دارا الثالث - قودمان في معركة إسوس شمال الإسكندرونة في عام ٣٣٣ ق. م . وفر دارا الثالث ونزل الإسكندر بعدها إلى غزة وأصبحت أبواب مصر مفتوحة أمامه . وفي نهاية عام ٣٣٢ ق. م . سار نحو مصر والتي سارع آخر موظفي الفرس بالرحيل عنها ، واستلم الحاكم الفارسي سابلس . وكان الإسكندر يهدف من وراء دخوله مصر أن يربطها هي ومقدونيا واليونان وآسيا الصغرى وسوريا بإمبراطورية كبيرة تطل على البحر المتوسط .

وكان يهدف إلى فرض حصار على الفرس ولذلك خطط للاستيلاء على الأراضي الواقعة شرق دجلة والفرات، وكان من الطبيعي أن يصطدم الجيشان من جديد . ففي عام ٣٣١ ق. م . تقابل الجيشان في جوجامله ^(١) بالقرب من نينوى وهزم الفرس للمرة الثانية . وبعدها تابع الإسكندر مسيرته وراء دارا الثالث حتى اربل ، وبعد ذلك ذهب إلى بابل ودخلها واستولى على تمثال المعبود

(١) الواقعة على نهر بومردوس . وكان جيش دارا يضم مرتزقة من اليونان ، وجنود من الهند ومعهم بعض الأفيال ، وبعض الكاريين ، ووحدات بابلية ، وبعض المحاربين من شواطئ الخليج العربي ، وآخرين ممن كانوا يقيمون في شرق ميوس ، وفرمان من السكيثيين والبارثيين والميديين ، وما حدث في إسوس تكرر وقوعه في جوجامله ، فقد فر الملك دارا وتبعه بقية الفرس وسحبوا في فرارهم قوات المؤخرة ، ووقع في ساحة القتال ستون من رقاء الإسكندر ، ولكن كان النصر مرة أخرى من نصيب الإسكندر ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٧٦ - ٦٨٠ .

ماردوك وأمر بتعمير المدينة التي كان قد خربها اكسركسيس الأول ، ونخل بعدها مدينة سوس واستولى على كميات كبيرة من الذهب وتوجه منها إلى برسى بوليس (اصطخرا وهي تخت جمشيد الحالية) ويزار جلدة (مشهد مرغاب الحالية) عن طريق بهبهان . وبعد دخول الإسكندر برسى بوليس أصبحت بلاد فارس تحت سيطرة الإسكندر . وعندما توفي في مدينة بابل عام ٣٢٣ ق.م . كان غزو كل مناطق الإمبراطورية الفارسية قد تم كلية منذ عامين أي منذ عام ٣٢٥ ق.م .

• لم تعمر دولة الفرس الأخمينيين إلا أقل من قرنين ، حتى قضى عليها الإسكندر ولكن انتصاره لم يؤد إلى زوال مدينة برسى بوليس بل احتفظت بالكثير من عناصرها . وعندما قضى الإسكندر على إمبراطورية الفرس في عشر سنوات حوالى عام ٣٢٥ ق.م . وحولها إلى ولاية إغريقية عرفت فيما بعد باسم سلوقيا نسبة إلى القائد الإغريقى الذى كان حاكما عليها بعد وفاة الإسكندر . ولكن فرع من الفرس عرف باسم البارثيون نجح فى تقوية دعائم سلوقيا واستمروا فترة طويلة يحكمون البلاد كأمرأء إقطاع حتى نجح أحدهم وهو بابك بن ساسان فى توحيد إيران مرة أخرى ، وتأسيس مملكة الساسان التى كانت عاصمتها طيسفون (المدائن) فى بلاد النهرين . ولقتهت دولة الفرس الساسان بالفتح الإسلامى عند منتصف القرن السابع الميلادى تقريبا (٦٥١ أو ٦٥٢ ميلادية) .

بعد هزيمة الفرس فى معركة نهاوند عام ٦١ هـ التى عرفت بفتح الفتوح لأنه لم تقع بعدها معارك كبيرة فى بلاد فارس وقد لقى النعمان بن مقرن ربه شهيدا فى هذه المعركة الحاسمة .^(١)

إيران القديم وعلاقاته الخارجية :

ارتبط تاريخ إيران بالصراع الدائم بينها وبين دويلات وإمبراطوريات العراق القديم من ناحية وبين الشعوب البعيدة من ناحية أخرى .

(١) د. محمد عبد القادر : المرجع السابق ، ص ٦ ، ١٩٨ - ١٩٩ .

ومنذ البداية تحدثنا عن تاريخ عيلام والصراع بين السومريين والأكديين والعيلاميين وانقرض دولة السومريين على يد العيلاميين^(١) ، ثم ازدياد قوة الآشوريين وحروب آشور وعيلام وآشور بانيبال وسقوط عيلام^(٢).

ثم جاءت فترة حكم الملوك الميديين وبعد ذلك اصطدام الميديون بدولة الليديين وهي مملكة تقع في الطرف الغربي من آسيا الصغرى^(٣) . ولم يمض وقت طويل حتى دخلت الدولتان في حرب معا . وكان الجيش الميدي أكثر عدة من الجيش الليدي ولكن الجنود المرتزقة اليونانيين كانوا على درجة كبيرة من التدريب وكانوا ضمن القوات الليدية . ولهذا امتدت الحرب ست سنوات دون إحراز أى تقدم ، حتى تدخل الملك البابلي بخت نصر للفصل بين الطرفين وتزوج ملك الميديين ابنة ملك ليديا المسماه " اريئيس " عام ٥٨٥ ق.م .

تولى عرش مملكة فارس - قورش الثاني - في عام ٥٥٨ ق.م . وبعد مرور خمسة أعوام ثار ضد الملك قورش " استياج " ملك الميديين ولكن قورش هزمه في عام ٥٥٠ ق.م . واستولى على عاصمته أكتاتان ، فقد كان قورش محاربا عظيما . وفي عام ٥٤٦ ق.م . هاجم كرويسوس ملك ليديا الذي كان متحالفا مع الملك المصري اماليس ، ومارس تجاه ليديا وغزا آسيا الصغرى بعد معركة - بتريا - واستولى على عاصمة ملك الليديين ، ملارد . وابتداء من عام ٥٤٥ إلى عام ٥٣٩ ق.م . غزا عدة بلاد وممالك وبعد ذلك اتجه إلى بابل وبعد معركة في أوفيس في شمال بغداد وصل قورش إلى بابل^(٤) واستولى عليها بسهولة على الرغم من أسوارها الثلاثة التي كانت تحيط بها ويقال أنه هو الذي حرر اليهود وسمح لهم بالعودة إلى اورشليم وتشييد الهيكل المزعوم (٤) .

(١) حصن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ن ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٧ - ٨٢ .

لم يكن لدى الملك المصري للقوات الكافية لكي يساعد حلفاءه ، وأحسن هو نفسه بالخطر ، وبدأ الفرس يتجهون بأنظارهم نحو مصر ، ومن المحتمل أن الذى أنقذ مصر من للخطر هو وفاة قورش فى عام ٥٢٩ ق.م (١) ، عندما كان يحارب ضد القبائل القواريين وطبقا لأقوال هيرودوت فإن مصر كانت آمنة والأوضاع الداخلية مستقرة تحت حكم أمازيس . وتوفى أمازيس فى عام ٥٢٥ ق.م . وكان الشعور العام السائد هو أن الفرس سوف يجتاحون عن قريب شرق الدلتا وبالفعل بعد وفاته بعبئة أشهر غزا قمبيز مصر .

جاء بعد ذلك بسماتيك الثالث الذى توج على العرش فى الوقت المناسب لكي يحاول أن يوقف الغزو المرتقب الذى لا يمكن تجنبه بقيادة قمبيز خليفة قورش . وبعد قليل من توليه العرش ، هاجمه قمبيز وقد خانه فانس وهو أحد قواد الجنود المرتزقة اليونانيين وهزم الجيش المصرى فى بلوزيوم (تل الفرما) وسقطت منف ، بعد أن قاوم المصريون بقوة . وكانت هذه الهزيمة كفيلا بتقويض مصير مصر . وترك بعض اليونانيين خدمة الملك المصرى وانضموا إلى معسكر قمبيز وعزل بسماتيك الثالث عن العرش وحكم عليه بالموت ، وتوج قمبيز ملكا على مصر . وخضع له الليبيون وأهل برقة وأصبحت مصر مقاطعة فارسية . وهكذا خضعت مصر للفرس كما خضعت غيرها من ولايات الشرق القديم .

إيران القديم وعلاقته بمصر :

لم تحدثنا الوثائق المصرية فى عصر الدولة الحديثة بالذات عن بلاد فارس ، فقد حارب المصريون كما نعلم حتى وصلوا فى عهد الملك تحوتمس الأول والثالث حتى حدود العراق ، ولكن لم يحاربوا الفرس ، لأنه فى الواقع لم تكن لهم علاقة مباشرة بالفرس أو الميديين وسوف نخطئ إذا قدرنا أن المصريين لم تكن لديهم فكرة عن هذه الشعوب ، أو أنهم لم يدخلوا فى علاقات معهم ، فقد كان المصريون يتجولون أكثر مما نعتقد .

(١) حسن بيرنيا : للمرجع السابق ، ص ٨٥ .

تكوين أسيرة مصرية للمرة الأولى في مصر (٥٢٥ - ٤٠٥ ق. م) (الأسيرة

السابعة والعشرون) (١) :

أهم أعمال ملوكها :

مسموت وع - قمبيز (كمبيث) (٢) (كموجيه) :

كان أحد القوات اليونانيين من جيش أمازيس قد فر إلى قمبيز ويدعى فانس وهو أحد قواد الجنود المرتزقة اليونانيين الذين كانوا يعملون في صفوف الجيش المصري . وأخذ يغريه بمهاجمة مصر ورسم له الخطة ودله على مواطن الضعف في استحكامات البلاد . ولم تطل حياة الملك المصري أمازيس ليرى هذا السهوان إذ مات في العام الذي قرر فيه قمبيز مهاجمة مصر . فسلر الجيش تحت قيادة اليوناني الخائن . فكانت أول معركة تقابل فيها جيش قمبيز مع جيش مصر عند بلوزيوم " تل فرما " وبالرغم من استئصال المصريين والمرتزقة اليونانيين الذين كانوا يحاربون في صفوف الجيش المصري ، وعلى الرغم من حسن دفاعهم تغلبت عليهم جيوش الفرس . وقد مهد القائد البحري وقائد الأسطول المصري " وجاهر رسنت " السبيل للفرس للاستيلاء على مدينة سايس في غرب الدلتا . ثم حوصرت هليوبوليس حتى استسلمت وارتد الجيش المصري إلى منف وتحصن فيها فتبعته جيوش الفرس إلى هناك وكان الملك المصري بسماتيك الثالث قد فر إلى منف ليمتصم فيها . وظهر مدى ضعف الجيش المصري ولم يستطع الدفاع عن المدينة ، واستولى عليها قمبيز . وذكر هيرودوت أنه عامل بسماتيك الثالث معاملة طيبة في أول الأمر وأطلق سراحه وأبقى على رأس الحكم ولكن بسماتيك الثالث حاول القيام بتمرد ضد الغزاة وأن يشير

(١) عن حكم هذه الأسرة في مصر ، راجع : د. رمضان السيد : المرجع السابق ،

ص ٢٨٧ - ٢٩٥ .

(٢) عن كتابة أسماء الملوك للفرس بالمصرية ، راجع : Posener, la Premiere

Domination Perse (BdE 11), le Caire 1936, p. 161-163.

الشعور العام ضد الفرس ولكن الثورة فشلت فقبض عليه وأرغم على الانتحار أو تولى .

ويبدأ مانيتون تاريخ هذه الأسرة بعام ٥٢٥ ق. م ، أى فى اللحظة التى توج فيها قمبىز - ملك الفرس - ملكا على مصر .

وتكونت بذلك الأسرة السابعة والعشرون من ملوك الفرس . وقبل هذه الفترة ، كان المصريون يتمتعون برخاء عظيم ، وذلك خلال فترة النهضة التى عاصروها وساهموا فى بنائها خلال الأسرة السادسة والعشرين ، وكانوا واثقين من ثقتهم فى جميع المجالات حتى أنهم أصيبوا واختلط الأمر عليهم عندما غزاها الفرس وقد رفضوا أن يعدوا أنفسهم تحت سيطرة ملك أجنبى ، ولكنهم أعلنوا أن قمبىز ملك من اختيارهم وهو بذلك ملك شرعى . وقد تمسكوا بأن يتوجوه . ملكا للوجهين القبلى والبحرى ، وأطلقوا عليه الاسم الحورى والنبتى أى المنتمى إلى المعبودتين ' نخبت وواجيت ' وسارع أى ابن رع . واتفقوا عليه بكل الألقاب الأخرى المتوارثة والخاصة بالملوك المصريين السابقين ، ومنحوه أيضا اسما مصرياً - مسوت رع - ' ميلاد رع أى المولود من رع ' وحرصوا على أن يصوروه وهو يعتمد إلى المعبودات المصرية الرئيسية .^(١)

وتأثر قمبىز كثيرا بثراء وثقافة هذا البلد العريق وشعر بنوع من الفخر وهو يرى نفسه متوجا كملك على الطريقة المصرية . ونرى فى هذا أن - صبيت مصر - الذى كان معروفا فى كافة أنحاء العالم القديم كمهد للحضارة - قد عاش على الرغم من كل الكوارث التى حلت بها ، وقد احترم قمبىز معتقدات المصريين .

(١) فقد صور الملك قمبىز على لوحة للمجل أيبس كملك مصرى ، راجع :

Posener, op. cit., p. 5 - 6 pl. 3 . كما صور الملك دارا الأول على

واجهة ناووس (مقصورة) ملون من الخشب عثر عليه فى تونا الجبل داخل

السردين الثالث ، ونرى على الواجهة الملك فى مظهر مزدوج وهو يرتدى تاج

الوجهين ويقدم بيده اليسرى العين وجلت إلى مومياء قرد داخل ناووس مغلق ،

راجع : محمد عبد القواب - د. حشمت مسيحه : دليل متحف آثار ملوى ، الهيئة

العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٣ ، ص ٣٢ - ٣٣ لوحة رقم (٢٢) .

وكان قمبيز أبعد ما يكون من أن يفكر في نهب البلاد ، فبعد أن تحقق لسه غزو مصر حاول الحد من أساليب الملب والنهب التي تتبعها الجيش الفارسي والتي قاست منها البلاد . ومن المؤكد أن استيلاء الفرس على البلاد لم يمر هكذا بسهولة وسلام إذ أن نار الحمية الوطنية المغلوبة على أمرها لم تحب تملأ تحت الرماد ، فقد قامت الثورات في بعض الأجزاء . ويؤكد ذلك الوثائق المحلية والمعابد التي أقام فيها الأجانب وتركوا آثار الحريق فيها .

وقد شاهد سترابون أيضا كثير من الآثار في عين شمس خاصة - التي كانت تحمل آثار حرائق الفرس في المقاصير . وتؤكد البرديات الآرامية التي عثر عليها في القرنين هذه المعلومات عن المقاومة . وهكذا أصبح التاج المصري من الآن جزءا من الإمبراطورية الفارسية وأصبحت العاصمة منف بعد أن كانت مدينة سليمان في الأسرة السابقة . وأراد قمبيز أن يستولى على الواحات تمهيدا لغزو قرطاجنة . فأمر بإرسال جيشا يتكون من خمسين ألف جندي عبر الصحراء الليبية لكى يحتل الواحات ولكى يحطم معبد آمون في واحة سيوة .

فقد كان لواحة سيوة في ذلك مكانة خاصة لأنها كانت مركز نبوة اشتهرت بصدق ما يصدر عن كهنة معبد آمون ، وكانت شعوب العالم القديم تؤمن في هذه الفترة إيمانا شديدا بنبؤات الوحي التي تصدر من بعض المعابد الكبرى ، ومن بينها نبوة معبد آمون في سيوة ، الذي كان يأتي إليه بعض الزوار من بلاد اليونان . وكان الإغريق يتقنون ثقة كبيرة في نبوة وحي آمون . فلما سأل الزوار من بلاد اليونان كهنة آمون في سيوة عن قمبيز وغزو الفرس لمصر ، فجاء الجواب بموء المصير لقمبيز وفتوحاته وبأن الفرس سوف يرحلون وأن قمبيز سوف يلقى سوء المصير ، ولهذا السبب أرسل قمبيز جيشه للانتقام من كهنة هذا المعبد ولهدمه وتلقيح هؤلاء الكهنة درسا قاسيا ويثبت للعالم أجمع عدم صدق هذه النبوة ، فأرسل إليهم تلك الحملة لتدمير المعبد وأسر كهنته وخرجت الحملة من طيبة ووصلت إلى الواحات الخارجية وأخذت ما يلزمها من مؤن وأدلاء ، وغادرت الخارجة في طريقها إلى سيوة ولكن لم يصل جندي واحد إلى سيوة أو يعد منها إلى الخارجة .

ويقص علينا هيرودوت قصة هذه الحملة ويقول أن عدد جنودها كان خمسون ألفا (ربما كان هذا العدد مبالغ فيه بعض الشيء) . وكان هيرودوت قد زار مصر بعد خمسة وسبعين عاما تقريبا من هذا الحدث . ويزيد قائلا أن كهنة آمون في سيوة سئلوا فيما بعد ذلك عن مصير هذا الجيش فقالوا أن المعبود آمون انتقم من أعدائه وأرسل عليهم لعنته وغضبه وانتقامه . فبينما كان هذا الجيش فى منتصف الطريق هبت عليه عاصفة رملية شديدة ردمته ودفنته جميعا . وما يزال مصير هذا الجيش سرا من أسرار الصحراء الغربية حتى الآن . وقد حاول الكثيرون فى عصرنا للحاضر البحث عن آثاره مستخدمين كل المعدات والوسائل الحديثة ولكن دون جدوى . وهو ما زال دفينا تحت ركام الرمال المتلاحقة والمتراكمة عبر آلاف السنين . ويمكن القول بأن هذه الحملة قد تعرضت لكثير من المصاعب بسبب قسوة الصحراء فيما بين الواحة الخارجة وسيوة ^(١).

وكان قميز يفكر فى حملة ثانية على قرطاجة تلك المملكة التجارية الشهيرة والتي كانت تتمتع بالثراء المادى وبعد أن أصيب بالفشل وهلك معظم جنوده فى حملته الأولى على معبد الوحي فى سيوة ، رفض البحارة الفينيقيون فى أسطوله الاتجاه إلى غزو قرطاجة التى أسمها أبناء جلدتهم وأهلهم من بنى جنسهم من الفينيقيين وكان الفينيقيون من أهل قرطاجة قد رفضوا إمداد قميز بالسفن لضمها إلى أسطوله .

ولما رفض الفينيقيون فى أسطول قميز مهاجمة قرطاجة حاول إرضائهم بالعدول عن فكرة مهاجمة قرطاجة نظير قيامهم بتأدية ما عليهم من التزامات نحو جيشه ووقوفهم معه والوفاء له .

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٤٣٤ ؛ المؤلف نفسه : واحات مصر (ترجمة د. جاب الله على) ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، ١٩٩٣ ، ص ١١٠ - ١١١ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

أما الحملة الثالثة فقد كان نصيبها القشل أيضا . فقد قاد قمبيز بنفسه الجيش^(١) ، وصعد النيل بغرض ضم مملكة نيلسا الكبيرة (كوش) (السودان وإثيوبيا) والتي خرج منها ملوك الأسرة الخامسة والعشرين وكان ذلك في عام ٥٢٤ ق. م . وكان يطمع في ثروات هذه المملكة من ذهب وغيره . ولكن حلت المتاعب بهذه الحملة أيضا بسبب نقص المؤن ولأن الكوشيين انسحبوا نحو الجنوب فلاحى الجيش الفارسي (أموالا كثيرة) ولم يتمكن من الوصول إلى مروي وقد الكثير من رجالها بسبب صعوبة الطريق وقلة اللزاد والظما مما اضطر قمبيز إلى العنول عن مشروعه هذا . وربما أصيب بهزيمة كبيرة على أيدي ملوك نباتا أو عناصر موالية لهم .

وبعد هذه الحملات الثلاث الفاشلة ، غير قمبيز من سياسته تجاه مصر والمصريين ، وبدأ يفقد صوابه ، كما بدأت في مصر بولدر العصيان لأوامره والاستخفاف بحكمه فعدل عن سياسة التساهل والتسامح وأخذ يصب جام غضبه على المصريين . وتقص علينا الروايات التي انتشرت فيما بعد في العصور التالية ، مدى القسوة التي عامل بها المصريون ، وينسب هيرودوت هذه القسوة إلى قمبيز نفسه ويبد أن ذلك قد بنى على حقيقة مؤكدة ، ومن المحتمل أيضا أن الملك الفارسي كان مستولا عن بعض هذه الأعمال ، على الرغم من أن الأمر لم يكن كذلك في بداية حكمه . ويقال أنه أصيب بلوثة عقلية^(٢) . وذلك ما يبرر إلى حد ما مثل هذه التصرفات القاسية . فقد كره للمصريين واحترق معبوداتهم الدينية وهدم الكثير من المعابد بل ووصل به الأمر كما ذكر المؤرخون اليونان إلى أنه طعن بخنجره المجل أبيس المقدس أثناء أحد الاحتفالات الدينية في منف لكي يبين إلى أى مدى كان يكره

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٤٣٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع

السابق ، ص ٢٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

عبادة الحيوانات ، على أنه بهذا التصرف ظهر بمظهر المتعصب أكثر من أن يكون مختل العقل .

وكان يقيم في الثنتين في ذلك الحين عدد كبير من المرتقة اليهود^(١) ويقص علينا - وجاحرر سنت - كيف كانت سيااسة قمبيز معتدلة في بداية حكمه - وعمل قائد الأسطول ' وجاحرر سنت ' على إظهار عظمة مدينة سايس للملك الفارسي .^(٢) وقد شكوا لجلالته عن إقامة الأجانب في معبد المعبودة نيت معبودة سايس ، فأصدر جلالته الأوامر بإخلاء المعبد منهم ، كما أمر جلالته بهدم منازل المرتقة من جيوش الفرس والتي أقاموها بجوار المعبد . وأعيد إلى المعبد مظهره وأعاد كل موظفيه وكهنته وخدمه ، وجدد أعياده واحتفالاته . وزار قمبيز بنفسه مدينة سايس ودخل المعبد وأدى الطقوس إلى المعبودة نيت . وقدم القرابين كما كان يقدمها إلى الملوك السابقين .

ووصلت إلينا بعض البرديات الديمقراطية - من إقليم أسيوط منها ما يشير إلى أنه في السنة الثامنة من حكم قمبيز ، كانت هناك قوائم بكميات من النبيذ والزيوت مخصصة لكل من رئيس كهنة الإقليم وحاكمه وتصرف شهريا .^(٣)

وانتهى الأمر ، بأن كره المصريون قمبيز في آخر أيامه ، وشعروا بارتياح كبير عندما غادر البلاد وعهد بحكم مصر إلى ' ارياندس ' وهو أحد أقربائه الذي استقر في منف .^(٤) وفي بداية حكمه اضطر ارياندس إلى القضاء على ثورة في قورنيه .

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٢٧ .

(٢) Posener, op. cit . p. 164 - 171.

(٣) Sottas, ASAE 23 (1923), p. 34 - 46.

(٤) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 111.

سنتودوم - دارا الأول (تاروشا) (داريوش) :

خلف قمبيز ولده - دارا الأول - الذى حكم مصر بدون صعوبة ، وتزوج دارا ملكا عن طريق التفويض . وجاء إلى مصر عام ٥١٧ ق. م .

وعند مجيئه إليها استقبل بحفاوة كبيرة ، فوصل إلى منف ، واستطاع أن يستميل الشعب المصرى إليه . ودعا إلى ضرورة إعادة تنظيم البلاد من الناحيتين الإدارية والقانونية . وقد حاول أيضا أن يظهر احترامه للديانة المحلية فأمر بدفن - العجل أبيس - على الطريقة التى كان يتبعها ملوك مصر ، واتخذ لقب ' فرعون ' أمام اسمه .^(١)

وأراد دارا أن يتبع السياسة التقليدية للملك المصريين الوطنيين ، فأعطى الأوامر بترميم المعابد المهتمة ، وأعاد للكهنة كافة حقوقهم التى كانت قد ألغيت وأن تحدد أنواع القرابين المقدسة التى توقف إمداد المعابد بها فى ذلك الوقت .

وكان أول أهدافه فى مجال السياسة لداخلية هو العمل على - إعادة حفر قناة تربط بين البحر الأحمر والنيل - وكان من دوافع هذا المشروع تيسير وصول سفن الجزية إلى بلاد فارس . ومساهمة تلك القناة فى تنشيط التجارة البحرية مع بقية بلاد الشرق القديم . ذلك المشروع الذى بدأه الملك نكاو فى الأسرة السادسة والعشرين لتنظيم مولود البلاد الاقتصادية ودخلها . وحاول إبراز أهمية النيل التجارية . وفى الواقع أن دارا كان أكثر الملوك حاجة إلى هذا الممر المائى الذى يسمح له بالاتصال بالعاصمة التى تقع على الخليج الفارسى ، ولتسهيل التجارة مباشرة بين مصر وبلاد الهند .

وهكذا قام دارا بإعداد الممر المائى فى حوالى عام ٥١٨ ق. م. كما يدل على ذلك الخمس لوحات الكبرى التى أقامها بطول القناة تخليدا لذكرى هذا العمل.^(٢)

Gauthier, LR IV, p. 441.

(١)

(٢) قام بوزنر بترجمة ثلاث لوحات من هذه اللوحات ، راجع :

وتحدثنا نقوش هذه اللوحات عن كيفية شق القناة وكيف تم تنفيذها . ويقول نص إحدى هذه اللوحات : " أنا ، الفارسي من بلاد فارس - لقد استوليت على مصر - وأعطيت الأمر بحفر هذه القناة من عند النهر المسمى بالنيل ، والذي يجري في مصر حتى البحر الذي يخرج من فارس " . وعندما انتهى من هذا العمل كان هناك أسطول من ثمانين (أو اثنين وثلاثين) سفينة محملة بالجزية سارت في النيل ، وعسبرت هذه القناة واتجهت نحو البحر الأحمر لكي تصل إلى فارس " .

^{*} وقد ظهرت هذه القناة عدة مرات ولكنها ردمت مرة أخرى ولم يتم تطهيرها ثانية إلا في عصر البطالمة .

وأثناء حكم دارا لمصر كان الرخاء والازدهار يعم البلاد عندما زارها هيرودوت . وقام دارا بعدة مشروعات ، فقد حاول اتباع سياسة أكثر مرونة في مصر ويبدو أنه أراد أن يستأنس برأي قائد الأسطول السابق وجاحررسنت فاستدعاه إلى فارس . فأشار عليه بعدة أمور أمر بتنفيذها ، ومنها إعادة النظر في القوانين الصارمة وإلغاء ما أصدره قمبيز من قوانين تقضي بمصادرة أملاك أكثر معابد مصر وأظهر احتراماً كبيراً للمعبودات المصري ، وأمر بتقديم القرابين للمعبودات المصرية وخاصة العجل أبيس الذي كان لعبادته أهمية كبرى في منسف في ذلك العصر .^(١) كما أعطى الأوامر بترميم المعابد وإصلاح ما تهدم منها ومن مقاصيرها . وسار على سنة ملوك مصر السابقين في إقامة المعابد الجديدة . كما قام بإرسال البعثات لقطع الأحجار من وادي الحمامات ويذكر رئيس الأعمال ' خنوم إيب رع ' .

Posener, op. cit. , p. 48 - 87, 180 - 181; Kent, Old Persian -- Texts, JNES I (1942), p. 413 - 423; Cameron, JNES 2 (1943), p. 307 - 313 .

وأيضاً د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٢٢ - ٩٢٣ ، ٩٤٤ - ٩٤٥ د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ ، ٤٣٥ .

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٣ ، ٩٤٩ .

الذى خدم تحت حكم الملك أمازيس حتى دارا ، أن تلك الأحجار كانت مخصصة لمعابد المعبود مين وحورس وإيزيس بمنطقة قفط وأمون وموت وغونسو فى طيبة .^(١)

وقام دارا بإصدار أوامره لترميم دار الحياة المتهمة فى معبد المعبودة نيت فى سايس - الذى كان تشبه بمركز طبي ومدرسة للطب - وقد أصدر هذا الأمر إلى وجاحررسنت قائد الأسطول السابق وكان فى ذلك الوقت فى بلاد فارس فأمره دارا بالعودة إلى مصر للإشراف على إنجاز كل الأعمال . وجاء على تمثال وجاحررسنت ما يأتى :

" بينما كان جلالته دارا فى عيالم ، كان ملكا عظيما على كل الأقطار الأجنبية وحاكما عظيما على مصر - أصدر أوامره لى بالعودة إلى مصر وذلك لترميم دور الحياة المهدمة والتي ترعى الطب " ، " لقد جاء بى الأجانب من بلد إلى أخرى حتى وصلت إلى مصر ، كما أمر سيد الأرضين ، وقد نفذت كل ما أمر به الملك ، لقد زودتها بكل الموظفين ، من أبناء الرجال البارزين ، ولم يوجد بينهم ابن رجل فقير " ، " لقد جعلتهم يشرفون على كل رجل متعلم حتى يتعلموا كل المهنة . وأمر جلالته بأن يعطى له (دور الحياة) كل شئ حسن . وتدريبوا على كل مهنتهم ، وقدمت لهم كل شئ مفيد . وكل الأدوات التي تشير إليها فى المخطوطات ، كما كان يجرى من قبل ، وقد فعل جلالته ذلك لأنه يعرف فضل هذا العلم (الطب) لإنقاذ الناس المرضى " .^(٢)

(١) Posener, op. cit. p. 99 - 100.

(٢) Posener, op. cit. p. 170; Gardiner, JEA 24 (1938), p. 157 - 158; Jonckheere, Les Medecins de l'Egypte Pharaonique, p. 32 - 33.

وكان دارا يحمل لقب " ابن المعبودة نيت " معبودة مابيس ، وذلك مما يدل على أن ملوك القوس قد تلقبوا باللقاب ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وجاء هذا اللقب على لوحة عثر عليها في تل المسخوطة وهي الآن بالمتحف المصري . وهي تسجل اجتماع الملك دارا ببعض النبلاء وتشير إلى شق القناة بين النيل والبحر الأحمر . وقد أتم دارا معبد المعبود آمون في الواحات من الحجر الرملي على غرار المعابد المصرية ذلك المعبد الذي بدأ في تشييده أمازيس ^(١) وعثر على آثار أخرى لدارا في أبي صير بالدلتا ، كما عثر على اسمه على بعض الكتل المعمارية في الكاب ^(٢)، وعثر له في عام ١٩٧٢ على تمثال له في سوس بواسطة بعثة الحفائر الفرنسية التي تعمل هناك منذ عام ١٩٠٠ ، وهو تمثال مغطى بنقوش كتبت بالخط الهيروجليفي يحدثنا فيها دارا عن حكمه وعن شعوب الإمبراطورية الفارسية التي أخضعها وكان أول من ذكرها مصر (وقد تحدثنا عن ذلك التمثال فيما سبق ، ص ٩١) .

وكان دارا قد أصدر أوامره بإصلاح القوانين وكتبت نسخة من هذه الإصلاحات بالديموطيقية ونسخة أخرى على البردي بالخط المسماري ^(٣)، ويقول الملك في هذا التشريع : " تحت رعاية امورامتازدا ... اننى أحب الحق وأكره ما ليس بحق . فلن يحدث أن يسئ عبد لأى مواطن أو يسئ أحد لعبد . لئلى أحب الحق وأكره كل من يقر الكذب لئلى لا أعضب ولا اكظم غضبى ، واننى لا أثق فى كسبل من يتحدث ضد العدالة " . وأمر كذلك بأن يستدعوا له حكماء البلاد من بين المصريين والكهنة والكتبة ، الذين اجتمعوا فى دور العبادة ، وطلب منهم أن يكتبوا التشريعات القانونية الصالحة لمصر . وكان لدى الجالية اليهودية بريدية تحمل تاريخ حياة دارا بالأرامية .

(١) Davies, Hibis, p. 17 pl. 13; PM V11, p. 282 (71).

د. أنور شكرى : للعمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) Clarke, JAE 8 (1922), p. 27 - 28.

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٣ ، ٩٤٥ .

ومن الوثائق الهامة في ذلك العصر بردية كتبت بالديموطيقية عثر عليها في قرية الحبية مركز القشن بمحافظة بنى سويف ، تتضمن شكوى كتبت في السنة التاسعة من حكم دارا بواسطة أحد كتبة بيت الحياة وهو " بتريس " الذى كان يشكو من ظلم وقع عليه وعلى عائلته من كهنة آمون بالحبية ، وعرض فيها سلطته خلال أربعة أجيال مليئة بالاعتقالات والسجن والتعذيب فهو يرجع الأحداث إلى أيام الملك بسماتيك الأول في بداية الأسرة السادسة والعشرين . وكان يشكو من أن أعداءه وكانوا من مختلف الشخصيات وكانوا على صلة ببعض نوى السلطة والنفوذ في الدولة وكان هؤلاء يحاولون تجريد عائلة بتريس من كل حقوقها .

ورحل دارا عن مصر وترك اريانوس حاكما عليها الذى قام بصهر عملات ذهبية باسم دارا وباع سبائكها فاضطر دارا إلى عزله وعين مكانه " فرانتيس " (١)

ويذكر ديودور الصقلي أنه على الرغم من المعاملة الحسنة من حكام فارس الجدد للمصريين إلا أن المصريين قد تحملوا بنوع من الصبر ملوك فارس ، فقد لاحظوا أن ثروات البلاد تنقل إلى بلاد فارس ، ففي نصوص محاجر وادى الحمامات ذكر أن الأحجار التي كانت تقطع هناك تستخدم لصالح ملوك الاحتلال الفارسي .

وقام المصريون بثورة في الدلتا في حوالى عام ٤٨٦ ق. م . وكان سبب الثورة هو فداحة الضرائب . وهناك إشارة في بعض الخطابات إلى استيلاء الثوار على شحنة سفينة محملة بالغلل لصالح المحتل الفارسي (٢) ولكن دارا توفى قبل أن يستطيع القضاء على هذه الثورة . وكان دارا قد ترك حامية في منف ونفى مكائين آخرين للمحافظة على الأمن .

Milne, JAE 24 (1938), p. 245 – 246.

(١)

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٨ .

أكسر كسيس الأول (خشايارشا)^(١) (أو أخشويرش) :

ابن دارا ، الذى جاء إلى مصر كخليفة له فى عام ٤٨٤ ق. م . وكان أول عمل قام به فى مصر هو إخماد الثورة التى كانت قد اندلعت فى الدلتا . ومن ناحية أخرى لم يستعلم المصريون للأسلحة . ولم يول مصر الرعاية المطلوبة ، نظرا لانشغاله بحملاته ضد اليونانيين على الرغم من أنه كان يستخدم فى حروبه السفن والفضة والرجال من مصر . ويحكى أن مصر قد تعرضت طوال فترة حكمه لاضطهاد كبير . وفى عصره أعيد استغلال محاجر وادى الحمامات بواسطة " إيتى واهى " .^(٢) وفى هذه الفترة أيضا قتل الحاكم فرانتيس وعين أكسر كسيس أخاه أمين بدلا منه ، وقام أكسر كسيس بفرض الضرائب الباهظة على مختلف الولايات التى كانت خاضعة للإمبراطورية الفارسية ومن بينها مصر . ولم يعثر له على نقوش رسمية فى مصر ولكن ذكر اسمه فقط على بعض الأواني من المرمر وصف فيها بأنه " الفرعون العظيم " .

أرتاكسر كسيس الأول (أرتاخشاشا) :

عندما تولى الحكم فى مصر عام ٤٦٤ ق. م . لم يترك إلا آثار قليلة تخلفه سيطرته على وادى النيل ، ولا نعرف الحالة العامة التى وصلت إليها البلاد فى عهده . وعثر على اسمه منقوشا على أربع أوان وصف عليها بلقب " الفرعون العظيم " .^(٣)

وفى هذه الفترة زار المنبد من الرحالة والمؤرخين الإغريق مصر . وأقام أناروس وهو من سلالة ملوك مائس فى غرب الدلتا مملكة على الليبيين من ماريسا . وقام المصريون بثورة جديدة بزعامة أناروس وطبقا لقصص محاجر وادى

Gauthier, LR 1V, p. 150 – 152.

(١)

Posener, op. cit ., p. 120.

(٢)

Couyat – Montet, Ouadi – Hammamat, p. 61, no. 89.

(٣)

الحمامات نجد أن الذي ساعده في إشعال هذه الثورة هو "أميرتى" وهو أمير من سايس أيضا.^(١) وكان أميرتى حليفا لليونانيين ، وقام أناروس بإمداد الثوار بأسطول كبير كان متجها إلى قبرص ، ثم عدل مسيره إلى مصر ، وقتل الثوار الحاكم الفارسي على مصر أخمينيين وأرسلت جثته إلى أرتاكسر كسيس الأول . واستولى الثوار على منف ، وهزم الفرس الذين تحصنوا فيها .^(٢) وقام أناروس كذلك بطرد بعض اليونانيين الموالين للفرس من منف إلى الإقليم الرابع من أقاليم الوجه البحرى . وحدد إقامتهم فى هذا المكان لمدة عام ونصف . وفر القليل منهم إلى برقة واستسلم الباقون وخضعوا لأناروس . وكان أميرتى يدير الثورة من جزيرة صغيرة فى مستنقعات الدلتا هى " الليو " .

وهكذا نجح المصريون فى هزيمة الجيش الفارسي بفضل مساعدة اليونانيين والأسطول اليونانى لكن هذا النصر لم يستمر طويلا ، فبعد ثمانية عشر شهرا من هذا الانتصار المحلى ، جاء حاكم جديد هو أرسامس ومعه قوات كبيرة من سفن فينيقية وقوات واستأنف الفرس القتال ، ونجحوا فى هزيمة المصريين . وأخذ أناروس إلى سوس وكذلك بعض القادة اليونانيين وحكم على أناروس بالإعدام . وهزم أسطول الإمدادات اليونانى بواسطة البحارة الفينيقيين . واضطرت العناصر الإغريقية إلى الانسحاب ، فى حين نجح أميرتى فى الاستمرار فى ثورته والبقاء فى الدلتا .

وسقطت بقية مصر من جديد تحت قبضة الفرس ولكن ظلت بعض الاضطرابات موجودة فى البلاد . فقد عين هيدارنس محافظا للألفنتين ووجد أن الفرصة سانحة للثورة ، وعاون بعض الجنود المصريين والكهنة وقاموا بهدم معبد اليهود الذين استغلوا بحاكم يهوذا باخوسس لكنه لم يهتم بعمل أى شئ لإصلاح معبدهم ، ولم يهتم أرسامس بفعل شئ ما أيضا . وجاء بعض زعماء للجالية اليهودية

Id., op. cit . , p. 61 no. 89.

(١)

(٢) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

ليقدموا التماسا إلى الحاكم المحلي في طيبة فقبض عليهم وألقوا في السجن. (١) وجاء بعد ذلك خمسة ملوك وهم : سمنديانس (لا نعرف عن حكمه أى شئ) دارا الثانى (أنتروشا) أرتاكسركسيس الثانى ، أرتاكسركسيس الثالث ، دارا الثالث - قودمان .

دارا الثانى (أنتروشا) - مروي آمون وم :

تولى الحكم فى مصر عام ٤٢٤ ق.م. ولم ينجح فى إعادة السهوه إلى البلاد إلا عندما بدأ يطبث مياسة أكثر مرونة تجاه المصريين . وفى عام ٤١٤ ق.م. حدثت ثورة وطنية جديدة وكان يرأسها شخص يدعى أميرتى (ربما كان حفيد أميرتى السابق) لكن قوة الجيش الفارسمى بدأت فى الضعف فى تلك الفترة ودخلت مرحلة أخرى من التدهور وتوفى دارا الثانى ، وتتمعت مصر الحرية وتمتعت بالاستقلال لفترة من الزمان ، فبعد عشر سنوات من اندلاع الثورة أى عام ٤٠٤ ق.م. نالت مصر استقلالها .

وتوفى دارا الثانى بعد أن حكم أكثر من سبعة عشر عاما. (٢) ويعد دارا الثانى آخر ملوك الأسرة السابعة والعشرين ، وكان عددهم طبقا للقائمة أوسب وافريركالوس يبلغ ثمانية ملوك (٣) ، ولم تذكر منهم سوى خمسة لأننا لا نعلم شيئا عن رابع ملوك الأسرة (ارتاماتوس) . وجاء ذكر اسم الملك دارا الثانى على بعض البرديات الآرامية التى عثر عليها فى خرائب الفنتين (٤) ، وتذكر أن حرق المعبد اليهودى فى الفنتين حدث فى العام الرابع عشر من حكم هذا الملك. (٥)

(١) Cowley, Aramic Papyri no. 30-31

وأیضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩١ .

(٢) Parker, Persian and Egyptian Chronology, p. 290.

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٤٢ .

(٤) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع

السابق ، ص ٦٢٠ - ٦٢١ .

(٥) د. أنور شكري : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٤٤ .

الوضع في مصر قبل مجئ قوات أرتاكسركسيس الثاني لغزوها :

قامت الأسرة الثامنة والعشرين في مصر وحكم فيها ملك واحد هو أميرتي (الثالث) الذي كان أميراً على سايس ، وقد يكون من سلالة ملوك الأسرة السادسة والعشرين . وعن طريقهم أصبح له الحقوق التشريعية للحصول على السلطة . وعلى الرغم من آخر حكام دارا الثاني ، قد اتبع سياسة أكثر مرونة وأقل رعونة في مصر ، إلا أن المصريين لم يجدوا غير ميبيل استمرار الكفاح بديلاً ، ونرى أميرتي يقوم بثورة ضد الفرس ، انفجرت في عام ٤١٠ ق.م . ولا نعرف تفاصيل هذا الصراع ، وقامت ثورة في الدلتا واستندت لهيب هذه الثورة إلى الصعيد غير أنه في عام ٤٠٤ ق.م . وبعد صدام دام ست سنوات نالت مصر حريتها ، واستقلالها من جديد وتوج أميرتي ملكاً على مصر كلها . وجاء ذكر أميرتي على بعض البرديات الديموطيقية.^(١)

وبعد ذلك قامت الأسرة التاسعة والعشرين وكان ثاني ملوكها هكر ، الذي تولى العرش عام ٣٩٢ ق.م . وعمل على اتباع سياسة أكثر نشاطاً في الخارج فسي أسيا ، وأدخل ضمن قواته حوالي عشرين ألفاً من المرتزقة اليونانيين لكي يدافعوا عن مصر في حالة تجدد الهجوم من جانب الفرس . وبفضل هؤلاء المرتزقة نجح في تفادي غزو جديد لمصر . فقد تعرضت مصر في عهد هكر " أخوريسس " للهجوم الفارسي واستجد إقليم سويد في شرق الدلتا بالملك هكر ، واستمرت الحرب نحو ثلاث سنوات من عام ٣٨٠ إلى ٣٨٣ ق.م . وانتهت بانسحاب الغزاة .

أرتاكسركسيس الثاني (ارشيدور الثاني منمون) :

بدأ يوجه أنظاره إلى مصر لاستعادة سيطرة الفرس عليها . وفسى الوقت الذي غزا فيه الفرس قبرص كان الملك تختبو الأول قد اعطى عرش مصر وأسس الأسرة الثلاثين وهي آخر الأسرات المصرية الوطنية المستقلة . وكان هناك أحد

القواد الأثينيين ويدعى شابريراس يقوم بتدريب البحارة المصريين وقام بعمل عدة استحكامات بين الفرع البلوزى للنيل ومستنقعات سيربونيا . وظلت هذه التحصينات معروفة حتى العصر الرومانى باسم " استحكامات شابريراس " (١) وبعد فترة استدعت أثينا قائدها شابريراس فاستغل ارتكاسركسيمس الثانى للفرصة لمهاجمة مصر وموريا فأعد جيش قوامه مائتا ألف رجل ، يضاف إليهم عشرون ألفا من المرتزقة اليونانيين تساعدهم خمسمائة قطعة من الأسطول البحرى .

• ويبدو أن نختبو قد اتبع سياسة جديدة فى بداية حكمه وهى التخلي عن مخالفة الإغريق . واضطر إلى الاستعانة بهم لمواجهة العدو الذى بدأت قواته فى مهاجمة الدلتا . فقام بختبو بسد مصاب النيل السبعة وشيد أمام كل مصب حصنا منيما . وقام بتحسين بلوزيوم وحفر الخنادق حول المدينة ، ووضع العوامات القوية التى كانت تتخذ أماكنها فى حصون الحدود .

وكان الجنود الفرس تحت قيادة مشتركة من قائد فارسى يسمى فارنابازوس قائد يونانى يدعى أيفكراتس . وكان فارنابازوس حاكما على سوريا وتولى قيادة القوات الفارسية . وقد رأى أنه من الصعب الاستيلاء على بلزيوم نظرا لتحصيناتها القوية ولذلك اتجه إلى مصب مندس . وهناك اخترق صفوف الجيش المصرى وأنزل ثلاثة آلاف لمهاجمة الحصون ، ودافع المصريون بشجاعة ولكن فارنابازوس استطاع الانتصار عليهم وهدم المدينة وأسر العديد من الجنود . وعندما رأى القائد اليونانى أيفكراتس تطور الأمور أمر سفن الأسطول بالتقدم فى النيل للاستيلاء على منف (٢) ، ولكن فارنابازوس الفارسى رفض التقدم واستاء المصريون من هذا التأخير ، وقاموا بتحسين منف .

(١) Daumas, la Civilisation de l'Egypte Pharaonique, p. 112.

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٥٩ .

وعندما تقدم الجيش الفارسي لمحصرتها لم يستطع الاستيلاء عليها وعاد
فارتابازوس إلى آسيا وايفكراتس إلى أثينا ^(١).

وهكذا نجت مصر للمرة الثانية من سيطرة الفرس ، كما حدث في المرة
الأولى أيام حكم هكر ' أخوريين ' والهجوم على إقليم سوبد وشيد مقصورة هناك
ونقش عليها أخبار هذا الانتصار .

سعى تيوس ابن نخنبو الأول إلى عقد معاهدات مع أثينا وأسبرطة وبفضل
المرتزقة من أثينا وأسبرطة الذين اعتمد على مساعدتهم أصبح على رأس جيش قسوى
قوامه ثمانون ألف جندي مصري وعشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين ، وقوة مكونة
من ألف جندي من أسبرطة وأسطول تبلغ قوته أكثر من مائتى سفينة ^(٢).

ويذكر ديودور الصقلي - أن أجيميلوس ، ملك أسبرطة ، جاء إلى مصر
على رأس ألف من المحاربين لمعاونة تيوس ، وجاء معه شابرياس القائد اليونانى
الذى كان موجودا في مصر من قبل . وشكل تيوس جبهة وطنية وأسطولا منظما
وعزم على التقدم نحو سوريا لمقابلة جيوش أرتاكسركسيس الثانى فى فيليقية .
ووضع على رأس المرتزقة اليونانيين أجيميلوس ، وقام شابرياس بقيادة الأسطول
المصرى ووضع تيوس ابن أخيه تحت حرييت على رأس الجنود الوطنيين ، وتقدم
تيوس عبر برزخ السويس وتقدم أرتاكسركسيس الثانى لمقابلة الجيش المصرى فى
فيليقية . وفى الواقع أن مصر كانت غير قادرة على مثل هذا الاستنزاف الحربى
ولمثل هذه التضحية لتأمين حدودها ، وقد انتهز شقيق الملك الذى كان يتولى إدارة
البلاد فرصة غضب المصريين على تيوس نتيجة لفرض الضرائب الباهظة على
الشعب . وأعلن الثورة وتولية ابنه تحت حرييت ملكا على العرش الذى كان على
رأس الجنود الوطنيين فى سوريا وأعلن عصيانه هناك . وفر القائد اليونانى شابرياس
إلى أثينا ، وعندما شعر تيوس أن البلاد فى أيدي الأتوار فقد صوابه ، ولجأ إلى ملوك

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٢ ؛ Daumas, op.cit . , p. 112 .

الفرس بعد أن مكث فترة في صيدا ، وطلب العفو من ارتاكسركسيس الثاني الذي عفا عنه في عام ٣٥٩ ق.م. ^(١) وعينه قائدا للجيش ، وأراد ارتاكسركسيس الثاني أن يرسله إلى مصر كوالى له ولكنه توفي في الطريق ، أو في بلاد فارس نفسها .

وهكذا تعرض تيوس للخيانة من جانب أخيه الذي كان قد تركه في مصر وعاد أجيسيلوس إلى أسبرطة فكان هرما وحاد الطباع . وقد اختلسف مع الملك المصرى وأيد الثورة التى اندلعت في مصر ضد تيوس ، وأحدثت تلك الثورة انشقاقا كبيرا في صفوف الجيش المصرى .

وكان على نخت حربييت أن يترك الحملة في سوريا ويعود إلى مصر وقد توج بالفعل ملكا على البلاد في عام ٣٥٩ ق.م . وهو الذى عرف باسم نختنبو الثانى . وهو يعد آخر الملوك الوطنيين وحكم لمدة ثمانية عشر عاما .

وأنت المشاكل التى اندلعت في القصر الملكى في بلاد فارس في نهاية حكم ارتاكسركسيس الثانى إلى تمتع نختنبو الثانى بنوع من الاستقرار .

تكوين أسرة فارسية للمرة الثانية في مصر (٣٤١ - ٣٣٢ ق.م) :

الأسرة الحادية والثلاثون :

بدأ الفرس يفكرون في غزو مصر مرة أخرى عندما تولى حكم فارس :

ارتاكسركسيس الثالث (أردشير الثالث) :

حاول استعادة مصر . وجاء لغزوها عام ٣٥١ ق.م . ^(٢) واستعان نختنبو الثانى بالمرتزقة اليونانيين ولم يستطع ارتاكسركسيس الثالث - أخوس أن يقضى على قوات نختنبو الثانى وذلك بفضل حصن تصريف القنايين "ديوفانتوس" من أثينا وليمياس من أسبرطة . واستطاع نختنبو الثانى أن يصد هذا الهجوم . ولكن بعدها

Daumas, op. cit . , p. 112.

(١)

(٢) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

بمئزر سنوات وفي عام ٣٤١ ق. م . بدأ يعد العدة لغزو مصر من جديد ، وأخذ يهاجمها عن طريق البر والبحر بمعدات هائلة بالنسبة للعصر .

وكان نختنبو الثاني لا يمتلك في ذلك الوقت سوى مائة ألف رجل واستعان بالمرتزقة من أسبرطة وأثينا . ولم تكف شجاعة المرتزقة الإغريق في الحد من تقدم الجيش الفارسي ، وكان أرتاكسركسيس الثالث قد جمع كل هذه الأعداد من المرتزقة من بلاد اليونان ووصلوا إلى الدلتا عند بلوزيوم (القلما) وكان يقوم بالدفاع عنها القائد فيلوخون ومعه خمسة عشر ألف جندي من اليونان ، ولم يستطع أرتاكسركسيس الثالث أن يهترق استحكامات بلوزيوم ^(١).

حشد نختنبو الثاني حوالي عشرين ألفا ومثل هذا العدد من الليبيين ومسيئين ألفا من المصريين لوقف تقدم الفرس في محاولتهم غزو الدلتا . لكن الأسطول الفارسي استطاع أن يدخل مصاب النيل واستسلمت المدن المصرية الواحدة بعد الأخرى وعندما رأى المرتزقة اليونانيون ذلك الموقف ، غيروا المعسكر وساعدوا أرتاكسركسيس الثالث للاستيلاء على بلوزيوم ، تلك المدينة التي كانت تحمي شرق الدلتا وبويعت وبعد ذلك استسلمت له خشية أن يتعرض لمصير صيدا وقراجع نختنبو الثاني إلى مصر العليا ، ونجح في أن يفلوهم هناك لمدة عامين أيضا . وفي السنة الثامنة عشرة من حكمه أي من عام ٣٩١ توج كملك في أدفو ، بعد أن بايعه الكهنة والأهالي ولكن الفرس بقواتهم الهائلة استطاعوا إخضاع مصر كلها ، ولا نعلم شيئا ما عن نهاية نختنبو الثاني ، فقد اختفى أثره ، وأصبح بطل أسطورة يرددوها الشعب .

اختلف المصريون مع اليونانيين على شروط التسليم للفرس ، وكان الغزو الفارسي الثاني أصعب بكثير من الغزو الأول ، فقد تعرضت البلاد في هذه المرة للسلب والنهب . وهدمت دور العبادة ، وانتهكت حرمتها ، ونهبت تماثيل معبوداتها ونقلت إلى فارس ، وطعن أرتاكسركسيس الثالث العجل أبيس المقدس والسفيرة من

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

المصريين وضيع مكانه حماراً^(١)، وقام بفتح كبش مقدس المقدس ، النموذج الحي للمعبود . ونفى بعض الأمراء المصريين إلى بلاد فارس . وعساك أرتاكسر كسيس الثالث إلى بلاده بعد أن أسس أسرة فارسية للمرة الثانية لحكم مصر هو وخلفاؤه إرسيس ودارا الثالث قودمان الذي يعد آخر الملوك الفرس ويرى بعض العلماء أن هؤلاء الملوك يكونون الأسرة الحادية والثلاثين في مصر .

ولا نعرف عن حكم إرسيس لمصر أى شيء . وكل ما نعرفه أن حكم إرسيس ودارا الثالث - قودمان على مصر كان قصيراً جداً إذ لم يستمر إلا تسع سنوات أو أكثر بقليل . ويبدو أن أهل البلاد قد عانوا كثيراً من الظلم تحت نير الاحتلال الفارسي من أرتاكسر كسيس الثالث وخلفائه ، ولم يترك هؤلاء الملوك الفرس أثراً مادياً لنشاطهم في مصر ، وكل ما نعرفه أنهم عاملوا المصريين بنوع من القسوة ولم يتوجوا كملوك على الإطلاق ، ولم يعلن أنهم من نسل المعبودات المصرية . فهم في واقع الأمر ليسوا غير ولاء لأجانب ، ومصر لم تكن إلا مقاطعة بدون حكم في إمبراطوريتهم . ولهذا لم يكن غريباً ألا يتقبل المصريون هذا الوضع .

المقاومة ضد الفرس :

بدأت الثورات تنفجر في كل مكان ، وكانت قواها وأهمها تلك التي تزعمها أمير وطني من الدلتا ، الذي ظهر في حوالي عام ٣٣٦ ق. م . وأطعن نفسه ملكاً وتلقب بالإنقلاب الملكية : ' سنن تثن - سبب إن بتاح - غيبا باشا (أو غيباش) ' واتخذ لقب ' فرعون ' أمام اسمه .^(٢)

(١) د. عبد الصمد زايد : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ، Gauthier, LR IV, p. ٢٩٦ .

ولم ينجح في أن يحكم البلاد حكما حقيقيا ، ولكنه نجح في في مقاومة
الفرس لهزيمة أعوام واضطر إلى الانحياز إلى أعراس الدلتا .^(١) وعثر على اسمه
بالديموطيقية في بقايا قصر ابروس في منف^(٢) وعلى بردية ليبى وعلى تلبيت أحد
المجول المقدسة في السرايوم المؤرخ بالملم الثاني من حكمه وعلى جمران^(٣) وأخيرا
على لوحة من عصر بطليموس الأول (معروفة باسم لوحة الإسكندر الثاني أو الرابع
أو الستراب)^(٤) . ونقش هذه اللوحة عبارة عن مرسوم أصدره بطليموس الأول -
حاكم مصر في عهد الإسكندر الثاني - ولم تطلأ كذا هذا الأخير أرض الكتابة وهي
تسجيل أحقية - كهنة معبد مدينة بوتو - في إعادة ضبعة كانت ملكا لمعبودات بوتو
بعد أن اختصها الفرس منهم .

وتقص نقوش اللوحة أن خبا باشا قام بزيارة لموقع الدلتا ووصل إلى بوتو
وشكا له كهنة بوتو من أن أكسر كسيس قد اختصب ضبعة تفص معبودات بوتو ،
ووصف أكسر كسيس على هذه اللوحة بأنه عدو شرير واستجاب خبا باشا لمطالب
الكهنة ، وفي عهد الملك بطليموس الأول طلب كهنة - للمعبودة واجيت - عودة ملكية
هذه الأراضي إليهم مرة ثانية ، فأعادها بطليموس إليهم وسجل ذلك على تلك اللوحة
التي تعد بمثابة مرسوم دورى لما فعله من مآثر لمعبودات مصر وشعبها ، وأنه
عامل المصريين معاملة أفضل من معاملة الفرس ، وذكر أنه أعاد تماثيل المعبودات
التي كانت قد نزع من أماكنها ، وحملت إلى أسيا في عهد الفرس هذا بالإضافة إلى
قيامه بتكملة المعابد المصرية وتزويدها بما يلزم لطقوس العبادة وتقديم القرابين .

(١) Daumas, op. cit . , p. 119.

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦٨ .

(٣) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .

(٤) عثر على هذه اللوحة في القاهرة عام ١٨٧٠ في جامع شوخون ، ويبدو أنها
كانت ملكة لأسيا في معبد مدينة سايس ، وهي مطروقة بالمتحف المصري ،

راجع : Gauthier, LR IV, p. 208 (111); PM IV, p. 44, 73

ولم ينجح خبا باشا في تحرير مصر من قبضة المستعمر ، ويبدو أن دارا الثالث - قودمان حاول إعادة غزو مصر ، وعمل خبا باشا على حماية الدلتا ، ولكنه لم يتمكن من قهر أسطولهم وتوج دارا الثالث - قودمان ملكا على مصر عام ٣٣٤ ق. م. ^(١) ومما لا شك فيه أن هناك إثارات لمظاهر المقاومة المصرية ضد الفرس في البرديات الديموطيقية أو وثائق أخرى غير المنشورة والموجودة بمخازن المتحف المصري أو في وثائق أخرى لم يكشف عنها حتى الآن .

• ومن أبرز المآلات التي حاصرت هذه الفترة المضطربة عائلة ' بيتوزيريس ' التي أقيمت في هرمبوليس عام ٣٣٦ ق. م . ويذكر 'بيتوزيريس' على جدران مقبرته في منطقة تونا الجبل أنه أمضى سبع سنوات مشرفا على أعمال المعبود تحوتي . وكان هناك ملك أجنبي يحكم مصر ويشير إلى حدوث معارك في مصر الوسطى وفي الجنوب وثورات في الشمال وكيف عانى الناس من حالة من القلق والاضطراب العام ، وأنه قام بكل الأعمال الجبلية في معبد تحوتي ، وكان المعبد قد أهمل منذ مجئ الأجانب وغزوهم لمصر . ^(٢)

ونعرف من مصدر آخر وهو ما ذكره ديودور الصقلي بأن المصريين كانوا دائمى الثورة أثناء الاحتلال الفارسي الثاني لمصر ^(٣)، ومنذ عام ٣٢٨ ق. م . ظهرت مقدونيا ، كقوة تسيطر على العالم القديم فاندفع - فيليب الثاني ليكون حليفا مع اليونان ، وجاء من بعده ولده الإسكندر الأكبر - الذي ظهر في ذلك الوقت كحمرر لمصر ، فقد نشأ منذ حداثة منه كاهن روهي لزيوس - آمون لأن أمه ' أولمبياس ' كانت من عبدة هذا المعبود وقام بغزو بلاد الشرق ، وسار في حملاته الموفقة على آسيا وكان من بين قواته طبيب ومقاتل مصري من مدينة أهناسيا يدعى ' سماتايو

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٩٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦٧ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص

Lefebvre, le Tombeau de Petosiris, p. 3 - 15 : ٢٩٦

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

تف نخت * الذى استعان به لكى ينفذ مصر .^(١) وكان دارا الثالث قد تولى الحكم فى بلاد فارس عام ٣٣٦ ق.م . وهزم الإسكندر دارا الثالث - قودمان فى معركة إسوس شمال الإسكندرونة فى عام ٣٣٣ ق.م . وفر دارا الثالث . وتم بذلك القضاء على أسرة الفرس الأخمينيين وبعد ذلك توجه الإسكندر إلى الجنوب للاستيلاء على سوريا . ولكن مدينتى صور وغزة دخلتا فى حرب معه وتمكنتا من إيقاف تقدم الجيش المقدونى سبعة أشهر وأخيرا تحقق الانتصار للإسكندر ودخل الإسكندر صور بعد قتال عنيف . ووجد نفس المقاومة من أهل غزة وذلك مما أدى إلى تأخر تقدمه نحو مصر نحو شهرين وبعد ذلك دخل الإسكندر مصر واستقبله أهلها بأذرع مفتوحة . فعمت البهجة البلاد وبعد هذا الانتصار أصبحت أبواب مصر مفتوحة أمامه باعتباره منقذها المرتقب من جبروت الفرس ، واتجهت النية إلى أن يعترف به كأبن لأمون ، ويتوج كملك شرعى لكى يقوم بطرد الجنود والموظفين الفرس الذين قاموا بأعمال غير شرعية ضد المصريين ومقاساتهم .

وفى خريف عام ٣٣٢ ق.م . سار نحو مصر التى سارع آخر موظفى الفرس بالرحيل عنها ، واستقبلته البلاد كمحرر لها واستسلم الحاكم الفارسى " ماباسس " .^(٢)

وكان اليونانيون منذ زمن بعيد حلفاء للمصريين ، ولكن هذه المرة أغفل المصريون أن هؤلاء الإغريق قد جاءوا مستعمرين وليسوا مأجورين وكسادة وليسوا مرتزقة .

وفى منف استقبل الإسكندر بحماس منقطع النظير من جموع المصريين ، وقد بدأ بالذهاب لتقديم القرابين للمجل أبيس المقدس ونحر الأضحيات إلى معبودات

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ ؛ د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

(٢) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

منف ، مما أدى إلى حب المصريين واليونانيين له . وهذا ما يضيف إلى مجده الشيء الكثير في نظر " أكثر الشعوب ديانة " على حد قول ميرونوت ، ثم توج بعد ذلك ملكا في معبد المعبود بتاح تحت اسم :

" ستب إن رع - مري آمون - اوسكندرس (الإسكندر) " (١) .

(١) عن كل هذه الأحداث راجع : د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، ص

بعض المظاهر الحضارية في إيران القديم

أولاً : نظم الحكم والإدارة :

(١) الملك ومعاونوه :

كانت الملكية هي السائدة ، وكان الملك رأس الدولة ، يلقب ' خشاهرا ' أى المحارب مما يبين الصفة العسكرية للملكية الفارسية .^(١) والملكية تستمد سلطانها من المعبودات ، وكان الملوك يتفاخرون بأنهم ورثوا هذه الملكية عن المعبودات منذ صفرهم . وكان هذا الطابع المقدس للملكية هو السائد في إيران . ولأن الملك يستمد أحكامه من معبود الخير أهورا مازدا ومن يخالف أوامر الملك كان يعد ثمنا في حق المعبود نفسه . وكان يحيط بالملك مجموعة من النبلاء الذين أطلقوا عليهم ' اصدقاء الملك ' أشبه بمجلس شورى يصدر أوامره بعد الرجوع إليهم والتشاور معهم لأخذ القرارات . وكان هؤلاء الأعضاء هو الوسطاء بينه وبين الشعب . وكان هناك أيضا وزير أول لمساعدة الملك في ممارسة سلطاته .^(٢)

وكان الملك يحكم في قصر شديد فوق تل صناعي بينما تكون بقية مساكن المدينة عند أسفل هذا التل ويحيط بالجميع سور ضخيم يدعم بأبراج قوية .^(٣)

وكان الأعيان والنبلاء اصحاب سلطة تكاد تكون مطلقة في عواصمهم يسنون القوانين وينفذون الأحكام القضائية ويجبون الضرائب ولهم قوات مسلحة خاصة بهم ، وفي مقابل هذا كان عليهم أن يمدوا القصر الملكي بالمال والعنادر وقست

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٢) Contenau, op. cit., p. 77.

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٧٢٠ شكل ٥٥ .

القتال وكان الملك الذى يعين هؤلاء النبلاء كولاة لكل ولاية^(١) ، وكان كل والى يحكم باسم الملك ولهذا كان لكل ولاية كيانها السياسى المستقل ، ولهذا كان الملك الفارسى يلقب بلقب " ملك الملوك " .^(٢) وكانت الإمبراطورية الفارسية إبان حكم الملك دارا مقسمة إلى ولايات على رأس كل منها والى (كان دائما فارسيا ومفوضا من قبل الملك الكبير) وإلى جانب والى كان هناك قائد لجيش الولاية الذى يعين أيضا بواسطة الملك . ويتبع الملك مباشرة ، وكما كان الملك يقوم بتعيين سكرتيرا للولاية ورئيسا لموظفيها الإداريين والماليين ويرسل إلى كل ولاية عددا من المفتشين الذين يحملون ألقابا مختلفة مثل " عين الملك " ، " رسول الملك " ، " أذن الملك " .^(٣) وكانوا أيضا من طبقة النبلاء^(٤) (كانت هذه الألقاب موجودة فى النظم الإدارية فى مصر القديمة) .

وتمتاز الإدارة الفارسية بالاتجاهات الاستقلالية التى كانت تسود الشعوب المختلفة ، وأتى تتكون منها الإمبراطورية الفارسية . وكان الموظفون القرس يحكمون كأسباده وكانت تخصص لهم الأراضى التى حصلوا عليها عقب كل غزو أو فتح وكانت هذه الأراضى معفاة من الضرائب .^(٥)

وقد تمتعت الولايات التابعة للإمبراطورية بشئ من الحرية إذ سمح لها باستعمال لغتها الخاصة بها ، واعتناق عاداتها وتقاليدها المحلية وديانتها وعمالها الرسمية .^(٦)

وقد تميز عصر الملك قورش بالسيطرة الإقطاعية ، ولكن حل محلها الإدارة

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

(٥) Chr. Et J. Palou, la Perse Antique, p. 44.

(٦) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

المحلية القائمة على تحصيل الضرائب. (١)

وقد ساعد على نجاح الإدارة في أرجاء الإمبراطورية أن الأباطرة الفرس أنشأوا بها كثير من الطرق ومن أهم الطرق طريقان أنشأهما دارا :

(١) أحدهما يصل بين لوبديا والعواصم الفارسية .

(٢) الثاني يبدأ من مصر إلى فارس ويمتد شرقا حتى حدود الصين . (٢)

واشتهر الفرس أيضا بإقامة القناطر على الأنهار للعبور من عليها وكسائر الحاميات توضع على مختلف الطرق في الإمبراطورية .

(٣) القوانين والقضاء :

وقد لوحظ أن هناك تشابها كبيرا بين كتابات دارا الأول وقانون حمورابي ، مما يدل على أن الأول قد استخدم كتابات الثاني كنموذج له . وقد علقت هذه القوانين في إيران فترة طويلة حتى بعد وفاة الملك دارا .

وكان القضاء الملكي يختارون من بين الفرس ، وكانوا يناقشون القضايا المختلفة ، ويقومون أيضا بتفسير القوانين المدونة القائمة طبقا لما أورده هيرودوت . وكان القاضي يعين في منصبه مدى الحياة . وكان الملك مصدر القوانين والشرائع وأحكامه مستوحاة من المعبود نفسه . وكان هناك محكمة مكونة من سبعة قضاة وبلى هذه المحكمة محاكم أخرى تنتشر في أنحاء المملكة . وقد نشأت جماعة خاصة متضلعة في الشؤون القانونية أشبه بالمحلفين . والمقويات كانت تشتمل الجلد والتشويه وبتر الأعضاء والإعدام أحيانا . (٣)

والحقيقة والعدالة كلتا شيئا واحدا عند دارا مع الشعور بالانتماء القومي ،

(١) Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 45.

(٢) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٣ .

ويحدثنا هيرودوت قائلا : " إن الفارسي لا يصلح نفسه ، ولكن لكل الأمة الفارسية والملك وما الإنسان إلا جزء من تحقيق هذه الأمنية العامة " .^(١)

أما مصادر الدخل القومي فقد كانت تأتي من المعابد والضرائب والغنائم وكانت الضرائب تفرض بواسطة حكام الأقاليم على كل مدن إيران فيما عدا فارس وميديا ، وإذا كانت هناك بعض المدن المستثناءة .

(٣) الجيش والأسطول :

كان الجيش يتكون من حرس الملك الذين كانوا يسمون عند الفرس " العشرة آلاف " وكان الجند والمحاربين ينقسمون إلى مشاة وفرسان يمتطون الخيول والعربات التي يجرها زوج من الخيل ، ويتميز الخيالة بما يلبسونه من أحمية وكانت الخدمة العسكرية شبه إجبارية بين سن الخامسة عشر والخمسين . وقوات الجيش تخضع لإشراف حرس الملك الذي كان يضم عددا من النبلاء والأشراف ومهمته هي حراسة الملك والمحافظة على حياته وممتلكاته .^(٢) وكان الحرس يتألف من الفرسان والمشاة . أما الجيش نفسه فكان يتألف من وحدات أساسية نظامية ووحدات أخرى عامة . وكانت الوحدات الأساسية تضم للفارس فقط أما الوحدات العامة فتضم فرقا من شعوب مختلفة وعلى الرغم من أعدادهم الضخمة إلا أن الجيش الفارسي كان يفتقر إلى وجود الانتماء والوحدة الوطنية والتناسق القومي بين مجموعاته .^(٣)

أما الأسطول فكان لدى إيران القديم أسطول قوى كان يضم سفنا فينيقية ويونانية ، واستخدموا فيه البحارة المصريين والقباصمة والسوريين وغيرهم إلى جانب الفينيقيين واليونانيين من آسيا الصغرى . وكان هذا الأسطول ينقسم إلى سفن

Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 45.

(١)

Id., op. cit., p. 122.

(٢)

Id., op. cit., p. 122.

(٣)

للهجوم وأخرى تستخدم كنفقات جنود ، وثالثة كنفقات أمّعة ومعدات ونفائر . (١)

ثانيا : النظم الاجتماعية :

كان المجتمع الفارسي القديم ينقسم إلى طبقات : الأمير والنبلاء ويايهم الرجال الأحرار الذين يملكون ضياعا ثم الأحرار المعدمين ولخيرا العبيد . (٢)

وكانت بيوت الأمراء والسادة تضم عددا من الخدم والرفيق من الرجال والنساء كما تضم عددا من ذوى المهن والحرف .

وكان هناك نظام الملكيات الصغيرة (٣) وكان الميديون يعيشون حياة زراعية فى القرى إلا أن الحكومات المركزية لم تكن موجودة فى أول الأمر ، وكان كل أمير يعتمد إلى جانب مزارعه ومراعيه على مناجمه وغنائه فى الحروب وما يتقاضاه نظير حمايته للتجار الذين كانوا فى بداية الأمر من غير الإيرانيين .

ثالثا : الحياة الاقتصادية :

ترتبط الحياة الاقتصادية ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية وما الحياة الاقتصادية إلا تعبير عن نشاط أفراد المجتمع .

(١) الزراعة :

اهتم معظم الملوك بتحسين الإنتاج الزراعى وحفر القنوات ونقل بعض النباتات والأشجار والحيوانات والطيور من بيئة لأخرى بقصد تعميمها وزراعتها فى غير موطنها الذى جلبت منه . وكان الفلاحون مرتبطين بالأرض فى الملكيات الكبيرة ، إلا أن بعضهم كانت لهم ملكياتهم الصغيرة ويعتمدون عليها كمصدر رزق (٤) وكان كل أمير أو نبيل يعتمد على مزارعه ومراعيه .

(١) د. أبو المحسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

(٣) الصناعات والمرف :

صناعة الفخار : حظيت صناعة الفخار بأهمية خاصة في بلاد إيران القديمة وذلك منذ العصر الحجري الحديث ، ولا سيما الفخار الملون ، الذي عثر عليه في سوس وبرسي بوليس . ونلاحظ أن هذا النوع من الفخار كان كثير الانتشار في إيران . وعلى الرغم من أن الحفائر لم تبدأ في الهضبة الإيرانية - إلا منذ فترة قصيرة فقد أكدت لنا أنها غنية بهذا الفخار الملون وقد أمدتنا الحفائر في مناطق أخرى مثل تبة جيان بالقرب من نهاوند ، وتبة حيسار في جنوب كايسين ، وتبة سيالك في مداخل كاشان ، بعينات من نفس الفخار ، حيث نجد في الأشكال والزينة ، تمثيلا للحيوانات المتنوعة الأشكال والتي كانت تحظى بمكانة معينة عندهم .

فن التطعيم : كان معروفا وخاصة الذهب المطعم بالأحجار الكريمة . ونجد هذه الطريقة في كثير من منتجات الطي الفارسية .

(إعداد المعادن : فن تصنيع المعادن كان معروفا أيضا لإعداد الأسلحة والسكاكين المصنوعة من النحاس ، ثم من البرونز التي كانت ذات مقابض لها مسامير في الأطراف ، وذلك قبل معرفة السكاكين ذات المقابض من الخشب وغيره من المواد . ثم أيضا صناعة رؤوس الحرايب والسهام والفؤوس ذات الأيدي ، منذ بداية القرن العاشر ق. م. وأصبحت الأسلحة من الحديد ولكن البرونز ظل مستعملا بصفة دائمة ، وأثناء الصراع بين الفرس واليونانيين ، كانت القوات الفارسية تستخدم سهامها من البرونز والحديد أيضا شظايا وكرات صغيرة من المعادن .^(١)

ومن حوالى الألف الأولى ق. م. كشف في منطقة لوريستان في إيران على جبانات لشعوب كانت تستخدم الخيول . وكانت العادة السائدة هي دفن سروج الخيول معهم وقد عثر على هذه السروج على الكثير من الآلات مثل الأجراس الصغيرة والأحزمة والأسلحة والفؤوس والخناجر وأوتى الطقوس من المعادن .

وعرف العيلاميون صهر المعادن وصناعة التماثيل من المعادن مثل رأس الملك التى عثر عليها فى نينوى والتماثيل المهتم للملكة نابير - إسو الذى عثر عليه فى سوس - وقد صهر هذا التمثال أصغر من الحجم الطبيعى وينقصه الرأس وأحد الأذرع وعلى الرغم من ذلك فهو يزن حوالى ١٧٥٠ كيلو جرام .

ومن بين الأشياء والقطع الأخرى الأكثر أهمية من المعادن ، يجب أن نذكر ما عثر عليه فى مدينة سوس مثل المنظر الذى يمثل موكب المحاربين ومائدة القربان التى يحيط بها الثعابين فى نحت بارز فى المعادن ، مما يدل على تقدم الإيرانيين فى مثل هذه الفنون .^(١)

(٣) التجارة :

أما بالنسبة للتجارة . فكان الإيرانيون يستوردون المواد الخام كالأخشاب من الساحل الفينيقي والفضة والنحاس من قبرص . وكانت الفضة تأتى أحيانا من آسيا الصغرى ومن إقليم كرمان كما كان يأتى الذهب والفضة من نفس المنطقة وتجلب الأحجار الكريمة من مناطق أخرى ، ولسهولة التعامل استخدمت النقود المصكوكة ابتداء من عهد دارا الأول^(٢) وربما اتجهوا استخدامها من الليديين . ولو أن أوزانها وأقسامها مأخوذة من النظام البابلى فى تقسيم الوحدات القياسية .

وكان هناك ما يسمى بمصارف المعابد والمصارف الخاصة التى تقوم بإقراض المحتاجين كما كان هناك أوراق الائتمان وأوراق المستندات التى كانت معروفة .^(٣)

Contenau, op. cit., p. 72. (١)

(٢) د. أبو المحاسن عصفور ، للمرجع السابق ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ شكل ٥٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ .

رابعاً : الديانة والمعتقدات :

(١) العبادات :

كان الآريون يعبدون في بداية الأمر زوجاً من المعبودات : معبود للمواصف والمطر ومعبودة للشمس أحياناً والأرض أحياناً أخرى ، إلى جانب ما عبدوا من حيوانات وتمثيل للأجداد . وكانوا يعبدون قوى الطبيعة كالشمس كمعبود باسم " مئرا " والأرض باسم " زام " والرياح باسم " وهو " كما عبدوا الماء والنار أيضاً والظواهر الأخرى وتنقسم إلى قسمين : ظواهر خيرة وأخرى شريرة - مثل الليل والقحط والقبح والخداع ، وقوى الخير في صراع دائم مع قوى الشر .^(١)

ولهذا لجأوا إلى المعبودات التي كانت تطلب تضحيات دموية . وهذه الطقوس كان يقوم بها أحد رجال الدين يطلق عليه اسم " ماجي " أي المجوسى وكانت طبقة الكهنة من المجوس هم حلقة الوصل بين الحاكم والشعب .

وإذا رجعنا إلى الوراء قليلاً ، نجد أن مجتمع الفرس الأخمينيين ، مثل مجتمع أجدادهم السابقين البعديين من الهندوأوروبيين ، قد قام على أسس ومبادئ دينية ثلاثة أو أربعة وهي :

- سيادة الروح المقدسة .
- القوة المادية والتمثلة في قوة المحاربين .
- الإخصاب (المتمثل في الزراعة) .
- العمل (الذي يتمثل في نشاط الإنسان في مهنته وحرفته) .^(٢)

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 47.

(٢)

(٢) المازدية :

وقد منحت قوة الروح المقنعة إلى الملك بواسطة أهورا مازدا ، الذى يحكم السماء ويشمل الأرض ويحميها بجناحيه . والديانة المازدية هي صورة من الديانات القديمة التى كانت شائعة عند الهنـدوأوربيين .

وقد نشأت هذه الديانة على يد حكيم يعرف باسم زرادشت ولا نستطيع فى الواقع تحديد وظهور زرادشت فى التاريخ بالضبط ، (ربما فى حوالى عام ١٦٠٠ أو ١٠٠٠ ق.م) . وكان زرادشت بعش فى ميديا ولكنه غادرها لكي يبشر بدينه الجديد فى شرق بلاد فارس . وكان كاهنا وعالما ومصلحا وتذهب بعض الروايات إلى القول بأن مولد زرادشت القترن بالمعجزات وأن المعبود أهورا مازدا قد ظهر له ووضع بين يديه كتاب " الأوستا " .^(١) الذى هو عبارة عن مجموعة من النصوص المقدسة الخاصة بفارس القديمة فى العصور المختلفة .

ونجد فيه أيضا فكرة مبسطة عن الطقوس البدائية المتمثلة فى عبادة الحيوانات المقدسة مثل الحصان والثور والكلب والثعبان والتضحيات فى الهواء الطلق .

وفى بداية الألف الأولى قبل الميلاد (للتاريخ غير مؤكد إلى حد كبير) أوضح لنا زرادشت مؤلف الأوستا معالم الديانة المازدية . وكانت فكرتها تلخص فى أن العالم يحكمه عاملان :

معبود للخير يسمى أهورا مازدا الذى خلق كل ما هو خير وما هو نافع ، وهو يعد فى نفس الوقت من أكبر المعبودات طبقا للديانة المازدية .^(٢)

(١) توجد هذه المخطوطات الآن بين يدي باريسيس من بومباي وجيريس من بلاد فارس .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٠-٢٣٥؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٥٥ - ١٦٦ .

- معبود للشر هو أهريمان الذى تتجمع فى داخله كل العناصر الشريرة والضارة . فنجد من ناحية عنصر الحماية والأمان اللذين يحققها أمورا مازدا ومن ناحية أخرى عنصر التهديد والخوف اللذين يثيرهما أهريمان ، فكلاهما يسيطر على مصير العالم فى كل لحظة .

فالضوء هو انتصار لأمورا مازدا والليل هو انتقام لأهريمان ^(١) ونرى بعد ذلك طابع التفاؤل بسود الديانة ، وفى نهاية القرون نجد أن أمورا مازدا ينتصر ويفرق بين الخير والشر ، ويظهر العالم بواسطة النار ويجمع البشرية كلها فى عبادته . وفى الواقع أن حياة البشر يتحكم فيها عاملان : الصراع بين الخير والشر ، والمستقبل الذى يوعده هؤلاء البشر ، ما هو إلا انتصار للخير فى النهاية . وعلى الإنسان أن يختار بين النور والظلمة والحق والباطل .

ولقد عمل زرادشت على تحقيق خطوة هامة فى التفكير الإنسانى . وكان برنامجه هو تعاون المزارع والمحارب تحت سلطة الكاهن والأمير طبقا لخطة وضعت بوحي من المعبود . وعمل على نشر تعاليم كتابه " الأвестا " بين الناس جميعا . وعندما تولى دارا الأول العرش رأى بأن يدعو إليه زرادشت لكى يوحى بعناصر الخير فى نفوس الناس فجعل المازدية هى الديانة الرسمية للدولة وأصبح الدين الزرادشتى المصدر الروحى للفرس . ونحن لا نعرف ما هى ديانة قورش وقمبيز ولكن دارا أصبح مازديا وبذلك تحول الفرس من عبادة معبودات متعددة إلى عبادة معبود واحد . ^(٢)

غير أنهم كانوا يحتفون أيضا بوجود مجموعة من الملائكة المؤثرة والكاننات التى تعين معبود الخير على تحقيق أهدافه وإلى جانبها توجد سبع من الأرواح الشريرة ، وهى تسبح دائما فى الهواء وتسمى لإغراء البشر لارتكاب الأثام وفعل الشر . ورئيس هذه المجموعة هو أهريمان أمير الظلمة وحاكم العالم السفلى

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

وخلق المعاصي والآثام والحيوانات والحشرات الضارة والذي يعمل بكل طاقته ليحطم الجنة التي أسكنها أهورا مازدا للسلف .^(١) أهورا مازدا هو معبود العدالة وتتمثل فيه كل القيم والمبادئ التي تدعو إليها المازدية هي " الفكر النقي ، الكلمات النقية ، التصرف النقي " وقد قضى بذلك على التضحيات الدموية والشراب الممسكر الذي يسمى هاوما . والمظهر الوحيد للتضحية هو النار ، وكانت الطقوس تؤدي عن طريق النار . وكان الفرس الأخمينيون يسمحون للشعوب المنهزمة بمزولة معتقدات ديانتهم بنوع من الحرية . وهكذا نرى عبادة مئرا معبود الشمس وأنهايتا معبود الماء يدخلان ضمن مجموعة المعبودات الرسمية في عصر أرتاكسركسيس الثاني (أرتشير الثاني) مع المعبودات الأخرى .^(٢)

(٣) الطقوس :

كانت النار بنقائها ، تمثل الرمز الحي لأهورامازدا ، لذلك نجد الفرس يشيدون مولد صغيرة في الهواء الطلق ، وتوقد عليها النيران بواسطة الكهنة . والتقوى والورع ليست بالتعبد " إقامة الشعائر لعبادة النار " فحسب ولكن أيضا التقاضي في أداء أعمال الخير بجد وإخلاص وذلك لمساعدة أهورامازدا لكي ينتصر الخير على الشر - وأيضا القيام بالأعمال اليومية : " حرث الحقل وحفر الترع ، إقامة السدود ، القضاء على الحيوانات والحشرات الضارة مثل الفمسل والضفادع " ، أي العمل من أجل تحقيق أهداف معبود الخير^(٣) ولكي يكفر الفارسي عن أعماله السيئة فكان عليه أن يقوم على سبيل المثال " بقتل ألف ثعبان ، ألف ضفدع برى ، ألف ضفدع مائي ، وقتل ألف نملة التي تصرق الحبوب .^(٤) وأقاموا المعابد على مفوح

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

(٢) Dupont - Sommer, les Civilisations de l'Iran, p. 71.

(٣) Philipe et Rouche, Histoire, p. 64.

(٤) Id., op. cit., p. 64.

القتال وفي ساحات القصور وأواسط المدن وأشعلوا فيها النيران المقدسة قربانا للمعبود أهورامازدا ، ثم بالغوا في تقديس هذه النيران ، حتى وصلت إلى درجة العبادة ، كما قدموا الشمس باعتبارها نار السماء الخالدة (١).

وقد عثر على ثلاثة معابد من عصر الفرس الأخمينيين وكل منها في هيئة برج مربع يشمل صخرة واحدة يمكن للوصول إليها بدرج وفيها كان المجوس يرفعون النار المقدسة ويبدو أن الاحتفالات الدينية كانت تقام في الهواء الطلق حيث عثر على المذابح في العراء بعيدة عن المعابد - وإليها كانت تساق حيوانات التضحية في موكب حافل بالمربات التي تجرها الخيول المقدسة (٢).

وقد أثرت المعتقدات الدينية الإيرانية في الديانة اليهودية إلى حد كبير ، ففي القرن السادس قبل الميلاد ، نجد أن الصيغ التي تحتويها العقيدة المازدية من صراع بين الخير والشر أصبحت هي نفس المبادئ الموجودة في الديانة اليهودية بعد فترة نفى العبرانيين إلى بابل . وفكرة بعث الموتى والمحاكمة الأخيرة بواسطة النار ، كانت من الأفكار الزرادشتية الأساسية والرئيسية ، كما أصبحت فيما بعد من الأفكار الموجودة في بعض الديانات الأخرى .

وقد اعتقد الفرس في خلود الروح ، ويعد عملية وزن الروح ، نجد أن الأرواح ذات الشفافية لهؤلاء الذين أصبحوا أنقياء ، تحتاز ما يشبه المعبر أو الحاجز الذي يؤدي إلى عالم الجنة . أما الأرواح الشريرة فصيرها جهنم وعالم النار .

وعرف الفرس أيضا طريقة الدفن - ويقص علينا هيرودوت (في القرن الخامس ق. م) أنه كان يغطون الأجساد بطبقة من الشمع (٣) ولكن انتشرت فيما بعد عادة عرض الأجساد للطيور المفترسة على ما يسمى " أبراج المكون " التي تنهشها ويتبقى لهم في النهاية الهيكل العظمى الذي يقومون بجمعه .

(١) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ شكل ٥٧ ، وص ٢٨٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

ولم تمنع ديانة زرادشت من ظهور عبادات أخرى . ففي عهد أرتاكسركسيس الثاني عاد للظهور معبود الشمس مثرا وهو من للمعبودات الإيرانية القديمة ، وعبادة المعبود إناهيتا (أرتيميس) وهي معبودة الماء والخصب والنساء ، وتشبه في صفاتها عشتار البابلية .

ويذكر لنا هيرودوت أنه لم يكن للفرس معابد أو هياكل أو تماثيل للمعبودات . والمعبد كان عبارة عن برج مربع فيه غرفة واحدة يصل إليها الكاهن بسلم ليتولى شأن رعاية النار المقدسة ، وعلى مسافة قليلة من المعبد ، كانت تقام مذابح في المراء وذلك من أجل الاحتفالات الدينية .

خامسا : الحياة الثقافية :

إن كلمة ثقافة معروفة للجميع ولكن عندما حلول الباحثون والمفكرون تحديدها وتعريفها اختلفوا اختلافا شديدا بالنسبة لتحديد مدلولها في العصر الحديث . ولم يتفق المفكرون على مدلول واحد محدد يمكن الأخذ به . ويرى البعض أن الثقافة هي المعرفة التي يتوصل إليها الإنسان من نفسه أو تؤخذ عن طريق الأخبار والتلقى والاستنباط مثل الكتابة واللغة والدين والأحاديث والأدب وسائر المعارف النظرية . ويرى البعض الآخر أن الثقافة هي نوع من المعرفة الخاصة أو المحلية التي تنسب إلى الأمة التي نتجت عنها وتكون من خصوصياتها ومميزاتها مثل اللغة والأدب وسير الأبطال والتراجم الشخصية والتاريخ . ويرى فريق ثالث أن الثقافة تعنى : الارتقاء بخصائص وصفات ومزايا الإنسان وحسن تأهيله وتربيته واكتسابه مجموعة من المعارف تساهم في تشكيل شخصيته . ويرى فريق رابع أن الثقافة هي : ' رقى الفكر وسمو الوجدان ' ، ويتحقق رقى الفكر بالعلم والمعرفة والخبرة وسمو الوجدان يتمثل في التمسك بالدين والأخلاق والفنون الرفيعة المختلفة .^(١) ويرى فريق خامس أن الثقافة هي العادات والتقاليد السائدة في المجتمع . ويرى فريق سادس أن الثقافة هي التراث بصفة عامة . ويرى فريق سابع أن الثقافة تتضمن اللون المعرفة

(١) هذا هو تعريف أ. د. أحمد هيكال في إحدى نواته .

والمعتقدات والأخلاق والعادات والقوانين والفنون وغيرها من الأمور التي يكتسبها الإنسان أو يتأثر بها في مجتمعه الذي يعيش فيه .^(١) ويرى فريق ثامن أن الثقافة هي الإلمام بمعارف العصر والتراث وأن يعيش الإنسان عصره مؤثرا فيه ومتأثرا به .

أما بالنسبة لأهل الحضارات القديمة فإن الثقافة تعني إتقان الكتابة وفهم اللغة وحسن التعبير في الأدب والإبداع في الفنون المختلفة . على اعتبار أن إتقان الكتابة هو الأساس في التعلم والاستيعاب ، وفهم اللغة هو الأساس في إجادة التعبير وهي الوسيلة الضرورية لتسجيل ونشر المعرفة والعلوم والآداب . وأن الأدب هو نوع أو لون من ثقافة الإنسان وأن الفنون هي التي تعكس قدراته وإمكاناته ومواهبه .

(١) الكتابة واللغة :

لم يعرف الإنسان في البداية الكتابة ولكن كان يعبر عن أفكاره أو ما يدور فيها برسم أشياء مادية أو كائنات حية مرئية في البيئة المحيطة باعتبار أن هذا الشيء المادى هو رمز يعبر عن الأفكار . مثال ذلك ما ذكره د. شعبان في مقدمة كتابه عن الكتابة العربية^(٢) أن الملك الفارسي دارا الأول تلقى رسالة تهديد من قبائل السكيث عندما غزاهم عبارة عن : طائر وفأر وضفدع وخمسة سهام . وقد فسرت هذه الرسالة لدارا على أن الفرس لن لم ينجوا بأرواحهم بسرعة الطير أو الفئران التي تختفي في الجحور أو كالضفادع التي تدفن نفسها في الطين هربا من خطر يهددها فإن مصيرهم سيكون " الموت " بتلك السهام الخمسة على الأرض ومن كافة الجهات .

(١) عن مفهوم الثقافة ونظرياتها ، راجع : د. مفير مرسى : اصول التربية ، علم الكتب القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٥٩ - ٢١٦ .

(٢) د. شعبان خليفة : الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء ، العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٨٩ ، ص ٦ .

وبعد هذه المرحلة من استخدام الأشياء المادية نفسها للتعبير عن رسائله الفكرية انتقل الإنسان إلى المرحلة الثانية أى الكتابة الفعلية وهى " للكتابة التصويرية " وقد عمد الإنسان فى بداية هذه المرحلة إلى رسم صورة الشيء كاملة أو الاكتفاء بجزء مختصر من هذه الصورة ، فرسم رأس الحيوان بدلا من الحيوان الكامل . بل وأكثر من هذا تطور أمر التصوير للتعبير عن المعانى المجردة والأحاسيس بشئ مادي مثل التعبير عن الحزن بعين تدمع^(١) وهذا واضح فى الكتابة المصرية القديمة .

ونشأت للكتابة المسمارية من نفس نقطة البداية فى الكتابة المصرية أى رسم الشكل الذى يمثل الشئ أو الكائن الحى أو الفكرة ولكن استخدم الخزف كمادة للكتابة فى بلاد النهرين كان سببا فى تحويل الرسوم التصويرية إلى جمع من الإشارات ضمت بعضه إلى بعض . وتشبه كل علامة مسمارا أو أمقينا . وكان الكاتب يرسم هذه العلامة بواسطة قصبة حدد رأسها بشكل منحنى أو مثلث الزوايا يفرزها الكاتب فى الخزف بداية غرزا قويا ثم يمسحها مخففا بشكل تدريجى بالضغط على إحدى الزوايا .

وأصبحت أشكال المسمار هذه هى العلامات المميزة للكتابة المسمارية . وقد تكون أفقية أو عمودية أو منحنية .

وبعد الخزف جربت الكتابة المسمارية على المعادن والأحجار . ثم تم إعداد الألواح الطينية وأصبحت هى المادة الرئيسية للكتابة المسمارية .^(٢) وكانت الكتابة المسمارية تكتب على الألواح الطينية أو الخزف وهى طريقة ثم تجفف بعد ذلك فى الشمس أو تجفف فى الأفران . ولذلك كانت هذه المواد تبقى من أية مادة أخرى كالبردى أو الرق واحفظ من التآكل لعدم استخدام الحبر . واتخذت الألواح الطينية أشكالا مستديرة أو مسطحة أو قائمة الزوايا .^(٣)

(١) د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣ .

ويرجع الفضل في اختراع الكتابة المسمارية إلى الشعوب السومرية ، لأنهم كانوا أقدم الشعوب التي سكنت جنوب بلاد النهرين منذ بداية الألف الثالثة (٣٠٠٠ ق. م) وجاء بعدهم الأكديون منذ منتصف الألف الثالثة (حوالي ٢٣٤٠ ق. م . تقريباً) واستقروا في وسط بلاد النهرين . وانتشر الخط المسماري على يد الأكديين وانتقل بعدها إلى إيران وإلى سوريا فكتب به الحوريون، وإلى آسيا الصغرى وكتب به الحيثيون إلى جانب الخطوط الأخرى .^(١)

ويرى بعض العلماء أن أول ظهور للنقوش الحجرية المسمارية يرجع إلى عام ٣٦٠٠ ق. م . (٢) بينما بدأت الألواح الطينية المسمارية في الظهور حوالي عام ٣٢٠٠ ق. م .^(٢) وهي نفس الفترة تقريباً التي ظهرت فيها الكتابة المصرية على الآثار وأخر كتابة بهذا الخط ترجع إلى القرن الأول الميلادي^(٣) (ولكن الهيروغليفية في مصر عاشت أكثر من ذلك لأن آخر مثال لوجودها هو نقش عثر عليه في فيلته ويرجع إلى ٣٩٤ ميلادية)^(٤) والكتابة السومرية المسمارية تقرأ من اليمين إلى اليسار وكان البابليون أول من كتب من اليسار إلى اليمين .^(٥)

ولقد مر الخط المسماري بنفس المراحل التي مر بها الخط المصري القديم من صور معبرة عن كلمات ومعاني إلى علامات مبسطة تعبر عن نفس الكلمات والمعاني إلى علامات تعبر عن مقاطع صوتية . وتوقف تطور الخط عند هذه المرحلة حتى اختفى الخط المسماري في القرن الأول الميلادي .

(١) د. شعبان خليفة : المرجع السابق ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٤) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، دار نهضة الشرق بحرم

جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٦٠ حاشية (٣) .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤ .

ولقد حيرت الكتابة المسمارية العلماء مذات السنين عاجزين عن حل رموزها . وتلقت صعوبة هذه الكتابة من كثرة عدد العلامات وتنوع المعاني الممكنة لكل جمع أو عدد من العلامات . فقد يعنى الجمع فكرة أو مقطعا صوتيا أو صفة . وقد يختلف معناه ان وضع قبل جمع آخر أو بعده .^(١)

ولقد جاء حل رموز الكتابة المسمارية عن طريق الكتابة البابلية القديمة ومن المعروف أن اللغة البابلية هي لغة سامية نشأت من تطور لغتي سومر و أكد . وكانت تكتب بخط سومري في الأصل . ولكن مفرداتها اختلفت عنها على مر الأيام حتى استلزم هذا الاختلاف بين اللغتين السومرية والبابلية وضع معاجم وقواعد في النحو والصرف يستعين بها الخبراء والكهنة من الشهبان على تفهم اللغة السومرية الفصحى . ومن أجل هذه المهمة نجد أن ربيع الألواح التي عثر عليها في أرشيف المكتبة الملكية لقصر آشور بانيبال في نينوى كانت عبارة عن معاجم في اللغات السومرية والبابلية والآشورية .^(٢)

والعلامات في الكتابة البابلية السامية كالعلامات في الكتابة السومرية لا تدل على حروف وإنما تدل على مقاطع . والبابليون مثل السوريين والآشوريين لم يطوروا كتابتهم إلى حروف مستقلة بل ظلوا طوال عهدهم يستخدمون طائفة من المقاطع الصوتية يرمزون لها بنحو ثلاثمائة علامة معبرة . وكان البابليون كالسومريين والفينيقيين ينظرون إلى الكتابة على إنها مجرد وسيلة للتعامل التجاري . ولذلك لم يستعملوا الكثير من ألواحهم الطينية في مجال الأدب .^(٣)

وجذبت النصوص المسمارية الغربية أنظار الرحالة واللغويين من علماء العالم وحاول كل منهم قدر جهده معرفة جانب من جوانب هذه اللغة لحمل غموض رموزها ولهذا عمل عدد منهم على تصويرها ونسخ نصوص منها . وبدأت

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤ .

المحاولات الأولى لحل غموض الكتابة البابلية ومن ثم السومرية والآشورية على يد جورج جروتفند أستاذ اللغة اليونانية في جامعة جوتنجن الذي أبلغ المجتمع العلمي في تلك المدينة عام ١٨٠٢ أنه ظل عدة سنوات يواصل البحث والدراسة لبعض المخطوطات المسمارية التي وصلت إليه من بلاد فارس . وأنه استطاع أن يتعرف على ثمانية من اثنين وأربعين علامة مستخدمة في هذه المخطوطات وأنه ميز ثلاثة من أسماء الملوك المعروفة فيها .^(١) وجاءت المحاولة الثانية في عام ١٨٣٥ حين استطاع هنري رولنسون أحد موظفي السلك الدبلوماسي البريطاني في إيران (كان على غير علم بما توصل إليه جروتفند) أن يقرأ ثلاثة أسماء هي : هيبتابوس (والد دارا) ، دارا ، أكسركسيس (خشيأ رشأى) في نقش وصل إليه مكتوب بالخط الفارسي القديم ، وهو خط مسماري مشتق من الكتابة البابلية . وأمكنه بفضل هذه الأسماء أن يقرأ النص كله في آخر الأمر . ولكن هذه الكتابة وإن كانت مشتقة من الكتابة البابلية لم تكن هي البابلية نفسها .

وكان رولنسون يأمل في العثور على حجر رشيد مسماري (كما حدث بالنسبة لشمبوليون مع حجر رشيد) أي يعثر على نص واحد كتب باللغتين الفارسية القديمة والبابلية مثلاً . ولم ينتظر رولنسون طويلاً حيث عثر في مكان يعلو سطح الأرض بنحو ١٣٠ أو ١٤٠ متراً .^(٢) وكان هذا النقش محفوراً على صخرة يتعدى الوصول إليها عند بيمتون ، وهي صخرة تعلل على الطريق التجاري القديم المسودى من كرمشاه حتى همدان على مسافة مئة كم جنوب أكيانان وبالقرب منها دارت معركة كوندور والتي قضى فيها دارا الأول (٥٢١ - ٤٨٥ ق.م) على آخر خصومه .

وسجل هذا النقش بثلاث لغات هي : الفارسية القديمة ، والعلامية العتيقة ، والبابلية (ويسمى البعض الآشورية) وكتب النص الفارسي القديم في خمسة أعمدة

(١) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤ - ١٥ .

تضم ٤١٤ سطرًا . والنص العيلامي كتب في ثلاثة أعمدة تضم ٢١٣ سطرًا . والنص البابلي يتكون من ٢١٢ سطرًا . ويقع للنص الثالث إلى اليسار مباشرة من النصين السابقين للذين يوجدان في الوسط . وفوق هذا النقش نقش بالحفر البارز منظرًا يصور المعبود اهورا مزدا ودارا واقفاً وقدمه اليمنى فوق جاوماتا مدعى العرش . ويذكر دارا في هذا النقش نعيه وأصله ثم يتحدث عن الاضطرابات التي نشبت في بداية حكمه والحملات التي خاضها ويتحدث عن الولايات العشرين التي أخضعها لحكمه . وعكف رولنسون على نسخ كل حرف من حروف هذا النقش بعناية كبيرة . وكان أحياناً يطبع النقش كله على عجينة لينة بعد صعوده إلى هذه الصخرة معرضاً حياته لأخطار شديدة نظراً لارتفاعها الشديد حرصاً على نقله نقلاً سليماً^(١) . وما لا شك فيه أن كتابة نصوص صخرة بيمتون بكتابات ثلاث سهل عمل مقارنات بين ألفاظ ومفردات الكتابات الثلاث والاستعانة بالواحدة منها فسي فهم مترادفات الأخرى ، مع مقارنة الكتابة الفارسية القديمة بنصوص أخرى عثر عليها في اصطخر (برسي بوليس)^(٢) . قام بنسخها نيبور عام ١٧٦٥ .

وبعد جهد دام اثنتي عشرة سنة كاملة نجح رولنسون في ترجمة النصين العيلامي والبابلي عام ١٨٤٧ وقدم رولنسون بحثاً للجمعية الملكية للدراسات الآشورية في لندن أوضح فيه أنه توصل إلى معرفة قراءة حوالي ١٨٠ اسماً وأيضاً تعرفه على معنى القيمة الصوتية لنحو ١٥٠ رمزا وتعرف على نحو ٥٠٠ كلمة من الكتابة البابلية (يسميها البعض الآشورية)^(٣) . وأرادت هيئة الجمعية الملكية للدراسات الآشورية أن تتأكد مما توصل إليه رولنسون وغيره من العلماء الذين سبقوه من قراءات لهذا النص وغيره من الوثائق . فأرسلت أربع نسخ من وثيقة مسمارية غسير منشورة وغير معروفة ، نسخة إلى رولنسون نفسه وثلاث نسخ أخرى إلى ثلاثة من علماء الآثار الآشورية وهم اليونز المستشرق في جامعة أكسفورد

(١) راجع فيما سبق ، ص ٥٣ - ٥٤ ، ٨٤ .
(٢) د. عبد العزيز صالحي : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧١ .
(٣) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٩٤ ، ٢٤١ - ٢٤٤ . د. فاضل عبد الوالد : سومر : أسطورة وملحة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ١٦ ، ٢٠ .

والإيرلندي هينكس والمستشرق الإنجليزي تالبوت . وطلبت من الأربعة كل منهم على انفراد أن يقوم بإعداد قراءة وترجمة مستقلة عن الثلاثة الآخرين لهذه الوثيقة غير المنشورة دون أن يتصل بهم أو يرسلهم أحد . فلما جاءت الردود الأربعة وجدت كلها متفقة مع بعضها اتفاقا يكاد يكون تاما في القراءة والترجمة وذلك بعد ان شكلت هيئة الجمعية الملكية للدراسات الآسيوية لجنة خماسية لدراساتها وتبين بعد المقارنة ان القراجم الأربع متقاربة للنص الذى كان يخص الملك تيجلات بلاصر الأول . وذلك مما عجل بنشر النص الكامل لنقش بيستون بالكتابة البابلية السامية علم ١٨٥١ . ومن هنا لقب رولفسون " بأبى الدراسات المسمارية " .^(١) وفى العام نفسه تقريبا أعلن هينكس الإيرلندي أن الكتابة البابلية ليست هجائية بل تتألف من رموز ويمثل كل منها مقطع أو كلمة ذات معنى أو مخصص . هذا وإن النص يتكون من مئات من العلامات ذات الأشكال المختلفة .

وتوالت الجهود بعد ذلك لمعرفة المزيد عن الكتابات المسمارية المختلفة من جانب علماء العالم حتى أضفى من السهل الآن قراءة أى نص مسمارى شأنه فى ذلك شأن اللغة المصرية القديمة . وأصبح أرشيف مكتبة قصر آشور بانيبال فى نينوى ذات الألواح الطينية البالغ عددها ثلاثون ألف لوح مصدر لدراسة الخط المسمارى بكتابه المختلفة ، وقد نقلت هذه الألواح إلى المتحف البريطانى .

ويتضح من كتابات نقش بيستون أن أهل بلاد فارس اشتقوا كلغة رسمية لهم الكتابة المسمارية التى اقبسوها من الخط البابلى والذى كتب به أولا العيلاميون ثم الميديون والفرس .

وكما ذكرنا سابقا أن أهمية حضارة سوس التى ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد فى فجر المصور التاريخية لعيلام فى اختراع الإنسان لعلامات الكتابة التى كانت تسجل على ألواح من الطين وهى الكتابة التى عرفت باسم " ما قبل العيلامية " التى عرفت فى سوس ودخلت أيضا إلى منطقة ميالك .^(٢) كما اشتقت من الكتابة المسمارية العراقية ، الكتابة الفارسية اشتقت أيضا الأبجدية الفارسية ، التى كانت تستخدم علامات ليس لها حروف أبجدية إلى حد ما ، فبالإضافة إلى أنها كانت

(١) د شعبان خليفة : للمرجع السابق ، ص ١٥ ؛ وفيما سبق ، ص ٨٧ - ٨٨ حاشية (٣) .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٦٠ .

تتضمن الأصوات البسيطة ، فإن طريقة الكتابة تعرف أيضا بعض العلامات ذات المقاطع . ومن الجدير بالملاحظة القول بأن هذه الكتابة التي استخدمت في عصر الفرس الأخمينيين (في الألف الأولى ق.م) قد اخترعت في الوقت الذي كانت فيه الحروف الأبجدية مستعملة بصفة دائمة في سوريا ، إلا أنها لم تستطع أن تتخلص من تأثير الماضي وظلت وسطا بين الطريقة السومرية الأكديّة التي اندثرت والحروف الأبجدية لرأس الشمر . وقد تمتعت الولايات التابعة للإمبراطورية الفارسية بشيء من الحرية إذ سمح لها باستخدام لغتها الوطنية الخاصة بها . كما يتضح أيضا من كتابات نقش بيستون الثلاث وجود ثلاثة أساليب للكتابة ، هي :

الأسلوب الأول الذي كتبت به الفارسية القديمة كان بسيطا وكان يتضمن عددا قليلا من العلامات فكان يتكون من ٤٣ علامة^(١) وأمكن توضيحها بسهولة . ولمعالجة مثل هذه النصوص كان لابد من مقارنتها لغيرها من النصوص عثر عليها في بلاد فارس لم يكن هناك سبيل إلا الافتراضات والنظريات . فالمفروض أن هذه النصوص تحدثنا عن الملوك الكبار للفرس الأخمينيين ، وكان لابد من العثور على أسمائهم مع الصيغ المعتادة للمراسيم والنسب والملاحة . وقد نجحت هذه المحاولة وأمكن التعرف منها على أن الحروف الساكنة يمكن أن تختلف تبعاً للحروف المتحركة التي تتبعها . لذلك أمكن قراءة هذه النصوص . ولترجمتها كان لابد من الاستعانة بالفارسي القديم الذي كان معروفا . وكتب ملوك فارس جميع نصوصهم التاريخية بالخط الفارسي القديم . وقد وردت بعض مفردات من هذه اللغة فيما سبقها من لغات . فاختراع الكتابة المسمارية التي تعبر عن لغة الفرس القديمة ، يرجع إلى عصر الملك تيبس (حوالي عام ٦٧٥ - ٦٤٠ ق.م) وكانت هذه الكتابة الفارسية القديمة ، محفورة على لوحات من الطين وقد عثر على واحدة فقط في سوس ، وهي تحمل صورة من القوانين لتأسيس قصر الملك دارا .

أما الأسلوب الثاني الذي كتبت به العيلامية كان صعبا وكان في الأصل عبارة عن كتابة عرفت فيما بعد كلغة منطقة سوس وهي تنتمي إلى مجموعة اللغات

(١) د. فاضل عبد الواحد : للمرجع السابق ، ص ٢٠ .

الأسبوية . وهي لغة أهل سومس وكان يتكلم بها أهل عيلام وكتبت بهذه اللغة بعض النصوص التاريخية والإهداء على الآثار والمعقود والصيغ القانونية . وفي ذلك أبلغ دلالة على وجود لغة تفيض بالحيوية والمرونة .

أما الأسلوب الثالث الذي كتبت به البابلية (أو الأكشورية) فكان أكثر تعقيدا^(١) وكان يتكون من فئات من العلامات ذات أشكال مختلفة وربما كانت متشابهة بالأكدية التي كانت من عائلة اللغات السامية ؟ فيلاحظ أن عدد الحروف فيها أكثر من الأسلوب الأول (أي الفارسي القديم) ، والمحاولات التي أجريت لقراءة الأسماء الملكية التي أعطت لها النصوص الفارسية القديمة ، لم تأت بشمارها المطلوبة إلا عندما أمكن فهم أن الكلمة في هذه الكتابة يمكن أن تكتب بعدد من الحروف المتحركة أو بعلامة واحدة لها نفس القيمة (المخصص) . كما اكتشف أيضا أن علامة واحدة يمكن أن تقرأ بعدة طرق مختلفة . وكانت الأكدية المسمارية منافسا للعيلامية المسمارية .

إن عدم وصول الكتابة في بلاد النهرين إلى المرحلة الهجائية أدى بطبيعة الحال إلى استخدام أعداد كبيرة من العلامات المسمارية التي بلغت في العصور الأولى من تاريخ الكتابة ما يزيد على ٢٠ علامة واختلفت بمرور الزمن حتى أصبحت ٨٠٠ علامة عام ٢٦٠٠ ق. م.^(٢)

بالإضافة إلى هذه الكتابات الثلاث أو الأساليب الثلاثة استخدم أهل بلاد فارس اللغة الآرامية التي كانت تستخدم منذ الألف الأولى ق. م . كلغة في التبادل التجاري وأيضاً كلغة للتحدث بها . واستخدمت هذه اللغة أيضاً في عصر الفرس الأخمينيين في إدارة شئون الدولة . وقد احتفظت للكتابة المسمارية الفارسية للفرسي القديم ببعض العلامات الآرامية وقد أدى كتابة الفارسي بعلامات آرامية إلى نشأة ما يسمى بالكتابة البابلية . ومن بين الثلاثين ألف لوحة التي عثر عليها في أورشليم مكتبة القصر الملكي لآشور بانيبال في نينوى لا يوجد واحدة مكتوبة بالفارسية . فأغلبها كتب بالكتابة العيلامية وكتب القليل جداً بالآرامية^(٣) ، وإلى جانب استخدام الخط الفارسي المسماري في الكتابة استخدم الفرس في معاملاتهم التجارية الآرامية مما ساعد على نشاط التعامل التجاري إذ أن الخط الآرامي كان واسع الانتشار في معظم بلدان الشرق القديم.^(٤)

(١) د. غابriel عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٦ ، ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦

(٣) Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 47.

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) الألب وفروعه :

ترتب على اختراع الكتابة في إيران ، تقدم الألب . ومنذ عصر ما قبل التاريخ عثر في سوس على أول معاهدات للتحالف أو الولاء أو الخضوع ، كتبت بالعميلية ونجد أنها حررت بنوع من الوعي السياسي مثلاً نقراً : ' عدو نرام - سين هو عدوى ، وصديق نرام سين هو صديقي ' .

وحررت الحوليات الملكية أثناء حكم الفرس الأخمينيين بنفس الطريقة ، أما عن الأدب الديني ، فقد تمثل لنا في الكتب المقدمة التي احتوتها الأستا وأقدم أجزائها عبارة عن أناشيد ذات طابع حربي وترجع إلى عصور قديمة .

وقد ترك لنا زرادشت شعائر في عقائده التي نشأت في مكان ما على حدود الإمبراطورية الإيرانية . وإبان حكم الملك أرتاكسرخميس الأول (أردشسير الأول) أمر بجمع النصوص المتفرقة في الأستا ونجد أنه أضاف إليها مؤلفات في الطب والفلك^(١) ، وعن الشعر ، فيجب أن نذكر بأن أهم القطع الأدبية عند الفرس ، ترجع إلى عصر الملك أرماسيدس في القرن الثالث ق. م . فقد عثر على نص شعري ، من هذه الفترة في " ذكرى زارير " كتب بالشعر وليس بالنثر كما اعتقد بعض العلماء ، ويبدو أنه كان لهذا النص أصل ونسخة ترجع إلى عصر سابق^(٢) .

(٣) العلوم المختلفة :

لمعرفة كافة النواحي العلمية التي توصلت إليها الحضارات القديمة في الشرق القديم . لا يجب أن ننظر إليها بمقياسنا الحديث ، فالعلوم بالنسبة لنا هي عبارة عن بحث لقوانين المادة والطبيعة . ولم يكن هذا الأمر معروفاً في حضارات الشرق القديم . فالعلوم هي نتائج رؤية من طرف المعبودات مباشرة أو غير مباشرة ، ولكن

Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 122.

(١)

Id., op. cit., p. 125.

(٢)

على الرغم من أن الشرق القديم لم يكن يمتلك تلك الوسائل المادية التي نملكها اليوم ، فإنه استطاع بوسائله البسيطة البدائية أن يتوصل إلى نتائج لا بأس بها .^(١)

فهناك مثلا بعض الحقائق التي نعرفها عن الطب وذلك طبقا لما ورد في أجزاء في الأوستا . ونعرف أن الطب كان وفقا على الكهنة . وتقسم الأوستا الأطباء إلى ثلاث طبقات :

- هؤلاء الذين يعالجون عن طريق المشرط - أي الجراحين .
 - هؤلاء الذين يعالجون عن طريق النباتات والأعشاب أي الأطباء .
 - وأخيرا هؤلاء الذين يمارسون الطب عن طريق الكلمة المقدسة ويستطيعون طبقا لذلك مقاومة المرض ، وكانت هذه الطبقة الأخيرة أكثر الطبقات احتراما .^(٢)
- وكان هناك العديد من الصيغ السحرية ضد الأمراض والأرواح الشريرة . وعرفنا بفضل هذه النصوص أن إيران كانت مركزا لتبادل النتائج العلمية في الشرق القديم بين مصر وبابل والهند .^(٣)

وعاصرت العلوم البابلية حكم الفرس الأخمينيين ، واستثمرت حتى بعد دخول الإسكندر ، وكان المراد بكلمة علوم عند الفرس هو الطب والسحر والفلك والتنجيم ، ولأنفس تعطينا الأوستا التي تعد أهم مصدر لكل العلوم ، معلومات ضئيلة عن بقية العلوم الأخرى ولذلك من الصعب تكوين فكرة عامة عن كل هذه العلوم والمعارف .^(٤)

(١) Contenau, op. cit., p. 50 - 51.

(٢) Filliozet, Les Sciences grecques dans L'Empire Achemenid, la Civilisation Iranienne, p. 68 - 70 : Chr. Et J. Palou, op. cit., p. 45.

(٣) Chr. et J. Palou, op. cit., p. 46 et 125.

(٤) Chr. et J. Palou, op. cit., p. 125.

وعلى الرغم من ذلك نقول إن السحر كان معروفا قبل الديانة ، وكان له السيطرة على الأشكال المادية وأمثالها على الأرض . وكان الغرض من السحر ، هو عمل مجموعة من الصيغ ، التي تؤدي أحيانا عن طريق الطقوس ، لحماية المجتمع والبشر من الأرواح الشريرة .^(١)

أما الفلك وتفسير الأحلام فكانا يستخدمان بطريقة عادية للتنبؤ ، الذي كان يمارس بطريقة رسمية . وكان هناك رجال الفلك الذين يستخدمون لوحات المسافات للقياس في مجال الفلك .

أما الحساب فكان معروفا منذ القدم في إيران . ويقوم على التخمين أكثر مما يقوم على قواعد وتطبيقات معروفة .

سادسا : الحياة الفنية :

ينسب إلى الميديين في فن النحت عدة آثار من إنتاجهم :

- تمثال أسد نحت من الحجر على مقربة من همدان .
- على مقربة من سربل بين قصر شيرين وكرمانشاه نحتت قطعة حجرية كبيرة وتعرف باسم دكان داود .
- بعض النقوش بالقرب من كرمانشاه حفرت فيها صورة لأهورا مازدا ونقش بارز لشخص يتعبد .^(٢)

العمارة :

على الرغم من قلة ما عثر عليه من الآثار حتى الآن إلا أنه يدل بوضوح على مهارتهم في فن العمارة والبناء . فقد عمل أهل فارس منذ البداية على استخدام

Chr. et J. Palou, op. cit., p.126.

(١)

(٢) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

الأحجار الصغيرة في النقش الغائر الذي يزين القصور والجدران الخارجية من أسفل . وعملوا أيضا على وضع أبينتهم فوق مسطح مرتفع ولم يكن هذا المسطح مبنيا من الطوب اللبن كما في سومر ، ولكنه كان منحوتا في الصخر المعد . وقد طبق هذا الاتجاه في برسي بوليس . وقد عثر على بقايا قرى ومدن على هيئة أكوام صناعية والتي عرفت في إيران باسم " تبة " .

وكشفت لنا حفائر سوس عن بقايا قصر الملك أكمر كسيس الأول^(١) إذ تعد مجموعة الدرجات الحجرية والساحة الفسيحة وما بها من عمد شامخة في هذا القصر من آيات الفن الفارسي القديم . ويبلغ ارتفاع الساحة ما بين عشرين وخمسين قدما وطولها نحو ١٥٠٠ قدم وعرضها ألف قدم . وفي أعلى الدرجات يوجد المدخل وهو واسع تحف به تماثيل هائلة لثوران مجنحة برؤوس بشرية وقد أقيم هذا القصر على ٧٢ عمودا لم يبق منها إلا ١٣ فقط ، مازالت موجودة بين حطام القصر .^(٢)

وكانت مقابر الملوك والأمراء الفرس محفورة على ارتفاع عال في جدران الصفور^(٣) ، ومن هذه المقابر مقبرة الملك قورش في " بازارجادة " التي مازالت على الرغم من تدهمها تعد آية في الجمال^(٤) ، وأيضا مقبرة دارا الأول في نقش رستم ، القريبة من برسي بوليس .^(٥)

(١) شيدت هذه المدينة في عام ٥٢٠ ق. م ، ولكن فسي عام ٣٣٠ ق. م . قام

الإسكندر الأكبر بهدم كل مبانيها وتحطيم قصر الملك دارا الأول فيها .

(٢) د. أبو المعامير صفور : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ شكل ٦٠ .

(٣) Contenau, op. cit., p. 67.

(٤) عن بازارجادة ، راجع :

Ghirshman, Perse, Proto - Iraniens, p. 131- 145, 224 - 237,

348 - 349, 295 - 296, وعن أهم آثارها المعمارية ، راجع :

Id., op. cit., Fig. 174 - 175, 178-179, 181 - 184.

(٥) عن نقش رستم ، راجع : Id., op. cit., p. 134- 201, 226 - 227,

229 - 230, 269, 296, 348. وعن أهم آثارها المعمارية ، راجع :

Id., op. cit., Fig. 275 - 277, 279.

وكشفت الحفائر بالقرب من سوس في تشوجا - زامبيل على موقع هام عثر فيه على بقايا زاقورة ضخمة ، وعثر حولها على كثير من المعابد المشيدة من الطوب اللبن ، التي تحمل اسم الملك العيلامي " اوفتاش - هويان " الذي عاش في القرن الثالث والثاني عشر ق. م. وهذه الزاقورة تعد من أشهر الزاقورات في إيران وجاري الكشف عن بقاياها حتى الآن .^(١)

وكشفت لنا حفائر سوس عن نموذج من البرونز مؤرخا من نهاية الألف الثانية ق. م ، يمثل هذا النموذج معبد مقدس مع زاقورته ، التي كانت مشيدة على هيئة مسطحات من خزانات للمياه المستخدمة في الطقوس ، والحديقة المقدمة ، التي كانت ملحقة بالمعبد . وقد اقتبس الفن اليوناني الكثير في مجال العمارة من العناصر الفارسية .^(٢)

وبالنسبة للفنون الأخرى مثل الرسم والنقش فيمكن القول بأن فن اللحت الفارسي القديم يرجع إلى العصر الحجري الحديث عندما بدأ الإنسان في نحت العظام ، وقد ترك لنا فنانون عصور ما قبل التاريخ رسوما غالية في الدقة على جدار الفخار الملون ، التي تمثل حيوان الماعز أو الجدى . وقد عثر في سيالك على رسم لمحارب يضع غطاء رأس ومغطى بمعطف طويل .^(٣) وظهر اتجاه فني جديد بالنسبة لتمثيل الحصان والشمس وتمثيل الأشخاص على الفخار منذ القرن الثامن ق. م.

وفي حوالي عام ٢٥٠٠ ق. م . ظهرت النقوش البارزة ، التي تمثل الملك نرام - سين ملك أكد ، وهو ينتصر على الشعوب اللولوبية وهي منطقة بين كرمانشاه

(١) هناك منظر عام لزاورة تشوجا زامبيل ، راجع :

Parrot, op. cit., p. 26 Fig. 42.

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

Chr. et J. Palou, op. cit., p. 116.

(٣)

الحالية وبغداد . وهو أول نقش بارز معروف في غيران قلم بتقليده بعد ذلك الفرس الأخمينيين .

وبلغ فن صهر المعادن مرحلة كبيرة من الذقة في التمثال المعروف باسم امرأة اونقاش هويان من القرن الثاني عشر ق. م .

وكان هناك فنون محلية في مناطق مختلفة منها فن الشعوب السكيثية . وهو فن يغلب عليه تمثيل الحيوان والزخارف ، وفن لوريستان الذي يعطى أقدم مثل لتمثيل الأشخاص من الأمام ، ثم الفن الميدي ولم يصلنا منه إلا بقايا نادرة منها المقابر المنحوتة في الصخر في ملارى بول وتمثال أسد همدان . ولأنهم كانوا شعبا محاربا ، رثاهم كانوا ينظون السلحة وسروج الخيول . أما الفن الأخميني الذي جاء عام ٥٥٠ ق. م . فهو فن البلاط الملكي ونجد فيه الزينة والضخامة والجمود دون الحرية في التعبير :-

وكان الفن الأخميني يحاكي الفن البابلي فيحتل المركز الأول من حيث ملوأة بالتفاصيل الدقيقة منها حائط الخالدين في متحف اللوفر . وكانت الألوان المستخدمة تماثل بالحيوية . وكان الأخمينيون يزینون قصورهم بتمائيل يونانية . ويبدو أن التماثيل كانت قاصرة فقط على الملوك وكبار الشخصيات^(١) وقد عثر حديثا في برسي بوليس على رأس جميلة للأميرة صغيرة وأيضا على تمثال من البازلت الأسود عثر عليه عام ١٩٧٢ للملك دارا نقش عليه أسماء البلاد التي غزاها في مناطق الشرق القديم - وكتب النص بالهيروغليفية^(٢) .

وقد بلغ فن النحت ذروته في عصر الملك دارا وسوف يندثر مع اختفاء الأسرة .

(١) Chr. et Palou, op. cit., p. 117.

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٩١ ، ١١٠ .

وكان الفرس يميلون إلى الزينة فاستكثروا من استخدام أدوات للتجميل والمساحيق والزيوت العطرية والأصبغ وكان لديهم أنواع مختلفة من الحلى والأقراط والخلاخيل والعمائم والأساور وغيرها .

واستعملوا الحلى وبخاصة الفضة والبرونز إذ عثر على دبابيس تنتهي بأشكال تمثل رؤوس الحيوانات^(١) وكانوا يستخدمون التيجان والأحذية^(٢).

بقايا العواصم القديمة في إيران :

سوس : تعرف حاليا باسم شوش وهي تقع على شط العرب وقد تعرف العلماء على هذا الموقع الهام في منتصف القرن التاسع عشر بفضل الحفائر المسطحية التي قام بها العالم الإنجليزي "لوفنوس" ، وبعد حوالي ثلاثين عاما تقريبا ، في عام ١٨٨٤ ، قام الفرنسي "ديلاكو" بعملية حفائر وكشف عن "لوحة الرماة" التي شيدها الملك قورش الكبير والملك دارا الأول ، وهي الآن بمتحف اللوفر بباريس . وكشف فيها أيضا العالم الفرنسي "دي مورجان" عن تمثال من البرونز للملكة نابير - إيسو التي عاشت في القرن الثالث عشر ق. م . ولكن التمثال بنقصه الرأس (وهو موجود أيضا بمتحف اللوفر بباريس) .

كما كشف فيها عام ١٩٥١ عن لوحة حمورابي التي تعد من أهم الآثار الشرقية المعروفة وهي محفوظة الآن بمتحف اللوفر بباريس .

وبالتقرب من سوس ، عثر في تشوجا - زلمبيل على موقع هام ، عثر فيه على زاقورة ضخمة ، وعثر حولها على كثير من المعابد المشيدة من الطوب اللبن ، والتي تحمل اسم الملك الحيلامي "اونتاش - هويان" ، الذي عاش في القرن الثالث

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ شكل ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

أو الثاني عشر ق. م ، وهو ينتمي في الأصل إلى أسرة كاسية ، وكان الكاسيون في الأصل من أهل الجبال ويفتخرون إلى حضارة تنسب إليهم وهم الذين نهبوا بابل وأثارها ، ومن بينها لوحة حمورابي .^(١)

بوسى بوليس :

إلى جانب سوس ، كان يوجد مدينة بوسى بوليس التي شيدت عام ٥٢٠ ق. م . ويوجد بها حتى الآن بقايا قصر الملك دارا الأول .^(٢) ولكن في عام ٣٣٠ ق. م . قام الإسكندر الأكبر بهدم كل مباني المدينة وتعميم القصر الملكي .^(٣)

Eydoux, A la Recherche des mondes Perdus, Paris (1967), p. (١)
53 - 60.

(٢) عن حفائر هذه العاصمة الهامة وأثارها المعمارية ونماذج النحت فيها ، راجع ما جاء في فهرس مؤلف جهير شمان حيث استعرض الصفحات التي تشير إلى كل ما عثر فيه في هذه العاصمة :

Ghirshman, Perse, Proto - Iraniens, p. 397

وراجع أيضا فيما سبق ، ص ٨٢ حاشية (٢) .

(٣) Eydoux, op. cit., p. 60 - 70.

تاريخ العراق القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ العراق القديم*

أهمية الموقع الجغرافي :

يعد العراق من بين المناطق التي تتمثل أمامنا ، كبلد أكثر غنى وأكثر حظاً من جيرانه ، فقد كان مركزاً هاماً لعوامل التقدم فهو فى موقع جغرافى ممتاز وخصائصه الطبيعية هي التي جعلته يتمتع بذلك الثراء منذ البداية ، هذا الثراء هو

-
- (*) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : الجزء الأول : مصر والعراق ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦ والطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ .
- د. نبيل عبد الحليم : معالم العصر التاريخي في العراق القديم ، الإسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٨٣ .
- نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، الجزء الرابع ، ١٩٨٥ .
- ليواوينهايم : بلاد ما بين النهرين (ترجمة سعدى فيضى عبد الرزاق) بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ ، والطبعة الثانية ، ١٩٨٦ .
- حياة إبراهيم : نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) وزارة الثقافة والإعلام المؤسسة العامة للكتاب والقرآن ، بغداد ١٩٨٣ .
- راجع حديثاً د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٢١ - ٢٩٦ .
- د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحمة ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ٢٠٠٠ .
- بعض المراجع الأجنبية :
- Amiet, les Civilisation Antiques du Proche - Orient, Paris 1971 .
- Parrot, Summer . Paris 1960 .
- Parrot, Assur, Paris 1961 .
- Contenau, les Civilisation Anciennes du Proche Orient, Paris 1963 .

الذي جعله يعرف التطور الحضارى فيما بعد . كان لموقع العراق الجغرافى أثر هام فى سير تاريخه سواء كان ذلك من حيث الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بوجه عام أم من حيث أهميته العسكرية أم من ناحية تركيبة سكانه واتصالاته بالقطار الأخرى والأقوام المجاورة إلى غير ذلك مما للموقع الطبيعى من نتائج مؤثرة فى سير أحداث التاريخ وتطور مظاهر الحضارة . فهو مشرف على الجزء الشرقى من الشرق الأدنى القديم ، وهذا الجزء من الشرق هام فى موقعه لأنه يقع على الجسر الأرضى الذى تلتقى فيه القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا .

وكان هذا البلد خلال العصور التاريخية القديمة طريقاً مهماً يصل الأمم الغربية بالأمم الشرقية حيث كان ملتقى طرق القوافل التجارية للاتصال بين البحر المتوسط والمحيط الهندى وأقطار الشرق الأقصى ، بالطرق البرية ثم بواسطة الخليج العربى والمحيط الهندى .^(١)

ففى العصور الحجرية القديمة كانت أحوال المناخ وطبيعة الأرض والنبات الطبيعى تختلف اختلافاً أساسياً عما هى عليه الآن إذ أن تلك العصور الحجرية تقع فى العصر الجيولوجى المعروف بعصر الجليد (البلايستوسين) . وكان العراق أثناء العصور الجليدية أكثر رطوبة مما هو عليه الآن لأن الأمطار كانت أكثر غزارة وتسقط فى فصل الصيف وفصل الشتاء .

وتوجد فى العراق الأقسام الطبيعية الثلاثة التى يتكون منها سطح الأرض : المنطقة الجبلية : وتشمل هذه المنطقة للجبال العالية والمرتفعات شبه الجبلية وتمتد من جهات البلاد الشمالية وللشمالية للشرقية إلى حدودها المشتركة مع إيران وتركيا وسوريا ، وتتلاقى عند حدود السهل الرسوبى والهضبة الصحراوية فى الجنوب والغرب وتتألف الحدود الجنوبية من سلاسل جبلية واطنة مثل جبال حميرين ومكحول والعطشان وتلعفر وسنجار ، وإذا اقتربنا من الحدود التركية والحدود الإيرانية تصبح الجبال شاهقة الارتفاع تكسو قممها الثلوج طيلة أيام السنة وتغطيها الغابات

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ، ص ١٦ - ٢٠ .

والحشائش ، وتخترق هذه المنطقة جميع روافد نهر دجلة وهى الخابور والزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم وديالى (١).

الهضبة الصحراوية : تقع للهضبة الصحراوية فى غرب العراق وتحتل حوالى ٦٠ % من مساحته ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠ - ١٠٠٠ مترا . وتعتبر من حيث التضاريس جزءا من هضبة شبه الجزيرة العربية ولهذا يصبح سطحها متوجا وتنتشر فيه التلال الصغيرة والوديان التى نتجت عن الحركات الأرضية فحدثت فيها إنكسارات والتواءات بسيطة . وتوجد فى الهضبة منخفضات ووديان عديدة وتلال قليلة وصخور وكتل من جص ومدرجات وكثبان رملية ومع ذلك فإن تباين الصخور والتربة والنباتات الطبيعية والمطر يميز قسمين رئيسيين هما هضبة الجزيرة وهضبة البادية الغربية ، وتمتد هضبة الجزيرة ما بين جبال مكحول - سنجار شمالا والسهل الرسوبى جنوبا ومجرى نهر الفرات والحدود السورية غربا وجبل حميرن شرقا . ويجاور هضبة البادية الغربية مجرى نهر الفرات من الشرق وتشترك مع بادية الشام وتمتد إلى داخل شبه الجزيرة العربية ويتخللها عدد من الأودية تجرى فيها مياه الأمطار وأرضها رملية منبسطة فى بعض المنساق المتوجة وقطعها أودية ومنخفضات فى مناطق أخرى .

لم تكن البادية من الناحية الحضارية قديما جزءا مهما من العراق ولكنها كانت منفذا لاستقبال هجرات الأقوام إلى العراق منذ أقدم العصور .

السهل الرسوبى : يبلغ طول هذا السهل ٦٥٠ كم وعرضه ٢٥ كم ويمتد على شكل مستطيل باتجاه شمالى غربى وجنوبى شرقى بين مدينة تكريت على نهر دجلة ومدينة هيت على الفرات من جهة الشمال وجبال زاغروس من جهة الشرق والهضبة الصحراوية من جهة الغرب والبادية الجنوبية والخليج العربى من جهة الجنوب ، ويشغل للسهل الرسوبى حوالى ٢٠ % من مساحة العراق .

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

وقد أدرك العراقيون القدماء ظاهرة ارتفاع وادي نهر الفرات بالنسبة إلى وادي نهر دجلة فشقوا من الفرات أنهاراً كثيرة للرى باتجاه نهر دجلة وجعلوا من السهل الرسوبي ابتداءً من شمال بغداد - الفلوجة شبكة واسعة من ميساريح الرى الكبيرة والصغيرة . وتكون منخفض هذا السهل في أوائل الزمن الجيولوجي الأخير نتيجة حدوث حركات أرضية هبطت بعدها الأقسام الجنوبية من العراق . وتكون السهل الرسوبي من الرواسب التي تنقلها مياه نهر دجلة والفرات من الشمال والرواسب التي تأتي بها السيول المتحدرة من وديان الهضبة الصحراوية في الغرب مثل وادي حوران والأبيض والبعثن والتي تأتي بها الأنهار والجداول المنحدرة من المرتفعات الشرقية .^(١)

ويقترض العلماء بأن الخليج العربي تقدم إلى شمال مدينة أور في الفترة ما بين سنة ٥٠٠٠ وسنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد .^(٢) ويبدو أن انفتاح العراق على الخليج العربي يمر سبل الاتصال البحرى بأقطار الخليج وبالأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة والهند .

ارتبط نشوء الحضارة في بلاد النهرين منذ البداية بوجود النهرين الكبيرين دجلة والفرات وروافدهما فعلى ضفاف الأنهار تأسست القرى الزراعية الأولى في العراق وكانت الزراعة وما تزال أهم الحرف الاقتصادية لسكان هذا البلد . وقد مهدت الحياة الزراعية في مراحلها المبكرة السبيل إلى قيام تقدم الحضارات البشرية في العالم . فهناك نهران كبيران أثرا في طبيعة وتوجيه حضارات العراق للقديم . لذلك يطلق على العراق في بعض الأحيان اسم ' بلاد النهرين ' وهما يستمدان مصدريهما على بعد قليل أحدهما من الآخر في سلسلة جبال أرمينيا التي تقع جنوب القوقاز وهما يعتمدان من بعضهما في البداية مهادن طريقاً في الجبال ، ثم يقتربان

(١) نخبة من الباحثين للعراقيين : المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

من بعضهما إلى حد ما حتى فُهما لا يفترقان إلا لمسافة قدرها ٣٠ كم على مرتفعتين
بغداد ، ثم يفترقان من جديد لكي يلتقيا في - قورناه - في فرع واحد ، هو شط
العرب الذي يفتحي بدلتا يتفرع منها عدة روافد تصب في الخليج العربي على بعد
١١٤ كم إلى الجنوب .

وكان مجرى النهرين الذي يشبه إلى حد كبير الرقم ثمانية باللغة الأوربية
مختلفا جدا في جزئه الأسفل في العصور القديمة . وتكونت في الأجزاء السفلى من
مجرىها على مر العصور فيما بعد أرض رملية بدون اتحدار . وقد تعرض هسذان
المجريان لعدة تغيرات ، فبينما وجدنا في المناطق العليا من البلاد أن ميساء مجرى
النهرين تناسب بشدة وتزداد مع كل ربيع بسبب ذوبان الثلوج ، إذ وجدناهما تغمر
الأقاليم التي تمر بها في الأجزاء السفلى ، ويبدأ هذا الفيضان في شهر مارس ويبلغ
ذروته في شهر مايو ويبدأ انخفاض المياه عادة في شهر يونيو حتى سبتمبر ، ولا
يحدث هذا الفيضان بكميات محدودة . كما بالنسبة لنهر النيل ، ولكنها على العكس
تندفع في عنف وضراوة إلى جانب عدم انتظام مواسمها مما يؤدي إلى تأثيرات
ونتائج لا يمكن تجنبها ، ولهذا لا بد من التحكم في حصر مياه الفيضان وتنظيمها عن
طريق حفر قنوات وبناء جسور ، وهذا ما كان يشغل كل حاكم وكل ملك .^(١)

وكان لهذه الخاصية بالنسبة للنهرين نتيجة أخرى وهي أنه تحت تأثير
مياهها المختلطة بالرمال وقطع الصخور التي تجلبها فإن مصبيهما امتلأ شيئا فشيئا
بالرمال ، وأصبح الشاطئ نتيجة لهذا العامل على بعد كبير من الخليج العربي ، وقد
بلغت مساحة الأرض المكتسبة من البحر حوالي ٢٠٠ كم منذ عام ٣٠٠٠ ق. م .

ومن المحتمل جدا أن عملية سد المصاب عن طريق الرمال قد تم بصورة
أسرع في العصور القديمة أكثر مما عليه الآن . وعلى أية حال ، ففي فجر التاريخ -
في حوالي عام ٣٠٠٠ ق. م . كان نهر دجلة والفرات يصبان في ذلك الوقت في
الخليج عن طريق مصبين مختلفين ولم يكن هناك شط العرب - وقد أقيمت في تلك

الفترة أولى المنشآت السومرية ، إن لم يكن على الخليج نفسه فعلى الأقل على المناطق الضحلة التي كونتها دلتا النهرين ، وقد وجدت مدن تلك المنشآت مهدمة على هيئة نصف دائرة في وسط الصحراء .

ويرى بعض العلماء أن مجرى النهرين كان قد انخفض مما أدى إلى وجود المناطق الضحلة ولكن لا ينبغي الأخذ بهذا الرأي في الحساب ، لأن عملية سد المصاب بالرمال ظلت مستمرة من العصور القديمة حتى يومنا هذا .

وقد تأثرت منتجات العراق بهذا التكوين الطبيعي لجزء من أرضها فنجد أن كل الجزء الأسفل - ابتداء من مدينة حيث الحديثة - الذي تكون من عملية سد الخليج ، لا يحتوى على أية ثروات طبيعية تحت سطح الأرض من محاجر حجرية أو معدنية . والطقس الذي تبلغ درجة حرارته ٥٠ في فصل الصيف حتى منطقة بغداد ، لا يسمح بزراعة النباتات إلا إذا غمرت الأرض بالمياه وبكثرة عن طريق مشروعات الري . ولهذا السبب كانت تستخدم شبكة من القنوات التي كانت عرضه للتطهير والتحسين باستمرار من جانب الملوك القدماء لبلاد النهرين . وكانت زراعة محاصيل الحبوب تبلغ درجة كبيرة من النمو ، فطبقاً لما ذكره هيرودوت : (١)

" أن زراعة حبة واحدة تعطى مائتين أو ثلاثمائة حبة مثلها * ولكن في هذا الأمر شيء من المبالغة إذ أن الحبة الواحدة من الغلة تعطى ثلاثين أو أربعين حبة مثلها كل عام . ونجد أن أهم الأشجار في الجنوب حتى بغداد ، هو النخيل ، الذي تستخدم ثماره في تغذية السكان على حين تستخدم أخشابها في استعمالات محلية عديدة ، إذ تتأخر بالخفة وعدم الصلابة ولكنها غلة غير جيدة إذا قارناها بأخشاب الأرز من لبنان .

وإذا توغلنا شمالاً حتى نصل إلى المنطقة الجبلية ، نجد أن الأرض أكثر ثراء ، فمنطقة الموصل وكركوك تشتهران بمصادرهما البترولية . وقد اختفى النخيل

فى تلك المناطق وحل محله أنواع مختلفة من أشجار الغابات التى تتناسب مع الطقس المعتدل ، وعلى الرغم من وجود تفاوت كبير فى درجة الحرارة فإننا نرى أيضا وجود زراعة نباتات تشبه نباتات المناطق الجافة ، وخاصة أشجار الكروم التى بدأت تنمو فى هذا المناخ .^(١)

أما عن الحيوانات الأليفة فى العراق القديم ، فقد كانت عبارة عن العجول الصغيرة من نوع *Bos Primigenius* ، العجل الآسيوى ، والجاموس الذى كان يستورد من الأناضول ، والعجل ذى الظهر الملتوى من منطقة الهند ، والأغنام والخراف بأنواعها العديدة ، منها مثلا الخراف ذات الأذن الطويلة ، وذات القرون المتفرعة ، وذات الصدر الكثيف الوبر . وقد صور العراقيون القدماء كل هذه الأنواع على الآثار وأيضاً العديد من الحيوانات المتوحشة والمستأنسة مثل الغزال ، والماعز . وقد عرف العراقيون القدماء أيضاً الخنزير وصيد الخنزير الوحشى وكان عليهم أن يحموا أنفسهم من شر الأسود ذات الأشكال الآسيوية المتعددة التى كانت تقل فى الحجم عن تلك التى تعيش فى أفريقيا ، وكان عليهم أيضا أن يدافعوا عن أنفسهم من القهود والثعابين والحشرات الضارة والمقارب . وعرفوا أنواعا عديدة من الكلاب الضخمة ، ومنها نوع متميز مثل الكلب السلوقي *Levrier* الذى كان يستخدم فى ذلك الوقت لحماية القطيع ، ولم يعرف الحصان فى العراق القديم ، ولكن فى البلاد المطلة على الحدود ، كان معروفا ومستخدم فى تلك المناطق ولم يستورد إلا ابتداء من الألف الثانية ق. م . وحتى ذلك الوقت كان الحمار هو المستخدم ، وخاصة الحمار الوحشى الذى يطلق عليه *Onagre* من فصيلة *Hemione* الذى كان يؤدى نفس الخدمات التى تؤدىها الخيول .^(٢)

وظهرت فى الجزء الجنوبى من العراق فى بداية الأمر - حضارة سومر - التى بسطت نفوذها على بقية العراق بطريقة فعالة بفضل تقدمها الحضارى أكثر من

Contenau, op. cit., p. 10.

(١)

Id., op. cit., p. 13.

(٢)

فاعلية جيوشها وأسلحتها ، وأهم مدنها كانت تقع على ساحل الخليج وعلى امتداد شواطئ النهرين أو على حواف القنوات التي تربطهما معا ، ونعرف من هذه المدن : أريدو (اليوم أبو شاهرين) اور ، نيبور ، لجش (تلو) اوما (دوحا) ، أداب (بسمية) لأكرسا (منقره) .

أما في الشمال فقد كانت تمتد بلاد أكد وكانت أهم مدنها : كيش (حاليا أوهمير) ، بابل (التي كانت تقع بالقرب من كيش ولم يظهر اسمها إلا في خلال الألف الثالثة ق. م) ، سيبار (حاليا أبو حبة) اشنونا (تل اسمر) . ومن بداية الألف الثانية ، أصبحت بلاد أكد هي بلاد بابل ^(١).

وفي المنطقة التي تتحصر وسط حوض النهرين ، توالى بلاد سومر أو سوبارتو - التي دخلت التاريخ في عصر متأخر بين الحضارتين السابقتين . وكانت تعادل في جزئها الأكبر في هذه الفترة بلاد آشور (اليوم قلعة شسرجات) ، قلعة ، لمرود ، ونينوى .

وهكذا في أعقاب ممالك بلاد سومر وأكد توالى إلى حد ما على نفس الأرض حضارة بابل وآشور .

وفي شرق العراق ترتفع - جبال زاغروس - فيما يشبه نصف دائرة ومن ورائها تمتد هضبة إيران . وكانت جبال زاغروس موطنًا لسكان يغلب عليهم الطابع القبلي ويمتازون بالسلب والنهب ، وكان رخاء السهول يدفعهم باستمرار إلى الإغارة على المناطق الأكثر ثراء ، وهم من الشمال إلى الجنوب الشعوب اللولوبية والكاسية .

وقد ورد اسم دجلة في النصوص المسمارية والسومرية ويكتب أدكنا وفي النصوص الآكدية كتب إيكلات بمعنى الجارى أو الراوى . وجاء من هذا الاسم الأخير الاسم العربى للنهر " دجلة " ، أما الفرات فقد ورد اسمه في النصوص

المسمارية بمجموعة من العلامات تنطق بوراتى ويرادف ذلك فى الأكديّة لفظ بوراتى ومنها الاسم بالعربية : فرات أى الرافد أو الماء العذب .^(١)

اختلف العلماء حول التسمية " عراق " وهناك ثلاثة آراء يقدم أصحابها معانى مختلفة . فيرى الفريق الأول أن كلمة " عراق " عربية الأصل ومعناها الشاطئ فالبلاد القريبة من الخليج هى عراق وهى كذلك لأنها تقع على شاطئ دجلة والفرات ، ومعناها أيضا الجبل سفوح الجبل . ويرى فريق آخر أن كلمة عراق ترجع فى أصلها إلى لغة قديمة ربما تكون السومرية وهى مشتقة من كلمة أوروك أو أنوك التى تعنى المستوطن وهذه الكلمة سميت بها المدينة السومرية المشهورة الوركاء . أما الفريق الثالث فيقول إن أصل هذه الكلمة أجنبي وتعنى إيسراء بمعنى الساحل وقد عربت إلى إيراك ثم عراق .

ويرى الباحث الأثارى هرتسفلد أن عراق معرب من إيراك التى تعنى البلاد السفلى أو السهل السفلى ويقال أن أول استخدام لكلمة عراق ورد فى العصر الكاسى فى وثيقة يرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد .^(٢)

استخدم عدد من الكتاب اليونان والرومان وأولهم هيرودوت مصطلح بسلاد بابل وأشور لإطلاقه على البلاد كلها أو على الأجزاء الوسطى والجنوبية منه . كما استعملوا تسمية " كلدية " نسبة إلى الكلدانيين الذين أسسوا الدولة الكلدانية ما بين القرون السابع والسادس قبل الميلاد .

وفى الفترة ما بين القرن الرابع والثانى قبل الميلاد استخدم الكتاب اليونان والرومان مصطلحا آخر هو ميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) وشاع استعمال هذا المصطلح عند الكتاب الأوروبيين وكان يطلق على هذه البلاد كلها ، وأقدم استعمال

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ - ١٤ ؛ وأيضا د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ،

ص ١ . وراجع فيما بعد ، ص ٢٤١ .

لمصطلح ميزوبوتاميا ورد في كتاب المؤرخ بوليبيوس في القرن الثاني قبل الميلاد والمؤرخ الشهير سترابون في القرن الأول قبل الميلاد لإطلاقه على الجزء المحصور ما بين دجلة والفرات ، وشاع استعمال هذا المصطلح الأخير في اللغات الأوروبية بعد ترجمة التوراة إلى اليونانية واللغات الأوروبية إذ جاء في التوراة (التكوين ، إصحاح ٢٤ : ١٠) ذكر إقليم لرام نهرايم الذي يعنى أرام النهرين أى بلاد ما بين النهرين للدلالة على الإقليم المحصور بين نهري الفرات والخابور .

• ولما شاعت كلمة عراق ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين تطورت في الاستعمال واتسع مدلولها عند الجغرافيين العرب فقد كثر ذكر اسم العراق في الشعر الجاهلي ولقترن بالرخاء . وأطلق العرب أيضا على بلاد النهرين الشمالية اسم الجزيرة وأطلقوا اسم العراق على الأقسام الوسطى والجنوبية كما سموه بلاد بابل أو أرض بابل . وهذا المصطلح ظل متوارثا منذ العهد البابلي القديم في الألف الثانية قبل الميلاد ، وصار مدلول العراق ثلثا في الاستخدام عند المؤرخين العرب حتى صار يشمل العراق الحالي تقريبا . وتبلورت حدود العراق الحالية بوجه خاص في العصر العثماني في القرن التاسع عشر .^(١)

وعند الحديث عن حضارة العراق القديمة فإن أغلب الكتب العربية تستخدم اصطلاحات ومسميات منها " حضارة ما بين النهرين " . وكما يذكر د. صالح أن مواطن الحضارة العراقية القديمة لم تكن قاصرة على مناطق ما بين النهرين^(٢) ، وإنما امتدت إلى ما حول النهرين أيضا ، أو أحيانا يستخدمون التسمية " حضارة بلاد الرافدين " . ونقول أيضا أن حضارة العراق القديمة لم تقتصر على روافد النهر بل قامت حضارات في غرب الفرات وشرق دجلة وفيما ورائها في المناطق المختلفة من الأراضي التي كان يشملها العراق القديم ، ولهذا فمن الأفضل القول " حضارة بلاد

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : للمرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ، ص ٣٧٤ .

النهرين القديمة " أو " تاريخ بلاد النهرين القديم " فهذه التسمية تعطى معنى أكثر شمولاً .

مصادر دراسة تاريخ العراق القديم وحضارته :

- المادة الأثرية بأنواعها :

تعد الآثار بأنواعها المصدر الأول والرئيسي لدراسة تاريخ بلاد النهرين القديم ومظاهر حضارتها القديمة . وتشمل هذه المادة الأثرية جميع أنواع البقايا الأثرية القائمة والمكتشفة والتي يتم العثور عليها أثناء عمليات الحفائر والاكتشافات الأثرية المستمرة .

ولعل أهم ما يميز هذه المادة الأثرية (كما ذكرنا سابقاً بالنسبة لتاريخ إيوان القديم) عن غيرها من المصادر : أنها جزء من تراث هذا البلد ، أنسها المصدر الأكثر صدقاً والأقرب إلى الصحة ، أنها المصدر الوحيد الذي عاصر كل الأحداث التي مر بها تاريخ بلاد النهرين القديم ، أنها من تفكير وصنع وإنتاج وتنفيذ الشعوب القديمة التي سكنت بلاد النهرين وتعتبر عن أحداث تاريخهم القديم ومظاهر حضارتهم القديمة .

وتنقسم هذه المادة الأثرية إلى نوعين منها ما هو منقوش أو مكتوب ومنها ما هو غير منقوش أو مكتوب .

هذا إلى جانب ما تركه الآشوريون والأكديون والبابليون من نقوش تاريخية في شكل قوانين أو حوليات وهي تعد أيضاً جزءاً هاماً من هذه المادة الأثرية .

٢- ما تركه الآشوريون من نقوش تاريخية :

كان الآشوريون أول من قسم التاريخ في الشرق القديم إلى عصرين :

التاريخ القديم : ويبدأ منذ أن بدأ العالم إلى ما قبل عصر حدوث الطوفان .

والتاريخ الحديث : وكان يبدأ بالنسبة لهم بعد عصر حدوث الطوفان وما يليه .

وقد اتبع الآشوريون أكثر من طريقة بالنسبة لتدوين التاريخ :

أولها : إما بأن سموا المنين بأسماء كبار رجال الدولة .

ثانيها : أو قيام الكتبة بتدوين حوادث الملوك في قوائم منذ توليهم العرش . وذكروا بعض الأحداث الهامة التي وقعت في عهدهم مثل حادث كسوف الشمس الذي تبين لهم أنه حدث في ١٥ يونيو عام ٧٦٢ ق. م . وقد اتخذ هذا الحادث أساساً في معرفة بداية التاريخ الآشوري وعلاقته بالسنة الميلادية . وقد وصل إلينا العديد من هذه القوائم كانت بأسماء الأسرات التي حكمت في بلاد النهرين ابتداء من عصر ما قبل الطوفان . وقد لوحظ أن الكتبة حينما انتهوا من كتابة قائمة بأسماء أسرة من هذه الأسرات يضيفون حاشية قائلين مثلاً :

“ قضى على مملكة الوركاء بالسيف ، فانتقلت الملكية منها إلى أكد فأصبح (سرجون) ملكاً فيها وحكم ٥٦ سنة ” أى يعطونا مجموع السنوات التي حكمها الملك .

كما اتبع الآشوريون طريقة ثالثة فقد كتبوا قائمة بأسماء ملوكهم وكانت القائمة تنقسم إلى مجموعتين ، ويظهر في المجموعة الأولى ملوك بابل وفي الثانية ملوك آشور المعاصرين لهم . فمثلاً سجلوا في القائمة الثانية أن نابوخذ نصر الأول قد عاصر ثلاثة من ملوك آشور ذكروهم بأسمائهم .

وكان الملوك يصطحبون معهم في الحملات العربية كتاباً عسكريين للقيام بتسجيل الحوادث على حساب المنين ، كما فعل ملوك مصر القديمة في حملاتهم الحربية . ومن أشهر حوليات الآشوريين التي جمعت معلومات جغرافية^(١) هي حوليات الملك ثوكلتى نينورتا الثاني (٨٩٠ - ٨٤٤ ق. م) والملك اداد نيرارى

(١) د. أحمد سليم : العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة الجامعية ،

الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٤٦ .

الثانى (٩١١ - ٨٩٠ ق.م) وكذلك حوليات شالمانصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) التى سجلت جميع حملاته الحربية . كما قام الكتبة الآشوريون بتسجيل أعمال الملوك الحربية على صفحات جدران قصورهم .

٣- ما تركه الأكديون والبابليون :

لم يكن لأهل بابل أو آشور عصر ثابت قاموا بتأريخ حوادثهم به . ولكنهم كانوا يورخون السنة بحدث معروف وقع فى العام السالف . وقد بقيت هذه الطريقة حتى أيام الملك حمورابى . ثم تركوا هذه الطريقة إلى أخرى ألا وهى تأريخ الحوادث بالنسبة إلى سنوات حكم الملوك . وكانت تلك الطريقة الأخيرة أشبه بما قام به الكتبة المصريون فى تسجيل أحداث كل سنة على حده بالنسبة لكل ملك . وقد استمر كتبة بلاد النهرين على هذه الطريقة حتى نهاية عصر بابل وحتى بعد سقوطها .

ترك الأكديون والبابليون نقوشا وكتابات تاريخية تقص علينا أعمال الملوك فى السياسة الداخلية والخارجية . كل ذلك جاء مدونا على لوحات صخرية وطينية وتمثيل .

كما ملك البابليون فى نهاية العصر البابلى الكلدانى طريقة أخرى غير التى سلكها الآشوريون ، إذ أنهم دونوا حوادثهم المعاصرة التى سبق أن حدثت فى بلادهم وقد وصلت إلينا من العصر البابلى الأخير (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م) أخبار عن الأكديين وحكمهم وما كان بين بابل وآشور وعيلام من علاقات من أيام آشور بانينبال إلى أيام الملك البابلى نابو بولاصر .

وقد وصل إلينا من هذا العصر ثبوت للملك عثر عليه فى الوركاء إلا أن الأرقام التى يقدمها هذا الثبوت لسنى حكمهم يتعارض مع ما نعرفه فى المصادر الأخرى ، كما أنه يهمل ذكر سنوات حكم نابوخذ نصر الثانى^(١) ومن أبرز

(١) حياة إبراهيم : نابوخذ نصر الثانى ، وزارة الثقافة والإعلام ، المؤسسة العامة

للآثار والتراث ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ٢١ .

الكتابات التاريخية هي : المجموعة المحفوظة في المتحف البريطاني ومنها أربعة نصوص أطلق عليها أخبار الملوك الكلدانيين (٦٢٦ - ٥٥٦ ق.م) يستعرض أحد هذه النصوص الصراع البابلي الآشوري قبل اعتقال نابو بولاصر الحكم في بابل وحتى السنة الثالثة من حكمه (٦٢٦ - ٦٢٣ ق.م) أما النص الثاني فيسرد أحداث سبع سنوات أخرى من حكم نابو بولاصر ، ويشمل الأحداث الخاصة بسقوط نينوى (٦١٦ - ٦٠٩ ق.م) ويقدم لنا النص الثالث أحداث السنوات الأخيرة لنابو بولاصر ، ويبدء مهمة نابوخذ نصر الثاني العسكرية في منطقة جبلية وهو لا يزال ولياً للعهد (٦٠٩ - ٦٠٥ ق.م)^(١)

٤- ما كتبه بروصوس (اوبارحوشا) :

وهو كاهن بابلي عاش في النصف الأول من القرن الثالث ق.م . وكتب تاريخ البابليين (الكلدانيين) باللغة اليونانية ، ولم يصلنا مما كتبه سوى شذرات جمعها المؤرخ يوسيبوس القيصرى ، وضمن يوسفوس كتابه مقتطفات منه ، ونقل منه اسكندر بوليستور ، ومؤرخون وكتاب آخرون .

والمعروف أن بارحوشا اعتمد على النصوص المحفوظة في المعابد البابلية أيامه حيث يرجح أنه خدم في معبد ماردوك أيام تطيوخوس (٢٨١ - ٢٦١ ق.م)^(٢) وما وصلنا من تاريخ بارحوشا عن السلالة الكلدانية هو عبارة عن ثبت ملوكها ، ومنى حكمهم التي تطابق المصادر المسمارية^(٣) . ويقدم لنا كذلك معلومات عن نابوخذ نصر نقلها يوسفوس لا نجدها في مصادر أخرى . وكان عالماً بالفلك ودرس في أثينا ، كما يقال أنه كانت له نظريات في البصريات لعكس أشعة الشمس

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٣) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٨ (ب) ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع

السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٤ ، ٢١٠ - ٢١١ .

والقمر . وقد انتشرت أعماله الفكرية في بلاد اليونان وبلاد الرومان .

وإلى جانب تاريخ بابل الكلداني قام بلارحوشا بكتابة العديد من الكتب باليونانية من بينها عمل مستفيض عن تاريخ بلاد النهرين في ثلاثة مجلدات :

- الأول منذ بدء الخلق حتى الطوفان .
- والثاني من الطوفان حتى نابوخذ نصر .
- والثالث من نابوخذ حتى الاسكندر الأكبر وانطيوخوس الأول .

لقد رسم الرجل في كتابه صورة للحياة البدائية استقاها من الكتابات التي وجدها على معبد ماردوك في بابل جاء فيها دراسة طبية عن حيوانات عصور ما قبل التاريخ . كما درس الألواح الطينية وما عليها من كتابات مسمارية حول الملوك الذين حكموا .

ولكن للأسف الشديد لم يصلنا هذا العمل العظيم وكل ما وصلنا كما هو الحال في أعمال مانيقون المصري مجرد مقتطفات في أعمال تلاميذه والكتاب الذين تعاقبوا بعده . ومن بين من نقلوا عنه تلميذه ابدينوس الذي وضع كتابا عن تاريخ آشور ، وكذلك ابولودوروس والسكندر الملقب بأبي التاريخ بوليهستور وبعض مقتطفات من كتاباته نجدها عند نيقولااس الدمشقي صديق هيرود ، ونجدها أيضا عند يوسفوس المؤرخ اليهودي واثيناويوس وجوليوس الفريكانوس ويومسبيوس وجورج سينسيلوس (١) .

ويذكر د. شعبان معلومة هامة أن مكتبة الإسكندرية القديمة حرصت على اقتناء الكتب البابلية والآشورية والفارسية ، فالكتب التي كتبت في كلدنا ، بابل ، ميديا وبلاد فارس وجدت طريقها إلى المكتبة ، كما وجدت كتابات بلارحوشا طريقها إلى مكتبة الإسكندرية (٢) .

(١) د. شعبان خليفة : مكتبة الإسكندرية ، الحريق والأحياء ، كتاب الجمهورية

٢٠٠٠ ، ص ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ .

٥- كتابات العهد القديم :

وهي معلومات احتواها سفر الملوك الثاني وأسفار أخبار الأيام وإرميا ودانيال وحزقيال ومعلومات أخرى متناثرة في سفر أشعيا وعزرا . وهي تتناول علاقة نابوخذ نصر الثاني المباشرة مع اليهود ، سواء في فلسطين أو بابل ، بإسهاب وفي مجالات متعددة .

• سفر الملوك الثاني دون في العصر البابلي الكلداني . أما الأحداث التي رواها سفر أخبار الأيام الثاني (الذي يرجع تدوينه إلى حوالي القرن الثالث ق. م) فتشير إلى تكبير نابوخذ نصر ليهويآكيم بالسلامل كي يحمله إلى بابل .

أما كتابات إرميا ودانيال وحزقيال (التي لم تكون في وقت واحد) ، فسفر إرميا يتضمن تحذيرات لبني إسرائيل وحكاهم وما سيكون مصيرهم على يد ملك بابل نابوخذ نصر لسوء سياستهم وتصرفاتهم . أما سفر دانيال فكان أحد يهود السبي الذين حملهم نابوخذ نصر إلى بابل . أما حزقيال فيشير في سفره بأنه كان واحدا أيضا من يهود السبي الذين حملهم نابوخذ نصر إلى بابل .^(١)

كما حوت كتابات اليهود للربلية معلومات كثيرة عن نابوخذ نصر ، وقد اعتمدت هذه الكتابات على العهد القديم بشكل خاص . وتحدث عن معاملته لليهود وتحدث عن نهايته . ولكن كل هذه المعلومات بعيدة عن الحقيقة التاريخية .^(٢)

٦- ما كتبه الرحالة اليونان والرومان :

من بين الذين زاروا بلاد النهرين وكتبوا عنها في مؤلفاتهم ، نذكر :

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥ - ٢٧ .

هيكاتبه الملتى : مؤرخ وجغرافى يونانى عاش فى القرن السادس ق. م . زار العديد من الأقطار التى كانت خاضعة لحكم الفرس . ومن أهم ما تضمنه كتابه أنه قدم قائمة لتتابع ملوك آشور على العرش .^(١)

هيرودوت : ولد عام ٤٨٩ ق. م ، زار العديد من البلاد ومنها مصر وفينيقيا وابليل . وزار بابل فى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد وتحدث عن آثارها التى كانت قائمة فى ذلك الوقت (وذلك فى الفصول من ١٧٧ - ٢٠٠) .^(٢)

زينوفون : قائد ومؤرخ يونانى وعاش من ٤٣٠ - ٣٥٢ ق. م ، قام بإعادة العشرة آلاف جندي من المرتزقة الإغريق من بلاد فارس بعد معركة كوناكسا بين ارتاكسركسيس الثانى وأخيه قورش الصغير . وسار بمحاذاة نهر الفرات باتجاه الجنوب وتحدث عن طريقة الزراعة فى هذه المناطق وكيفية سحب مياه نهر دجلة فى كلوات .^(٣)

ميكاسينيس : عاش فى بداية فترة الاحتلال السلوقى للعراق (القرن الثالث ق. م) فقد معظم كتاباته ما عدا جزء صغير منها ، حفظه لنا اببيدئوس والذى اقتطف منه يوسيبوس ، وأشار إلى السلالة الكلدانية بشكل عام ونابوخذ نصر بشكل خاص . وترك لنا هذا الكاتب ثبوتا بتسلسل الملوك الكلدانيين فوما حدا نابو نهيد الذى لم ينسبه إلى الأسرة الكلدانية . كما أهمل سنوات حكم كل ملك من ملوك هذه السلالة .^(٤)

ديودور الصقلى : عاش فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد وكتب مؤلفا عن تاريخ العالم تحت اسم " المكتبة التاريخية " خصص ثلاثة كتب منها لتاريخ مصر وبلاد النهر والهند وسكيتيا وبلاد العرب وأثيوبيا .^(٥)

(١) د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، دار المعرفة للجامعة الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٤) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٥) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

السكندر بوليهمستور الملقب بأبي التاريخ : عاش في القرن الأول ق. م . حفظ لنا كتاباته يوسيبوس ويوسيفوس وكتب عن زواج نابوخذ نصر وأعطانا جدولاً بحكام الأسرة الكلدانية باستثناء لباشى مردوخ . أما تحديد سنوات حكم الملوك فقد جاءت صحيحة بالنسبة لنابو بولاصر ونابوخذ نصر ونابو نهيد^(١) . ونقل مقتطفات من أعمال بارحوشا الذى قام بكتابة تاريخ بابل في العصر الكلدانى^(٢) .

سترابون : (٥٨ ق. م - ٢١ أو ٢٥ ميلادية) كتب كتاباً عن جغرافية العالم القديم وتحدث عن جغرافية بلاد النهرين ، حيث وصف هو أيضاً كيفية سحب المياه لى قنوات إلى الأراضى الزراعية . كما تحدث عن بابل ووصفها كمدينة مخرّبة ومهدمة^(٣) .

بليني الكبير : (٢٣ - ٧٩ ميلادية) تعرض في كتاباته للحديث عن الأجناس والسلالات البشرية فى بلاد النهرين^(٤) .

يوسيفوس : مؤرخ يهودى من القرن الأول الميلادى (عاش بين أعوام ٣٧ - ٩٥ ميلادية) دون كتاباته باليونانية وكتب عن ملوك الأسرة الكلدانية بشكل عام وعن نابوخذ نصر وأميل ماردوك بشكل خاص . وأعطانا جدولاً بالأسرة الكلدانية وسنوات حكم ملوكها وصلة القرابة بينهم^(٥) .

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢) د. شعبان خليفة : مكتبة الإسكندرية ، الحريق والأحياء ، كتاب الجمهورية ٢٠٠٠ ، ص ٧٠ .

(٣) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٥) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

بحابة الاهتمام بآثار بلاد النهرين القديمة :

لم يهتم علماء الغرب بتاريخ وحضارة العراق القديمة إلا فى القرن السابع عشر على أثر عودة النبيل الإيطالى بىترود يلاقال عام ١٦٢٥ م من رحلة قام بها فى العراق ، وأحضر معه أحجاراً منقوشة برموز غير معروفة .^(١)

وابتداء من منتصف القرن الثامن عشر جاء الكثيرون من الهواة والمتخصصين إلى أرض العراق منهم من يحاول البحث والتنقيب فى أطلاله وجمع ما يمكن الحصول عليه من عاديات وينمخ ما يمكنه نسخه من النقوش . ومن أشهر هؤلاء القس الفرنسى جوزيف دى بوشام الذى جاء عام ١٧٨٦ . كما اهتم بالآثار والتجارة فيها القناصل الأجانب ، منهم القنصل البريطانى فى بغداد جيمس ريتش علم ١٨٠٧ . وفى عام ١٨٢٧ قام أحد الإنجليز بلؤل حفائر غير منظمة فى أنحاء متفرقة من العراق وعثر فيها على بعض اللوحات الفخارية والأختام الأسطوانية والعملات ومع الكشوف الأثرية وظهور الآثار التى تحمل نقوشاً مسمارية بدأت هذه الكتابة الغربية تجذب أنظار الرحالة واللغويين الأجانب كما ذكرنا مسن قبل .^(٢) وبدأت المحاولات الأولى لحل غموض الكتابة البابلية ومن ثم السومرية والآشورية على يد جورج جروتند أستاذ اللغة اليونانية فى جامعة جوتجن الذى أبلغ المجمع العلمى فى تلك المدينة عام ١٨٠٢ أنه ظل عدة مسنوات يواصل البحث والدراسة لبعض المخطوطات المسمارية التى وصلت إليه من بلاد فارس وأنه استطاع أن يتعرف على ثمانية من اثنين وأربعين علامة مستخدمة فى هذه المخطوطات وأنه ميز ثلاثة من أسماء الملوك المدونة فيها .

وجاءت المحاولة الثانية فى عام ١٨٣٥ حين استطاع هنرى رولنسون أحد موظفى الملك الدبلوماسى البريطانى فى إيران (كان على غير علم بما توصل إليه

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٩٤ ، ٣٤٤ - ٣٤٦ .

(٢) راجع فيما سبق ص ٤٩ - ٥٠ ، ص ١٤١ - ١٤٦ .

جرونتفند (أن يقرأ ثلاثة أسماء هي : هيمستايوس ، دارا ، اكسركسيس (خشيا رشاي) في نقش وصل إليه مكتوب بالخط الفارسي القديم ، وهو خط مسماري مشتق من الكتابة البابلية وأمكنه بفضل هذه الأسماء أن يقرأ النص كله .

ولم ينتظر رولنسون طويلا حيث عثر بعد ذلك على نقش بيستون المحفور بثلاث كتابات على صخرة تطل على الطريق التجارى القديم المؤدى من كرمشاه حتى همدان . وبعد جهد دام اثنتى عشرة سنة كاملة نجح رولنسون فى ترجمة النصين العيلامى والبابلى عام ١٨٤٧ . وفى سنة ١٨٥١ قدم رولنسون بحثا لجمعية الدراسات الآسيوية الملكية بلندن أوضح فيه توصله لمعرفة قراءة ١٨٠ اسما وتعرفه على القيمة الصوتية لنحو ١٥٠ رمزا ومعرفة ٥٠٠ كلمة من الكتابة المسمارية البابلية .

وتحدثنا فيما سبق عما حدث من تطورات بعد هذا للكشف العلمى .^(١) وفى العام نفسه تقريبا أعلن هينكس الإيرلندى أن البابلية ليست هجائية بل تتألف من رموز ويمثل كل منها مقطع أو كلمة ذات معنى أو مخصص . وكانت الحفائر قد بدأت فى آشور عام ١٨٤٢ بواسطة القنصل الفرنسى فى الموصل ، أميل بوتا . وفى عام ١٨٧٢ زار للعراق عالم النباتات ميشو وحمل معه أثرا بابليا منقوشا عثر عليه فى جنوب بغداد ، حاول بعض الباحثين قراءته ولكن دون جدوى ، وعمت الحفائر بعد ذلك كل بلاد آشور وامتدت إلى جنوب العراق (بلاد سومر) بفضل أعمال العائم الفرنسى ' دى سارزك ' عام ١٨٧٧ ، ثم أخذت البعثات الأجنبية من مختلف الجنسيات فى المجئ لكى تتقّب فى أنحاء مختلفة من العراق . وعكف العلماء على دراسة رموز الكتابة المسمارية ومقارنتها بالنصوص الفارسية القديمة .

وفى نهاية القرن التاسع عشر بدأت أعمال الحفائر المنظمة تأخذ مجراها الطبيعى وصاحب ذلك نشاط للرحالة الأوربيين فى وصف الآثار القائمة وتصويرها كما قامت المتاحف العالمية والجمعيات الأثرية المختلفة بإجراء عمليات الكشف عن

(١) راجع فيما سبق ، ص ٤٩ - ٥٠ ، ١٤١ - ١٤٦ .

الأثار في العراق والقيام بدراساتها .

وقد تركز الاهتمام في بداية الأمر على شمال العراق على أمل الكشف عن آثار مدن نينوى وآشور ونمرود ذوات الشهرة التاريخية الواسعة .^(١)

وشهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر بداية الاهتمام بالكشف الأثرى في النصف الجنوبي من بلاد النهرين . وكان ذلك إيذاناً بالكشف عن آثار حضارات السومريين والأكديين ، في مدن كيش وأور والوركاء ولجش ونيبور . وقد بدأتها بعثة إنجليزية في نيفر (نيبور) عام ١٨٥١^(٢) ، وبعثة ألمانية في بابل عام ١٨٩٩ .

ثم اتسعت البحوث الأثرية وشملت جنوب بلاد النهرين وشمالها معاً في القرن العشرين واتسم بعض هذه البحوث بالطابع العلمي الدقيق في الكشف عن الأثار وقراءة النصوص وترجمتها وتحليل المعلومة التي تحملها مع تصنيفها . وامتد نشاط العلماء إلى البحث عن عصور ما قبل التاريخ أو فجر التاريخ في جنوب بلاد النهرين ، وكشفوا في الجنوب عن حضارات العبيد وجمدة نصر ، وفي الشمال عن حضارات تل حلف وتل حسونة وغيرها .^(٣) إلا أن أبرز نشاطات مسنونات الحروب العالمية الثانية في حقل الأثار والتنقيب قلمت بها نافذة الأثار العراقية . وما قام به

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٣٧١ .

(٢) ثم جاءت بعد ذلك بعثة من علماء جامعة بنسلفانيا عام ١٨٨٩ ، وعثرت في موسمين على آثار ذات قيمة منها ألواح طينية كتبت بالسومرية والبابلية والآشورية ، وواصلت البعثة أعمالها في أعوام ١٨٩٣ - ١٩٠٠ وعثرت على آثار هامة من أواخر العصر الأكدي حتى عصر نابوخذ نصر الثاني ، راجع : د. عبد الحميد زايد : للشرق للخالد ، ص ٢٠٥ - ٢٠٩ .

(٣) عن أعمال الحفائر الأثرية التي تمت في أرض العراق في الفترة من عام ١٨٤٢ إلى ١٩٣٩ ، راجع ، نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٦١ - ٧١ .

الأستاذان طه بقر وفواد سفر اللذان قادا بفجاح بعد عودتهما من الدراسة خلال سني الحرب العالمية الثانية وما بعدها للتقيب في أواسط وعقر قسوف والدير وحرمل والمغير وتل حصونة ولريدي والحضر .

كما عملا على نشر نتائج أعمالهما هذه في الداخل والخارج كما بذلا جهدا لتأسيس أول معهد لدراسة الآثار العراقية عام ١٩٥١ (١).

وبفضل هذه المادة الأثرية وما يحمله بعضها من نقوش ونصوص استطاع العلماء ترجمتها وتحليلها وفهم الغرض منها وبفضل ما تركه الآشوريون من نقوش تاريخية وما تركه الأكديون والبابليون وما كتبه بروسوس (لو بارحوشا) وما كتبه المؤرخون والزحالة اليونان والرومان وما أظهرته الحفائر ودراسة النصوص المتفرقة حاول العلماء أن يضعوا إطارا تاريخيا لأحداث العصور التاريخية في بلاد النهرين ولكن هذا الأمر لم يكن سهلا لأنهم وجدوا أنفسهم في موقف صعب ، وذلك لأن الوثائق التي تركها لنا أهل العراق القديم بعيدة جدا عن أن تكمل بعضها بعضا ، ولا تتفق مع بعضها بعضا من ناحية التاريخ وأحداثه . ومن هنا نشأت الاختلافات الكبيرة في مجموعة التواريخ المعترف بها ولإيجاد الحل المناسب لجأ بعض العلماء إلى علم الفلك وتسجيل الكسوف وظهور بعض الكواكب التي يمكن ملاحظتها في فترة معينة من دورتها . وقد استطاع علماء الفلك في العصر الحديث أن يحسبوا التاريخ التي تصبح فيه هذه الظواهر مرئية في العراق ومقارنتها بما كان يحدث في العصور القديمة . ولكن ظاهرة الكسوف والخسوف - هذه كانت تعود مرة أخرى ولكن في تواريخ مختلفة بعض الشيء عن التواريخ القديمة ، لذلك كان لابد من تكوين فكرة تقريبية عن ذلك العصر - لتحديد أي من هذه التواريخ أقرب إلى الصواب . ولا تزال نظرية تصحيح بعض التفاصيل في قوائم الأسر الملكية القديمة - أمرا ضروريا وهاما . وذلك لإنماج هذه النتائج في الإطار المحدد أو التقريبي الذي يعطينا إياه علماء الفلك . وعلى الرغم من كل ذلك فهناك أمر متفق عليه بين العلماء ، وهو

(١) نخبة من الباحثين العراقيين : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢ .

قصر مدة التاريخ بالنسبة للفترات القديمة جدا . وسوف نعطي هنا فسى دراستنا
التواريخ التي اقترحها للعالم سميث ابتداء من عام ١٩٤٠ والمعتزف بها من قبل
علماء تاريخ الشرق القديم . ولكن كل هذه المحاولات كانت تقريبية واتفق العلماء
فيما بينهم على أن العراق عرف جميع العصور التاريخية بما فيها العصور الحجرية
أو فجر العصور التاريخية . وينقسم تاريخ العراق القديم إلى تسع مراحل رئيسية
هي :

أولاً : عصور ما قبل التاريخ (أو فجر العصور التاريخية) أو العصور الحجرية وظهور المخلات والمراكز السكانية :

قامت في العراق القديم قبل العصور التاريخية عدة حضارات ومراكز
حضارية قديمة كانت على جانب كبير من الأهمية .

ـ العصر الحجري القديم : وينقسم هذا العصر إلى ثلاثة عصور هي :

العصر الحجري القديم الأسفل :

في هذا العصر كان الإنسان يكتفى بما أمدته به الطبيعة وما يلاحظه في
مشاهداته لكل ما حوله وذلك في صراعه الدائم ضد قسوة البيئة القديمة وفي سعيه
المستمر لتحصيل القوت سواء عن طريق الصيد أو قطف ثمار بعض الأشجار .
وعثر على بقايا هذا الإنسان في هضبة كردستان (شرق ججمال) وفي كهف
شانيدير وكهف هزارمرد .^(١)

العصر الحجري القديم الأوسط :

عثر على أدوات هذا العصر في بردة بلكة شمالي ججمال منها أدوات
حجرية أهمها فأس يدوية لها رأس كمثرية الشكل كانت تستخدم في قتل حيوانات

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ د. عبد الحميد زاهد :

المرجع السابق ، ص ١٨ - ١٩ .

الصيد وبلغ طولها حوالي عشرة سنتيمترات . وهي من أقدم ما استخدمه الإنسان من أدوات حجرية في العراق القديم (١).

العصر الحجري القديم الأعلى :

عثر على آثاره في كهوف زرزي ، وبالي وجورا وكريم شاهر ، وهي أدوات بسيطة كان يستخدمها الإنسان في صيده وإعداد طعامه كالمساكين وأدوات من الصوان حجرية كبيرة كالمطارق والمجاش والمعايق (٢).

العصر الحجري الوسيط : تتميز الأدوات الحجرية في هذا العصر بكثرة ظهور الأسلحة القزمية ، ويرجع هذا العصر إلى الألف العاشرة أو السابعة ق. م . وأخذ الإنسان في هذه الفترة في بناء بعض الأكواخ البيضاوية الشكل من أغصان الأشجار ، وتشكيل بعض التماثيل التي تعبر عن الأمومة . ومن المواقع التي ترجع إلى هذا العصر ثلاثة مواقع هي : زاوى شيمى بالقرب من كهف ثنائيدار ، وقد اعتمد الإنسان في هذا الموقع على صيد واستئناس الحيوانات مثل الماعز والغزلان والوعول ، ومواقع كريم شاهر في لواء كركوك وموقع ملفعات في لواء الموصل (٣) وعثر فيها على أدوات من الصوان كالمكاشط والمساكين .

العصر الحجري الحديث : ابتداء من الألف العاشرة ق. م - تقريبا ، عرف الإنسان الأول استئناس الحيوان وتوصل إلى معرفة للزراعة وذلك في أضيق نطاق وذلك على التلال التي تتاخم الهضبة الإيرانية وخاصة في كردستان . وكل ذلك لأن الظروف الطبيعية كانت قد تغيرت شيئا فشيئا . ويمكننا أن نتحدث هنا عن التطور

(١) د. عبد الحميد رايد : المرجع السابق ، ص ١٦ - ١٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ د. أحمد سليم : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، ص ٦٣ - ٧١ .

(٣) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٧٣ - ٧٩ .

فى العصر الحجرى الحديث الذى جعل الإنسان الأول راعيا ومزارعا أيضا ^(١) . وقد
عثر على بقايا هذا العصر فى مناطق عديدة هى :

حضارة جرمو :

تقع فى شرق كركوك وقام بالحفر عنها بعثة برئاسة برايدود Braidwood وعثر على بقايا بعض القرى التى كانت تخص بعض المزارعين وترجع إلى الألف السابعة ق. م . ^(٢) وعثر فى موقع حضارة جرمو على حوالى ١٢ طبقة سكنية مما يدل على أن الإنسان بدأ فى هذه الفترة فى ترك التلال والاستقرار فى السهول وبدأ يتعود على حياة الزراعة ومستلزماتها . فقد عثر على مساكن بسيطة مشيدة من الطين . ويعتبر برايدود أن هذه المساكن تعد أقدم مساكن سكنها الزراع فى العالم . كما عثر على مناجل فخارية وبقايا حبوب وأدوات وأوانى حجرية . كما عثر على

(١) تحدث أستاذنا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، طبعة ١٩٧٦، ص

٣٧٣ - ٣٨٣ عن فجر التاريخ المراقى فى العصر الحجرى الحديث عن :

أ - الفترة النيوليثية (الحجرية الحديثة)

ب- الفترة الخالكويتية (النحاسية الحجرية) : حضارة المبيد .

ج - قبيل العصر الكتابى : حضارة الوركاء .

- وقام د. سيد توفيق بعد ذلك بالحديث فى مؤلفه عن * تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص ٣١٣ - ٣٢٧ * عن الفن فى العراق فى كل العصور مبتدئا بالحديث عن تاريخ الفن فى عصر فجر التاريخ (من ٥٠٠٠ إلى ٢٨٥٠ ق.م) فتحدث عن صناعة الفخار والنحت والنقوش فى حضارات : تل حسون ، سامراء ، المبيد ، أريدو ، الوركاء ، وجمدة نصر . كما تحدث عن لوحة سيد الأسود ونقوش الأختام الأسطوانية وفن نحت القماثيل .

Parrot, Sumer, p. 25, 39 - 40, 43

(٢)

وأيضا د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، دار النهضة العربية ١٩٨٧ ، ص ٢٩٦ .

بقايا عظام وهياكل حيوانات كالأغنام والماعز والبقر والخنازير وأنواع من الخيول الصغيرة (السيسى) مما يدل على أنهم عرفوا استئناس الحيوان . كما عثر على تماثيل صغيرة من الصلصال التي تمثل بعض الحيوانات ونساء جالسات ذوات أرداف ثقيلة . فهل ترمز إلى الأمومة أو ترمز إلى عبادة ما (١)؟

ويرى بعض العلماء أن حضارة جرمو تتشابه في مظاهرها مع حضارة

الفيوم في مصر .

حضارة تل حسونه :

تقع جنوب الموصل وترجع إلى بداية الألف السادسة ق. م . أو (٥٢٠٠ - ٥٠٠٠ ق. م) واستمرت حتى الألف الرابعة ق. م . وقام بالحفر في هذا الموقع بعثة من دار الآثار العراقية من عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤ (٢) . ودخل الإنسان في هذه الحضارة نوعا من التطور في تشييد المساكن التي أصبحت تشبه الأكواخ . وأصبحت تشييد من مواد غير الصلابة . أما أدوات الاستخدام اليومي فكانت من الفخار والأحجار والعظام . وامتاز فخارهم بالنقوش والأصباغ المتعددة . كما عثر في هذه الحضارة على أواني من القيشاني الملون التي ترجع إلى الألف الرابعة ق. م . (٣) (وهي موجودة الآن بمتحف بغداد) كما عرفوا استئناس الحيوان مثل الماعز . كما عثر

(١) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ - ٣٤١ ؛
د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ،
طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧٣ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٨١ - ٨٨ ،
يعطينا المؤلف اشكال (٧ - ١٢) لموقع تل جرمو وأدوات ومصنوعات
حجرية وأواني فخارية وتماثيل بشرية وحيوانية من جرمو ومنظر يبين أساس
منزل في جرمو .

Parrot, Sumer, p. 25, 41, 43, 46, 52, 90.

(٢)

Parrot, op. cit., p. 42 Fig. 58; Parrot, Assur, p. 298 Fig. 293.

(٣)

عن الفن بوجه عام في بلاد النهرين ابتداء من حضارات عصور ما قبل
التاريخ حتى العصر الكلداني ، راجع : د. شمس الدين فارس - د. سليمان
عيسى : تاريخ الفن للقديم ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، دار المعرفة ،
بغداد ١٩٨٠ ، ص ٣٠ - ٣٥ ، ٣٦ - ٣٨ ، ٣٩ - ٤٠ ، ٤٢ - ٥٢ ، ٥٣ -
٦٦ ، ٦٧ - ٧٣ ، ٧٥ - ٨١ ، ٨٢ - ٨٦ .

على توابيت من الفخار الكبير أعدت لإيواء جثث الأطفال (١).

حضارة سامراء :

تقع على الشاطئ الأيسر لنهر دجلة ، شمال بغداد . وترجع إلى أواخر الألف السادسة ق. م . وقد بدأت الحفائر فسي هذا الموقع عام ١٩١٤ برئاسة هرزفيلد (٢) وعثر في هذا الموقع على حضارة على جانب كبير من التقدم الفني . فقد عثر على ألوان فخارية مزينة بنقوش هندسية وأشخاص وحيوانات (٣) كما عثر أيضا على ألوان حجرية وسكاكين صخرية من الحجر البركاني وهو الأوبسديان . وهذا ربما يشير إلى وجود نوع من التبادل التجاري أو الاتصال مع سكان جبال ارمينيا وبعض مرتفعات بلاد العرب لأن هذا الحجر لا يوجد إلا في هذه المناطق (٤).

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٦ - ٣٣ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ د. نبيله عبد الحليم : معالم المصير التاريخي في العراق القديم ، ص ٢٠ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٨٩ - ١٠٣ يعطينا المؤلف أشكال (١٣ - ١٤ ، ١٦ ، ١٨ - ٢٤) تمثل نماذج من فخار تل حسونه وبعض الأدوات الحجرية ، ورسم تخطيط لبقايا منازل وتمثالين من المرمر من تل حسونه .

(٢) عن هذه الحضارة ، راجع : Parrot, Sumer, p. 17 - 19, 25, 41, 44, 48, 60 - 63, 90.

(٣) عن هذه الألوان وأشكالها ، راجع : Parrot, Sumer, p. 44 Fig. 60, p. 46 Fig 62.

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٧ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ د. نبيله عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٩٠ شكل ١٥ يعطينا المؤلف فسي هذا الشكل نماذج لزخارف فخار سامراء .

حضارة تل حلف :

تقع هذه الحضارة غربا في العمق السوري وشمالا قسى الاريحية قرب الموصل (وترجع إلى عام ٤٥٥٠ - ٤٠٠٠ ق.م) .

وتمتاز هذه الحضارة بأوانيها الفخارية المصقولة ذات الجدران الرقيقة ، وذات الألوان الزاهية^(١) وتعد الخزارف التي زينت بها هذه الأواني من أفضل ما خلفه إنسان العصر الحجري الحديث بالنسبة لزينة الفخار وما يمتاز به من رسومات . كما عثر على تمثال للمعبودة الأم من الألف الرابعة ق.م .^(٢) كما تمتاز هذه الحضارة ببده استخدام التحاس بواسطة أهلها . كما عثر على بقايا قرى تفصلها شوارع ممهدة بالحجارة . وعثر على آثار هذه الحضارة في أماكن متفرقة من سوريا مثل رأس الشمر (اوجاريت القديمة) إلى جانب وجودها في بعض المناطق الأخرى في العراق .

حضارة العبيد :

تقع بالقرب من أور وترجع إلى حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م .^(٣) وتوصل

(١) عن هذه الحضارة ، راجع : Parrot, Sumer, p. 17, 19, 22, 25, 29, 41, 48, 51, 90. وأيضا د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص

٣٣٥ - ٣٣٦ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٢٨ د. نبيله

عبد الحليم : المرجع السابق، ص ٢٢ - ٢٣ د. سيد توفيق : المرجع السابق ،

ص ٢٩٧ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٠٤ - ١١٢ ويعطينا

المؤلف في أشكال ٢٥ - ٢٨ نماذج لزينة الأواني الفخارية ورسم ومخطط

لمنزل في موقع تابع لتل حلف ؛ Parrot, Sumer, p. 50 Fig. 67

(٢) Parrot, Assur, p. 247 Fig. 308; Parrot, Sumer, p. 50 Fig. 67.

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ د. عبد الحميد

زايد : المرجع السابق ، ص ٢٨ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ،

الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ، ص ٣٧٦ - ٣٨١ د. نبيله عبد الحليم : المرجع

الإنسان خلالها إلى المعرفة الحقيقية لاستخدام النحاس والأختام الأمطوانية (التي كانت تستخدم للدلالة على الملكية) . كما اتخذ الإنسان طابعاً بسيطاً في أسلوب بناء مساكنه التي شيدت من اللبن . وكانوا يوسدون المتوفى على ظهره في حفرة ويضعون معه جزءاً من المتاع الجنائزي من أدوات وعقود من الأحجار المطليسة . وكانوا يضعون معه أيضاً أواني تستخدم لوضع القرابين المادية وكانت هذه الأواني مصنوعة من عجينة صفراء تميل إلى الخضرة . وهذا النوع من الطين الجيد كان يستخدم أيضاً في صناعة الفخار . وكان الفخار ذا حافة رقيقة ويحمل الزينات من لون موحد إما أسود أو في بعض الأحيان لون يميل إلى الحمرة . وكان يغلب على أشكال الزينة في الفخار الأشكال الأدمية والهندسية . ويقول د. صالح في هذا الصدد : " ومنها ما يمثل مجموعات تخطيطية ومن هذه المجموعات ما يمثل مجموعة من ست أنثى يتوزعن على محيط دائرة ، وتحيط بهن ست عقارب كبيرة . ومنها ما يصور أربعة طيور طويلة الرقاب والأجنحة توزعت على أركان باطن الإناء واتجهت نحو مركزها والتقط كل طائر منها سمكة بمنقاره ، ومنها ما يصور أربعة مثلثات تلتفت رؤوسها على أطراف شكل المعين واستغلها الفنان لتصوير أربع عنزات " (١).

== السابق ، ص ٢٤ - ٢٦؛ د. بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٢٠٥ حاشية (١) ؛ د. سليمان سعنون : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، ص ٤٩ - ٩٨ قام المؤلف بكتابة دراسة تفصيلية لأقدم مراكز الاستقراء في جنوب العراق : العبيد ، الوركاء ، جمدة نصر ، راجع أيضاً المؤلف نفسه : الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد ، ص ٢١ - ٢٦ ؛ د. سيد توفيق - المرجع السابق ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ وعن هذه الحضارة ، راجع أيضاً : Parrot, Sumer, p. 19 - 20, 24, 41, 52- 55, 60, 63-64, 66, 68, 74, 90, 95, 133, 156, 158, 166, 224 Fig. 277.

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧٥ .

وكانت حضارة العبيد محدودة في الجنوب ولكنها كانت تمتد نحو الشمال حيث كانت تتقارب في خصائصها الحضارية مع حضارة سامراء على نهر دجلة وتل حلف . وكان اختلاف ظروف البيئة في الجنوب عنها في الشمال خلال فترة هذه الحضارة سببا في وجود بعض الاختلافات في المظاهر الحضارية . مما دعى بعض المؤلفين إلى التمييز بين حضارة العبيد الشمالية وحضارة العبيد الجنوبية^(١) . وقد شغلت هذه الحضارة أكثر من منطقة فقد عثر في اريدو (العبيد (١)) على فخار ملون ذي أرضية خضراء يشبه فخار بلاد عيلام في جنوب غرب إيران^(٢) . كما عثر على بقايا أرضية معبد ، كان يتكون من مقصورة بسيطة كانت لها مشكاة لتمثال للمعبود أو رمزه ، وكانت هناك مائدة للقرابين شيدت من الطوب اللبن وضعت أمام هذه المشكاة . وتجدد معبد اريدو وزاد اتساعه أكثر من مرة خلال عصر حضارة العبيد . فشاده أصحابه من جديد فوق مسطح يؤدي إليه درج^(٣) .

حضارة الوركاء :

تعرف قديما باسم أوروك (أو أونوج) وتقوم على أنقاضها الآن بلدة الوركاء الحالية . وتعد من أهم حضارات فجر العصور التاريخية في العراق القديم وترجع إلى ٣٥٠٠ - ٣٢٠٠ ق. م . وتتميز هذه الحضارة بوجود أقدم أمثلة للنحت على السطوح المستوية ونحت التماثيل كما عثر على ما يدل على تطور صناعة

- (١) يقسمها د. أحمد سليم في مؤلفه : تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى ، ص ١١٣ - ١٣٧ إلى ثلاثة مراحل : العبيد (١) = حضارة اريدو (أبو شاهرين) ؛ العبيد (٢) = حضارة الحاج محمد ؛ العبيد (٣) = حضارة العبيد المسيحية . ويعطينا في أشكال ٢٩ - ٣٧ نماذج لبعض الأواني الفخارية من حضارة اريدو ورسم تخطيطي لتصميم المعابد في اريدو .
- (٢) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

الفخار ^(١) وظهرت في الفخار المقابض المقوسة التي كانت شبه نلدة فيما سبق وأصبحت متعددة ومتنوعة وتمتاز بكبر حجمها نسبيا ^(٢) وأصبح لها فوهة مشية مما يدل على أنها كانت تقلد الأصل من المعدن . واختفى التلوين وظهرت الألوان المساء المغطاة بلون واحد أحمر أو وردي ، أو مزينة بخطوط حفرت بأطراف الأظافر . وعثر في الوركاء على برج مدرج من اللبن عرف باسم " الزاقورة " على جانبه معبد ويحيط بهذه الزاقورة والمعبد مساحة كبيرة بها حجرات متعددة ويحيط بالجميع سور ضخم ^(٣) عثر في هذه المدينة على أطلال معابد لمعبودة السماء إيانا وإيانا ومعبد لإله القمر . وفي الجزء الغربي من المدينة عثر أيضا على معبد للمعبود أنو (أو أن) (معبود السماء) وعرف باسم المعبد الأبيض نظرا لوجود طلاء من الجص الأبيض على جدرانه ^(٤) وعثر في هذا الموقع على أختام أسطوانية .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ - ٣٨٣ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٢ د. نبيله عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٦ - ٣٤ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ص ١٧٢ ، ١٧٧ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ - ١٤٢ ويعطيان المؤلف في شكل ٤٧ نماذج من الأواني الفخار لهذه الحضارة . وانظر أيضا عن هذه الحضارة ، راجع :

Parrot, Sumer, p. 14 - 16, 19 - 20, 25 - 26 Fig. 41, 63 - 65, 68, 70, 74 - 76, 86, 90 - 93, 96, 98, 102, 133, 166, 169, 194, 198 - 200, 238, 302, 316, 318, 328 .

(٢) وعن هذه الأواني وما عليها من مناظر ، راجع :

Parrot, Sumer, p. 70 - 73 Fig. 87 - 90.

Parrot, Sumer, p. 65 Fig. 82. (٣)

(٤) عن بقايا هذا المعبد ، راجع : Parrot, op. cit., p. 67 Fig. 84, p. 68

Fig. 86؛ وأيضا: د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ ؛

د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٤٣ شكل ٤٨ .

فلا نلاحظ إلا المظاهر التي حدثت في حضارة اللوركاء ، وأصبح الفخار الملون هو المفضل . ويلاحظ أن النوع الذي كان سائدا هو الفخار المتعدد الألوان ، ذو العجينة الغليظة ، وكانت حوافه سميكة والأشكال تبدو أكبر حجما . ولا تنتشر هذه الحضارة في أى مكان آخر .^(١) ونلاحظ أيضا أنها لم تستمر فترة طويلة . وقد أعطى لها العلماء كتاريخ ما بين عام ٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق. م . تقريبا . وقامت بالحفر عن هذه الحضارة بعثة لاثجدون ماكاي - واتلين .^(٢) ومن أهم موضوعات الكتابة التي عثر عليها في هذه الحضارة كانت تعبر عن حسابات خاصة بالمعابد . كما عثر على أنيسة من القيشاني الملون ترجع إلى نهاية الألف للرابعة ق. م .^(٣)

وبعد فترات هذه الحضارات نجد أن قوائم الأسر تعطينا أسماء لأسرات استمرت فترات طويلة من الزمن وتكاد تكون غير واقعية ومبالغ فيها أحيانا .

وعلى أية حال فقد عرفت الفترة التي أعقبت فترة حضارة جمدة نصر بالعصر الأسطوري والأسرات العتيقة أو المبكرة ، هناك بعض المؤرخين الذين يتحدثون عقب هذه الفترة مباشرة عن العصر السومري دون الإشارة إلى العصر الأسطوري . وفي هذه المرحلة نرى ظهور أسماء بعض المدن الهامة .^(٤)

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ ، د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٣٦ ، د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٥١ ويعطينا المؤلف في أشكال ٥١ - ٥٣ نماذج لفخار جمدة نصر وصورة لإتاء نثري ونماذج لأختام أسطوانية .

(٢) Parrot, Sumer, p. 19 - 20, 90, 93, 166.

(٣) Parrot, Assur, p. 297 Fig. 297.

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٣٧٩ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٤٢ - ١٥٠ ؛ د. فضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحة ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ١٥٠ (١) وأيضا : Contenau, op. cit., p. 88 - 89.

ويقول د. صالح : " وهى أختام إما مخروطية ذات قواعد شبه دائرية وأخرى أسطوانية الشكل كانت تثبت فى أيد خشبية ويختمون بها سدادات الأوانى . وشاع هذا النوع الثانى واستغله الفنان لنقش مناظر دنيوية أو دينية أو أسطورية على سطوحه .^(١) وصورت مناظرها الدينية مراحل أعياد المعجودات ، ومنها ما يمثل حاكما يتقدم بسنبلى شعير إلى سدة رؤوس من ملثية . ورمزت المناظر الدنيوية فى نقوش هذه الأختام إلى ما يمثل ساحة قتال يتصدرها حاكم ذو لحية كثيفة وعمامة كبيرة يقف مستندا إلى رمحه فى اعتزاز وقوة^(٢) وقد تجمع أمامه عدد من الأسرى . وصورت نقوش أخرى حيوانات البيئة من أفاعى ضخمة وأسود وصور لمراكب تدل على أهميتها فى حياة أهلها وانتقالاتهم . كما تم النقش على نصب صغيرة متواضعة عليها منظر لرجل يصيد الأسود بسهامه وآخر يهاجمها برمحه . كما عثر فى هذه الحضارة على نماذج من النحت تمثل حيوانات أليفة وضارية وتمائيل بشرية وتمائيل كائنات أسطورية وخرافية . وتمائيل الإناث التى يمتاز بعضها بالرشاقة " .^(٣) ومن هذه التماثيل وجه حجرى لأثنى عثر عليه فى الوركاء .^(٤) كما عثر على أدوات للزينة وأدوات مصنوعة من المعادن وعثر فى هذه الحضارة على أقدم نماذج للكتابات تعبر عن محاولات لاختراع حروف الكتابة . وهى كتابة أولية استخدمت على لوحات وتدل الصورة فيها على رمز معين أو حرف معين .^(٥)

حضارة جمدة نصر :

كانت هذه الحضارة محل نقاش بين العلماء نظرا للتغيرات التى حدثت فى صناعة الفخار والتى تمثل عامل التطور الرئيسى فى هذه الحضارة . وفيما عدا هذا،

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٧ - ٣٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٨١ ، ص ٥٧٨ شكل ٣٨ .

(٥) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

ثانيا : العصر الأسطوري :

قبل قيام السومريين بتأسيس مملكتهم تحدثنا قوائم الأسرات عن ملوك أسطوريين من قبل عصر الطوفان الكبير . وتشير هذه القوائم إلى وجود أبطال عاشوا في العصر الأسطوري لسومر .

فتذكر أن الملكية هبطت من السماء إلى مدينة أريدو حيث حكم فيها ملكان معبودان ، وانتقلت الملكية المقدسة بعدها إلى بادتيبيرا (تل المداين قرب تلور) حيث حكم ثلاثة ملوك من المعبودات منهم المعبود تموز (معبود الإنبات) ، ثم انتقلت الملكية إلى لارك (قرب كوت العمارة) حيث حكم ملك واحد ، ثم انتقلت إلى سيار (أبو حبه) حيث حكم ملك واحد أيضا ، ثم انتقلت أخيرا إلى شوروباك (تل فرا) حيث حكم ملك واحد كذلك .^(١) وبعد ذلك جاء عصر الطوفان الكبير .^(٢) وبعد انحسار الفيضان هبطت الملكية مرة أخرى من السماء

(١) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٢) وردت قصة الطوفان في وادي النهرين في الأساطير السومرية كما وردت في ملحمة جلجامش ، ثم تناقلت قصص التوراة في أحداث مشابهة (سفر التكوين ٦ : ١ - ٢٢) في تصوير غضب المعبود على البشر وإبلاقه لهم ثم عقابه لهم بالطوفان .

كما تحدثنا آيات القرآن الكريم عن تصوير ما أدى إليه الطوفان أيام سيدنا نوح (سورة يونس : الآية ٧٣ ؛ سورة هود : الآيات ٣٧ - ٤٥ ؛ سورة الشعراء : الآيات ١١٨ - ١٢٠ ؛ سورة المنكبوت : الآيات ١٤ - ١٥ ، ٤٠ ؛ سورة الصافات : الآيات ٧٩ - ٨٢ ؛ سورة القمر : الآيات ٩ - ١٥) ، راجع أيضا د. عبد الحميد زليد : المرجع السابق ، ص ١١ د. عيسد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٧٥ .

وقد ورد في ملحمة جلجامش ذكر أماكن في بلاد النهرين مثل مدينة أوروك (الوركاء الحالية) وشورباك (تل فلره للحالية) وكلاهما تقعان في جنوب بلاد النهرين . كما تحدد مكانا في وادي النهرين للجبل الذي وصلت إليه ---

استقرت في كيش (شرق بابل) حيث تكونت فيها السلسلة الأولى من

— أو رست عليه سفينة سيدنا نوح " واستقرت على الجودي " (سورة هود : الآية ٤٤) ، وهو جبل " نيسير " الذي يحدده الباحثون ورجال الآثار عبادة بجبل " بيزر عمر كودرون " الذي يقع جنوبي نهر الزاب الصغير (أحد روافد نهر دجلة) في سلسلة جبال زاغروس التي تمتد بطول المنطقة الشرقية لوداي النهرين من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، راجع :

د. لطفي عبد الوهاب : العرب في العصور القديمة (مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام) ، ص ٥٥ د. بيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٧٦ حاشية ٦٨ د. فاضل عبد الواحد : الطوفان في المراجع المسمارية ، مؤلف طبع على نفقة جامعة بغداد ، عام ١٩٧٥ ، ص ١٩ - ٤٠ ، ١٨٥ - ١٩١ . وعن بير عمر كودرون (جبل بيرة مكرون) ، راجع : المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ ، حاشية ١٨ . وحديثا نشرت جريدة الوائسطن تليمز التي نقلت الخبر عن وكالة المخابرات الأمريكية أن ظائرات التجسس الأمريكية التقطت صوراً تظهر فيها بقايا خشبية متهاكة لسفينة سيدنا نوح عليه السلام فوق جبال أرارات بتركيا (٢) . ويرى بعض العلماء أن الطوفان كان محلياً فسي سهول العراق الرسوبية وأنه كان طوفاناً كبيراً على وادي دجلة والفرات وتقدر مساحة الفيضان بحوالي ٤٠٠ ميل طولا ، و ١٠٠ ميل عرضاً ، وكان ذلك كافياً لأن يغمر الوادي كله ، إذ بلغ ٤٠ ألف ميل مربع ، فيما عدا المناطق المرتفعة ، أما بالنسبة لوقت استمرار الفيضان فلم يستطع أحد حتى الآن أن يحدده تحديداً تاماً ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٨ - ١٢ .

ويعرض د. شعبان رأيا جديداً بالنسبة لمكان حدوث الفيضان ، فسهو يسرى أن الفيضان وقع في سهل منخفض في مكان ما يعرف حالياً بالبحر المتوسط وذلك عندما أنهار الحاجز الجلي الرابط بين شمال أفريقيا وجنوب أوروبا من جهة المحيط الأطلنطي فيما عرف بعد ذلك باسم مضيق جبل طارق وغمرت مياه المحيط السهل ونشأ من جرائه البحر المتوسط ، راجع : د. شعبان خليفة : —

ومن الصعب التوصل إلى بداية العصر التاريخي بالتحديد نظرا لأن قوائم الأسرات أعطيتا لمدد حكم كل ملك من ملوك سومر أرقاما خيالية من المسنين تبلغ عشرات الآلاف . وعلى ذلك فلا نستطيع معرفة متى انتهى العصر الأسطوري ومتى بدأ العصر التاريخي .

ثالثا : السومريون وأسراتهم وسلاطنتهم أو عصر بداية الأسرات السومرية

(من القرن ٣٠ إلى ٢٥ ق.م) :

تبدأ العصور التاريخية في العراق بالسومريين وقد اختلف المؤرخون في أصلهم . ويرى بعض الباحثين أن أجداد السومريين هاجروا إلى العراق من المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية التي تحف به ، عن طريق أرمينيا وإيران ، ورأى آخر يرى أنهم جاءوا من وراء القوقاز أو مما وراء بحر قزوين . وافترض رأى ثالث أن السومريين هاجروا من منطقة ما تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان^(٢) ، واستقروا بعض الوقت في غربي إيران ، ثم نزحوا إلى بلاد الفهرين عن طريق الخليج العربي وجزيرة البحرين^(٣).

== الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

أما عن الفترة التي استغرقتها هذه الكارثة فهي تختلف في المصادر السومرية البابلية عنها في المصادر الخاصة بالتوراة ، فبينما تعطى الأولى مدة أسبوعا واحدا ، تعطى الثانية مدة ٥٠ يوما ، راجع : James, Mythes et Rites dans le Proche - Orient ancien, Paris (1960), p. 201.

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع للمسابق ، ص ٣٩٠ ؛ د. بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ١٩٩ حاشية (٢) .

(٣) عن السومريين وعصرهم وحضارتهم ، راجع : د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحمة ، ص ١١ - ٣٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦ ، ٣٥ - ٦٠ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ،

وتذكر لنا قوائم الأسرات والوثائق المختلفة تاريخ السومريين منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر ق. م .

-- ص ٤٧ - ١٠٣ د. توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة ، ص ٩٦ - ١١٧ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ١٦٠ - ١٨٥ . وتناول العالم الفرنسي باروه في مؤلفه عن " سومر - Summer ' الموضوعات التالية في سبعة فصول وهي :

ففي الفصل الأول : تناول تاريخ الاكتشافات الأثرية في سومر .

وفي الفصل الثاني : تحدث عن جنة عدن ، وأقدم العصور التاريخية ابتداء من عام ٥٠٠٠ حتى ٢٨٠٠ ق. م .

وفي الفصل الثالث : تناول تاريخ المدن - الدول والعصر الذهبي في سومر : أور ، لاجش ، مارى (من عام ٢٨٠٠ إلى ٢٤٧٠ ق. م) .

وفي الفصل الرابع : تحدث عن إمبراطورية سرجون الأول (من عام ٢٤٧٠ إلى عام ٢٢٨٥ ق. م) .

وفي الفصل الخامس : تحدث عن الجوتيين ورد الفعل في الأحياء السومري (من عام ٢٢٨٥ إلى ٢٠١٦ ق. م) .

وفي الفصل السادس : عودة الأموريين والسيطرة البابلية (من عام ٢٠١٦ إلى عام ١٥٩٥ ق. م) .

وفي الفصل السابع : تناول تاريخ الكاشيين والعلمانيين في بابل (من عام ١٧٣٠ - ١١٥٥ ق. م) .

راجع : Parrot, Summer, Gallimard (Paris) 1960, p. 7 - 313
كما تحدث د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٢٨٤ - ٤١٢ عن عصر بداية الأسرات السومري وتحدث في هذه الصفحات عن أصل السومريين والكتابة المسمارية والعمارة الدينية (والزقورات) والعقائد والتطور السياسي والفنون والنحت والمساكن والمقابر وما عثر عليه فيها .

(١) أسرة كيش الأولى :

تشير قوائم الأمرات إلى أن الملكية عندما هبطت مرة أخرى بعد الطوفان الكبير هبطت على كيش (الأحمير) وعلى ذلك أصبح ملكها يلقب بلقب " ملك كيش " . وكان أول هؤلاء الملوك هو ملك يدعى " إن - مي - براج - سي " وحكم حوالي عام ٢٧٠٠ ق. م . وتدل الشواهد الأثرية على أنه قام بتشييد معبدا للمعبود النليل في نيبور مما جعلها عاصمة سومر الدينية في بداية الأمر .^(١)

" وتذكر القوائم أن آخر ملوك كيش " لجا " هزم على يد خامس ملوك أسرة الوركاء " جلجامش " الذي قضى على مملكة كيش وتشير الأساطير إلى جلجامش وأعماله الخارقة .

(٢) أسرة أور الأولى :

ذكر على خاتم أسطوانتي عثر عليه في أور (المقيير حاليا) أن الملك " مس - ائي - بدا " هو ملك كيش ، مما يدل على أن أسرة أور الأولى هي التي خلفت أسرة كيش في السيادة . ومن الآثار التي عثر عليها في جبانة أور نتبين مقدار الثراء الذي كانت عليه هذه المدينة وعظمة أسرته الحاكمة حيث عثر على مقابر ملوكها^(٢) ، وكانت غنية بما حوته من أثاث ثمين وتحف نادرة ، ومن أجمل ما عثر عليه في جبانة أور (من النصف الأول من الألف الثالثة) تمثال من المعدن يمثل

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ - ٣٥٠ .

(٢) هناك عدة مناظر على أختام من أور منها منظر ولاثم وموسيقيين كما عثر على آلات موسيقية من الجبانة الملكية بأور ، وهي موزعة بين متاحف فيلادلفيا وشيكاغو والمتحف البريطاني وبغداد ، راجع : Parrot, Assur, p. 299, 300, 305 Fig. 372 - 373, 382 ، وهناك منظر عام للجبانة الملكية في أور ، وترجع إلى النصف الأول من الألف الثالثة ، راجع :

Parrot, op. cit., p. 245 Fig. 305.

عنزة (أو جدى) تتناول على شجيرة قصيرة ذات فروع وتطل برأسها فيما بينها .
ورصع الفنان خصل شعر العنزة الطويل بقطع من اللازورد والأصناف ثبتها بالقار
على جسمها الخشبي . وهذه القطعة محفوظة بالمتحف البريطاني (١) . ومن أهم هذه
المقابر مقبرة السيدة " بو - إبي " التي عثر فيها على كاسا ذهبية وغطاء للرأس فى
حالة جيدة وقبائرة ذهبية تعد من التحف الفنية الرائعة بمتحف بغداد . وقد دفن مع
صاحب المقبرة عدد من الأتباع بعد تناولهم سم قاتل . ومن بين الآثار التى عثر
عليها فى إحدى مقابر مدينة أور لوحة خشبية مطعمة بالصدف تمثل نقوشها الحاكم أو
الملك وهو يستعرض عددا من الجنود والأسرى (٢).

كانت أسرة أور الأولى معاصرة لسلالة ملوك وحكام لجش ، وتعرض
مدينة أور لهجوم القبائل العيلامية التى كانت تغير عليها من وقت لآخر حتى تمكنت
من فرض سيطرتها عليها .

(٣) سلالة لجش وأهم ملوكها :

كانت سلالة لجش من أهم السلالات التى ظهرت فى فجر الأسرات والتى
حكمت فى مدينة لجش (تلو) (٣) . كان أول حكام مدينة لجش هو الملك أورنيبا أو
أورنانشى الذى اهتم بأعمال التشييد والبناء ، فمن عصره عثر على لوحة فى مدينة
تلو وهى الآن بمتحف اللوفر ويرجع تاريخها إلى عام ٢٥٢٠ ق. م . صور عليها
أورنانشى مرتين بحجم كبير بالنسبة لبقية الأشخاص المصورين معه . وخلفه فى كل
مرة صور خادمه . وصور الملك وهو يحمل فوق رأسه سلة بها مواد بناء . ويسير

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١٠ - ٤١١ ، ٥٨٠ شكل ٤٢ ؛

د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٣٨ صورة ١٩٢ - ١٩٣ Parrot ؛

Assur, p. 160 Fig. 190, p. 163 Fig. 191 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ ، ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ،

طبعة ١٩٨٢ ص ٤٠٤ - ٤٠٨ .

هذا إلى أن الملك كان مهتما بالتشييد والبناء . وتقف أمامه ابنته .^(١) ومن أهم ملوكها أياواتم الذى حكم فى حوالى عام ٢٥٥٠ ق. م . وكان هذا الملك مثل جده أورناشسى محبا للعمارة^(٢) وبناء المعابد وشق الترع والقنوات . وفى ذلك الوقت اشتد التنافس بين مدينتى لجش وأوما (تل خوجة) والتي كانت تقع شمالى غربى لجش ، وذلك بسبب موارد الماء وحدود الأراضى الزراعية التى كانت تزرع بالنخيل ، ثم تدخل للفصل بينهما " ميسيلم " أحد حكام كيش الأوائل . وكانت له صلة ما بمدينة لجش ، ولكن هذا النزاع على الحدود بين المدينتين تطور إلى تنافس على الزعامة والسيطرة وذلك فى عهد أياواتم . ويبدو أن أحد حكام أوما ويدعى " أوش " قد تكرر لمعاهدة السلام القديمة وأظهر العدوان لحكام لجش واحتل الأطراف الزراعية الفاصلة بين المدينتين . فتصدى له أياواتم ، وذكرت نصوبه أنه استغنى ربه فى حربه ضد أوما وزار معبده وسجد فيه على وجهه فتمثل له " نين جيرمسو " فى رؤساء ووعده بالنصر ، وبالفعل تم له النصر على خصومه ، وخلد فثاته ذكرى هذا الانتصار على لوحة تعرف اصطلاحا باسم لوحة العقبان أو لوحة النصر وهى لوحة من الحجر الجيرى يبلغ ارتفاعه ١٨٨ سم ، وعرضه ١٣٠ سم ، وعثر عليها فى مدينة تلو ومعرضة الآن بمتحف اللوفر . ويرجع تاريخها إلى عام ٢٤٧٠ ق. م . فترى على أحد وجهيها شخصا بحجم كبير جدا يرتدى نقبة طويلة ذات زخارف . وهو يمثل معبود المدينة نين جيرمسو . وعلى الوجه الآخر نرى منظرا يمثل مجموعة من العقبان تحمل رؤوس القتلى من الأعداء ومن هنا استمد اسم هذه اللوحة . ويوجد على اليسار كتبية من لجش تشير على جثث الأعداء فى طابور منظم ويتقدمهم الملك أياواتم . ويشير هذا المنظر إلى أقدام غزو منظم معسوف فالجيش هنا مزود بالسلاح .^(٣)

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ صورة ١٨٢ .

(٢) عن بعض آثار لجش ، راجع : Parrot, Assur, p. 219 Fig. 271

(٣) د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص

ولما تم النصر لأينانتم ، أعاد تخطيط حدوده لصالحه وأجبر خصومه على عقد معاهدة جديدة . وأراد أينانتم أن يخفف من وقع الهزيمة على خصومه فسمح لهم باستغلال جزء من الأراضي الحدودية بشرط أداء الضرائب عليها . ثم شجعه نصره على مهاجمة مدن أور وأوروك وكيش وغيرها . ولكنه لم يتمتع بثمرة انتصاراته طويلا فثارت ضده أغلب المدن التي حاول إخضاعها ولقى بعض القتل مع جنوده على حدود عيلام .

خلفه أخوه انانانوم وتلاكى جيشه مع خصومه أهل أوما فى سهل (جانا) وانتصر عليهم ، ويبدو أن حرص الملوك على رد انتصاراتهم إلى تأكيد أربابهم ، سجع كهنة أولئك الأرباب على أن يتمتعوا بنفوذ كبير فى ظل ملوكهم بحيث شاركوا الحكام أهميتهم .

تولى بعد ذلك أوركاجينا الذى وجه همه إلى الإصلاحات الداخلية فأصدر عدة قرارات . وتعتبر قوانين أوركاجينا ، بداية متواضعة للتشريعات فى العراق القديم ، وهو يعد أول مشرع فى تاريخ البشرية حيث وردت بعض الإشارات التى تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه للإدارة وإزالة الظلم عن فئات من طبقات الشعب . فقد عمل الملك على أن يعد من دخل الكهنة ويمنع الرشوة ويعزل من حامت الشبهات حولهم من الموظفين فأصدر عدة قرارات تحدث فى بدايتها عن المساوى التى سبقت عهده وكيف كان الكهنة والموظفون يفتصبون فيها أرزاق العباد ويستغلون مزارع المعابد وماثيتها ويبلغون حتى فى تحصيل أجور الدفن . وخفف عن الملاحين عبودية العمل فى مراكزهم لمصلحة نظار الملاحة ، وخفف عن الرعاة عبودية العمل فى الرعى لمصلحة نظار الماشية . وكيف أنه لم يسمح لشخص كبير بأن يشتري دارا تجاور أملكه إلا إذا أدى فى مقابلها ما يرضى صاحبها من ثمن .^(١)

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٠٣ .

وفى أثناء ذلك الوقت ظهر فى أوما حاكم طموح هو لوجال زاجيزى الذى استغل فرصة انصراف أهل لجش إلى حياة السلم فهاجم مدينتهم وهزم أوركاجينا وأساء معاملته . وتجراً لوجال زاجيزى فى تنفيذ مشروع توحيد المدن السومرية تحت زعامته ونقل مركز نشاطه إلى أوروك واعتبر نفسه ملكاً على سومر . ولم تقف آمال لوجال زاجيزى عند حدود بلاده وإنما أخذ يتطلع إلى ما يمتد من البحر الأسفل (الخليج العربى) إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط) .^(١) ولكنه لم يستطع تحقيق أطماعه نظراً لظهور قوة الأكديين الساميين .

تحدث د. صالح بالتفصيل عن الفنون فى عصر بداية الأسرات السومرية وشيوع أساليب فنية متعددة ، وذلك نتيجة لتبادل المصنوعات الفنية الصغيرة بين المدن ، كالأختام الأسطوانية المنقوشة ، وتحف المعابد مثل رؤوس المقامع والموائد التى كانت تشكل بأشكال حيوانية وزخرفية . كما تطورت فنون عمارة المعابد والزقورات . فقد شاع فى تلك الفترة مناظر نقشت على أختام بأسلوب نقش تخطيطى بارز اكتفى فنانه بتصوير الخطوط العامة للأجسام وكان يستغل ما بينها من فراغات لتصوير أشكال نباتية .^(٢)

(١) عرف الخليج عند الآشوريين والبابليين بأسماء ثلاثة : " البحر " ، " البحر الأسفل " ، و " بحر ماجان " ، وكان يوصف بـ " البحر الذى تشرق منه الشمس " وبـ " البحر المر " فى مقابل " البحر الأعلى " وهو البحر المتوسط ، راجع : د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، ص ٣٠٦ ؛ د. سليمان سعدون : منطقة الخليج العربى خلال الألفين الثانى والأول قبل الميلاد ، ص ٤٧ حاشية (٦) ، ص ٥٨ حاشية (٢ - ٣) . أما الذين سمو الخليج باسم " الخليج الفارسى " أو " بحر فارس " فهم اليونانيون ومن بعدهم الكتبة الرومان ، راجع : د. جواد على : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ ؛ د. عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، ص ١٢٧ ؛ د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٨٠ .

(٢) عن الفن فى العصر السومرى والأكدي والبابلى والآشورى والكلدانى ، راجع : سينن لويد : فن الشرق الأدنى القديم (ترجمة محمود دوريش) ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ١٩٨٨ ، ص ٨٧ - ١٢٢ ، ١٢٣ - ١٤٣ ، ٢٠٥ - ٢٤١ .

كما تميزت نقوش الأختام في أور بتعدد موضوعات مناظرها وتداخل صورها وتقاطع أجزائها واستغلال ما بينها لتصوير رؤوس حيوانية ونباتات وقد استحب فنانونها تصوير تغلب الأبطال الأسطوريين للكمود واعتادوا على تصوير أولئك الأبطال في هينات تجمع بين رؤوس البشر وأيديهم وبين أجسام وقرون الفحول^(١). كما تحدث د. صالح عن نقش اللوحات والنحت والمساكن والمقابر من عادات الدفن وما حوته مقابر مدينة أور . ومن التماثيل المعدنية تمثل عنزه أو جدى تتناول على شجيرة قصيرة^(٢) (تحدثنا عنه فيما سبق) .

كما تحدث د. توفيق عن تاريخ الفن السومري من ٢٨٥٠ إلى ٢٣٥٠ ق. م . فتحدث عن فن النقش وما يسمى باللوحات النذرية والأختام الأسطوانية والتماثيل الحجرية والتماثيل المعدنية ، منها عربة ذات عجلتين وتمثال من السبرونز لمصارعين والقيثارة وتمثال العنزه أو الجدى التى تتناول على شجيرة قصيرة^(٣).

رابعاً : الأكديون وملوكهم (٢٣٤٠ - ٢١٨٠ ق.م) : (١)

تنافس حكام المدن السومرية على السيادة على نحو ١٢ مدينة تقريباً . ولكن بعد عام ٢٤٠٠ ق. م . تمكن الأكديون الذين يعيشون في وسط العراق من تغيرات مجريات الأمور . وكان الأكديون فرعا من هجرات سامية متولية استقروا في بوايدى

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٠٤ - ٤٠٨ ، ص ٥٨٠ شكل ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠٦ - ٤١٦ ، ص ٥٨٠ شكل ٤٢ .

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ - ٣٢٨ صور ١٩٠ - ١٩٣ .

(٤) تحدث د. عبد العزيز صالح في مؤلفه : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ عن العصر الأكدي ، ص ٤١٣ - ٤٣٤ . وتحدث في هذه الصفحات عن أصل الأكديين وأهم أعمال سرجون الأول ، وتحدث عن الفنون ونقوش الأختام ، وتحدث عن نهاية الدولة والأخطار التى حاققت بالدولة ولت إلى سقوطها .

العراق والشام قبيل منتصف الألف الثالثة ق. م . وكان من أبرز جماعات هذه الهجرات فرع " الأكديين " الذين استقروا في أكد (أو إجلادة) (الدير حاليا) التي أصبحت مركزا لنشاطهم السياسي والحربي بعد فترة من استقرارهم في وسط العواقر ونزلوا على من سبقوهم من بني جنسهم أصحاب الدماء السامية القديمة المتناثرة . وسيطر زعمائهم على بعض المدن السومرية كانت أهمها مدينة كيش التي استفادوا من حضارتها .^(١)

ومن أهم ملوكهم :

سرجون الأول (الأكدي) : (٢٣٣٤ - ٢٢٧٩ ق. م)^(٢) :

تعاقب على عرض كيش عدد من الحكام الجدد ، ثم استولى على العرش رجل من الساميين هو شروكين ، أي الملك الصديق ، الذي عرف تحت اسم سرجون الأكدي أو سرجون الأول الذي كان يعمل في الأصل ساقيا لدى ملك مدينة كيش الذي يدعى " أورزبابا " (ثالث ملوك كيش) ، ويبدو أنه قام بثورة ضد هذا الملك واستولى على العرش ، واتخذ سرجون عاصمة جديدة قريبة من كيش عرفها التاريخ باسم أكد (إجلادة) وكانت مركزا لتجمع نشاط الأكديين في البداية ، فعمل هذا الملك على تجديدها ، وطال عهده نحو أربعة وخمسين عاما ، استطاع خلالها أن يحقق الكثير من طموحاته ، فاتجه أولا إلى شمال العراق وواصل فتوحاته حتى بلغت جيوشه جبال زاغوراس وكمر حدة الجوتيين الجبليين الأشداء ، ثم عاد سرجون

(٢) عن الأكديين وعصرهم ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص

٦٣ - ٦٦ : د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ - ٣٥٨ ؛

د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٤٠ : د. توفيق سليمان :

المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١٣٨ : د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص

١٨٩ - ٢١٢ ؛ وأيضا : Contenau, op. cit., p. 92

(٢) ليواوبنهايم : بلاد ما بين النهرين (ترجمة سعدى فيضى عبد الرزاق) ، ص

٤٤٣ - ٤٤٤ ، أعطى ١١ اسما لمسلالة أكد مع تواريخ حكمهم .

وألقي ببقل جيوشه على المناطق الجنوبية السومرية وقضى على نفوذ لوجال زاجيزى الذى كان قد استقر فى أوروك ، ثم هاجم بجيوشه بقية المدن السومرية الكبيرة من أمثال أور وانينمار ، وبلغ بجيوشه البحر (أى الخليج العربى) ، ثم اتجه إلى المناطق الغربية لحدود دولته ، وبدأ بالمنطقة المحيطة بدويلة مارى (تل الحيرى) وضمها تحت سلطانه ، ثم توجه إلى عيلام وحالفه النصر أيضا وأصبح لدولته بعض الإشراف على المناطق التجارية المتصلة بالخليج العربى والقرية منه ، مثل جزيرة دلمون (جزيرة البحرين) وماجان التى كانت تقع فى الشمال الشرقى من الخليج وملوفا التى يحتمل أنها كانت تقع فى وادى السند ، وذكرت نصوبه أنه خاض أربعا وثلاثين معركة وانتصر فيها وتذكر أن سلطانه امتد حتى غابات الأرز وجبل الفضة (منطقتى جبل اللكام وطوروس) ثم غزا جانيش فى كبادوكيا بآسيا الصغرى انتصارا لجالية أكدية كانت قد استقرت فى تلك البلاد منذ فترة وتعرضت لاضطهاد أحد الحكام المحليين فيها (وهو نورد أجان ملك جانيش) فانتصر عليه وسيطر على جزء من بلاد الأناضول ، واقترح بعض العلماء بأن إمبراطورية سرجون الأول كانت تمتد حتى جزيرة قبرص ، وليس من شك فى أن عهد هذا الملك يعتبر نقطة تحول رئيسية فى تاريخ بلاد النهرين لأنه كان أول من عمل على توحيد البلاد تحت زعامة سياسية واحدة ، وهو أول من ثبت دعائم أسرة سامية قوية حكمت نحوًا من قرن ونصف قرن ، ومع ذلك ففى نهاية حياة سرجون الأول السياسية نشبت ضده ثورات عدة وبلغ من عنف الثوار أن حاصروا عاصمته ، ولكنه قاومهم وشقت شملهم ثم انتقم من مدنها وخاصة أهالى سهل سوبارتو .^(١) وعثر على رأس من البرونز لسرجون الأكدى (٢) .^(٢)

(١) " بلاد السوباريين " أو " السوباريون " ، هم شعب غير سامى وكانوا غالبا بين سكان البلاد قبل وصول الحوريين إليها وتأسيس مملكتهم فى ميقتى ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول (ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق) ، ص ١٦٢ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤١٩ ، ٥٨٢ شكل

ريموش (٢٢٧٨ - ٢٢٧٠ ق.م) :

خلف سرجون الأول ابنه ريموش الذى عمل على إعادة السلم فى مختلف أنحاء مملكته فقام بعدة غزوات لكى يخمد الثورات التى اندلعت على أطراف هذه المملكة فاشتبكت جيوشه مع مدن أور وأوما ولجش ودير ، وحاول مواصلة جهود أبيه فى مجالات التوسع الخارجى فشنت جيوشه حروبا ظافرة على مناطق فى داخل عيلام .

مانيشتوسو (٢٢٦٩ - ٢٢٥٥ ق.م) :

خلف أخوه ريموش وحاول بقدر الإمكان المحافظة على أجزاء الإمبراطورية ، وادعى فى نصوصه أن جيوشه هاجمت حلفا من اثنين وثلاثين أميرا على الشاطئ العيلامى لتأمين استغلال مناجم الفضة القريبة منه .

نرام - سين (٢٢٥٤ - ٢٢١٨ ق.م) :

ابن الملك السابق ، وتمتع بفترة حكم طويلة استمرت نحو أربعين عاما بذل فيها جهده للمحافظة على الإمبراطورية الواسعة ، وكان نرام - سين آخر ملوك أكد الأكوياء ، فكان عليه أن يكافح القبائل الجبلية المعروفة باسم (اللولوبيين) فى منطقة جبال زاغروس وقد تتبعهم حتى المناطق الجبلية ، وسجل انتصاره عليهم على لوحة عرفت باسم " لوحة النصر " وهى تمثله على رأس جيشه منتصرا على هذه القبائل ، أقام الملك نرام - سين هذه اللوحة فى مدينة سيبار واستولى عليها الملك شوتروك - ناخونتا ونقلها إلى سوس حيث عثر عليها هناك وهى الآن بمتحف اللوفر وتشاهد فى قمة اللوحة ثلاثة نجوم ترسل أشعتها ونرى المحاربين الأكديين بخوذاتهم وهم يصعدون الجبل فى صفين ، يعلو إحدهما الآخر ، وهم يصلون الأعلام والصراب بأيديهم اليمنى . وأمام الجبل صور نرام - سين وقد غطى رأسه بخوذة ذات قرنين وتسليح بفأس وسهم . وهو يبطأ بقدميه عدوين ساقطين .^(١) ومن آثاره أيضا لوحة

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤١٨ - ٤١٩ ، ٥٨٢ شكل ٤٧ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ مسورة ١٩٤ .

حفرت في جبل في منطقة ديار بكر (شمال العراق) ذكر فيها أنه هزم بلاد ماجان التي كانت غنية بما فيها من محاجر للديوريت وقد استورد منها هذا الحجر ليصنع منه تمثالاً لنفمه . كما ذكرت نصوصه أن مناطق نفوذ دولته اتسعت شرقاً في عيلام وشمالاً على حدود آسيا الصغرى ، وقد عثر في وادي الخابور (شرق الفرات) على بقايا قلعة شيدها الملك نرام - سين ملك أكد . ويبدو أن هذه القلعة شيدت على الطريق التجاري بين أكد والأناضول ، وأقيمت لحماية طريق التجارة من هجمات الجوتيين وسكان الجبال .^(١) وهكذا نجح نرام - سين في إحياء عهد سرجون الأول في نشاطه العسكري وسمعته الخارجية ، وإن توسعه هو وحده الذي ساعد على انتشار اللغة الأكديّة .

شار جالي شارى (٢٢١٧ - ٢١٩٣ ق.م) :

الذى كان ابناً لنرام - سين أو حفيده والذى كان عليه أن يواجه الثورات التي اندلعت في جميع أنحاء الإمبراطورية . ولم تأت الأخطار التي حامت بالدولة الأكديّة من داخلها فحسب ، وإنما هددتها في الوقت نفسه تحركات قبائل الجوتيين التي كانت تقطن في الجبال الشماليّة الشرقيّة .

واشتدت الخلافات الداخليّة بعد وفاة شار جالي شارى بحيث تعاقب على العرش بعده أربعة ملوك في ثلاثة أعوام، وهم : ليكيكى ، نانجوم (٢١٩٢-٢١٩٠ ق.م) ، ايمى ، نيلولو وجاء بعدهم ملكان هما : دونو (٢١٨٩-٢١٦٩ ق.م) ، وشونورول (٢١٦٨-٢١٥٤ ق.م)^(٢) . واستقلت أوروك ، وتماقب فيها هي الأخوى خمسة ملوك محليون فيما لا يزيد عن ربع قرن ، وتدفع الجوتيون على الأراضي الزراعيّة في العراق وفرضوا وجودهم على أغلب أجزائها في فترات الضعف الأخيرة للدولة ، ومع توالي الأيام خفت حدة الجوتيين وخشونتهم رويداً ولم يكن أمامهم وهم غير نوى ثقافة أصليّة إلا أن ينهلوا من معين الثقافة السومرية الأكديّة فاصطبغوا بها وعبدوا أربابها ، ويبدو أنهم اتخذوا مدينة كركوك واحدة مسن مدتهم الرئيسيّة ، ولكن المدن القويّة القديمة ظلت كارهة لهم وتتحين الفرصة

(١) د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ - ٤٤٣ .
(٢) راجع : ليوا وبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

لمقاومتهم وبدأت هذا الكفاح لجش وأوروك . وكان نضال لجش (تلو) نضالا مسلما
اكتفت فيه بأن تستعيد للسومريين كيانهم ونشاطهم أو عصر الإحياء السومري أو
انتعاش المملكة السومرية ثانية .

تحدث د. صالح عن الفنون في العصر الأكدي ، نقوش لوحة نرام سين
وعن فن النحت ونقوش الأختام الأسطوانية.^(١)

كما تحدث د. سيد توفيق عن تاريخ الفن الأكدي من ٢٣٥٠ إلى ٢١٥٠
ق.م . فتحدث عن فن النقش : لوح نرام - سين والأختام الأسطوانية والتماثيل^(٢) .
وأشار إلى أن من أجمل الأختام التي يجب الإشارة إليها ختم شارجالي شارى وعليه
نرى البطل جلجامش عار الصدر ذا الحية طويلة ذات ضفائر^(٣) . ومن المواضيع
الأسطورية أيضا بصمة ختم نرى فيها جلجا وهو يحاول أن يخلق أسدا هائلة.^(٤)

**خامسا : النهضة المدن السومرية وأهم ملوكها أو عصر الإحياء السومري^(٥) (ملذ
عام ٢١٣٥ ق.م) : (٦)**

- (١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤١٨ - ٤٢١ .
 - (٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ - ٣٤٣ .
 - (٣) المرجع السابق ، ص ٣٤١ صورة ١٩٥ .
 - (٤) المرجع السابق ، ص ٣٤٢ صورة ١٩٦ .
 - (٥) وتحدث أستاذنا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٢٤ - ٤٥٥ عن عصر الإحياء السومري . وتحدث في هذه الصفحات عن
عصر الإحياء السومري في لجش وفي أوروك وفي أور . كما تحدث عن نماذج من الأدب
الفنون وفن النحت والنقش خلال هذا العصر . كما تحدث عن نماذج من الأدب
السومري ، كما تحدث عن نهاية أور وعصر اسين - لارسا وتشريع آشورنا
وتشريع اسين ، وعصر الإحياء في لارسا ، وتحدث عن نماذج من الفن في
هذه المدن .
 - (٦) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ - ٣٦٥ ؛ وأيضا :
Contenau, op. cit., p. 94
- وعن عصر الإحياء السومري بوجه عام ، راجع :
د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٦٧-٧٢ ؛ د. نبيلة عبد الحليم :
المرجع ، ص ١٤١-١٨٢ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٣٩ -
١٦٠ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ٢١٥ - ٢٣٢ .

(١) مدينة لجش (تلو) :

ومن أهم ملوكها :

جوديا : تمتعت مدينة لجش في عهد رابع حكامها " جوديا " برخاء كبير في بداية القرن الحادي والعشرين وسجلت اسمه في شمال سوريا وفي عيلام وماجان وملوخوا ، ولم تذكر نقوش جوديا الحرب سوى مرة واحدة مع دولة لانشان ، واحتفظت له أرض لجش بأكثر من ستة عشر تمثالا نحت أغلبها من الديوريت ، وقد وزعت هذه التماثيل بعد الكثف عنها في متاحف العراق واللوfer^(١) والمتحف البريطاني . وكانت هذه التماثيل قد أقيمت في معبد لجش الكبير . وإقيمت في معبد لجش الكبير . وإقيمت في فئاته عدة لوحات ، هذا إلى جانب رؤوس المقامع التي أهداها لمعبد " نين جيرسو " . وسجلت نقوش آثاره مدى اهتمامه باستيراد الأحجار المختلفة ، والمعادن والأخشاب عن طريق البر والنهر والبحر من أرض عيلام وعاصمتها سوس ، ومن ماجان وملوخوا ومن كيماش وجبال الأرز وجبال المنوهر ، لصالح معبد لجش بوجه خاص ، وتحدثت نقوش جوديا عن فضل أربابه في منع فيضان الفرات على أرضه ، وعندما تم بناء معبد لجش أكدت نصوصه حسن معاملته لمن اشتركوا في بنائه من عراياه كما أوقف الملك الكثير من الأوقاف على معبد لجش . وهناك اختتام أسطوانية خاصة بهذا الملك مغطاة بالكتابة المسمارية ومحفوظة بمتحف اللوفر^(٢) .

وأهتم الملك أيضا بوسائل الري ، وبقى من نصوص عهده ما يتحدث عن شق قناة نسبت إلى معبود لجش وسميت باسم " نين جيرسو " .

اورنين جيرسو :

ابن جوديا ، وبقى من عهده بضعة تماثيل صغيرة جميلة تشبه تماثيل أبيه

(١) عن تماثيل متحف اللوفر ونقوشه ، راجع : Parrot, Assur , p. 282 fig .
Parrot , Sumer , p. XXXI . 353 وأيضا :

Parrot , Assur , p. 283 Fg , 354 (A-B) .

تدل على أن فنون لجش احتفظت بمسواها الرفيع في عهده .

(٢) مدينة أوروك (الوركاء) :

وقع عبء الكفاح المسلح ضد الغزاة الجوتيين على أكتاف دولة أوروك . وكان من أبرز حكامها اوتو حيجال مؤسس أسرة الوركاء الخامسة ، الذي أعلن الحرب على الجوتيين . وما أن نادى بالكفاح ضدهم حتى انضم إليه عدد من أمراء جنوب العراق . وواصلت قواته الزحف من الوركاء وهزمت قوات الجوتيين في موقعة فاصلة قرب كركر ، وأسرت ملكهم ، وأصبحت الوركاء على رأس دويلات المدن السومرية ونهضت نيبور العاصمة الدينية من جديد ، ويبدو أن الصراع على السلطة شغل حكام أوروك عن مواصلة العمل الجاد ، وترتب على ذلك فقدانهم للزعامة لصالح مدينة أور .

(٣) مدينة أور (المقير) وسلالة أور الثالثة :

ومن أهم ملوكها :

- أورنمو ٢١١٢ - ٢٠٩٥ ق.م ^(١) : لم يستمر الوضع السياسي بالنسبة لأسرة الوركاء الخامسة كما هو عليه طويلا ، لن اورنمو مؤسس أسرة أور الثالثة سرعان ما أعلن الثورة على اوتو حيجال وانتزع منه السيادة وأعلن نفسه ملكا على دول سومر وأسس أسرة أور الثالثة في القرن الحادي والعشرين ق.م ، وتعاقب على عرش هذه الأسرة خمسة ملوك سعوا إلى استعادة الحكم الموحد ، واشتهر منهم إلى جانب مؤسسها اورنمو ولده شولجي ، وبفضل مجهودات هذين الملكين خضعت كثير من المدن السومرية والأكدية لأور ، فكان على أورنمو أن يمد سياسة الغزو لضم أجزاء إلى مملكته ، فبعد أن ضم إليه مدينة الوركاء ضم أيضا لجش ، ولارسا ، ونييسور ، واتخذ لنفسه لقب " ملك سومر وأكد " و" ملك الجهات الأربع " . ومن أهم أعماله أنه أعاد بناء ما تهدم من المعابد وأعاد حفر شبكة القنوات التي كانت تعتمد عليها ثروة البلاد الاقتصادية ، وكان أورنمو من أقدم واضعي التشريعات المكتوبة فسي تاريخ

(١) ليو وبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

المراق القديم ، حي عثر على أجزاء من نسختين لتشريعته كتب أحدهما طسالب نسي مدينة أور ، وكتب الأخرى طالب من نفر بعد وفاة أورنمو بنحو ثلاثة قرون ، وتضمنت المواد الأولى من تشريعات أورنمو كما ينكر د. صالح " العبارات المعتادة عن سعي صاحبه من خلال تشريعته إلى ضبط الأوزان والمكاييل وتوحيدها ، ورغبته في تخليص المواطنين ممن يستغلون ماشيتهم وغنامهم ودوابهم ، وإلى منع وقوع اليتم فريسة للثرى ووقوع الأرملة ضحية للقوى ، كما استن قانون أورنمو على دفع غرامات على الجروح (التى لا تؤدى إلى وفاة) . وجعل التشريع العوض عن الجارية مثلها أو عشرة شواقل من الفضة أو ما يساويها من المقتنيات . ومن المصد حقا فعليه أن يعوض صاحبه بقيمة ما أفسده ، ومن اغرق حقا عامدا عوض صاحبه بثلاثة كور من الشعير ومن استأجر أرضا لزراعتها فأهملها وأصبحت بورا عوض صاحبها بثلاثة كور من الشعير . وجعل التشريع غرامة شهادة الزور ١٥ شاقلا من الفضة . وفي الأحوال الشخصية نص التشريع على أن من تزوج بكرا ثم طلقها دفع لها مينة (وزن) من الفضة . والزم والد الخطيبة بررد ضعف هدايا الخطيب إذا أخلف وعده له وزوجها لآخر . ونص التشريع على أن من رمى زوجة آخر بالفحشاء ثم برأها امتحان النهر (أى إلقاءها فى النهر) غرم ثلث مينة من الفضة ، وأن من اغتصب جارية رجل آخر وكنت بكرا غرم خمسة شواقل من الفضة ، وإذا أوقعت زوجة رجلا فى حبائلها بطرق السحر فواقمها حق عليها الذبح دونه ، ونص على أنه إذا ساءت جارية الرجل نفسها بسيدتها وأهانته حشى فيها بالملح . واغلب هذه البنود لم يعثر عليها . ولكنها أصبحت أساسا لبعض ما تلاها من تشريعات " (١)

أعيد فى عهد أورنمو تسوير العاصمة أور والتي كانت تطل على نهر الفرات

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٢٩ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

وأقام فيها المعابد الكبرى المخصصة للمعبود نثار وزوجته نتجال ، وفى الحياة السياسية تجنب أورنمو عوامل الشعب التى أثرت فى كيان الدولة الأكديّة من قبلة نتيجة للتفرقة بين السومريين وبين الساميين ، فاستعان بالمعصرين فى الجيش وفى مناصب الإدارية وجمع بين اللغتين السومرية والأكديّة فى بعض الوثائق الرسمية والأدبية . وظلت العاصمة أور تشرف على كل كبيرة وصغيرة فيما يختص شئون المدن والأقاليم .

ومن بين الآثار الباقية فى أور من عهد الملك أورنمو بقايا زقورة ضخمة أقيمت على إطلال أقيم منها نسبت إلى أيام أسرة أور الأولى ، وقد شيدت فوق ربوة متسعة فى الزاوية الغربية من الحرم المقدس للمدينة ، وأكملت هذه الزقورة ورصف فناءها فى عهد شولجى بن أورنمو . ونسب إلى عهد أورنمو معبد آخر للمعبود الليل فى مدينته نيبور (نمر) بلغت مساحة المسطح الأول لزقورته 58×38 مترا ^(١) . وتم كشف عن جانب الممر المبنى باللبن الذى أحاط بها هى وبقيّة توابع المعبد . وعثر على لوحة كبيرة من الحجر الجيري إقيمت بأسم أورنمو بمناسبة إنشائه أحد المعابد ، وبلغ ارتفاع هذه اللوحة نحو ثلاثة أمتار وصور الملك على وجهيهما بالحيسة طويلة وعباءة طويلة مرسلّة واسعة الأكمال وقلنسوة عريضة الحافة يقدم القرابين للمعبود نثار معبود القمر وحامى أور وزوجته المعبودة نتجال وغيرها من الأرباب ، ويتبعه ولى عهده أو كبير أتباعه فى وضع ابتهاج ورفع بعض أولئك الأرباب يمينه حلقة وعصا ، ويحتمل أنهما كانا من أدوات قياس المعبد فى بداية بنائه ، ويشاهد فى أطراف المنظر بصورة صغيرة أورنمو ينقل بعض أدوات البناء وقد علقها فى عصا رفعها على كتفه ، وتبعه تابع يحاوله فى حملها . وتوجد هذه اللوحة الآن فى متحف جامعة بنسلفانيا - فلانفيا ^(٢) .

-
- (١) هناك منظر يمثل إطلال زقورة أور عند : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٣٢ ، ٥١ شكل ٤٤ - ٤٥ .
- (٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ؛ وأيضاً د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ صورة ٢٠٢ ، ١٢٠٢ .

شولجى (٢٠٩٤ - ٢٠٤٧ ق.م) :

تولى أورنمو وخلفه ابنه شولجى الذى سار على نهج أبيه فى سياسته العمرانية . وكان قد اختير كاهنا أكبر للمعبود انلنا فى أوروك فى حياة أبيه . وذكرت نصوصه أن المعبود اختاره بنفسه ، وأطلق اسمه بعد توليه العرش على أحد شهور دولته ، ورفع أهله بلاطه إلى مرتبة الربوية ، وسمى بعضهم أولاده باسم يتدخل فيه اسم شولجى . واهتم شولجى كثيرا بالمراسيم الدينية فكلف ، كل مدينة بنفقات قرابين معبد معبود العاصمة شهرا على الأقل من كل عام ، أما مدينة لجش فتكلفت بأداء القرابين أربعة أشهر كاملة ، وقد اهتم بمعبد مدينة أريدو التى تقع قرب شاطئ البحر ، وكانت تعتبر مقرا للمعبود أنكى معبود المياه والبحار .

امرسين (٢٠٤٦ - ٢٠٣٨ ق.م) :

كان ابنا لشولجى وتابع نفس السياسة ، وتمسك بقسبة الملك .

شوسين (٢٠٣٧ - ٢٠٢٩ ق.م) :

الابن الثانى لشولجى وتولى فى أوائل الألف الثانية ق.م واهتم بالمعابد وأولاهها بالهدايا والهباء ، وأثنت كاهنة من كاهنات نوکور على مولاها شوسين ومدحته فى نشيد بدأت بوصف الملك بالطهر ، ثم عدت عطايا .

ابى سين (٢٠٢٨ - ٢٠٠٤ ق.م) :

عثر من عهده على خاتم أسطوانى عليه منظر يصور إبنى سين ملك أرو حليق اللحية برداء ذى ثنيات عريضة مزركشة يرسل أطرافه على ذراعيه ويتلقاها بطراف أنامله آتية يقدمها إليه كاهن يواجهه فى أدب وبساطة .

نهاية أور :

تعرضت دولة فى أواسط القرن العشرين ق.م لهزيمتين كبيرتين ، صدرتا عن شعبين ناهضين ، وهما : شعب العيلاميين وشعب الأموريين . وكان العيلاميون من جيران الدولة فى شرقها وكثيرا ما صدمتهم وتصادموا معها ، وناولتهم حتى

اخضعت بعض جماعاتهم لسلطانها . وكان في العام الحادى عشر من حكم ابي سين اخذ العيلاميون يعدون العدة لمهاجمة اور في عقر دارها ، وشيئا فشيئا اختفى اسم ابي سين من المصادر التاريخية في مدن اشنونا ولجش وأوما مما يعنى أن هذه المدن قد وقعت في يد عدوه ، وتقدم العيلاميون حينذاك من تلقاء أنفسهم واستغلوا الظروف لمحتهم ومدوا سلطاتهم حتى مدينة لارسا التى قامت على مقربة من اور (تقوم على أطالها بلدة المقيبر) .

وبدأ الآموريون بدورهم فى مناوأة أور من الغرب ، والأموريون هم أولئك الفروع من الساميين الذين انتشروا فى بانيى الشام والعراق وأمتدوا حتى غربى الفرات والذين سماهم السومريون القدماء أهل " مارتو " أى أهل الغرب . وكان لقرب مناطق الآموريين من صحراء شبه الجزيرة العربية يزودهم من وقت لآخر بهجرات من بنى عمويتهم البدو الساميين ، كانت تجدد دماءهم وحيويتهم فى أغلب الأحيان وعندما شعروا بضعف أولئك ملوك أور وعدم سيطرتهم على أطراف دولتهم بدأوا يتغلغلون فى مناطق الحواف . ومن كبرى المدن التى اخضعوها لنفوذهم مدينة مارى قرب نهر الفرات ، وكانت لأهلها صلة قديمة بالعنصر السامى وأرسل إيسى سين آخر ملوك أور رسالة إلى أحد قواده " بوزور نومشدا " يعاتبه فيها على تسرده فى مهاجمة حاكم مارى " إشبى ارا " الذى تظاهر بالولاء للملك فى البداية ، ولكنه مد نفوذه إل مدينة نيبور ثم إلى مدينة " أسين " إلى الجنوب منها بنحو ثلاثين كيلو متر ، ومن هناك أرسل إلى ابي سين يدعى أنه يدافع عن المدينتين ويطلب المدد لصد الآموريين . ولكن الملك السومرى ظل على سوء الظن به ، فأنتهزها إشبى ارا وكشف القناع عن اطماعه وسيطر على المدينتين لصالحه واتخذ أسين عاصمة له .

وكان لاقتسام مجد اور بين العيلاميين وبين الآموريين ، بل وبين جماعات جبلية سمت للنصوص أصحابها باسم السوياريين (نتيجة لسيطرتهم على مناطق سوبار " ، دوى كبير فى نفوس أهلها ونفوس السومريين عامة .

(٣) مدينة أسين :

كان من الطبيعي أن يتنافس الغزاة الآموريون والعيلاميون على السلطة في العراق ، استمرت الحروب سجالا بينهما ، وسمح هذا التنافس العربي لبعض مدن العراق القديمة بأن تستأنف سيرها الحضارى على غلة من هؤلاء وهؤلاء فترك الآموريون لمدينة أسين استقلالها الذاتى وسمحوا لها بالنمو مرة أخرى ، ويبدو أن العيلاميين إتخذوا من جانبهم خطوة مماثلة ، فتركوا لمدينة لارسا استقلالها الذاتى أيضا ، واكتفوا بأن ولوا عليها أمراء من بينهم الملك .

أهتم الحكام المقيمون في أسين ولارسا بالعناصر الدينية القديمة مثل تجديد زاقورة أور في عهدى اششى داجان ملك أسين وعهد ورد سين ملك لارسا .

وكشف الأثرى ليونارد وولى عن ضاحية سكنية لمدينة أور بلغ اتساعها نحو سبعة آلاف وخمسمائة متر مربع . وثبتت مساكنها في عصر حكام أسين ولارسا وهى مساكن شيدت قواعدها من الحجر وأقيمت بقية جدرانها الطوب من اللبن ، ولم تختلف فيها بينها إلا من حيث مساحتها .

وخرجت أسين التى أصبحت من العواصم الهامة في عصر الإحياء السومرى بتشريع مكتوب في عهد أبت عشتار خامس ملوكها في النصف الأول من القرن التاسع عشر ق.م (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م)^(١) . وسجل هذا التشريع على نصب حجرى كبير لم يعثر عليه بعد ، وسجلوا نسخا أخرى منه على ألواح طينية صغيرة عثر منها حتى الآن على سبع لوحات وتضمنت في مجملها ثمانى وثلاثين مادة يحتمل أنها كانت تكون نحو نصف مواد التشريع .

إتخذ أبت عشتار في مقدمة تشريعه لقب الملك سومر وأكد واعتبر نفسه

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٩ ؛ ليواوينهايم : المرجع

السابق ، ص ٤٤ ؛ د. توفيق مليمان : المرجع السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٨ ؛

د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

ولدا للمعبود الأكبر أنليل . وأكد وعليته للمدن السومرية المتينة نيبور ولورواريدو (أبو شاهرين) ولوروك ، واعتز بان معبوده وبه حكم البلاد ليحق الحق فيها ويعمل على إسماع السومريين والأكديين جميعهم ، ولكي يقاوم الفساد والفلأكل بقوة السلاح . ونكر أنه ابتغى أن يحرر أبناء مدن سومر وأكد وبنتها من السرقة الذى فرض عليهم ، وتناولت بنود التشريع كما يذكر د. صالح ' حقوق المبيد وحالات العتق فقد عالج ما أملىته التشريعات السابقة له من حقوق الرقيق وأباح للعبد أن يحرر نفسه إذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به . وشهدت السواح اسين باستجابة أصحابها لدعوة ملكهم . فهناك قصة زوجين اعتقا جاريتهما وحرما على أولادهما أن يسترقوا . وممنحها بالبقاء فى دارهما حيث هى . وتناولت بنود التشريع أجور سراكب ، وبعض حالات الملكية والموارث وبعض حالات التعويض . فنصت على أنه إذا حاورت أرض بور منزلا عامرا ، وانذر صاحب المنزل صاحب الأرض بحرقه من أن يعتدى معتد على منزله عن طريق أرضه ، ثم سرق منزله بالفعل ، وجب على صاحب الأرض أن يعرضه عما سرق منه . ونصت على أنه إذا عجز مالك عن دفع ضرائب أرضه وسندها شخص آخر ثلاثة أعوام حق لهذا الأخير . أن يستولى عليها دون اعتراض من صاحبها * .

* ونصت التشريعات الخاصة بالأسرة على أنه إذا اتجب زوج أولادا من حريمته وحررها ، لا يحق لأولادها أن يشاركوا أبناء من زوجته الشرعية فى ميراثهم منه ، وإذا هجر رجل زوجته وتزوج غيرها . وجب عليه أن يستمر فى الاتفاق عليها مادامت باقية فى داره وذكرت التشريعات التعويضات الخاصة بالبشر وأصحاب حيوانات الإيجار . فمن أستاذ ثورا وقطع لثفه (من حيث يوضع المقود) دفع ثلث نفسه ، فإذا فاق عينه دفع نصف ثمنه وإذا كسر قرنه أو قطع نيله دفع ربع ثمنه * .

ويحتمل أن بعض المحاكم كانت تأخذ بنظم المحلفين ، فقد تحدثت إحدى الوثائق عن ثلاثة رجال : حلاق وبستاني وشخص ثالث ، قتلوا أحد موظفى المعابد . وأحبروا زوجة القتيل بجريمته ولكنها لسبب ما لم تبلغ الأمر إلى السلطات المسئولة . وعندما سمع الملك لور - نينورتا ملك اسين بالأمر أحوال القضية والمتهمين إلى مجمع

المواطنين في فيبور وفي المحكمة طالب تسعة بإعدام القتلة والمرأة أيضا ، ولكن وقف اثنان آخران ، وتساءلا عن جريمة المرأة ، وقالوا أنها لم تشارك في القتل ، ويحتمل أنهما بررا سكوتها بأن زوجها لم يكن يقوم بإعالتها ، ويبدو أن المحكمة أخذت بهذا الرأي واكتفت بإعدام القتلة .^(١)

وروت المصادر العراقية عن تاسع ملوك اسين * اراميتي * قصة تذكر أنه اختار بستانيا يدعى * بعل انبي * وأعتبره بديلا له واطمأن إليه فرفعه على العرش والبسه تاجه ، ولكن حدث أن زهقت روح الملك فجأة وهو يأكل بنهم فأستقل البستاني الموقف لصالحه وتمسك بالعرش وحكم البلاد حكما فظيما وقد حكم في اسين ١٥ ملكا لمدة تقرب من ٢٢٥ عاما .

(٥) مدينة لارسا (سنكرة) :

كان المنسب في هزيمة اسين هو ريم - بين ملك لارسا في العام التاسع والعشرين من حكمه ، بعد فترة تناقص شديد بين أسرته الحاكمة وبين ملوكها ، وكان انتصاره عليها حاسما ومدمرا .

لم تتخلف العاصمة الثانية لارسا عن ركب التنظيم الإداري ، فتوسعت لى استخدام عقود الكتلة لتسجيل أمورها اليومية . ومن عقودها الطريفة الباقية وثيقة بين راع وبين صاحب ماشية عهد عليه بتربية ٤٤٦ رأسا من الماشية والغنم . فعهد له من ناهيته بأن يروض عما فقدته منها . واهضم على تعهده باسم ملك عصره ورد سسين في الربع الثاني من القرن الثامن عشر ق.م (١٨٢٤ - ١٨٢٣ ق.م)^(٢) ثم وقع على الوثيقة بخاتمه ستة توقيعات ، وشهد عليه فيها سبعة شهود . وتدل على التوقيعات على الالتزام للعمل على تنمية الثروة الحيوانية والمحافظة عليها كمصدر هام للغذاء وكمصدر كسب بالنسبة للراعي .

(١) د. عبد العزيز صلح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(٢) ليواوينهليم : المرجع السابق ، ص ٤٤٥ ؛ د. عبد العزيز صلح : المرجع

السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٥١ .

ومن أمتع ما بقى فى المعابد تمثال جميل لكلبة تحمل أنيسة فوق ظهرها وتلفت برأسها ، وسجل على بدنها اهداء من سوموايللو ملك لارسا إلى إحدى ربوات لجش . وقد حكم فى لارسا ١٤ ملكا لمدة تقدر بنحو ٢٦٠ عاما .

(٦) مدينة أشنونا (تل أسمر) :

إنتعشت دويلات المدن العراقية شينا فشيئا من جديد وعاش بعضها بعد سقوط أور بفترة طويلة . وساعدها على ذلك أن نهضتها كانت نهضة فكرية أكثر منها نهضة عسكرية أو توسعية ، الأمر الذى صرف عنها حقد اسين ولارسا . وكان من أنشطها دولة مدينة أشنونا (التى تقوم على أنقاضها الآن تل أسمر) . وكانت فيما يبدو أكثر ميلا إلى السامية منها إلى السومرية على الرغم من موقعها على الطريق التجارى بين المراق وعيلام .

ومن أهم ملوكها بلالاما الذى ترك تشريعا يعد من أقدم التشريعات العراقية ^(١) البينا^(٢) وقد تدهورت مملكة أشنونا بعد بلالاما ، بسبب إغارة ملك " دير " عليها من جانب وهزيمتها أمام ملك كيش من ناحية أخرى ، ولكنها عادت لتتوسع من جديد فى عهد ملكها ابيق - اداد - الثالث الذى حاول الحفاظ على ممتلكاته ولكن القوات الأمورية استولت عليها فيما بعد .

ويعتبر تشريع بلالاما الرابع من نوعه بعد إصلاحات اوركا حينما ملك لجش تشريع اورنمو ملك أور ولبيت عشتار ملك اسين^(٣) وكان هذا التشريع قد كتب فى

(١) أى تسبق قوانين حمورابى بأكثر من قرن من الزمان ، راجع : د. عبد الحميد

زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٨ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص

١٧٥ - ١٨٣ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٥ ؛

د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ١٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١١ - ٢١٣ .

أوائل القرن التاسع عشر ق.م أو قبلها . وبقيت منه إحدى وستون مادة عالجت أهم جوانب الحياة في عصرها وشهدت بالكفاية التشريعية لأصحابها كما ذكر د. صالح فاهتمت مجموعة أولى من التشريعات بتحديد أسعار الأكسوات الضرورية لسواد الشعب مثل الشعير والزيت والملك . واهتمت مجموعة ثلثية بتحديد الحد الأدنى لأجور العربات والقولوب ومن يعملون عليها ، والحد الأدنى لأجور العمال الزراعيين ، واهتمت مجموعة ثالثة بتحديد العقوبات على جرائم عصرها وعلى الأضرار التي تلحق بالغير ، وجمعت في ذلك بين القصاص والدية . فرضت بالقتل عقابا للقاتل ، وأقرت مبدأ التعويض على الجروح التي لا تؤدي إلى الوفاة (شأنها في ذلك شأن تشريع اورنمو) .

فقضت على من عصى أنف شخص أو اقتلع عينه بأن يدفع غرامة قدرها مئنه من الفضة (في تشريع اورنمو ثلثي مئنة فقط) وقضت على من كسر مندا لأخر أو قدمه أو قطع أذنه بأن يدفع نصف مئنه من الفضة . وقضت على من شوه وجه آخر بأن يدفع له عشرة شواقل من الفضة . وألقت مسؤولية مسا يأتيه العبد أو الفحل أو الكلب على كاهل صاحبه . وعينت مجموعة رابعة بموضوع تنظيم العلاقات الأسرية فاشتترطت رضا الوالدين على زواج ابنتهما . وذكرت أن من أغوى فتاة على معاشرته دون أن يعقد عليها أمام والديها لن تصبح زوجته ولو أقامت فسي داره حولا كاملا . وأخذت بما سنته تشريع اورنمو من أنه إذا تعاد رجل مع شاب على تزويجه ابنة ثم زوجها لغيره وحجب عليه أن يرد له ضعف ما أخذه منه ، ونصت على حق المحارب الذي يؤسس في أن يسترد زوجته حين عودته حتى لو تزوجت غيره خلال غيابها عنها . ولكنها حرمت هذا الحق على من فارق بلده كارها . وجعلت القتل عقابا للزوجة الزانية وعقبا لمن يقتصب فتاة مخطوبة . ونصت على أن من طلق زوجته ذات الأولاد وتزوج غيرها عليه أن يفارق دارها وما فيها نصيب لغيره من الميراث إذا أراد بيعه . وحددت أرباح القروض معدنية كانت أم عينية . وحرمت مجموعة خامسة من التشريعات على تأكيد حقوق القصور الملكية والمعابد والسادة فيما يمتلكون من العبيد والجواري والعقارات . وأكدت حق السادة في امتلاك أبناء جوارهم . وحرمت على أي من العبد والجارية أن يتاجر

لحسابه . غير أن كل هذه المكاسب التشريعية كانت في صالح أحرار اشنونا ، حتى الفقراء منهم ، دون العبيد الذين أهدرت حقوقهم " . (١)

وهكذا تناولت تشريعات بلالما أغلب مشكلات الحياة في عصرها ، وأدى العنور على ألواحها الباقية في تل أبي حرملاكتي تبعد نحو مئتي أميال شرقي بفسداد إلى تعديل الفكرة القديمة السائدة التي اعتبرت تشريعات حمورابى البابلى أقدم التشريعات المكتوبة في بلاد النهرين أو في بلاد الشرق القديم .

واحتفظت مدينة اشنونا بأطلال من قصور حكامها . ويرجع قصر اشنونا إلى عصر تبعيتها لدولة أور الثالثة ، ويبدو أنه تضمن إلى جانب مقر صاحبه إدارات الحكم الرئيسية في إمارته ، وكان من طابقين ، ويؤدى مدخله إلى ممر جانبي يسور طويل يتعين على الداخل أن يسلكه قبل أن يصل إلى الفناء الداخلى الكبير ، ثم يقطع هذا الفناء على طريق مهده قبل أن يصل إلى الفناء الداخلى الكبير ، ثم يقطع هذا الفناء على طريق مهده قبل أن يبلغ مجلس الأمير وأقيم في طرفى القصر معبدان ، معبد صغير ، وآخر كبير أقاله حكام القصر باسم شوسين ملك أور في عهد تبعيتهم له ثم ضموه إلى قصرهم بعد أن ضعف شأن دولته .

واحتفظت ألواح الألف الثانية ق. م . وما بعده بأدب سومرية الصبغة فى الأسلوب نسخها أصحاب عن أصول قديمة وتضمنت تلك الأدب قصصا وملاحم وأساطير ومحاورات دينية ودينية كان من أشهرها : قصة الطوفان ، ومغامرات جلجامش بصورها المتعددة ، ونزول المعبودة انانا إلى العالم السفلى ، ومحاوراة الفلاح والراعى ، ومحاوراة الصيف والشتاء ، وذلك فضلا عن نصوص تعليمية تصور حياة الدراسة وتصور مواد التدريس .

وتنقص قصة الطوفان السومرية (٢) عن زمن بعيد خلقت فيه المعسودات أن وانليل والكى ونيهور مناج والبشر " أصحاب الرؤوس السود " ، والنباتات والحيوانات ، وتكاثر الخلق والكائنات ونزلت الملكية من السماء إلى الأرض ، حيث

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .
(٢) عن قصة الطوفان السومرية ، راجع : د. فاضل عبد الواحد : مومر أسطورة وملحمة ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٨٥ - ١٦٩ ، ١٧٤ - ١٨٠ .

بدأ العمران في خمس مدن أشرف المعبود أن (أو أنليل) على إنشائها في مواضع ظاهرة وسماها بأسمائها ، وهي : أريدو وبادتيرا ولأراك وسييار وشورويك . وخصصها لعبادة خمس من الأرباب والربات ثم قضى بأن يغمر الفيضان الأرض لأمر لم تحتفظ بها السطور الباقية من القصة ، وأعلن قضاءه في مجلس الأرباب . فذهب الذعر في قلوبهم لاسيما ننتو وانانا ، وكان أشدهم اهتماما بذلك المعبود انكي الحكيم رب مياه الأعماق ، وملك صالح يدعى زيو سدر (حل محله أوتتا بيشتيم - Utta Pishtim في المصادر البابلية)^(١) ، وأراد انكي أن يخبر زيو سدر باليوم الموعود بطريقة غير مباشرة ، فأوحى إليه بأن يقف بجوار جدار مقدس وأن يستمع منه إلى صوته ويبدو أنه نصحه بأن يشيد سفينة كبيرة وينقل إليها ما تستطيع أن تحمله من المخلوقات ، فاستجاب زيو سدر لأمره وعمل بنصيحته ، وفي اليوم الموعود هبت الأعاصير هبة عنيفة وأطاحت بالعواصم ومراكز العباداة وصحبها فيضان كاسح ، واستمر ذلك سبعة أيام وسبع ليالي ، اكتسح الفيضان الأرض وما عليها ، ودفع السفينة تنما .

وبعد فترة ما بزغ أوتو رب الشمس فأثار السماء والأرض ، وفتح زيو سدر فتحة في جدار سفينته وتطلع منها فرأى أشعة أنوار ربه ، وعلم بصفه ، فركع وضحي من أجله بفعل وشاء كما استرضى بقية الأرباب الكبار .^(٢)

وحظي جلجامش ملك أوروك بنصيب كبير من القصص السومري ، وترتب على كثرة ما كتب عنه أن ظهرت له صورتان ، صورة احتفظت له بشجاعته وبرأته ولكنها لم تتردد في أن تظهره بتسليمه بالأمر الواقع حين يتبين عجزه أمام عدوه ، وصورة أخرى جعلته مغامرا مغوارا لا يهن له عزم ولا يشق له غبار مهما واجهه من صعاب .^(٣)

(١) راجع فيما بعد ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤٠ - ٤٤٦ .

ويرى بعض العلماء أن سيدنا إبراهيم ولد في أور في نهاية عصر الأحياء السومري في حوالي عام ١٩٩٦ ق. م. ^(١) وارتبطت سيرته العطرة بأكثر من بلد من بلدان الشرق القديم : ببلاد النهرين ، وفلسطين ، ومصر ، وشبه الجزيرة العربية .

تحدث د. صالح عن الفن في عصر الأحياء السومري في المدن السومرية في لجش تحدث عن نقوش جوديا وتمائله التي أخذت بالأملوب الواقعي . وتحدث أيضا عن آيات النحت من عهد جوديا منها رؤوس رجال حلقى اللحي والشوارب ورؤوس وتمائيل نساء وودائع أسلحات المعابد اللجشية ونقوش الأختام الأسطوانية واللوحات . وتحدث عن اللوحات التي عثر عليها في أور ولوحة لورنمو ونقوش الأختام وفن النحت ونماذج منه وما احتفظت به مقابر أور من روائع . وتحدث عن الفن في عصر اسين - لارسا من لوحات وتمائيل صغيرة وتمائيل للكراباب والحكام وكبار الكهنة . كما تحدث عن أطلال قصور حكام اشنونا. ^(٢) ويرجع قصر اشنونا إلى عصر تبعتها لدولة أور الثالثة وكان يتكون من طابقين ، ويبدو أنه تضمن إلى جانب مقر صاحبه إدارات الحكم الرئيسية . ويؤدي المدخل إلى ممر جانبي معسور طويل يتعين على الداخل أن يسلكه قبل أن يصل إلى الفناء الداخلي الكبير ويوجد في طرفي القصر معبدان ، معبد صغير وآخر كبير أقامه حكام القصر باسم شومين ملك أور في عهد تبعتها به ، ثم ضموا إلى قصرهم بعد أن ضعف شأن دولته. ^(٣)

-
- (١) عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بين كتب الدين وأقوال المؤرخين ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٤١٤ - ٤٢٦ د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الجزء الأول ، ص ١٢ حاشية (٢) ، ص ٤٦ ، ١٧٥ . وسوف نتحدث عن سيدنا إبراهيم في الجزء الثاني من مؤلفنا عن : الأناضول - بلاد الشام ، ص ٢٧٥ - ٢٨٤
- (٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٧ ، ٤٣١ - ٤٣٤ ، ٤٥٢ - ٤٥٥ .
- (٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

كما تحدث د. توفيق عن فن عصر النهضة السومري من ٢١٥٠ إلى ٢٠٠٠ ق. م . فتحدث عن فن النقش ولوح اورنمو وفن النحت وتمثال جوديا وزوجته بمتحف اللوفر ^(١).

سعادتها : البابليون : ^(٢)

دولة بابل الأولى (أو العصر البابلي القديم) ^(٣) (١٨٨٠ - ١٥٩٥ ق. م)

البابليون هم فرع من الهجرة الأمورية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى شمال سوريا وبلاد النهرين في منتصف الألف الثالثة ق. م. واكتسحوا أراضي سومر وأكد وانتشروا بين المدن المتحضرة في بلاد النهرين . واستقروا فيها وولوا حكم بعضها ، وكانت بابل قبل زعامتهم لها بلدة عادية ، فأحولوا إلى حضرة كبيرة وأحسنوا استغلال موقعها التجاري في منطقة خصبة يتقارب فيها نهرا دجلة والفرات وأطلقوا عليها اسم بابل (باب ايل أي بلب المعبود " الحلة ") . وكان أول

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ - ٣٤٧ صور ٢٠٣ - ٢٠٥ .

(٢) تحدث أستاذنا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٥٦ - ٤٧٨ عن دولة بابل الأولى أو العصر البابلي القديم وتحدث في هذه الصفحات عن أصل البابليين وعن حمورابي وتشريعاته بنوع مسن التفصيل ، وتحدث عن نماذج من الأدب البابلي : جلجامش وقصة الطوفان وأسطورة إيتانا إلى السماء وأسطورة نشأة للوجود التي ردوا فيها أصول الأشياء إلى ماء أزلي اختلط عذبه بماله ، ومثل العنوية فيه أبو وهو مذكر ، ومثلت الملوحة فيه : تيامة وهي أنثى .

(٣) د. أبو المحاسن حصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٤ - ٣٦٧ ؛ د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٧٣ - ٧٩ ؛ د. نبيل عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٨٢ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ - ٢٤٥ .

ملك لها هو سوموابوم الذى اعتلى العرش عام ١٨٩٤ - ١٨٨١ ق. م. ^(١) وكان يحكم فى جنوب العراق واخضع مدن الجنوب وأعلن نفسه ملكا على بابل ويسط نفوذه على سومر وأكد . وتعاقب من بعده أربع ملوك هم : سوموابيل ١٨٨٠ - ١٨٤٥ ق. م. ، وسابو ١٨٤٤ - ١٨٣١ ق. م. ، وابيل سين ١٨٣٠ - ١٨١٣ ق. م. ، وسين موبالليط ١٨١٢ - ١٧٩٣ ق. م. وقد عملوا على تحصين مدينتهم وتنشيط اقتصادياتها ، وتركبوا فيها نتائج الصراع بين المدينتين المتنافستين اسين و لارسا ، وعاصر سومو ابوم ملوك اسين و لارسا ، ولم ينته القتال بينهما إلى نتيجة حاسمة. ^(٢)

وعندما ازدادت شهرة بابل اعترفت بسلطانها منطقة سيبار (أبو حبة) كما خضعت لسلطانها مدينة كيش بعد حرب طويلة تعاونت عليها فيها مع دولة لارسا ، ولكن كيش حاولت أن ترفع سيطرة بابل عنها فى عهد سومو ابوم وذكر ملكها أنه لم يبق لديه بعد كفاح دام ثمانى سنوات غير ثلاثمائة جندي ، ولكنه واصل الجهاد معهم حتى استرد لبلده سيادتها .

وازداد النزاع بين بابل وبين دويلات المدن الخاضعة لها فى عهد ثمانى ملوكها إلا أن ملكها أزال سورها بعد انتصاره على خصومه وتوسعت جيوشه على فتوحاتها الإقليمية حتى سيطرت على إقليم أكد كله وسيطرت على أجزاء من أراضي سومر . ووجدت بابل فى دولة لارسا وأسرقتها للحكمة نصف العيلامية أكبر منافس لها ، بينما أصبحت دولة اسين أريمة للفريقين يقطع ملوك لارسا بعض أجزائها حينما ، ويكتطع البابليون بعض أجزائها حينما آخر ، وظلت الأوضاع هكذا حتى تولى حكم بابل سادس ملوكها وأكثرهم شهرة وهو حمورابى .

(١) ليواوبتهليم : بلاد ما بين النهرين (ترجمة سعدى فيضى) ، ص ٤٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص

حمورابي^(١) :

بدأ حكمه حوالي عام ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م . و طال عهده ثلاثة وأربعين عاما قدر له فيها أن ينهض بابل من دويلة صغيرة إلى عاصمة دولة كبيرة ذات شهرة كبيرة واستهدف منذ سنواته الأولى ضرورة توحيد بلاد النهرين .

ففي السنة الخامسة من حكمه بدأ حمورابي بالاستيلاء على أسين ، ووجد أن قواته لا تسمح له بمحاربة ريم سين ملك لارسا فضل الانتظار نحو ثلاثة وعشرين عاما وبالفعل في السنة التاسعة والعشرين من حكمه تقابل مع ملك لارسا ريم سين في حرب قاسية وانتصر عليه .

وعندما زال خطر الميلايين في لارسا تمكن حمورابي من مسد سلطانه شمالا واستولى على مملكة أشنونا وضمها إلى إمبراطوريته .

وسجلت له حولياته أخبار جهوده في إخضاع مدن كثيرة مثل أوروك ومالحي وغيرها وتبع حمورابي سياسة التحالف مع المدن القوية دون الإصرار على إخضاعها ونذكر على سبيل المثال تحالفه مع دويلة ماري .

ولكى يحافظ حمورابي على الأمن واستقرار نظم الحكم والإدارة في الإمبراطورية التي كونها ، قام بإصدار مجموعة من التشريعات المعروفة باسم " قانون حمورابي " .

تشريعات حمورابي : (٢)

لم تعتمد شهرة حمورابي على فتوحاته وتدينه ورعايته لاقتصاديات بلاده

(١) د. هورست كلنفل : حمورابي ملك بابل وعصره (ترجمة د. غازي شريف ومراجعة د. علي يحيى) ، سلسلة المائة كتاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ١١ - ١٣٥ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٧٩ - ١٨٥ د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٤٠ ؛ ويذكر د. فخري في مؤلفه حوالي ٢٧ مسادة من مواد هذا القانون ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٦ ، ص ٤٥٩ - ٤٦٥ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٩١ - ١٩٦ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٨٨ - ٢٤١ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ صورة ٢٠٩ د. هورست كلنفل : المرجع السابق ، ص ١٣٩ - ١٨٧ .

بقدر ما اعتمدت على تشريعاته الإدارية والقانونية ، وهي تشريعات بدأ في إصدارها منذ العام الثاني من حكمه ، وسجلها رجاله على نصب كبير من الديوريت يبلغ ارتفاعه ٢,٢٥ مترا ، ونقشوه في السنوات الأخيرة من حكمه . وصوروه في جزئه العلوي يتلقى الآن بإصدار تشريعاته من رب العدالة ورب الشمس ' شمس أو شمش ' الذي يجلس على عرشه . ويبدو أنهم أقاموه في معبد ماردوك ببابل ونقشوا نصوبه بخط دقيق . وكان العيلاميون قد استولوا على هذا النصب في أواخر القرون الثاني عشر ق. م . ونقلوه إلى عاصمتهم سوس ضمن الغنائم نكايه في صاحبه الذي انتصر على أجدادهم (في لارما) وأزالوا بعض سطوره ليسجلوا نصصوص نصير ملكهم شوتروك - ناخونتا على بابل . وعثر على هذا النصب عام ١٩٠١ ونقل إلى متحف اللوفر .

لم تكن تشريعات حمورابي وليدة عصرها ، وربما لم تكن من وضع حمورابي نفسه ولكن يبدو أن مشرعي قانون حمورابي قد استفادوا كثيرا من التشريعات الأربعة السابقة وأضافوا إليها وهي التي تخص : اوركاچينا من سلالة لجش في أواخر العصر السومري الأول ، والذي يعد أول مشرع في تاريخ البشرية حيث وردت بعض الإشارات التي تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه للإدارة وإزالة الظلم عن طبقة الفقراء . وارنمو مؤسس أسرة أور الثالثة والذي يعد من أقدم واضعي التشريعات أيضا . وليث عشتار خامس ملوك سين في عصر الأحياء السومري . وأخيرا بلالاما أهم ملوك مدينة لشنونا في عصر الأحياء السومري (١).

وكانت مواد القانون في الأصل ٣٠٠ مادة كتبت في أربعة وأربعين عمودا وتبدأ بمقدمة طويلة وتفاخر فيها بنفسه ويُنجزاته فادعى أنه ابن للمعبود سين ووصف نفسه بأنه معبود بين الملوك وأنه الملك الحكيم والملك الكامل ، وأنه محارب لا مثيل له ، وأنه منقذ شعبه من اليأس وأنه اخضع كذا وكذا . وادعى أن بعض

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٥٩ ، راجع فيما سبق ، ص

رعاياه سموا أبناءهم باسمه " حمورابى - إيلو " بمعنى " حمورابى - الإله " ووصف نفسه بأنه الأمير النقى الذى اختارته الأرباب لإصلاح أحوال العباد ، وأنه المطيع للمعبود شمس العظيم وأنه دائم الدعاء للأرباب ولتضرع إليهم . ويعرف الرب اداد تضرعه وأنه لم يهمل رعاية الفقراء الذين عهد بهم إليه ربه انليل وماردوك ، وأن ربه ماردوك أمره بأن يرشد الناس إلى الطريق القويم ويحق الحق والعدالة ويدونها بلغة البلاد ، فاستعان بأمر شمس القاضى الأعظم للسماء والأرض وذلك الصعاب للناس ، وكان أشبه بوالد لهم ، ثم رجا أن تدوم عدالته وتنتشر فى البلاد كلها بإذن ماردوك مولاه .^(١) ولم يبق من هذه المواد غير ٢٨٢ مادة وهى مقسمة كالآتى :

(١) مواد تتعلق بالقضاء ونظام التقاضى من ١ إلى ٥ .

(٢) مواد تخص المعاملات من ٦ إلى ١٢٦ مثل مسؤولية الدولة عن شئون الأمن وحقوق المواطنين عليها وتعويض المواطن فى حالة السرقة وأهله فى حالة القتل ، وحقوق المحاربين ومسئولياتهم وتعويضهم فى حالة الاستشهاد ، وتدوين عقود القروض وحدثت قيمة ما تقرضه المعابد وإدارات الدولة ، وشروط شراء أو شراء العبد أو للجارية .

(٣) مواد تخص الأحوال الشخصية والعلاقات بين أفراد المجتمع وفئاته من ١٢٧ إلى ٢٨٢ . مثل شروط الزواج وتعويض الزوجة فى حالة الانفصال والعقوبات التى تتعرض لها الزوجة عند إهمالها لزوجها وحق الجارية وأولادها وصلات الأولاد بأبويهم وواجباتهم وحقوقهم فى الموارث وشروط التبني ، وتحديد أجور أصحاب المهن والحرف المختلفة وأجور المراكب وحيوانات النقل والزراعة . وتطبيق مبدأ التعويض والعقوبات فى حالة الإهمال أو الاختلاس أو القتل أو التآمر على مصالح الدولة وأمنها والاعتداء على أملاك المعبد والقصر الملكى .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

وقسمت التشريعات للمجتمع إلى ثلاث طبقات أولها طبقة الأسياد أو النبلاء يليها طبقة العمال والأحرار أو العامة ، ثم تأتي بعد ذلك طبقة الرقيق .

وقام د. صالح بتحليل دقيق لبعض مواد هذا القانون :

(١) فيالنسبة لشئون التقاضي والقضاء ، فهناك أحكام ضد البلاغات أو الاتهامات الباطلة وأحكام رد الشرف والاعتبار^(١) . وإذا أصدر قاضى حكما فى قضية ما ودون حكمه ووقع عليه ثم زور فيه لغرض ما وثبت ذلك عليه ، أقيل من منصبه وحرمت عليه مناصب القضاء مدى الحياة ويقوم بدفع غرامة قدرها اثنتى عشرة مرة من قيمة الشئ الذى زور فيه . ونرى فى ذلك وسيلة رادعة لمكافحة الرشوة فى القضاء .

(٢) كما تضمنت مواد هذا القانون مسئولية الدولة عن شئون الأمن وحقوق المواطنين عليها ، فإذا تعرض مواطن لحادث سرقة ولم يعثر على سارقه لاسترجاع مسروقاته ، صوّته أهل المدينة وحاكم الإقليم عما سرق منه . وإذا قتل مواطن ولم يتيسر معرفة قاتله والاقتصاص منه تعاونت المدينة وحاكم الإقليم لدفع دية إلى أهله مقدارها مقدار من الفضة (المادة ٢٤) ، وإذا شسب حريق فى دار مواطن وكلف أنقر بإطفائه فاستقل وجسوده واختلس بعض الأمتعة ، ألقى به فى النار عقابا له (المادة ٢٥) .^(٢)

(٣) وهناك مواد تقر بحقوق المحاربين فى مقابل مسئولياتهم ، إنه إذا افتدى معول محاربا من الأسر وأعانه على العودة إلى بلده ، رد المحارب فديته من أملاكه الخاصة المنقولة ، فإن لم يستطع تولاها عنه المسئول عن أملاك المعبد ، فإن لم يتيسر ذلك تولت الدولة سداده عنها (المادة ٣٢)^(٣) ، حتى لا يضطر إلى

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

التضحية بأملكه الثابتة . وإذا استشهد محارب آلت أملكه إلى ولده (المادة ٢٨) فإذا كان ولده صغيرا تولت أمه إدارتها نيابة عنه وريته من ريعها نظير انتفاعها بثالث إيرادها (المادة ٢٩) فإذا لم يكن له ولد وآلت أملكه إلى شخص آخر ، ثم ظهر أنه على قيد الحياة وعاد إلى بلده حق له أن يسترد أملكه (المادة ٢٧) .^(١)

وأخذت تشريعات حمورابى بقوانين بلالاما من حيث حق المحارب الذى وقع أسيرا فى أن يسترد زوجته إذا عاد إلى بلده بعد الأسر وكانت متروجة من آخر (المادة ١٣٥) . وحتمت على زوجة الأسير أن تلتزم داره مادام فيها ما يكفيها وألا تلجأ إلى الزواج من آخر وإلا ألقى بها فى النهر (المادة ١٣٣) . فإذا لم يكن لديها ما يقيم أودها فلا بأس عليها فيما أكتمت عليه (المادة ١٣٤) .

(٤) وجعلت تدوين عقود القروض وعقود المشاركة ونظام الأمانات وشهادة الشهود عليها ، شرطا لحق التقاضى وحددت أرباح القروض (المواد ١٢٢ - ١٢٣) . واشترط سدادها بنفس المكاييل والأوزان التى لقرضت على أساسها وحددت أيضا ما تقرضه المعابد والإدارات الحكومية فى الظروف الخاصة .^(٧)

(٥) وأحاطت تشريعات حمورابى أفراد الأسرة وتقاليدها بضمانات فاعلة وزادت على ما نصت عليه تشريعات اورنمو ولبت عشتار . فأباحت للزوجة للشرعية بيع جاريتها إن كانت غير ذات ولد ، حتى ولو كانت أثيرة عند زوجها ونصت التشريعات على أنه إذا أهدت الزوجة زوجها جارية فأحبها وشجعها على أن تشارك الزوجة مكانتها حق للزوجة أن تميدها إلى الرق وتبيعها ، فإن حملت منه أولدت له أبقته فى دارها من أجل تربية أولادها (المواد ١٤٦ - ١٤٧) . وفى عقد زواج مؤرخ من عهد سين مويالليط ولد حمورابى يتعهد الزوج أن يكلف زوجته الثانية أن تغسل قنمى زوجته الأولى وأن تحصل لها مقعدها حتى

(١) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

ولو أرادت أن تذهب به إلى معبد مار دوك - وأكدت التشريعات حق الزوجة في استرداد بانتنتها حين انفصالها عن زوجها وللزوجة المطلقة ذات الأولاد نصف أملاك زوجها لتستقله في تربية أبنائها . ثم تقطع منه جزءا تستعين به على زواج جديد إن فصلت فراق أولادها (المادة ١٣٧) . وأضافت إلى بائلة المطلقة العاقر تعويضا مينة من الفضة بالنسبة للطبقات العليا وثالث مينة بالنسبة لأهل الطبقات العادية (المواد ١٣٨ - ١٤٠) .^(١) وإذا توفيت الزوجة فإن بانتنتها تعود إلى أولادها (المادة ١٦٢) وجعلت بائلة الزوجة العاقر المتوفاه من حق أبيها بعد أن يسترد زوجها منها قيمة هداياها إليها حين عرسها .^(٢)

وجعلت التشريعات حق الوصاية أو الهبة لزوجته دون اعتراض من أبنائه . وسمحت لها بأن تتنازل عن جزء من هذه الهبة لأولادها (المادة ١٥٠) وأقرت التشريعات بحقها في أن تلزم بيت زوجها المتوفى إلا إذا أرادت أن تتركه لتتزوج وحينذاك يكون لها حتى الخروج ببانتنتها دون هدايا عرسها (المادة ١٧٢) .

ونصت التشريعات على أن من يتهم سيده بمسوء السلوك دون بينة أكيدة ، على حلق نصف شعره في ساحة القضاء تشهيرا باقترائه عليها (المادة ١٢٧) فإذا اتهمها زوجها ولم يقدم بينة واضحة على خيلتها ، كفاها أن تقسم على طهرها أمام معبودها وتعود إلى دار زوجها (المادة ١٣١) .^(٣)

وفي مقابل كل هذه الضمانات التي كفلتها التشريعات للزوجة ، ألزمت الزوجة بواجبات زوجها وبيتها . وإذا شكها أمم مجلس المدينة وتبين أعضاءه إهمالها لواجباتها حرموها من بانتنتها ومسحوا لزوجها بأن يتزوج عليها ويستبقها في داره إن شاء ويلزمها بخدمته (المادة ١٤١) فإذا تبينوا نشوزها

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

وإضرارها بزوجها ألقوا بها في النهر (المادة ١٤٣) وإذا ثبتت عليها جريمة الزنا أمروا بتقييدها هي ومن زنى بها ولقائهما في النهر إلا إذا عفا عنها زوجها وعفا الملك عن عشيقها (المادة ١٢٩) وإذا تآمرت زوجة على قتل زوجها من أجل عشيقها ، أعدمتم على الخازوق (المادة ١٥٣)^(١).

(٦) وحددت التشريعات صلات الأولاد بأبويهم وحقوقهم في الموارث فجعلت من حق كل ولد على أبيه أن يعينه بمهر يتزوج به . فإذا توفي الوالد دون أن يتزوج أحد أبنائه ، قرر له أخوته قيمة مهر تناسب ثروة أبيه (المادة ١٦٦) . وإذا توفي أب دون أن يزوج ابنته ودون أن يخصص لها بائنة مسجلة خصص لها أخوتها بائنة مناسبة من ميراثه (المواد ١٧٨ - ١٧٩) .

وقيدت حق الأب في حرمان ولده من الميراث بحكم القضاة في حالة عصيانه ، فإن أذنبوه أنذروه ، فإن لم يرتدع وألقوا على حرمانه وإن تبينوا براءته حموه من أبيه (المواد ١٦٨ - ١٦٩) . وجعلت للأبناء الذكور حصصا متساوية في ميراث أبيهم وبائنة أمهم إلا إذا خص الأب ولده البكر بوصية (المادة ١٦٥) وجعلت للابنة العذراء المترتبة حق استغلال ما يعادل ثلث نصيب أخيها على أن يبقى هذا النصيب تحت تصرف أخوتها ولا يحق لاسها أن تتصرف فيه (المادة ١٨١) . وإذا ترهبت في معبد مارديوك معبود بابل سمحت لها بأن تستغل حصتها كما تشاء ، وتهبها لمن تشاء من داخل الأسرة حتى لا تنتقل هذه الحصة إلى أسرة غير أسرتها (المادة ١٨٢)^(٢).

ونصت التشريعات على أن من يضرب أباه تقطع يسه (المادة ١٩٥) وعلى من ضاع أمه بعد وفاة أبيه بأن يحرق معها في النار (المادة ١٥٧) وعلى من ضاع أمه بعد وفاة أبيه بأن يحرق معها في النار (المادة ١٥٧) وعلى من ضاع زوجة أبيه الأرمل ذات الأولاد باستبعاد من أسرتهم (المادة

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(١٥٨) وقضت بالنفي على من يضاجع ابنته (المادة ١٥٤) وبالهلاك غرقا على من يضاجع ابنه (المادة ١٥٥) .^(١)

ونصت على أنه إذا تزوج عبد بامرأة حرة احتفظ أولادها بحريتهم . فإذا توفي زوجها استردت بانتنتها . وسمحت التشريعات للأب بحق الاعتراف بأولاده من جاريته ، فإذا اعترف بهم شاركوا أولاده الشرعيين ميراثه بشرط أن يتركوا للأبن الشرعي البكر حق اختيار نصيبه بنفسه (المادة ١٧٠) وإذا لم يعترف بهم صراحة حرّموا من ميراثه مع حرمان أخوتهم الشرعيين من استرقاقهم (المادة ١٧١) .^(٢)

ونصت على أن من باع جاريته لم أولاده أو أجرها لأخر حق له أن يستردها من ثمارها أو مستأجرها بنفس ما أداه له في مقابلها (المادة ١١٩) . وأباح المشرع ثلاثة أيام للمشاورة في شراء العبد أو الجارية وشهرا يستطيع المشتري أن يعيد العبد خلاله إلى بانيه ويمتد ثمنه إذا تبين أنه مصاب بصرع ، فإذا انقضى الشهر كان مالكا له مسئولاً عن الدعاوى التي تقام بشكائه . ونصت على أنه إذا اشترى رجل عبدا أو جارية من بلد غريب ثم عاد إلى بلده وتبين له أن العبد ملك لمواطن آخر من أهل بلده ، وطالبه به سيده ، وجب عليه تسليمه إليه دون تعويض فإذا كان العبد من بلد آخر دفع فيه سيده ما دفعه فيه مشترىه فإذا أنكر العبد تبعيته لسيده ثم ثبتت التبعية عليه قطعت أذنه (المواد ٢٧٨ - ٢٨٢) .

وكان يذكر في عقد الشراء اسم الجارية واسم بلدتها واسم سيدها واسم مشتريها وقيمة ثمنها الأصلي وما زاده المشتري عليه ، ثم يسجل الكاتب اسمه وأسماء الشهود معه .^(٣)

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

(٣) جاءت هذه المادة على لوحة أخذت بتشريع حمورابي ، ولو أنها متأخرة عن عهده ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

(٧) كما نظمت أمور التبني ، فسمحت للرجل بأن يتخذ ولدا له بالتبني وكان هذا الولد لقيطا ثم تنكر له بعد فترة وتطلع إلى اللحاق بأبويه بعد أن عرفهما قطع لسانه وحرمت استرجاع الولد إذا تبناه صانع ورياء وعلمه صنعة وأجازت التشريعات على عودة الولد إلى أبويه إذا عرفهما ولم يكن متبنيه قد اعترف به ولدا له . كما أجزت رجوع الولد إلى أبويه إذا لم يعلمه متبنيه الصانع حرفته .^(١) واشترطت على من يتبنى طفلا ثم يستغنى عنه بعد أن ينجب أولادا من صلبه ، فعليه إلا يرده إلى أهله صفر اليدين ، وعليه أن يهبه ما يساوي ثلث نصيب ولده من صلبه من ثروته .

(٨) وعينت التشريعات بأمور المعاملات وتحديد أجور المهن المختلفة فتوسعت فيما تضمنته تشريعات اثنونا واسين بالنسبة لأجور العمال الزراعيين . وشروط المشاركة في الزراعة والتجارة وتربية الأغنام والمواشي وتعويضاتها . وأجور المراكب تبعاً لحمولتها ، وأجور حيوانات النقل والزراعة وأجور النساكين وصانعي الجلود والحلي والبنائين وغيرهم . كما حددت أجور الأطباء مع مراعاة الحالة الطبية والاقتصادية للمرضى . بحيث حددت أجره العملية في البدن أو في العين بالنسبة للثرى لعشرة " شواقل " . وبالنسبة للشخص العادي بخمسة شواقل ، وبالنسبة للعبد بشاقلين يتحملها عنه سيده (المواد ٢١٥ - ٢١٧) كما حددت أجره العلاج العادي وجبر العظام بالنسبة للطبقات الثلاث بخمسة شواقل وثلاثة وشاقلين (المواد ٢٢٠ - ٢٢٣) ولم تغفل في ذلك أجور علاج الحيوانات وتعويضاتها (المواد ٢٢٤ - ٢٢٥) . كما أن صانع السفن كان يتحمل مسئولية خاصة . فإذا لم يكن عمله جيدا وصارت السفينة غير متماسكة كان عليه تفكيكها وإعادة بنائها على حسابه الخاص (المواد ٢٣٤ - ٢٤٠) . والتاجر الذي يستأجر سفينة ويؤدي إلى الإضرار بها بسبب إهمال مسؤوله عليه تعويض صاحب السفينة . وإذا استخدم السفينة في نقل الحبوب أو الصوف أو الزيت أو التمر وأصيبت بشرخ فهو المسئول عن السفينة وشحناتها (المادة ٢٣٧) .

(١) د: عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

ومداد أغلب مواد التشريعات القسرة تجاه من يضر بمصلحة الدولة ويعتدى على النفس والمال ، وليس من المستبعد أن تكون هذه الشدة لمجرد التخويف ومنع الجريمة قبل وقوعها .

(٩) ومما يؤخذ على هذه التشريعات هو اعترافها بالتفاوت في الحقوق والعقوبات بين الطبقات ، فهي وأن أخذت بمبدأ العين بالعين والسن بالسن (المادة ١٩٦) والولد بالولد ، إلا أنها قصرت تطبيقه على أفراد الطبقة الواحدة ولمصلحة الطبقة العليا بخاصة ، فإذا وقع ضرر على عين أحد العامة أو كسر عظمة كان تعويضه نصف " مينة " من الفضة وبالنسبة للعبد نصف ثمنه وإذا صفع رجل من العامة رجلاً أرقى منزلة منه جلد ستين جلدة علناً ، وإذا صفع رجلاً من طبقة دفع مينة من الفضة ، وإذا صفع عامياً آخر دفع عشرة شواقل من الفضة .

وجعلت غرامة إجهاض المرأة من الخاصة عشرة شواقل فإذا ماتت قتلت ابنة قاتلتها ، وغرامة إجهاض المرأة من العامة خمسة شواقل ، فإذا ماتت ففديتها نصف مينة من الفضة ، وغرامة إجهاض الجارية شاكليين ، فإذا ماتت ففديتها ثلث مينة من الفضة (المواد ١٩٦ - ٢١٤)^(١) . ومما يؤخذ أيضاً على بعض مواد هذه التشريعات هو إلزام الأبناء أحياناً بأخطاء آبائهم ، فإذا أهمل معمارى في عمله وانهار المنزل الذي شيده على ابن صاحبه ، قتل أبنه نظير هذا . وإذا أجهض رجل سيدة من طبقة أو من الخاصة وماتت ، قتلت ابنته نظير هذا (المادة ٢١٠) .

وبالنسبة للعقوبات الأخرى فنجد أنها قضت بتفريم من يختلس شيئاً مسن مقتنيات المعبد أو دور للحكومة ثلاثين مثلاً لما اختلصه ، فأن اختلس من ممتلكات المواطن العادى دفع عشرة أمثاله ، فأن كان معدماً قتل (المادة ٨) ، وجعلت الإعدام عقوبة التمر على مصالح الدولة وأمنها^(٢) والوقوف في سبيل تنفيذ أوامرها ، كأيواء ثلثر أو مجرم هارب ، أو التكتّم على مؤامرات قطاع الطرق (المادة ١٠٩) أو التهرب من

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .

خدمة الجيش ولو عن طريق تقديم بدل ، كما أن هناك عقوبة للضابط الذى أجاز هذا الإبدال أو تكتم أمره (المادة ٣٣)^(١) وهناك عقوبة للاعتداء على أملاك المعابد وأملاك القصر وعقوبة لمن يعجز عن رد المسروقات ودفع التعويضات عنها ، وعقوبة لمن يسم عبدا بدون علم سيده (المواد ٢٢٦ ، ٢٢٧) وهناك عقوبة لخطف الأطفال واختفاء العبيد وتخريب الدور (المادة ٢١) وعقوبة لمن يتجر فى المسروقات ، ومن يدعى ملكيته لأشياء مسروقة (المواد ٩ - ١١) وعقوبة للكهنة التى تفتح حانة أو تتردد عليها لتسكر فيها (المادة ١١٠) وعقوبة للمعماري الذى يتسبب إهماله فى انهيار منزل على صاحبه (المادة ٢٢٩) وهناك عقوبة للرؤساء الإداريين إذا حرموا جنديا مما لنعم الملك عليه به ، أو اغتصبوا متاع داره أثناء غيابه أو أجروها لصالحهم أو تطلوا عنها لصاحب نفوذ فى ساحة القضاء (المادة ٣٤) وحرمت عليهم ثراءها (المادة ٣٥)^(٢) .

(١٠) وأخيرا تضمنت التشريعات عقوبات إذا أتهم مواطن مواطن آخر بالاشتغال بالسحر ، وكان على المدعى عليه أن يلقى بنفسه فى النهر فإذا ابتلعسه الماء ورثه الآخر ، وإذا نجا أحد من اتهمه وأنت أملاكه إليه ، ونصت التشريعات على أنه إذا أدت عملية جراحية إلى وفاة مريض حر أو فقد نور عينيه قطعت يد الطبيب فإذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده عن حياته بمبيد مثله وعن عينه بنصف ثمنه من القضة (المواد ٢١٨ - ٢١٩)^(٣)

ويبدو أن حمورابى كان حريصا على تطبيقها والالتزام بها فى الإدارات المختلفة من قبل موظفيه حتى لا يكون للكهنة حجة فى الاستئثار بتفسير القانون وإصدار الأحكام أو تأويلها حسب أهواهم^(٤) .

فقد سمع حمورابى بارتشاء بعض موظفيه فأرسل مندوبين من طرفه

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

للتحقق من الأمر وسماع أقوال الشهود والتحرز على الرشوة ، ثم إرسال المتهمين والشهود إليه ، وكثيرا ما تضمنت رسائله إلى عماله أوامره بالتحقيق في سرقات ومظالم سمع بها وأوامر أخرى بالتشديد على المتباطنين في دفع الضرائب التي التزموا بها وإرسالهم إليه مع التحفظ على أملكهم أن امتنعوا عن السداد ومن هنا نرى أحيانا أنه كان يتدخل بنفسه في كثير من الشئون الإدارية ، فتضمنت إحدى اللوحات من عصره أمرا منه باقتداء أسير على حساب معبد سين ^(١) ودعا الملوك الذين سوف يعقبونه إلى أن يتبعوا أسلوب حكمه ودعا كل مظلوم أن يذهب بنفسه إلى هذا النصب ويقرأ بعناية ويتمعن حكمته فيه حتى تستبين له قضيته ويبدأ باله ويعرف أن له حقوقا وعليه واجبات واستعدي الأرباب على كل من يحو بنود هذه التشريعات أو يغير فيها ^(٢) ويمتحن اللوفر صورة لتفاصيل نص حمورابي ^(٣).

ويضيف اللغويون أن هذه التشريعات لم تعبر عن نضج العقلية التشريعية في عصرها فحسب ، وإنما عبرت كذلك عن البلاغة والرقى في الأسلوب اللغوي البابلي الذي أصبح من بعد نموذجا كلاسيكيا للكتابات الرائية في العراق كله .

ويعد استعراض كل هذه المواد يمكننا القول بأن أغلب هذه الأحكام في هذه التشريعات كانت أحكاما رائية ومنطقية يتقبلها المنطق في كل عصر ، وأحيانا يبدو بعضها سابقة لعصرها على الرغم من ورود أحكاما أخرى يصعب علينا قبولها إلا بمنطق ظروف الحياة والمجتمع في عصرها ^(٤).

فن أحكامها التي تعتبر سابقة لعصرها :

- مكافحة الرشوة في القضاء .

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

(٣) Parrot , Assur , p. 291 fig. 363 .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٠ .

- تعاونى المدينة وحاكم الإقليم فى دفع نية إلى أهل القنيل فى حالة عدم العثور على قاتله .
- مسئولية الدولة فى دفع فدية المحارب الذى وقع فى الأمر .
- الأخذ بشهادة الشهود عند تحرير العقود ونظام التقاضى .
- أنها جعلت الوصاية للزوجة ، وللزوجة المطلقة ذات الأولاد ونصف أملاك زوجها .
- أنها جعلت للأبناء الذكور حصصا متساوية فى ميراث الأب وباتة الأم .
- سمحت التشريعات للكب بأن يعترف بأولاده من جاريته ، والسماح لهم بمشاركة الأولاد الشرعيين الميراث .
- أنها نظمت أمور التبني ومنح الولد المتبنى نصيب يساوى ثلث الابن الشرعى فى ثروة الأب فى حالة انفصاله وعودته إلى أبويه الأصليين .
- تحديد أجور المهن والحرف والمركبات منعا لوقوع خلافات وحفظ حقوق صاحب كل مهنة فى أعماله .
- مراعاة الحالة الطبقيّة والاقتصادية للمرضى عند إجراء العملية فى البدن أو فى العين بالنسبة للثرى وللشخص العادى وللعبد أى يغلّب على هذه المادة الطابع الإنسانى .
- عقوبات لمن يتجر فى المعروقات ويدعى ملكيته لأشياء مسروقة .
- عقوبة لمن يتهرب من أداء الخدمة العسكرية .
- عقوبة لمن يمتنع عن دفع الضرائب ويجوز التحفظ على أملاك المتهرب أو المتباطئ عن دفع الضرائب .
- ويقى من عصر هذا الملك رأس جراتينية يرجع أنها تمثل رأس حمورابى

نجد الفنان في تمثيل تقاطيع وملامح الوجه أفضل تمثيل (١).

تولى بعد حمورابي ابنه سمموأيلونا (١٧٤٩ - ١٧١٢ ق.م) (٢) الذي اندلعت الثورات في عهده في أكشتر في مكان وحاول الإبقاء على أجزاء إمبراطوريته . ولكن بعض الأجزاء المتاخمة لعيلام استقلت وأعلن الملك إيلوموايلو استقلاله وأصبح سيدا على البلاد الواقعة جنوب نيبور وأسس مملكة بابل الثانية أو مملكة أرض البحر (٣) ونتج عن ذلك تدمير وتخريب عدد من المدن السومرية . (٤)

تعرضت معظم دول الشرق الأدنى القديم قبيل عهد حمورابي لأخطار الجماعات الهندوآرية التي تدفقت على أطرافه من أواسط آسيا ، وأصبحت دولة بابل بتسللات العناصر الكاسية والهورية والخيتية أيضا . ولكن أقربهم خطرا عليها كانوا الكاسيين الذين لعبوا في مرتفعات العراق دور الجوتيين القدماء واستطاعت جيوش حمورابي وجيوش خلفه سمموأيلونا أن ترد خطرهم ، فأنكسرت حدتهم إلى واكتفوا بالقسائل الصلي إلى مدن العراق المتحضرة وعملوا فيها كأجراء مرتزقة . بينما ظلت قبائلهم الكثيفة الطامعة في الخيرات والسيطرة تترصد بدولة بابل الدوائر .

حاول خلفاء سمموأيلونا إعادة إخضاع البلاد التي استقلت عن بابل ولكن دون جدوى . ونجح الحيثيون في القضاء على الأسرة البابلية (٥) بعد أن حكم فيها

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦٧ ، ٥٨٤ شكل ٥١ .

(٢) ليواوبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ ؛ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٣) حكم في سلالة مملكة البحر الأولى حوالي أحد عشر ملكا أولهم إيلوموايل ، راجع : ليواوبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ .

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٣٦٨ .

(٥) عثر العلماء في مدينة بابل على وثائق ونقوش عديدة عثر عليها الآثاريون ، وخصوصا أعضاء الجمعية الشرقية الألمانية للأثر ، ومن بين الوثائق التي تشير إلى هذه المدينة نص طويل يصفها بأكلها بكل دقة ، وكذلك الخرائط الكثيرة الموجودة على ألواح طينية التي تبين أقسامها ، راجع ليواوبنهايم : المرجع السابق ، ص ٤٨٠ .

١١ ملكا لمدة تقرب من ٢٨٥ عاما ، كان آخرهم ميمسو ديتانا (١٦٢٥ - ١٥٩٥ ق.م) .^(١)

واستعادت الحضارة البابلية من مخلفات السومريين اللغوية والأدبية وسجلوا بعض القصص والأساطير السومرية الكبيرة بأسلوبهم الخاص وأضافوا إليها أحيانا . فهناك أساطير نشأة الوجود و جلجامش^(٢) وقصة الطوفان بعد أن عدلوا من أصل القصة القديمة وأضافوا إليها ، وتختلف قصة الطوفان البابلية عن القصة السومرية ، هناك أيضا أسطورة صعود إيتانا إلى عالم السماء .^(٣) ففي أسطورة جلجامش ، نقرأ أنه عندما ذهب إلى جده لوتا بنشتم ليندله على سر الخلود أخبره جده بإحداث الماضي البعيد قبل ان يلبي رجاءه ، فقص عليه قصة الطوفان القديم ، قائلا له :

" سأكشف لك يا جلجامش سرا ، وهو سر رباني ، إن مدينة شوروياك التي تعرفها تقع على ضفى الفرات ، هي مدينة عتيقة عاش الأرباب فيها ، عندما أرادت مشيئتهم أحداث الطوفان ، كان بينهم " أنو " أبوهم والشجاع " لنليل " مستشارهم ، ومساعدهم " نينورتا " ، و " انوجيه " متولى أمر قوتهم . وكان معهم كذلك رب الحكمة " ابا " الذي أحزنه الأمر ولكنه لم يشأ أن يفشى سر المعبودات جهرة ، فجعل لوتا بيشتم يرى في منامه ما يحذر من لطوفان ، وعلمه الحكيم " ابا " كيف يصنع سفينة من البوص والخشاب ولم تكن له معرفة سابقة بصناعتها وقال لوتا بيشتم " وعند الفجر تجمع الناس حولى ، وحمل للصغار القار ، وحمل الكبار كل الضروريات ، وفي اليوم الخامس أتمت إطار السفينة ، وكانت سعة أرضها فدائسا كاملا ، وارتفاع جدرانها ١٢٠ ذراعا ، وجعلت لها سبعة مسطحات أى قسمتها ستى أقسام وقسمت أرضيتها تسعة أجزاء . وأكرمت من عملوا معي واكتملت السفينة لى اليوم السابع أنزلوها الماء وحملتها بكل ما عندي ، وما أملك من ذهب وفضة ،

(١) ليواوينهايم : المرجع السابق ص ٤٤٦ .

(٢) د. عبد العزيز صالحي : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٧٣ - ٤٨٤ .

(٣) عن الأسطورة وأصولها السومرية ولنتشارها في المصادر البابلية والآشورية ،

راجع : د. فاضل عبد الواحد : سومر : أسطورة وملحة ، ص ١٦٠ - ١٨٠ ،

٢٦٧ - ٢٦٩ .

وحملتها بصنوف الأحياء كلهم ، وأخذت معى كل عائلتى وأقربائى ، وحيوانات
البرارى ، وكل الصناع * .

أرحل بسفينتك وأغلق مدخلها ، وحان الوقت وتطلعت إلى الجو ، فوجدته
معتماً ، فغلقت السفينة ، وعهدت بها إلى النوتى * بوزور امورى * . وظهرت غمامة
سوداء فى الفجر ، رعد فيها اداد ، وخرج نينورتا ، فجعل القرع تفيض ، وبلغ اداد
السموات وأحال النور إلى ظلمة وهبت عاصفة الجنوب يوماً كاملاً بسرعة شديدة
لنفس الجبال ، وقتلت الناس ، واستمرت أعاصير الطوفان ستة أيام (وست) ليالى
واكتسحت الأرض كما تكتسحها عاصفة الجنوب . وفى اليوم السابع هبطت العاصفة
وهذا البحر وتوقف الطوفان ونجى لوتنا بيشتيم من الغرق هو وزوجته ومن معه ،
ورفع هو وزوجته إلى مصاف الأرباب .^(١)

أما عن المظاهر الحضارية الأخرى عن البابليين ^(٢) فيمكن القول أنهم
تركوا ما يدل على تمكثهم فى علم الجغرافية . فقد تركوا لنا خرائط مختلفة للبلدان
والأكطار المحيطة بهم ، وأقدم هذه الرسوم هى خريطة لمدينة " نمر " يرجع تاريخها
إلى الألف الثانية ق. م . كما رسموا أيضاً خرائط للأقاليم وخريطة للعالم القديم
المعروف حين ذاك . فقد صور البابليون الأرض على هيئة دائرة ، ويجرى فى
وسطها نهر الفرات وفى مركز الدائرة تقع بابل ، وفى جانب من هذه الدائرة تقع بلاد
آشور وكانوا يضعون دوائر كناية عن المدن ويجوارها اسم كل مدينة كما نفعل فى
الخرائط الحديثة حالياً . أما المثلثات التى رسمت خارج الدائرة فكانت تعبر عن البلاد
الأجنبية .^(٣)

كما نبغ البابليون القدماء فى العلوم الطبيعية فتركوا لنا جداول أو قوائم
بأسماء الحيوانات والنباتات والأحجار وتصنيفها . كما تقدموا فى معرفة خواص

(١) د. عبد العزيز صليح : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٢) سوف نتحدث عن هذه المظاهر الحضارية فيما بعد ، ص ٢٩٧ - ٣٤٠ .

(٣) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

المعادن وصنع الأصباغ والعقاقير والأدوية والصابون والعطور والماء الملكي الذى يستخدم فى إذابة الذهب وهو ذلك الحامض الذى استخرجه الكيمائى العربى جابر بن حيان فى القرن الثلثى الهجرى (١).

كما تطوروا بمعارفهم فى الطب الذى غاطله السحر أحيانا . ولكن وجد عندهم أطباء كانوا يعالجون مرضاهم بالعقاقير . وكان بينهم الجراحون والبياطرة . وقد حدد قائلون حمورابى الأجور الخاصة بالأطباء والجراحين وكذلك البياطرة . كما حدد القانون العقوبات التى تفرض على الأطباء إذا ما أهملوا فى وظائفهم . ونجح الأطباء للبابليين فى علاج الكثير من الأمراض والأوبئة وذكروا بعض الأمراض المستعصية مثل السرطان والدرن والجذام . وكانت أدويتهم تتركب من مستخرجات من مواد نباتية أو من أصول حيوانية أو معدنية . وكانوا يأخذون بعض ما يستخرج من الحيوانات أو أجزاء خاصة منها كالعظام والشحم أو الحليب أو الشعر أو الجمجمة ويدخلونها فى تركيبات بعض العقاقير لمعالجة بعض الأمراض كما استحضروا بعض الأدوية من بعض المعادن بسحقها أو بخلطها وتسخينها .

أما فى مجال الفلك فقد ظهر فى أوائل القرن الخامس ق. م . أول فلكى بابلى جاء ذكره عند الكتاب اليونانيين نابوريمانى بن بالاقوسليل أحد كهنة معبود القمر ، والذى سجل وثائق هامة فى بابل فى عام ٤٩١ وعام ٤٩٠ ق. م . وقد سماه سترابون بالرياضى ، فقد استطاع أن يضع جداول التحركات للشمس والقمر . وهى أقدم تسجيلات لحساب ما تستغرقه كل من الشمس والقمر فى دورتيهما اليومية والشهرية والسنوية . واستطاع أن يورخ وقت كسوف الشمس وخسوف القمر . وحسب طول السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وست ساعات وخمسين دقيقة وواحد وأربعين ثانية (مما يدل على مدى الدقة البالغة) (٢).

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

وتعد حسابات نابوريمائى أقدم بحث علمى فى هذا الميدان وكان قريبا من الصواب . وأن الأرقام التى جاء ذكرها فى الجداول لا يوجد بينها وبين أرقامنا الحالية إلا فارق بسيط أقل من عشر ثوان خلال السنة كلها .^(١)

كما وضع الكلداني كينيو فى عام ٢٧٩ أو ٣٧٣ ق. م . حسابا أدق من الأول . واستخدموا آلات رصد الأجرام . فقد استخدم الملك الآشورى توكلتى نينورتا الأول (١٢٤٣ - ١٢١٠ ق. م) أدوات حسابية عندما قام ببناء القصر الملكى .

كما عرف البابليون البروج الاثني عشر (زودياك) ومثلوا كل كوكب خاص به بروج من الأبراج برمز .

وقسم البابليون اليوم إلى ١٢ جزءا ، وقسموا الساعة إلى ٣٠ جزءا ، وقسموا السنة إلى ٣٦٠ يوما وعلى ذلك فقد كانت الدقيقة البابلية تساوى أربع دقائق من الدقائق الحالية . واستطاعوا أن يميزوا بين الشهور التى تتكون من ٢٩ يوما ومن ٣٠ يوما وعرفوا السنة القمرية التى كانت تبلغ ٣٥٤ يوما أى أنها نقل عن السنة الشمسية بحوالى ١١ يوما . كما قسموا الشهر إلى أربعة أسابيع . وتعرف أهل العراق القدماء إلى كل هذه التقسيمات منذ أيام الأميرة الأكديّة .^(٢)

وفى الواقع أن ما توصل إليه الفلكيان نابوريمائى وكينيو من معارف قد مهد الطريق للعالم لمعرفة حساب المنين والأيام بدقة ، وأطلعا البشرية لأول مرة على التاريخ على نظام ثابت للأجرام السماوية . وقد سجلا لأنفسهما وللعراق القديم وللشرق الأدنى كله صفحات من المجد حينما كان العالم القديم يتيه فى ظلمات من الجهل والضلال كان نور المعرفة يشع فى ومن الشرق . وقد نقل اليونانيون آراء الكلدانيين فى علم الفلك .^(٣)

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

تحدث د. صالح عن الفن في عهد حمورابي وخاصة فن النحت مثل السراش الجرانيتية لعمورابي وتمثال برونزي صغير لشيخ قصير يركع على ركبته اليمنى ويقيم اليسرى . كما تحدث عما كشفت عنه أطلال بابل من أحياء في عهد حمورابي وبعض أحياء مدينة أكد من العهد نفسه ، يفهم منها أنها خضعت لتخطيط منظم واجتاز فيها طريق يؤدي إلى معبد عشتار .^(١)

أما بالنسبة للفن فقد عرف العصر البابلي القديم فن التصوير الجداري وفن النقش المتمثل في لوحة حمورابي . كما عرفوا فن النقش على الأختام وفن النحت وخاصة في مجال التماثيل الحجرية والتماثيل البرونزية .^(٢)

سابعاً : العصر الكاسي : (١٥٨٠ - إلى أواخر القرن الثاني عشر ق.م) : ^(٣)

أحاطت الدوائر بدولة بابل بسبب عاملين : عامل داخلي وآخر خارجي . فقد انشق على الدولة في الداخل أهل مناطقها الجنوبية . وكانوا فيما يبدو خليطاً من أصول سومرية وأمورية مهاجرة ، عملوا على استصلاح أراضي المنافع القريبة من

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٦٧ .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ - ٣٥٧ ، الذي تحدث عن الفن في

العصر البابلي القديم من عام ٢٠٠٠ إلى ١٦٠٠ ق.م .

(٣) تحدث د. صالح عن العصر الكاسي وبدأ الحديث عن هذا العصر بتسديد

وتحدث عن السياسة التي اتبعتها الكاسيون بالنسبة لرعاياهم . وما أضافوه في

مجال العمارة وعلاقتهم الخارجية السلمية ثم علاقتهم مع آشور ومع الحوريين

ومع الميتانيين . ثم الأقول حتى نهاية الأسرة البابلية السابعة . كما تحدث عن

جوانب الحياة الفكرية في العهد الكاسي وخاصة في مجال الأدب مثل قصيدة

العدل الإلهي ، لأمتن رب الحكمة ، حوار بين عبد وسيد . (راجع :

المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٧٩ - ٤٩٣) .

مصابب النهرين ليكونوا لهم منها موطن جديد . وكونوا لأنفسهم دولة ناشئة عرفها التاريخ باسم " دولة البحر " نظرا لقربها من سواحل الخليج العربي .^(١)

وبدأ الخطر الخارجى على دولة بابل من قبل الخاتيين (الحثيين) الذين تكررت اعتداءاتهم على حدودها القريبة منهم فى الشمال . وحاول الخاتيون أن يمتدوا فى جنوب بلاد النهرين . ولكن وقفت فى سبيلهم دولة البحر الناشئة وكسرت شوكتهم ولاسيما بعد أن بعدت المسافة بينهم وبين أرضهم فى آسيا الصغرى . ولم تطل إقامة الخاتيين فى بابل . ونزحوا عنها بعد أن أخضعوا شأنها فى عالم الحرب والسياسة . فغلا الجو للخصمين الآخرين دولة البحر الناشئة والكاسيين ولما كان لدولة البحر الناشئة الفضل فى تخفيف قبضة الحثيين على بابل لذا أطلق عليها البعض اسم " أمرة بابل الثانية " . واستمرت دولة البحر قائمة لبعض الوقت فى عصر الكاسيين حتى هاجمها الكاسيون وقضوا على استقلالها فى جنوب العراق .^(٢)

(١) المقصود بها منطقة الأمواز الواقعة عند بداية الخليج العربى والأنهار التى تصب فيه . وتذكر قوائم الملوك أسماء عشرة ملوك يعودون إلى سلالة أور أو ممن كانت لهم أسماء أكديّة أو سومرية مختلفة ، وقد أطلقوا على أنفسهم لقب " ملك بلاد البحر " كما جاء فى نصوصهم القليلة جدا ، ويبدو أنهم عاصروا الحكام الكاسيين الأوائل فى الشمال . ولا يعرف أى شئ آخر يدل على بقاء هذا الكيان السياسى فترة طويلة ، لكن توجد معلومات عن المصادر البابلية منذ الألف الثانية والنصف الأول من الألف الأولى حيث تذكر قوائم الملوك هذه التسمية " السلالة الثانية لبلاد البحر " فى القرن الحادى عشر ، وشاركت فى القتال ضد سيادة آشور ، راجع : ليواوينهايم : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ ، ٥٠٥ .

(٢) راجع د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٨٠ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٥٢ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ د. نبيله عبد الطيم : المرجع السابق ، ص ١٨٢ - ٢٨٧ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ - ٢٦٦ ؛ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

اختلف المؤرخون في اصل الكاسيين ولكنهم لم يصلوا إلى رأى معين فى تحديد أصلهم . وكما ما نعرفه أنهم جاؤا من منطقة فى وسط جبال زاغروس . وسادوا جزءا كبيرا من العراق . ولكن أعدادهم كانت قليلة . وحضارتهم القومية كانت خشنة ضئيلة . وما إن احتلوا بابل حتى تكثروا بحضارتها وحاولت هذه الأسرة الكاسية اعتناق بعض مظاهر الحضارة البابلية .

وتوالى على عرض بابل ٣٦ ملكا من الأسرة الكاسية ، التى اتخذت عاصمتها فى دور كور يجالزو (عقر قوف بجوار بغداد) ، وكان أولهم جنشاش .

فى مجال السياسة الداخلية جرى ملوك الأسرة الكاسية على المياسة القديمة فى منح الإقطاعات المقارية للمقربين إليهم من العسكريين والمدنيين . ومن الوثائق الطريفة التى احتفظت بأسلوب منح الإقطاعات والإعفاءات فى عصرهم هبة سجلها ملك كاسى يدعى " مليشنيك " باسم ابنته وابنه ، ومنح كلا منهما بمقتضاها إقطاعا واسعة فى أرض البحر بعد أن استصلحها أعوانه وأعدوها للزراعة وأنشأوا فيها قرى جديدة . وزود الملك تفاصيل هذه الهبة بإحفاثها من التكاليف التى تفرضها دولته على مناطقها الزراعية .

وفى الحياة الدينية عبد الكاسيون أرباب بلاد النهرين إلى جانب أربابهم القوميين ، بأسماهم القديمة أحيانا وبمسميات آرية أحيانا أخرى . واتبع الملوك الكاسيون سياسة ملوك بابل فى اكتسب ود الكهنة والتقرب إلى الأرباب عن طريق منح الهبات والإقطاعات للمعابد وإعفاؤها من الضرائب . وكانوا يمنحون بعض هذه الهبات من خزائنتهم الخاصة . كما أصلح الكاسيون الكثير من المعابد البابلية وأعادوا بناءها .

أما بالنسبة للحياة الفكرية فيلاحظ انتشار الخط المسمارى والأساليب السلمية وطريقة الكتابة على ألواح الطين ، انتشارا واسعا بفضل البابليين أولا ثم الحوريين والميتانيين والكاسيين ثانيا . ويقال إن اسم " العراق " ظهر فى أواخر العصر الكاسى ، عن طريق تقريبه من كلمة " اريكا " التى ظهرت فى نصوصهم خلال القرن الثانى عشر ق. م . وتميل بعض الآراء إلى اعتباره اسما مسومريا دلرجا معنى "

المواطن * . بينما تميل آراء أخرى إلى اعتباره اسماً إيراني الأصل قريب الصلة بكلمة * إيراك * والتي تعنى * السهل أو البلاد السفلى * . وكما انتشرت في عصر الكاسيين لوحات تعبر عن صيغ التعامل . كما أخرج كتبة العصر الكاسي قوائم بكلمات كاسية وما يقابلها من المفردات البابلية ، أى بما يقوم مقام القواميس المقارنة .

أما من حيث إنتاجهم الأدبي ، فقد ظل مقلداً واستعاره الأدباء من لغة العصر البابلي الأول ، وضمنوه كلمات سامية ظهرت قبله أيضاً . ومن إنتاجهم ثلاثة أعمال فى مجال أدب الحكمة :

أولها تسمى قصيدة العدل الإلهي التي نظمت على شكل حوار بين رجل معذب وصديقه الحكيم . وتتألف من سبعة وعشرين دوراً يحتوى كل دور منها على أحد عشر بيتاً شعرياً . ويعتقد أن زمن تأليفها يعود إلى نهاية العصر الكاسي ، ومؤلفها هو الكاهن * ساكيل - كينم - اوبيب * وتتخذ القصيدة شكل حوار مطول بين رجل معذب أو مكتئب وصديق له حكيم يحاول أن يواسيه ويخفف عنه آلامه وأن يخلصه من حالة اليأس والتقنوط التي يعيشها إلى الإيمان برحمة الآلهة وقدرتها على إنقاذه من عالم الشك والظلمة إلى عالم اليقين والنور .

ويبدأ الرجل المعذب حواراً مع صديقه الحكيم عن همومه وعن ما أصاب جسمه من ضعف وهزال وكيف أن الدنيا أسودت في عينيه وأنه صار لا يرى أملاً في الخلاص من الشقاء والمعذاب . ورغم ذلك فإنه منذ صباه كان يتعبد إلى الآلهة ويقدم لها القرابين لكنها أعرضت عنه وجعلت أحرز أصدقائه يتكرر له وسلطات عليه أسافل الناس وارذلهم هنا يتساءل المعذب فيقول : " لماذا أن الآلهة لا تحمى أولئك الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم ؟

وهكذا يستمر الحوار سجلاً بين المعذب وصديقه الحكيم . فالأول يطرح فى كل مرة جانباً من المعاناة التي كان يعيشها على شكل صور ومشاهد ينتزعها مرة عن المجتمع حيث الظلم والنفاق ومرة من عالم الحيوان حيث تصود شريعة الغاب . فيقول فى البداية :

المعذب : أين الرجل الحكيم الذى له سعة عقلك ؟ أين العالم الذى يستطيع أن يناقشك ؟ أين الناصح الذى أقصى عليه عذابي ؟ ارايت قد انتهت أمري وتسلط على الشقاء . فعندما كنت صغيرا اختطف للقدر أبى وذهبت أمى التى ولدتنى إلى أرض اللارجة لقد تركتلى أمى وأبى دون من يتكفل برعايتى .

الصديق الحكيم : يا صديقى للمعذب ، ان ما تقوله يبعث على الحزن والكآبة أراك وجهت فكرك إلى الشر يا صديقى العزيز حتى انقلب فهمك الدقيق للأمور كنهم رجل معتوه وجعلت من بشاعة وجهك عبوساً^(١)

ثانيهما قصيدة لامتمدن رب الحكمة :

دونت فى الأصل على أربعة ألواح وتضم ما يقرب من ٤٥٠ بيتاً ودونت مثل سابقتها فى العصر الكاسى . وتدور القصيدة حول رجل بلبلى اسمه شيشى - مشرى - شكان كان تقياً يخشى الآلهة ويؤدى الطقوس ويحسن إلى الناس وقد احتل مناصب عالية فى الدولة وكانت له ثروة طائلة . ولكن فجأة ساءت أحواله وتكرر له أصحابه وأحاط به الأشرار من كل مكان . لقد تركته الآلهة وحيداً لا معين له واثقت عليه غضب سيده الملك وراح الطامعون من رجال الحاشية يحكيون ضده شتى أنواع المؤامرات للإطاحة به وأخذ مكانه وبعده يقصى من كل المناصب وصار أهله وأصحابه يعاملونه وكأنه غريب بينهم ، ويقول فى البداية :

“ لقد تغلى على إلهى واختفى . وخذلتنى الهى وابتعدت عني - وفارقتنى الملاك الصالح الذى كان يلازمى . والروح حارستى لأنت بالقرار قاصدة غيري . ذهبت قوتى ووهنت رجولتى وراحت هيئتي .. والملاك احتاط قلبه منى ولم يهدأ . ورجال الحاشية يتآمرون على . لقد اجتمعوا فيما بينهم وقالوا بهتانا. أنا الذى كنت أمشى مشية النبلاء ، تعلمت كيف انسل خفية ، أنا صاحب المقام الرفيع صرت مثل

(١) هذا جزء بسيط مما ورد عند د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص

٢٤٧ - ٢٥٣ ؛ راجع أيضاً د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٩٢

ولوحة هذا النص موجودة بمتحف اللوفر ، راجع : Parrot, Assur, p. 290 fig. 362 .

العبد . فلا أحد من الناس يستمع إلى في الطريق ولا عين تتنظر إلى إذا ما دخلت القصر . مدينتي تعيس في وجهي كما لو كنت عدوا ..

هذه بعض مقاطع من قصيدة لامتدحن رب الحكمة ، جسد فيها الرجل صورة لعذابه النفسي والجسدي ولكن على الرغم من تلك المعاناة فإنه بقى مؤمنا بعدالة القدر وبأن اليوم المنشود سيأتي ومعه رحمة الاله شمش على حد قوله . وقد تمثل ذلك في سلسلة من الأحلام رآها الرجل المعذب في منامه ، كان آخرها أنه رأى رجلا قال له أنه رسول من الاله ماردوك يحمل له البشرى بالخلاص . ويقص عنيسا قصة شفائه واستعادة أعضائه الحياة مجددا . وتنتهي القصيدة بذكر ذهابه إلى بابل قاصدا معبدا الاله ماردوك حيث أقام الطقوس لاله كما قدم له الذبائح والهدايا والنذور .^(١)

هذا يذكرنا بجوار سجله كاتب مصري على بردية بين رجل ينس من الحيلة وعيوب الدنيا في عصره وجعل روحه تتحدث إليه كأنها شخص آخر وظل كل منهما يحاور الآخر ، وشكا لها سبب ضيقه من الحياة ، وأنه تكفل بالدعوة بين الناس ولكنه لم يجد من بينهم مجيبا .^(٢)

ثالثهما حوار بين عبد وسيده :

وفي هذا الحوار يطرح السيد على عبده مسألة معينة في كل مرة فيوافقها العبد على الفور ويأتيه بالدليل المنطقي الذي يدعها . ولكن ما هي إلا لحظات حتى يرجع السيد في قراره فيؤيده للعبد ويتيه بالبرهان على عدم جدوى الفكرة أصلا . فيقول في البداية :

السيد : اسمعني أيها العبد

العبد : أجل يا سيدي ، إني مصغ اليك .

(١) هذا جزء مما ورد عند د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ -

٢٥٦ راجع أيضا : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٩١ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة

٢٠٠١ ، ص ٥٩٤ .

السيد : هبى عربتى وأحضرها من أجل أن أذهب إلى القصر .
العبد : افعل يا سيدى ، أفعل ، أنه سوف ... من أجلك ويعفو عنك .
السيد : لا أبها العبد ، أننى لن أذهب إلى القصر .
العبد : لا تفعل يا سيدى ، لا تفعل ، لأنك إذا ذهبت إلى القصر فإنه سوف سيرسلوك
إلى .. ويبيعك فى طريق لا تعرفه ، أنه سيسبب لك الشقاء والأحزان .
وفى حوار آخر :
السيد : أسمعنى أيها العبد .
العبد : أجل يا سيدى ، أنى مصفى اليك .
السيد : أحضر لى فى الحال ماء لأغسل يدى لأنى أريد أن أكل .
العبد : كل يا سيدى ، كل ، فالأكل بانتظام يشرح القلب .. أن الإله شمس يحضر
مأدبة كل من ياكل بيدين نظيفتين .
السيد : لا أبها العبد ، لن أكل .
العبد : لا تأكل يا سيدى ، لا تأكل طالما أن الجوع من بعد الشبع والعطش من بعد
الشرب يأتى لكل إنسان ^(١).
وفى حوار ثالث يقول :
السيد : أريد أن أحب امرأة .
العبد : أحب يا سيدى ، أحب ، إن من أحب امرأة نسي الألم والتعب .
السيد : لا يا عبد ، لن أحب .
العبد : لا تحب يا سيدى ، لا تحب ، فالمرأة خنجر من حديد مسنون يقطع الشاب به
عنقه ^(٢).
وفى النهاية يقول :

- (١) هذا جزء مما وورد عند د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ -
٢٥٩ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .
(٢) د. أحمد سليم : الأسرة فى العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم
والنصائح " ، درا النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٣٦ - ٣٧ .

السيد : اسمعنى أيها العبد .

العبد : أجل يا سيدي ، أنى مصغى إليك .

السيد : أذن ما هو الخير فى هذه الدنيا ؟

العبد : أن يدق عنقى وعنقك ونرمى (بهما) فى النهر ، وذلك هو الخير فى الدنيا ، ترى من من يستطيع أن يطاول السماء ، ومن يستطيع أن يحتوى العالم السفلى .

السيد : أيها العبد ، أنى سأقتلك وأتركك تموت أولاً .

العبد : أن سيدي لن يستطيع العيش من بعدى حتى لثلاثة أيام

أما بالنسبة للعمارة والفنون ، فقد أضاف الكاسيون إلى عمارة المعابد فى عصرهم تطورات وإضافات تناولت محاور المقاصير الرئيسية وتشكيل الواجهات الخارجية وأضافت العناصر المدنية الكاسية تجديداً آخر تمثل فى بنساء صفات ذات أصدمة حول أفنيتهما الكبيرة .^(١)

وفى مجال العلاقات الخارجية ، فنجد أن هذه العلاقات اتخذت أكثر من مظهر ، فنجد أن البيت الحاكم فى آشور قد تصاهر مع البيت الحاكم فى بابل ، فتزوج الملك البابلى (كارونداش) من ابنة الملك الآشورى (آشور أو بالليط) وجعل ولدها ولى عهده ، فعز على الأمراء للكاسيين أن يعمرى الدم الآشورى فى عروق صاحب عرشهم ويصبح ذلك سبباً لتكفل الآشوريين فى شئون دولتهم ،

(١) تحدث د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ عن تاريخ الفن فى بابل خلال عصر الكاسيين من عام ١٦٠٠ إلى ١١٥٧ ق.م . فتحدث عن التصوير الجدارى والنقش بوجه عام والنقش على الأختام الأسطوانية والنحت والتماثيل الحجرية . كما تحدث عن جزء من واجهة معبد كامسى من الأجر المزخرف بأشكال إنسانية وهو محفوظ بمتحف برلين (المرجع السابق ، ص ٣٥٨ صورة ٢١٧) كما تحدث عن ظهور لوحات عرفت باسم " كنورو " بمعنى لوحات الحدود . وهى بمثابة وثيقة لتحديد ملكية عقار مبين فيها حدود واسم مالكه وأسماء الآلهة التى تشهد على ذلك (المرجع السابق ، ص ٢٦١ صورة ٢١٨) منها لوحة ماردوك زاكير شوى بمتحف اللوفر ، (راجع : Parrot, Assur, p. 170 Fig. 217. ، ولوحة ماردوك ابال أدن بمتحف برلين (راجع : Id., op. cit., p. 169 Fig. 216.

فاغتالوا ولي العهد وولوا غيره مكانه .

وبالنسبة للعلاقة مع مصر اتسمت العلاقات المصرية البابلية بطابع الصداقة الشخصية خلال القرن الرابع عشر ق. م . وتمخضت هذه الصداقة عن مصاهرة البيتين الحاكمين أكثر من مرة ، فتزوج امنحيب الثالث من ابنة الملك البابلي كاردونياش وطعمه فيما بعد في الزواج من بنت أخيه كادشمان خاربى (أو كاداشمان انليل) . وتأثرت التجارة البابلية بفوضى الطريق في أرض كنعان ، فلم يجد الملك الكاسى البابلى غير الملك المصرى يستند به لتأمين تجارته .

لم تستفد دولة بابل الكاسية كثيراً بزوال الضغط الميتانى على حدودها ، بل على العكس من ذلك وجدت نفسها وجها لوجه أمام قوتين طموحتين ، وهما دولة الحيثيين ، ودولة آشور ، فضلا عن دولة عيلام منافستها العتيقة ، ووقع الصراع بين بابل وعيلام فحالف الحظ الجيش البابلى وتقدم حتى العاصمة سوس . وحاولت بابل أن تجرب حظها مع آشور ولكنها فشلت وظلت كفة النصر متراجحة بين بابل وبين جارتها عيلام وآشور ، فأحيانا يسود الهدوء ، وأحيانا ينتصر البابليون وأحيانا يغلبون . وكان احتدام التنافس بين بابل وبين آشور فرصة للعيلاميين للهجوم على بابل نفسها ، وطلبت اشتباكاتهم معها حتى دمروها أكثر من تدمير الآشوريين لها ، وقضوا على الحكم الكاسى فيها فى أواخر القرن الثانى عشر ق. م . ونقلوا أغلب آثارها الفنية إلى عاصمتهم سوس ، سواء حبا فى النهب والتخريب ، أو لهرمانها من كل ما يذكرها بأيام مجدها . وكان من هذه الآثار ما يخص ملوك قدماء أحرزوا النصر عليها ، مثل نصب سرجون الأول ، ونصب نرام - سين ونصب حمورابى .

ثامنا : الآشوريون :

كانوا من أصل سامى هاجروا من الجزيرة العربية وسكنوا شمال العراق منذ بداية الألف الثالثة ق. م . وأطلق على هذه القبائل اسم الآشوريين نسبة إلى معبودهم آشور .^(١) ولامتدت منطقة آشور فى عصورها الأولى فيما بين نهري الزاب

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٨٠ - ١٠٢ : --

الأكبر والزلاب الأصغر ، وأطلت على نهر دجلة بضفتيه ، وتكونت في مجملها من تلال وهضاب جيرية . ووردت تسمية آشور في بعض النصوص الآرامية بلفظ آشور ، وذكرتها النصوص المصرية باسم " اسر " و " أسور " .

وكانت مدينة آشور تقع في طريق يتحكم في سومر وأكد من ناحية وكردستان وأرض الجزيرة الشمالية من ناحية أخرى . وقامت فوق ربوة صخرية تحف بها مياه دجلة وتقوم على أنقاضها قلعة الشرفاء الحالية .
ويقسم المؤرخون تاريخ الآشوريين إلى ثلاث فترات :

- ١- العصر الآشوري القديم : ويبدأ من فجر التاريخ الآشوري إلى نهاية حكم أسرة بابل الأولى (١).
- ٢- العصر الآشوري الوسيط : ويبدأ من نهاية مملكة بابل الأولى وينتهي في

== أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ - ٣٨٣ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ - ٢٣١ د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ١٦١ - ١٦٧ ، ٣١٨ - ٢٣٢ د. أحمد سليم : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ - ٢٨٤ .

(١) قام العالم الفرنسي باروه بوضع مؤلف هام تحت عنوان " آشور ASSUR " وقسمه إلى جزئين: ففي الجزء الأول: للمقسم إلى خمسة فصول نجاه يتحدث عن الآتى :
ففي الفصل الأول : تحدث عن تاريخ الآشوريين وعصر الحديد (ابتداء من عام ١٢٤٥ حتى عام ٦٠٦ ق. م) .

والمفصل الثاني : جاء بعنوان من خابور إلى دجلة .

وفي الفصل الثالث : تحدث عن نهاية الآشوريين .

وفي الفصل الرابع : تحدث عن البابليين والبابليين الجدد والعودة إلى المصادر (من عام ٩٩٠ حتى عام ٥٣٩ ق. م) .

وفي الفصل الخامس : تحدث عن الأخمينيين حتى وفاة الإسكندر الأكبر (من عام ٥٥٨ حتى عام ٣٢٣ ق. م) .

بداية القرن التاسع ق. م . (من ١٢٨٠ - ٩١٢ ق. م) وينقسم هذا العصر إلى مرحلتين .

٣- العصر الآشوري الحديث أو عصر الإمبراطورية الآشورية : ويمكن تقسيمه إلى عصر الإمبراطورية الآشورية الأولى من ٩١٢ إلى ٧٤٠ ق. م. تقريبا وعصر الإمبراطورية الآشورية الثانية من ٧٤٥ إلى ٦١٢ ق. م . تقريبا .^(١)

(١) العصر الآشوري القديم :^(٢)

بدأ الآشوريون وجها آخر من تاريخهم بعد أن احتكوا بالهجرات الحورية في أواخر القرن التاسع عشر ق. م . وأوائل القرن الثاني عشر ق. م .

-- وفي الجزء الثاني : تحدث بوجه عام عن ثلاثة مظاهر حضارية : الصناعات الخاصة بأهل بلاد النهرين ، أدب بلاد النهرين ، وموسيقى بلاد النهرين ، راجع : Parrot, Assur, Gallimard (Paris), 1961, p. 1-297

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .
 (٢) قام أستاذنا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٩٤ بالحديث عن " آشور " في ص ٤٩٤ إلى ٥٤١ وتحدث في هذه الصفحات عن : المراحل الأولى : عن العصر العتيق وعن العصر الآشوري القديم والعصر الآشوري الوسيط والمرحلة الأولى فيه وتحدث في هذه المرحلة عن الفن الآشوري في مجال النقش ومهارتهم في صناعة الخزف وزخارفه كما تحدث عن العمارة : عمارة المعابد والمقابر . وفي المرحلة الثانية منه تحدث عن مرحلة التوسع الآشوري الثانية كما تحدث عن مجالات العمارة والفن والتشريع والإدارة في هذه المرحلة . وتحدث بالتفصيل عن التشريعات الآشورية كما تحدث عن العصر الآشوري الحديث وتحدث فيه عن أعمال ملوك هذه الفترة في السياسة الداخلية والخارجية وتحدث عن نهاية هذه المرحلة ومرحلة الأمجاد الأخيرة من هذا العصر الحديث وتفاصيل العلاقات الآشورية البابلية . --

وبعد أن كانوا خاضعين لحكم ملوك أور الثالثة ، نجد أنه بعد سقوط الإمبراطورية السومرية أصبحت آشور مستقلة ، وبدأت بينهم أمرة حكم جديدة يسمى عصرها اصطلاحاً باسم " العصر الآشوري القديم " وهي أسرة غلبت الصبغة السامية أو الأكديّة على بعض أسماء ملوكها .

كان أولهم بوزور - آشور الأول الذي حكم حوالي ٢٠٠٠ ق. م . وحاول الآشوريون أن يكون لهم شأن في أحداث عصرهم فاشتكت جيوش ملكهم أيلوشوما مع جيوش مؤسس الأسرة البابلية (سوم أبوم) ولكن بغير نتيجة حاسمة . ثم مضت كل من الدولتين في طريقها . وجاء بعد ذلك الملك إيروشوم الأول الذي ترك نصاً يدل على بناءه لمعابد لمعبود ومعبودة آشور : أداد وعشتار . وبعد ذلك تولى الملك الآشوري شمش أداد (١٧٢٦ - ١٦٩٤ ق. م) الذي حاول أن يحقق لدولته كياناً ينافس به دولة البابليين فاتخذ نينوى عاصمة لأول مرة ، واتسع غرباً ناحية دويلة مارى واستولى عليها ودخل شمش أداد في صراع مع أخيه ، ونجح فى استرداد العرش بعد أن استولى عليه فترة من الزمن ، وبعد ذلك أخذ شمش أداد فى التوسع غرباً حتى وصل إلى ساحل البحر المتوسط وعين أحد أبنائه بشمع أداد حاكماً على مارى وعين الابن الآخر : أشسي داجان حاكماً فى إكالاتم فى وسط حوض دجلة . وهكذا خضع جزء كبير من حوض دجلة والفرات للآشوريين .

(٢) العصر الآشوري الوسيط :

ظل الآشوريون على مهادنتهم للبابليين والكاسيين والميتانيين على التتابع ، حتى تعرضت دولة ميتانى لهجمات عنيفة من جيرانها الكلتيين (الحيثيين) خلال القرن الرابع عشر ق. م . ثم سقطت بابل على يد ملك الميلاميين " شسوتروك - ناخونتا " ونجح فى القضاء على الأسرة الكاسية .

== كما تحدث عن علاقات آشور بعيلام وبمصر وبلاد الشام . كما تحدث عن بداية النهاية والتناقص على السلطة . كما تحدث عن العمران والفن وخاصة فى مجال النقش والنحت والرسم الملون والفنون الصغرى والزخارف . كما تحدث عن الأدب وما حققه فى هذا المجال الثقافى .

وهنا ظهر حكام آشور في آشور كان عليهم أن يواجهوا الأراميين في الغرب والحيثيين في وسط العراق والحيثيين في الفرات الأعلى والخابور والكاسيين في الجنوب . وشهدت تحت زعامتهم مرحلتين للتوسع :

(أ) المرحلة الأولى : واستمرت خلال القرن الثالث عشر ق. م . وفقدت آشور فيها بأس جيرانها الخاتيين الأتدياء ونفوذهم في أعالي الشام ، فاكثفت بالتوسع في منطقة الجزيرة وتدعيم حدودها القريبة . وكان آشور أو بسالليط الأول (١٣٦٣ - ١٣٢٨ ق. م) هو أول ملوك الأسرة الآشورية في هذه المرحلة ، وتلاه ثلاثة ملوك قاموا بجهود كبيرة لتأمين حدود بلادهم على أن أعظم ملوك هذه الفترة كان دون شك شالمانصر الأول رابع ملوك الأسرة (١٢٦٦ - ١٢٤٣ ق. م) وولده توكلتي نينورتا الأول (١٢٤٣ - ١٢١٠ ق. م) .

استولى شالمانصر الأول على منطقة أرمينيا الجبلية (أورارتو) وبلاد الجوتيين . واستولى ابنه توكلتي نينورتا الأول^(١) على بابل بعد أن هزم ملكها الكاسي

(١) أدت الاكتشافات الأثرية إلى العثور على قصر الملك توكلتي نينورتا الأول في المدينة التي أقامها على الضفة اليسرى من نهر دجلة . وكشفت الحفائر عن بقايا صور جدارية نفذت على الجص . وقد أحيطت هذه الصور الجدارية بشرائط زخرفية منها النباتية ومنها الهندسية ، راجع د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ صورة ٢٢٢ أ - ب .

كما يلاحظ أن مجموعة الألوان التي استخدمت هنا هي الأبيض والأسود والأحمر والأزرق وهي نفسها التي سوف تستخدم في قصر نيل بلرمسيب من عصر تيجلات بلاصر الثالث (المرجع السابق ، ص ٣٦٨) ، وعثر في مدينة آشور في معبد المعبودة عشتار على مذبح للملك توكلتي نينورتا الأول وهو من الحجر ارتفاعه ٥٧,٥ سم وعرضه ٥٧ سم- وصور على واجهة المذبح الملوك بصورة مزدوجة فتراه مرة راکعاً أمام رمز المعبود نسكو معبود النور ومرة أخرى واقفاً ويمسك بيده اليسرى الصولجان ويرفع اليمنى تحية لرمز المعبود (راجع : د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧١ صورة ٢٢٨ ، Parrot)

Assur, p. 5 Fig. 5.

ولكن وقعت فتنة فى آشور قتل على أثرها الملك وسادت بعد فترة الاضطرابات وتعرضت آشور لسلعة من الأزمات بسبب التنازع على العرش وضياع بعض الممتلكات الشرقية من بلادهم .

(ب) المرحلة الثانية : وبدأت بعصر الملك تيجلات بلاصر الأول (١١١٢ - ١٠٧٦ ق.م) الذى عمل على توسيع حدود أرضه وكان يهدف إلى توسيع لبراطوريته على حساب الشعوب التى تقع شمال آشور . فقام بضمها فى الشمال الشرقى ووصل إلى البحر الأسود ثم اتجه غربا نحو سواحل آسيا الصغرى وفينيقيًا ، وبعد ذلك جرب حظه مع بابل نفسها فهزمها ونجح فى إخضاعها .^(١) وعثر فى نينوى على لوحة بالمتحف البريطانى صور عليها الملك وأمامه أربعة أشخاص فى وضع إبتهال .^(٢)

لم يطل أمد المرحلة الثانية من العصر الآشورى الوسيط ، على الرغم من بدايتها المشرقة ، ويبدو أن توسعها فى عهد تيجلات بلاصر الأول بخاصة كسنت طفرة سابقة لأوانها ، فلم تستطع الدولة أن تحافظ على أطرافها بحيث اضطرت آشور إلى الانكماش فى مناطقها الشرقية فترة من الزمان .

(٣) العصر الآشورى المهبث :

اكتفت آشور بحدودها الضيقة تحت ضغط الأراميين حتى تزعمها آشور دان (٩٣٢ - ٩١٢ ق.م) فنهضت فى عهده وتأهبت لمكافحة الأراميين شرقا وغربا .

(١) جاءت أخبار حملته على آسيا الصغرى وفينيقيًا على لوح من الطين كان وديعة أساس فى معبد أنو لأداد فى مدينة آشور ، وعلى جزء من نقش آخر ربما كان جزءا أيضا من ودائع الأساس ، راجع : د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ (١ - ٢) .

Parrot, Assur, p. 35 Fig. 40 (c) .

(٢)

وأهم ملوك هذا العصر هم :

أداد - نيراري الثاني (٩١١ - ٨٩٠ ق.م) :

الذى غلبت شهرته على شهرة أبيه ، لم يتجه إلى فتوحات بعيدة ، وإنما عمل على تقوية جيشه لإخضاع بعض الأقاليم المجاورة ثم تحالف مع مملكة بابل لاسترجاع الإشراف الفعلي لدولته على حدودها الغربية . وقام بتنظيم شئون الدولة في جميع المجالات .

توكلاتي - نيرورتا الثاني (٨٩٠ - ٨٤٤ ق.م) :

الذى اتبع سياسة إرهاب الأراميين وتوطيد سلطان الدولة على حدودها الغربية وإرهاب بابل من حين إلى آخر . ومحاولته السيطرة الكاملة على الطرق التجارية والحربية التي تتجه غربا إلى الشام حيث المزارع البحرية .

أشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) :

الذى اشتهر بقسوته وأدخل تحسينات كبيرة في الجيش واستخدم الغيالة على نطاق واسع ، وقسم بلاده إلى ولايات يحكم كل منها أحد الولاة . واتبع سياسة ' اضرب قبل أن تضرب ' ، وهاجم قبل أن تهاجم ، واجعل تتكبدك بأقرب خصومك عبرة يخشاها بقية أعدائك ' . وأكدت نصوص آشور ناصر بال الثاني أنه تلقى الجزية من الخاتيين وبلغ جبال لبنان ، وغمس أسلحته في بحر أمورو العميق (أي البحر المتوسط) ، وتلقى الجزية من الموانى والمدن الفينيقية الكبيرة : صور وصيدا وجبيل ومحلثا ومايزا وأمورو وارواد ، وأنه صعد جبال لبنان ، وأهضر رجاله أخشاب الأرز والصنوبر من جبال أمانوس لمعبدين سين وشمش ولأستخدامها في قصره . وبفهم من حيلاته أنه صمل على توطيد الآشوريين في المدن المفتوحة ليصبحوا سائقها والمنتمين بخيراتهم وليخدموا نشاط زعمائها .

عثر على آثار عديدة من عصر هذا الملك وأغلبها في مجال النقش والنحت

وأغلبها موجود الآن بالمتحف البريطاني منها :

- تمثال جميل عثر عليه في الكالح (نمرود) يمثل الملك واقفا بالمتحف البريطاني^(١).
- لوحة صور عليها هذا الملك واقفا عثر عليها في نمرود (بمتحف الموصل)^(٢).
- لوحة أخرى عثر عليها في الكالح موجودة الآن بالمتحف البريطاني صور عليها الملك بزيه الرسمي وممككا بصولجان^(٣).
- أما بالنسبة للنقوش فهي عديدة بالمتحف البريطاني أغلبها من الكالح لولها منظر أو نقش يمثل الشجرة المقدسة يحف الملك بها من الجانبين وقد ارتدى ملابس الرسمية ويرفع يده بالتحية وهي شجرة محورة بشكل تجريدي ، يحيط بها ويشتبك معها بزخرفة من أفرع نباتية وأزهار محورة . وقد انتشر نقش هذه الشجرة التي يسميها البعض شجرة الحياة لأنها ترمز إلى الحياة منذ عصر الملك توكلتي نينورتا الأول^(٤) ومنظر آخر يمثل الاستيلاء على مدينة^(٥) ومنظر ثالث يمثل الملك على عجلته الحربية أثناء القتال^(٦) ومنظر رابع يمثل على عجلته الحربية وهو يقوم بصيد الثيران^(٧) أو الأسود^(٨) ومنظر خامس يمثل وهو جالسا

- (١) Parrot, Assur, p. 18 – 19 Fig. 22 – 23.
- (٢) Id., op. cit., p. 34 Fig. 39 (A).
- (٣) Id., op. cit., p. 12 Fig. 14.
- (٤) Id., op. cit., p. 14 Fig. 16.
- وأيضاً د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧١ صورة ٢٢٩ .
- (٥) Id., op. cit., p. 14 Fig. 17.
- (٦) Id., op. cit., p. 14 Fig. 18.
- (٧) Id., op. cit., p. 54 Fig. 62.
- (٨) Id., op. cit., p. 55 Fig. 64.

على كرسى رفعا بيده اليمنى إناءا .^(١) ومنظر ملأ من يمثله واقفا ومن ورائه
تابعه وهو يمسك بالقوس والمهمل .^(٢)

شالما نصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م) :

استفاد من جهود أبيه آشور ناصر بال الثاني وقام بحملات فى سوريا
وفلسطين وقضى على أحلاف الآراميين والعبرانيين . وأضاف إلى إمبراطوريته
أجزاء أخرى ، واستطاع أن يهود غرب البحر المتوسط . وروت نصوصه أنه
اكتسح أرض خاتى كلها واستولى على خالمان (حلب) وأحاه (حماه) ودمشق
(دمشق) ، وخاروانى (هوران) ولرنتو (نهر الأورنت العاصى) غير أن الأهم
من ذلك هو ظهور اسم اريبو أو عريبو بمعنى العرب من قبائل الجزيرة العربية فى
نصوصه .

وذكرت نصوص شالما نصر الثالث أنه قاد اثنتين وثلاثين حملة خلال فترة
حكمه التى امتدت خمسة وثلاثين عام . ولكن جاءت فى نهاية عهده فترة ضعف
بدأت بخروج ولده عليه ثم حدوث حرب أهلية استمرت نحو ست سنوات . وظلت
آشور نحو ثلاثة أرباع القرن من الزمان تتلقى ضربات جيرانها الآراميين والبابليين
والميديين والسوريين والفلسطينيين والعبرانيين حيناً ، وتضربهم حيناً آخر . ولكن
بغير نتائج حاسمة لها أو لجيرانها . ومن عصر هذا الملك عثر على تمثال يمثله من
الحجر الجيرى تم كشفه فى مدينة نمرود وارتفاعه ١٠٣ سم ومعرض الآن فى
متحف بغداد .^(٣) وله تمثال آخر يمثله جالما عثر عليه فى آشور ومعرض بالمتحف
البريطانى .^(٤) وله تمثال ثالث عثر عليه فى آشور أيضا يمثله واقفا بزيه الرسمى

Id., op. cit., p. 36 Fig. 41. (١)

Id., op. cit., p. 36 Fig. 42. (٢)

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ صورة ٣٤٦ .

Parrot, Assur, p. 15 Fig. 19. (٤)

وهو معروض بمتحف أسطنبول (١) وعثر على لوحة في كورخ وهى بالمتحف البريطاني صور الملك عليها واقفا بزيه الرسمي (٢) وأيضا معدلة عثر عليها فى نمرود عليها خمسة مناظر لألسواع من الجزى وتحت المنظر نص كتب بالمسمارية (٣) وبالمتحف البريطاني مجموعة من البرونز عثر عليها فى بالالوات تمثل حملات هذا الملك : تكريس لوحة ، نقل الغنائم ، نزع الأشجار ، التصحية بالأسرى ، التصحيات وإقامة لوحة ، موكب الأسرى والحيوانات (٤)

شمش - أداد الخامس (٨٢٤ - ٨١٠ ق.م) :

الذى كان عليه أولا أن يقضى على المؤامرات التى تثيرها ضده بابل والمناطق الجنوبية حتى الخليج العربى ، ولهذا لم يتدخل فى شئون فلسطين ، تولى العرش بعد ذلك الملكة سميراميس التى كانت وصية على ولدها أداد نيرارى الثالث من زوجها شمش أداد الخامس .

واحتفظت روايات المؤرخين الإغريق فيما سمعوه عن هذه الفترة بقصة محورة لملكة أطلقوا عليها اسم " سميراميس " تحريفا فيما يبدو للاسم الآشورى " سمرامات " أى " محبوبة الحمام " ، وكانت وصية على ولدها أداد نيرارى الثالث من زوجها شمش أداد الخامس ورووا أنهم سمعوا أسطورة تقول بأن أم هذه الملكة كانت معبودة تعبد فى عسقلان قرب سواحل البحر المتوسط ويرمز إليها بصورة نصفها سمكة ونصفها حمامة ، ولما ولدت ابنتها على هيئة بشرية سوية تركتها للحمام يرعاها ، ولهذا سميت بهذا الاسم وبعد ذلك عثر عليها كبير رعاة ملك آشور فأخذها ورباها وعندما كبرت تزوجها حاكم نينوى " أونيس " ولكن ملك آشور العظيم

Parrot, op. cit., p. 16 – 17 Fig. 20 – 21. (١)

Id., op. cit., p. 34 Fig. 39 (B). (٢)

Id., op. cit., p. 35 Fig. 40 (B). (٣)

Id., op. cit., p. 122 – 123 Fig 138 – 146 (A – I). (٤)

" نينوس " طمع فيها وأجبر زوجها على التخلي عنها وتركها ، فكان هذا السبب لـمـى انتحاره ، ولجأت هي إلى حيلة لتنتقم لزوجها ولنفسها ، فتقررت للملك وطلبت منه أن يعهد إليها بالعرش والسلطان لمدة خمسة أيام لكي يرى كيف تحكم ، فرضى الملك ، واستغلت هي سلطتها المؤقت وأمرت بسجن الملك ثم قتله ، واستأثرت بالعرش بعده أكثر من أربعين عاما .^(١)

ثم توالى على الحكم بعد ذلك ملوك ضعاف منهم آشور دان الثالث الذي حدث كسوف الشمس في عهده وتسمى في زمنه وباء الطاعون .

تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٨ ق.م) :

بدأت المرحلة الثانية للتوسع الآشوري الحديث في عام ٧٤٥ ق.م . بولاية تيجلات بلاصر الثالث الذي عمل على إعادة مجد آشور واستطاع أن يبلغ بإمبراطوريته أقصى الحدود . فأخضع بابل وضمها إليه بعد مشقة وعهد بأمرها إلى أحد أعوانه نابو نصر ، ثم اتجه إلى سوريا وحاصر دمشق بعد حروب عامين استعاد أغلبها للنفوذ الآشوري . وتدخل في مشاكل الميرانيين فعين عليهم هوشع ملكا بعد أن خلعوا ملكهم واصطدم بالقبائل العربية التي كانت منتشرة على الطريق التجاري القديم في شمال شبه الجزيرة العربية بين البحر الأحمر وبين العراق .

ومن عصر هذا الملك عثر على صور جدارية في قصر نيل باريس طولها أكثر من عشرين مترا ، وقد مثل الملك عليها جالسا على عرشه وأمسك بصولجان طويل وخلفه خادما وحاجبه . وهناك منظر مثابه يمثل الملك وقد جلس على عرشه وهو يستقبل مجموعة من المبعوثين الأجانب .^(٢)

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٨٨ وحاشية (١) د. عبد العزيز

صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٥٢٠ .

(٢) Parrot, Assur, p. 103 - 104 Fig. 112 - 113 p. 214 Fig. 266.

وأيضا د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ صور ٢٢٥ - ٢٢٦ .

شالما نصر الخامس (٧٢٨ - ٧٢٢ ق.م) :

قام ملك إسرائيل هوشع بتحريض من المصريين بمحاولة التخلص من السيطرة الآشورية فأمرع شالما نصر الخامس وحاصر المصرة لمدة ثلاث سنوات ولكنها لم تسقط إلا في يد خليفته .

سرجون الثاني (الآشوري) (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) :

يمثل عهده مجد أثور وعظمة نينوى ، ولم يهاجم في البداية بسابل ولكنه ترك أمرها هي واورلرتو وآسيا الصغرى لما بعد . وبدأ بالهجوم على فلسطين فكانت مصر تضع العراقيل أمام أثور في فلسطين فأتت فتح السامرة وضربها وشردها أهلها وأسر معظم سكانها ومحا مملكة جروبولام اليهودية من الخريطة وقام بعد ذلك في عام ٧٢٠ ق.م . بحملة ضد تحالف سوري ضم هامات في عام ٧١٨ ق.م . وقضى على طوروس ، وفي عام ٧١٧ ق.م . ضم قرقيش^(١) ثم أخذ يضرب بقواته شمالا وشرقا ضد أهل اورارتو واستولى على عاصمتهم " سانسير " وعاد مرة أخرى إلى الغرب ، واتجه إلى قبرص ، وفي الطريق ضم إلى حد ما مملكتين . وقام بعدة حملات موافقة ضد قبائل السيث ، وتذكر نصوصه أخبارا لتصاراته على حكام حمّاه وقرقيش وأشدود وغزة وبعد أن تم له توطيد سيطرته على سوريا العليا وفلسطين . اتجه إلى بابل التي ظلت دائمة التمرد منذ بداية حكمه ، وأخيرا اضطر إلى غزوها وفر ملكها إلى عيلام .

شيد سرجون الثاني على بعد قليل من نينوى ، قصر خور سباد الذي نجد بعض نقوشه تزين الآن متحف اللوفر فهناك نقش بارز على الالبستر باللوفر ومتحف الآثار الشرقية بجامعة شيكاغو . عثر عليه في خور سباد يمثل البطل الأسطوري

(١) توجد أخبار هذه الحملة في حواريته التي كتبت منقوشة على ألواح من الحجر عثر عليها في خور سباد (نور - ثروكين) ، راجع : د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ (٢) .

جلجامش يقف بين كتلتين خرافية التي تزين واجهات القصور . وقد قبض بيده اليسرى على عنق أسد صغير وأمسك باليد اليمنى عصا معقوفة . وقد نقش الفنان الوجه والصدر من الأسف أما بقية الجسم فمن الجانب .^(١)

ومن أمثلة الكائنات الحارسة تمثال الذي يمثل ثورا مجنحا . عثر عليه فسي قصر بمدينة خور سباد . يرجع إلى عصر الملك سرجون الثاني ومعرض بمتحف الآثار الشرقية بجامعة شيكاغو . وهو برأس إنسان بتاج مقرن وجسد ثور وجناح نسر . واهتم الفنان بتفاصيل اللحية والذيل والأرجل الأربعة .^(٢)

وهناك نقش بمتحف اللوفر يمثل الملك سرجون الثاني عثر عليه في خور سباد يمثل الملك واقفا يحمل بيده اليسرى جدى وفي اليمنى زهور .^(٣)

وهناك نقش جميل بمتحف تورين عثر عليه في خور سباد (دور شروكين) يمثل سرجون الثاني .^(٤)

كما أن هناك رسومات من قاعة عرش القصر الملكي والبهو المؤدى إليها من هذا القصر . وتتألف من شرائط أفقية ، تتكرر في كل شريط منها وحتبان زخرفيتان ، إحداهما لحيوان أو كائن خرافي ، والأخرى لزهرة كبيرة في تخطيط هندسي جميل . ويعلم هذا كله مسيرة الملك سرجون الثاني وهو يحيى تمثال المعبود .^(٥)

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ صورة ٢٢٨ ؛ وأيضا : Parrot, Assur, p. 32 Fig. 36, 38 .

(٢) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ صورة ٢٢٧ .

(٣) Parrot, Assur, p. 37 Fig. 43.

(٤) Id., op. cit., p. 13 Fig. 15.

(٥) Id., op. cit., p. 99 Fig. 108.

وأيضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٢٧ ، ٨٥٦ شكل ٥٧ .

وهناك نص كتب في صفيين يحدثنا عن الحملة الثامنة للملك سرجون الثاني ، وهذا النقش محفوظ بمتحف اللوفر ^(١) . وأضاف إلى القصر مدينة حقيقية .

سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) :

كان عليه في البداية أن يقضى على الاضطرابات التي سببها له الآراميون والكاسيون ، بالإضافة إلى إعادة سياسة غزو بابل التي كانت تحاول دائما الاستقلال ومناهضة آشور وأبضا خطر الأوضاع في سوريا وفلسطين .

فقد حاول الملك شاباكا في الأسرة الخامسة والعشرين المصرية في عام ٧٠١ ق.م . أن يرسل حملة إلى فلسطين لكي يحد من تقدم الآشوريين .

وقد أنذر الآشوريون لليهود بعدم الاعتماد على ملك مصر لأنه كان ضعيفا ، وقرر ملك يهوذا حزقيا أن يهاجم آشور وقام بتكوين تحالف ضد ملك آشور سنحاريب . ولكن نجد أن هذا الأخير بعد أن وطد دعائم حكمه بحزم وقوة بعد مرور خمس سنوات ، قرر أن يعاقب فلسطين وبدأ سنحاريب حملته لإخضاع مدن الساحل الفينيقي ووصل حتى عسقلان وحدود مصر ^(٢) . وتقدم المصريون للزود عن حدودهم فأرسل سنحاريب فرقة من جيشه إلى القدس ووقعت المعركة في تيكة وأوقفت تقدم المصريين وقضى على الثوار في فلسطين وحاصر حزقيا في أورشليم ولم يقض سنحاريب على أورشليم ولكنه أصابها بشئ من الدمار ، وقد اضطرت حزقيا إلى دفع تعويض كبير وتنازل عن جزء كبير من خزائنه في مقابل أن يحتفظ بعرشه ويقوم بدفع الجزية . واضطر سنحاريب لمغادرة فلسطين بسبب الطاعون الذي انتشر في معسكره ، وهكذا أنقذ الجيش المصري ولم تتعرض مصر لخطر الآشوريين .

(١) Parrot, op. cit., p. 293 Fig. 364.

(٢) سجلت أخبار هذه الحملة في نقش محفوظ الآن بالمعهد الشرقي بشيكاغو ،

الأسطر ١٧ إلى ٢١ راجع : د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٤٧

(٤) .

وكان سنحاريب قد شيد في تيل - بارسيب (تل أحمر) وبنى أسطولا حربيا ضخما ، وكانت المراكب ذات الحمولة الخفيفة تنقل على عربات إلى مناطق الأنهار والبحار . وقام بحملة ضد الشاطئ العيلامي . ولكنها انتهت دون نتائج إيجابية ولا يزال أمر المعركة التي وقعت في هالولي ضد عيلام من الأمور الغامضة وبعد قليل لقي سنحاريب مصرعه نتيجة حادث اغتيال .

وهناك بمتحف اللوفر رسم جداري عثر عليه في تيل بارسيب (من القرن الثامن ق. م) يمثل ملاكا راكبا .^(١) وهناك مجموعة أخرى من المناظر تمثل جنودا عثر عليها في تيل بارسيب بمتحف حلب يصورها لنا باروه في مؤلفه .^(٢)

أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) :

أراد أن يكسب ود رعاياه ، ويهيئ لنفسه نوعا من الولاء ، ولكن بدلا من أن يبذل جهده لتحقيق ذلك ، نجد أنه وضع كل إمكانياته لغزو مصر ، ورأى أنه من الأفضل إعادة سياسة الغزو في فلسطين^(٣) ، وفي أثناء زحفه ، قضى على صيدا ولم يصب مدينة صور بأى ضرر لالتزامها بالحياد . وأخذ الملك طهرقا الذي كان يحكم في الأسرة الخامسة والعشرين يتابع سياسة التعريض وإشعال الثورات ضد الآشوريين في الهلال الخصيب ، فهو بدون شك ولا أحد سواء الذي أثار التمرد في صيدا ، فقرر أسرحدون في ٦٧١ ق. م . مهاجمة مصر مباشرة . وكانت هذه هي الغزوة الآشورية الأولى ، فقد عبر أسرحدون صحراء سيناء ووصل إلى وادي

(١) Parrot, Assur, p. XI11

(٢) Id., op. cit., p. XIV - XV.

(٣) قام بحملة ضد منطقة الجوف في شمالى شسبه الجزيرة العربية ، وجاءت أخبارها في نقش على أثر ، أما حملته على مصر فقد جاءت أخبارها على لوحة معروفة باسم " لوحة سنجرلى " ، راجع : د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ (٥ - ٦) . وعن العلاقات بين بلاد النهرين وجيرانها ، راجع : د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ١٠٧ - ١١٨ .

الطميلات ، وقد تفادى الدلتا ، حيث تجمعت فيها بالتأكيد القوات المصرية ، وتمر الحاميات المصرية ووصل في خلال خمسة عشر يوما إلى منف واستولى عليها كسرا أسر عائلة طهرقا . أما عن طهرقا فقد نجح في الهرب في البداية إلى طيبة ، ثم هدد أسرحدون هذه المدينة ، وسار بمحاذاة الوادي نحو الجنوب ، وأسرع منتومحات حاكم طيبة والكاهن الرابع لأمون رع بالاعتراف بالسيطرة الآشورية حتى يتجنب سقوط طيبة وأرسل منتومحات الجزية لكي يتفادى لقاء الفاتح القوي . وقد أدرك أسرحدون أن السبيل الوحيد للاحتفاظ بالبلاد المنهزمة هو تقسيمها إلى ممالك صغيرة متشابهة وتبعاً لذلك قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة منفصلة ، ويحكم في كل منها أمير محلي ولأمباب ما غادر أسرحدون مصر بسرعة ربما بسبب مرض مفاجئ ولم يترك غير قوات قليلة .

حاول طهرقا تأليب الأمراء المحليين ضد سيطرة الآشوريين وكان هذا سببا في عودة الآشوريين وحاول أسرحدون القيام بحملة ولكنه توفي في الطريق . عثر للملك أسرحدون على لوحة في تيل بارسيب محفوظة بمتحف حلب صور عليها وأمامه شخصين راكبين^(١) وهناك نقش بمتحف اللوفر صور عليه أسرحدون وناكيا^(٢).

أشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) :

أنجب أسرحدون ولدين ، تولى ابنه الأكبر شاماشي - شوم - أوكين عرش بابل ، وتولى الابن الأصغر آشور بانيبال عرش آشور . ونتج عن عدم المساواة في توزيع الحكم أن نشأت عداوة بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر ، وفي البداية كان هذا العداء غير ظاهري ، ولكنه كان على وشك الظهور ، لولا أن علاوة آشور بانيبال سياسة غزو مصر تنفيذا لمشاريع أبيه فأرسل قائله الأعلى الذي جمع قوات من فينيقيا

Parrot, Assur, p. 77 Fig. 86.

(١)

Id., op. cit., p. 118 Fig. 133.

(٢)

وسوريا وفلسطين ، وأرسل آشور بانيبال هذه القوات إلى مصر وهزم الجيش المصري في كاربانيه وتقدم الغزاة نحو منف واستولوا عليها وانتهى الأمر بصعودهم نهر النيل والاستيلاء على طيبة التي تعرضت للسلب والنهب من جانبهم ونجت مهن التخریب مما خفف من وقع الكارثة . وأقام الآشوريون الحملات في المدن الرئيسية . وكانت هذه هي الغزوة الآشورية الثانية في عام ٦٦٦ ق. م . وقامت مصر بدفع الجزية لآشور ، وعندما عاد آشور بانيبال قام بحملة ضد أخيه ويقال أن أخاه قد هلك في حريق شب في قصره عام ٦٤٨ ق. م . وقام آشور بانيبال بمهاجمة عيلام ونجح في تدميرها عام ٦٤٠ ق. م ، وشاهدت سوس معابدها تتهدم ومقابر ملوكها تسلب وتمائيل معبوداتها تسرق .

وبعد فترة علم آشور بانيبال بتآمر بعض الأمراء المصريين ضده ، وعاد إلى مصر في غزوة ثالثة في عام ٦٦٤ ق. م . وتقدم بجيشه دون أن يقوم بمعاركة فعلية وفر تاتوت أمون الملك الكوشي إلى طيبة ، وجاء حكام الدلتا المواليين للآشوريين لتقديم فروض الطاعة للفتح وفي هذه المرة أراد آشور بانيبال أن يعاقب بشدة عدوه فتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التي نهبها ودمرها وذاع نيا منقوط طيبة في جميع أنحاء العالم القديم . ويمثل ذلك مظهر من مظاهر العلاقات التي كانت بين العراق ومصر في العصور القديمة وبعد قيام الأسرة السادسة والعشرين في مصر نجح أول ملوكها بسماتيك الأول في طرد الآشوريين وإعادة تنظيم قواته العسكرية وضم إلى جيشه المرتزقة الإغريق .

(سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن العراق القديم وعلاقاته الخارجية ، ص ، ٢٨٩ - ٢٩٧) .

أما عن نماذج فن النحت من عصر الملك آشور بانيبال فهي عديدة فقد أبدع الفنان في تمثيل الطبيعة والواقع بأملوب زخرفي جميل وخاصة في مناسظر الصيد التي يوجد مجموعة كبيرة منها بالمتحف البريطاني منها :

- منظر من نينوى يمثل الملك فوق صهوة جواده وهو يقوم باصطياد أسد. (١)
- منظر آخر من نينوى وهو يمثل الملك فوق عجلته الحربية وهو يقوم باصطياد الأسود. ونرى في تفاصيل هذا المنظر أنقى أسد وهي تحتضر وأسد آخر ينزف من فمه بعد أن اخترق السهم جسده وأسدين آخرين أصابتهما السهام ملقيان على ظهريهما. (٢) ونجح الفنان في تصوير إحساس تلك الحيوانات من جراء إصابتها بالسهام.
- ومنظر ثالث من نينوى يمثل صيد فيصله من الخيل البرية وهي تعدو من كلاب الصيد التي تعدو ورائها وأصاب بعضها السهام. (٣)
- ومنظر رابع من نينوى أيضا يمثل مجموعة من الفيلان في حالة فرع وهرب. (٤)
- وبالمتحف البريطاني أيضا نقش يمثل الملك آشور بانيبال ممسكا بقومه وهو يقدم إبناء للتطهير. (٥)
- وهناك لوحة عثر عليها في بابل صور عليها الملك واقفا يحمل بيديه ما يشبه السلة. وبقيّة اللوحة مغطاة بنصوص مسارية في خطوط أفقية. (٦)

(١) Parrot, Assur, p. 54 Fig. 63.

(٢) Id., op. cit., p. 58 – 61 Fig. 65, p. 66 Fig. 70.

وأیضا د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٣٤ ، ٥٨٦ شكل ٥٥ - ٥٦ ؛ د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ صور ٢٣١ - ٢٣٢.

(٣) Parrot, op. cit., p. 67 Fig. 72.

وأیضا د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ صورة ٢٣٣ وهو يذكر المنظر على أنه صيد للحمر الوحشية .

(٤) Parrot, op. cit., p. 67 Fig. 73.

(٥) Id., op. cit., p. 69 Fig. 76.

(٦) Id., op. cit., p. 35 Fig. 40 (A).

آشور - أنل - إيلاني :

بعد وفاة آشور باتييال مباشرة في عام ٧٢٧ ق.م أخذ الميديون يخططون لمهاجمة آشور والانتقام منها .. وشن أحد الملوك الميديين هجوما على آشور ولكن نجح الجيش الآشوري في صدده . وقد أثرت النزاعات الداخلية على الدولة فانفصلت عنها دويلات كثيرة ، فانفصلت المدن الساحلية في سوريا وفلسطين وعاود الميديون هجومهم على آشور ، واستطاع كي اخسار ملك الميديين أن يستولي على شمال العراق ثم توغل إلى سهول آشور حيث قامت بينه وبين جيوش آشور حروب طاحنة . واتفق ملك الميديين مع ملك بابل على مهاجمة عاصمة آشور فسقطت في أيديهما بعد حروب عنيفة ، واستولى البابليون على جنوب آشور ، وأرسل ملك بابل ولده نابوخذ نصر الثاني ليتبع قلوب الجيش الآشوري التي كانت قد هربت إلى حران .

ترك الآشوريون آثار عدة في عواصمهم الكبرى : آشور ونيينوى وكالح ودورشروكين ، وبالمتحف البريطاني والوفر وشيكاغو مجموعة من التماثيل منها تمثال من الكالح (نمرود) يمثل أسد مجنح برأس آدمي (من القرن التاسع ق.م) ومن دورشروكين (خورسباد) تماثيل بالموقع على بوابة قلعة يمثلان ثورين مجنحين برأس آدمي (من القرن الثامن ق.م) ومن الكالح تمثال لأسد حارس (من القرن الثامن ق.م) وبالوفر وشيكاغو من دورشروكين تماثيل لثيران مجنحة برأس آدمي (من القرن الثامن ق.م)^(١)

وقد جمعت هذه الكائنات بين فن النقش وفن النحت المجسم . فصدر الكائن الخرافي ووجهه ورأسه بارزة بروزا شديدا حتى يبدو وكأنه تمثال . وكانت يحرس

(١) لهذه المجموعة من التماثيل ، راجع : Parrot , Assur , p. 24 Fig. 29 , p. 25 - 26 Fig. 30 , p. 27 Fig. 31 , p. 30 Fig. 34 , p. 31 Fig. 35 , وأيضا د. سيد توفيق : للمرجع السابق ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٨ .

المدخل الأوسط لواجهة القصر الملكي الذي شيده الملك سرجون الثاني فسى مدينة خورسباد .

ومن أمثلة هذه الحيوانات الحارسة التى شكلت على هيئة الأسد ، الأسد الذى عثر عليه فى نمرود وكان يتقدم معبد المعبودة عشتار ومعرض بالمتحف البريطانى وكان آشور ناصر بال الثانى هو الذى أمر بعمل هذين الأسدين لمدخل المعبد . وهناك أسد آخر مجنح معروض فى المتحف البريطانى عثر عليه فى مدخل قصر آشور ناصر بال الثانى فى نمرود .^(١)

وأقيمت العاصمة آشور فوق ربوة صخرية تحف بها مياه دجلة والتى قلمت على أنقاضها قلعة الشروقاط الحالية ، فى أواخر عصر بداية الأسرات السومرية .

وقامت نينوى بالقرب من الموصل الحالية ، ووجدت بقايا آثارها فى بوتيس رئيسيتين : ربوة قروي نجيق فلا طرفها الشمالى الغربى ، وربوة النبى يونس فسى طرفها الجنوبى الشرقى ، وتوفرت محاجر الالبستر حولها فاستغلها المعماريون فيها فى بناء وتزيين قصور ملوكهم ، ولعبت المدينة دور العاصمة منذ القرن الثامن عصر ق.م أى للفترة التى تعاصر حكم حمورابى .

وكشف فيها عن قصر منحاريب فى جنوبها الغربى ، وقصر آشور بانيبال فى شمالها . وقد اكتشفت كلاهما فى أواسط القرن الماضى ونقلت بعض الجدران المنقوشة من قصر منحاريب إلى حوزة المتحف البريطانى . وتناولت نقوشها مناظر الصيد الملكى وحياة البلاط وتقارير تفصيلة للمنشآت المعمارية التى تمت فى عهده وعمل فيها أسرى حروبه . ويعتبر قصر آشور بانيبال فى نينوى مصدرا آخر للفن الآشورى . وعلى الرغم مما أصابه من تدمير وضياع الكثير من نقوش جدرانه وصورها خلال عمليات نقلها فى العصر الحديث ، إلا أن بقايا مناظر الصيد لا زالت

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

تمثل ذروة ما بلغه الفن الآشوري في ميدانها .^(١)

وتخلف بين القصرين الكبيرين نينوى بقايا معبدتين للمعبود والمعبودة نابو وعشتار ويحف بمدخل المعبد الثاني تماثيل ونقوش قصور الملك منقش المعبد في طريقه إليه على عرش محمول على عجلات ويصحبه أهل بلاطه وحراسه وعدد من الموسيقين .

أدت كالح ، نمرود الحالية دور العاصمة الثالثة .. وهي مدينة قامت على الضفة اليسرى لدجلة ، إلى الشمال الشرقي من مدينة آشور التي تقع على ضفته اليمنى ، وأقيمت فيها بعض قصور ملوك آشور منذ القرن الثالث عشر ق.م في عهد شالما نصر الأول وكشف فيها حتى الآن عن بقايا قصور الملوك الثلاثة الكبار : آشور ناصر بال الثاني وشالما نصر الثالث وأشور اخادين . وهي قصور تبين مسا كانت عليه قصور نينوى ، من حيث فخامة واجهاتها ، وحراسة التماثيل الحيوانية البشرية الحجرية الضخمة لمداخلها ومن حيث تعدد الأجنحة والقاعات فيها ، وتتميز القاعات الرئيسية منها وقاعات العرش بخاصة بمناظر منقوشة تسجل لقطات مختارة من حياة الملوك في الحرب والسلم . كاللوحة التي تصور خضوع ياهو اليهودي أمام شالما نصر الثالث (عام ٨٤١ ق.م) ، وأخرى تتحدث عن حفل الافتتاح قصر آشور ناصر بال في عام ٨٧٩ ق.م بعد جهود طويلة ونفقات طائلة بذلت في تشييده . وأقيم بعدها حفل بلغ عدد المدعوين فيه ٦٩٥٧٤ شخصا استضافهم الملك لمدة عشرة أيام (ربما يكون هذا العدد مبالغ فيه بعض الشيء) .

وتخير سرجون الثاني عاصمة جديدة هي الرابعة وتقع إلى الشمال الشرقي من نينوى بنحو ١٦ كم ونسبت إليه في تسميتها " نور شروكين " " داره او مدينته "

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٥٣٦ - ٥٣٨ .

عن الحياة اليومية في بابل وأشور ، راجع :

جورج كونتو : الحياة اليومية في بابل وأشور (ترجمة وتعليق سليم التكريتي

وبرهان التكريتي) ص ٥ - ٥٠ .

وافتتحها قبل وفاته بنحو خمس سنوات . ثم هجرها العمران بعده بفترة ففطاها الرديم وحسى لحسن الحظ جزءا كبيرا من أطلالها . وأطلق عليها الساسانيون " خسرو آباد " (أى مدينة خسرو) مع تحريفه إلى خور سباد .

وقامت هذه المدينة على خطة شبه مربعة بلغت مساحتها نحو ميل مربع ، وأحاطت بها أسوار ضخمة تنفتح فى واجهاتها الأربع سبعة مداخل متباعدة ، وشيد سرجون فيها قصران من طابق واحد أحدهما كبير فى الشمال والآخر صغير فى الغرب واتصلت بقصر سرجون عن طريق فناءه الواسع ستة معابد ، ثلاثة كبيرة وثلاثة صغيرة وجاورتها زاقورة مشتركة بلغ طول قاعدتها ١٤٣ قدما ، وبقي منها ما يدل على ثلاث طبقات أو أربع ، لونت كل طبقة منها بلون مختلف عن لون الأخرى . وبلغ ارتفاع كل واحدة منها ثمانية عشر قدما . ويحتمل أن الزاقورة بنيت فى أصلها من سبع أو ثمانى طبقات ؟ وفى أعلاها شيد قدس الأقداس على ارتفاع ١٤٣ قدما . وكان أكبر هذه المعابد الستة ، معبد نابو ، يؤدى إليه طريق صاعد ، وتقدمت بوابته الداخلية صوار مصحفة بالبرونز تعلوها رموز مقنعة وكسيت جوانبها بقراميد من القيشانى الملون (أو الأجر المزجج) المزخرف ، تصور حيوانات وطيور وأشجار ، وقامت فى واجهة المعبد أساطين نصفية . وكسيت الجوانب الداخلية للقصر بالجص حتى ارتفاع يصل إلى ما بين الخمسة والستة أقدام ، وكسيت أكتافها بلوحات حجرية امتدت نحو ١٤ قدما طولا وارتفعت نحو ١٣ قدما . وكسيت جوانب فناء القصر الرئيسى وجدران قاعاته الرئيسية بلوحات حجرية أيضا بحوليات سرجون وصوره متبوعا برجال حاشيته^(١) ، بينما نقشت لوحات الممر المؤدى إلى قاعة العرض بصور كائنات حارسة .^(٢)

(١) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ شكل ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) تحدث د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ - ٥٣٩ عن

العمران واللقن وما تركه الآشوريون من آثار فى عدة عواصم : آشور ونيوى

وكالغ ودور شروكين ، وتحدث عن القصور وتخطيط المدن

وكان الآشوريون قد اقتبسوا أسلوب الكساء الحجري في أول الأمر من مباني الحيثيين في يوغاز كوى ومن مباني في شمال سوريا .

وفي مجال الأدب : كان نتاج الآشوريين منه قليلا ، فعاشوا على أداب العصور التي سبقتهم ، ولكن كانت لهم مآثر عليها ، وهي تسجيلهم لأغلب نصوصها وحفظهم إياها ونشرها مع بعض التحوير والإضافة أحيانا ، ولاسيما منذ أن أنشأ ملكهم سرجون مكتبته في نينوى ، وزاد هذه المكتبة وأسس أمثالا أولاده وأحفاده ، وكان أكثرهم حبا للثقافات القديمة وجمعها في مكتبات هو آشور بانيبال الذي أرسل منشورا إلى حكام ولايته في الأقاليم يأمرهم فيه بالتحري عن الألواح المسمارية القديمة حيثما وجدوها ويقول لكل منهم فيه : " لا يجوز لأى إنسان أن يمنع شيئا من الألواح عنك ، وإذا عثرت على أية لوحة أو رقية لم أعينها لك وتجد فيها صلاحية لقصرنا استولى عليها وأرسلها إلى " .

وعثر على أطلال قصره بنينوى على لوحات كثيرة ، تحمل نقوشها عدة معارف في الأدب القديم وما يخص العبادات والتمائم والتعاويذ . ووجدت رسالة من هذا الملك إلى واليه في بابل يأمره فيها بأن يبحث جادا عن لوحات تعاويذ الأيسام والشهور ورقى الوسائد الملكية وتقاويم الأيام ومراسيم رفع الأيدى ومجموعة الكرونب ومجموعة قيل أنها معنونة " لا تدع السوء يمس للذاهب إلى المزارع أو

== وموضوعات للنقوش وفن النحت وفن الرسم الملون ونقوش الأختام الأسطوانية . كما تحدث د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ - ٣٨٠ عن تاريخ فن الآشوريين من عام ١٣٥٠ إلى ٦١٢ ق.م. وذكر أن الفنانين الآشوريين مارسوا فنون النحت والنقش والتصوير ولكن إبداعهم الفني تجلى في النقش البارز . فتحدث عن التصوير الجدارى ومواضيع النقش وخاصة المواضيع الحربية وتمثيل الكائنات الخرافية في النحت وخاصة تمثيل الحيوانات الحارسة التي شكلت على هيئة أسد في صورته الطبيعية . وجمعت هذه الأشكال بين النقش والنحت . كما تحدث عن نقوش الأختام الأسطوانية والزخرفة بالأجر المزجج والتمثيل المتعددة الأشكال .

الداخل إلى القصر * ، ثم أمره إلى جانب ذلك بأن يضم أشخاص معينين إلى رجال حاشيته بعد أن سمع عن حيازتهم للوحات ثينة قديمة . واتخذت ألواح أخرى صبغة علمية فكان منها ما تحدث عن مركبات الزجاج وأطلية الخزف ، ووجدت منها جداول تتضمن بضع مئات من أسماء النباتات تتداخل بعضها في بعض ، وعبر بعضها عن خصائص هذا النبات وثماره واستعماله ، مثل نبات القنب الذى اسمه نبات الغزل ونبات الهموم نظرا لمفعوله المخدر الذى يعنى الهموم وتضمنت الألواح تفاصيل عقاقير نباتية رتب كل منها باسم النبات ونوع المرض الذى يعالجه ثم طريق تعاطيه ، فكان منها ما يقول : * العرقسوس ، لعلاج السعال ، يدق ويشرب مخترا * ، * والصبر دواء للصفراء ، يدق ويشرب * . وبلغ عدد الألواح الطبية فى مكتبة آشور بانيبال ثلاثون ألف لوح ^(١) وكان للملكين الآشوريين آشور أحاديين وأشور بانيبال دراية بهذه العقاقير والوصفات مما جعلهم يبدون اهتماما كبيرا بنشاط أطبائهم ويرسلونهم خصيصا لعلاج أصدقائهم ثم يثقلون منهم تقارير عنهم وعن طريقة علاج ذوى قرباهم بخاصة ، وكثيرا ما اختتمت نصوص الألواح بتحذير القارئ من سرقتها أو كسر نقوشها ، وإلا تعرض لنقمة المعبودات .

وانتفع الكتبة الآشوريون بالماليب المحاجم القديمة فى بابل وزادتا مفرداتها و مترادفاتهما الأجنبية نتيجة لاتساع صلات دولتهم بجيرانها وضمفوها مفردات خاتية وكاسية ومصرية وبعد أن كانوا يؤرخون نصوصهم فى عصرهم الآشورى الوسيط بأسماء الشهور : كيناته ، وسين ، والاثاتو ، وشاساراته ، وما يشبهها من أسماء غريبة ، اصبحوا يذكرون شهورهم فى عصرهم الحديث بأسماء : أبو ، وتشرينو (تشرين) وتموز (تموز) ونيسانو (نيسان) ولدارو ولولولو ، وهى نفس الأسماء المعروفة للشهور الآرامية الباقية حتى الآن ، مع تغييرات لفظية طفيفة ^(٢) . وعثر على لوحتين من الطين المحروق فى العاصمة الآشورية * آشور *

(١) د. شعبان خليفة : الكتابة العربية فى رحلة النشوء والارتقاء ، ص ١٥ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : للمرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .

نقش عليها نص قانون آشوري يعود تاريخه إلى النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد^(١).

كشفت التنقيبات التي أجراها الألمان في جزيرة فيلة عن العثور على إحدى عشرة لفة من البردي تحتوي أربع لفات منها على قصة "إحيقار" مدونة بالخط الآرامي ويعود تاريخها إلى القرن الخامس ق.م. وقد جاء في هذه القصة أن إحيقار كان معاصرا لكل من سنحاريب وابنه اسرحدون وأنه أصبح شيخا في زمن الملك اسرحدون فتبنى ابن أخت له يسمى نادين وأدبه ثم نصبه في مكانه مستشارا عند الملك اسرحدون لكن ابن أخته تأمر عليه ووثنى به عند الملك. فصدق الملك وثاية نادين وأمر بقتل الحكيم إحيقار. وعهد إلى ضابط يدعى نابو - شوم اشكون بتنفيذ ذلك. وتشاء الصدفة أن يكون هذا الضابط هو ذاته الذي أنقذه إحيقار ذات مرة من الموت في زمن الملك سنحاريب عندما أخفاه في بيته إلى أن تبدد غضب الملك عليه وعفا عنه وأمر بإعادته إلى وظيفته ولذلك بادر الضابط إلى إنقاذ إحيقار من المسوت فأمر اتباعه بعدم قتله. وسرعان ما أدرك الملك اسرحدون أنه تعجل في الحكم على إحيقار واتضح أنه بريء من كل ما نسب إليه. ولهذا السبب فقد كان سرور الملك اسرحدون عظيما عندما علم من الضابط بأنه لم يقتل إحيقار وأنه ما زال حيا. أما لفات البردي السبع الأخرى فأنها تحتوي على مواظ وإرشادات إحيقار التي أتخذ فيها من حكايات الحيوانات أمثلة يمزج بها حكمته^(٢).

(١) تتصف القوانين الآشورية عامة بشدة العقوبات التي نصت عليها هذه القوانين -

وموادها. وهي تتناول العلاقات العامة والعلاقات الأسرية، راجع: د. توفيق

سليمان: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة، ص ٣٢٢ - ٣٣٢.

(٢) عن هذه القصة، راجع: د. فاضل عبد الواحد: المرجع السابق، ص ٢٦٧ -

تاسعا : العصر البابلي الأخير (المملكة الكلدانية ٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م) : (١)

كان الكلدانيون (أو قبائل كالدو) فرعا من الآراميين ، ويمثلون آخر الموجات التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية واستقرت في منطقة الفرات الأوسط ، وكانوا يطمعون في ضفاف بلاد النهرين منذ القرن الرابع عشر ق.م ، وشعرت بابل بخطرهم على اقتصادياتها منذ القرن الثالث عشر ق.م . وتسلك الآراميون إلى أرض بابل في أواخر عصرها الكلاسي ، واستمر الآراميون في توسعهم فامتدت قبائل كالدو في جنوب العراق حتى الخليج العربي . (٢)

أسس الحكم البابلي الجديد الكلداني نابو بولاصر (٦٢٦ - ٦٠٤ ق.م) : وكان يعمل قائدا في الجيش الآشوري وحاكما على الأقاليم الجنوبية ، ثم عمل لحسابه فزحف على بابل وتولى عرشها .

وظلت الحروب قائمة بين بابل وآشور نحو ١١ عاما استطاع بعدها نابو بولاصر أن يستولى على نينور وأن يعمر كل بلاد سومر من الآشوريين ، وتقابل نابو بولاصر ملك بابل الكلداني مع كي إخسار ملك الميديين وارتبطا معا برباط الصداقة والسلام وتزوج ابن نابو بولاصر نابوخذ نصر من ابنة كي إخسار أميتس .

(١) قام د. عبد العزيز صالح : للمرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، بالحديث عن " بابل الكلدانية أو العصر البابلي الأخير " في ص ٥٤٢ - ٥٥٨ .

وبدا حديثه بتمهيد عن الآراميين في بابل ثم تحدث عن الفن وبقظة بابل وانهيار آشور والتوسع البابلي والفن والعمران في بابل الكلدانية ثم الأقول أمام نهضة الفرس ثم انتهى حديثه بخاتمة وانتهاء نور بابل في التاريخ كدولة مستقلة في عام ٥٣٩ ق.م .

(٢) د. عبد الحميد زايد : للشرق للخلد ، ص ١٠٣ - ١٠٦ ، د. أبو المحاسن عصفور : للمرجع السابق ، ص ٣٨٤ - ٣٨٥ ، د. نبيلة عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ - ٢٣٨ ، د. أحمد سليم : للمرجع السابق ، ص ٢٨٧ - ٢٩٦ .

ومنذ ذلك الوقت ظل الاثنان يحاربان معا حتى تمكنا من إسقاط نينوى عاصمة آشور في عام ٦١٢ ق.م . ولم يهتم الميديون بامتلاك أجزاء من آشور واكتفوا بنصيبهم من الغنائم وحولوا أطماعهم إلى أرمينيا وآسيا الصغرى ، أما البابليون فقد امتلكوا أجزاء من آشور ولكنهم لم يحتلوها ، وبذلك انتهى دور الآشوريين من التاريخ بعد أن أثبتوا أنهم كانوا أقوى قوة عسكرية منظمة شهدها الشرق القديم حتى عصرهم وبعد أن ضربوا المثل في ضراوة القتال وأساليب العنف لجيرانهم من حكام إيران القديم ، لاسيما الميديين والفرس ، وبعد أن شنتوا جهودهم بتوسيع أملاكهم إلى أفلق بعيدة يصعب الاحتفاظ بها .

زادت صهوة البابليين الكلدانيين بعد القضاء على الفلول الآشوري ، واستمروا في تقوية جبهتهم الداخلية وسيطروا على أواسط بلاد النهرين وجنوبها ، ورضوا مؤقتا بسيطرة الميديين على شمال العراق وأملك الآشوريين في شرق دجلة . وبدأوا يعملون للسيطرة على بادية الشام وسوريا وفلسطين ، ولكن طموحهم أثار مخاوف مصر من عودة التنافس على الطرق التجارية في الشام ، فخرج الملك نكاو الثاني بجيشه إلى فلسطين وكسر شوكة مملكة يهوذا التي أرادت أن تقتصر في عهد يوشيا للقوة البابلية الجديدة ، وواصل طريقه إلى سوريا وأوقف مسيرة الجيش البابلي الجديد . ثم واصل طريقه نحو الفرات ولكن لتتصاراته أسكرته وأخذ الزهو فعاد وتوقف بجيشه فترة طويلة في أرض سوريا العليا ، فكان توقفه فرصة سانحة اغتتمها البابليون بقيادة ولي المهد نابوخذ نصر لمهاجمة الجيش المصري . والتقى الجيشان في موقعة قرقميش عام ٦٠٥ أو ٦٠٤ ق.م . ونجحت القوات المصرية في وقف زحف القوات البابلية . وحاول المصريون أن يعيدوا الكرة لمهاجمة مصالح بابل في بلاد الشام عن طريق البحر . ولكن مشروعاتهم لم يكتب لها التوفيق .

نابوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) :

تولى العرش بعد وفاة والده نابو بولاصر وحكم لمدة ٤٣ عاما عرفت فيها البلاد فترة ازدهار ، وشهدت بابل في عهده نهضة فنية معمارية كبيرة ، فقد واصل نابوخذ نصر الثاني مشروعاته في الشام وسيطر على لبنان (لبنانو) وخلعت الثوراة

حروب نابوخذ نصر مع مدينتين هما : أورشليم عاصمة يهوذا ، وصور الميناء الحصينة . فقد هاجم نابوخذ نصر أورشليم حوالي عام ٦٠٠ ق.م . فاستسلمت له بسهولة . وأعطن له حاكمها يهوياقيم الطاعة وصار تابعاً له لمدة ثلاث سنوات على حد تعبير سفر الملوك ، ثم ثار عليه بعد ذلك وكون حلفاء ضده ، فهاجمه نابوخذ نصر وانتصر عليه وأسر حاكم أورشليم وعدة آلاف من جنوده وأهل دويلته ، وكان فيهم ألف من الصناع وأمر نابوخذ نصر بنفى السرى جميعاً إلى بابل وأطلق اليهود على هذا النفي اسم السبي الأول .

عين نابوخذ نصر " صدقيا " اليهودي واليا على أورشليم تحت إشرافه ، فظلت يهوذا خاضعة للبابليين أحد عشر عاماً ، ثم ثارت عليهم ، فعادت جيوش نابوخذ نصر مهاجمة أورشليم فحرق عسام ٥٨٨ أو ٥٨٧ ق.م . وشددوا الحصار عليها ، ولكنها نجحت في رفع هذا الحصار ، بعد أن تحركت الجيوش المصرية لمساعدتها . ثم عادت الجيوش البابلية حصارها مرة أخرى ودخلتها عام ٥٨٦ أو ٥٨٥ ق.م . ودمرتها وأنها أحرقت هيكل سليمان المزعوم (٢) ونقلت خزائنه ، ونفت أربعين ألفاً أو خمسين ألفاً من أهلها إلى بابل . وهذا هو السبي الثاني . وتابعت جيوش نابوخذ نصر مهاجمة المدن الفينيقية والسورية وكانت أشد هذه المدن مقاومة لها مدينة صور التي ظلت على مقاومتها ثلاثة عشر عاماً (٥٨٥ - ٥٧٣ ق.م) أبدت فيها من البسالة صورا كثيرة وساعدها على المقاومة مهولة اتصالها بالبحر المتوسط ، ثم رضيت في نهاية الأمر بصلح اعترفت فيه بسيادة البابليين (١).

(١) قامت حياة إبراهيم بتأليف كتاباً عن :

" نابوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) " نشرته وزارة الثقافة والإعلام ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٣٩ . ويتكون هذا المؤلف من أربعة فصول :

تناولت في الفصل الأول (ص ١٩ - ٣٢) مصادر البحث : وتشمل المصادر

الرئيسية : الكتابات التاريخية المسمارية ؛ المدونات البنائية ؛ النصوص --

وإذا نظرنا إلى إنجازات نابوخذ نصر الثاني المعمارية في بابل فنجد أنها ملقطة للنظر نظرا لضامتها وفخامتها وتعددتها . ونجد أنها لم تقتصر على العمارة

القضائية ؛ النصوص الإدارية ؛ نتائج التنقيبات الأثرية ؛ المصادر الثانوية وتشمل المصادر اليهودية : كتابات العهد القديم ، الكتابات الربانية ، الكتابات الكلاسيكية : الكتابات اليونانية والرومانية ، كتابات المؤرخين العرب . وفي الفصل الثاني (ص ٣٢) تحدثت عن تأسيس السلالة الأكديّة : وفي المبحث الأول (ص ٣٢ - ٤٢) تحدثت عن الكلدانيين ، وفي المبحث الثاني (ص ٤٣ - ٤٥) تحدثت عن استعادة بابل لاستقلالها السياسي وتحديدها للدولة الآشورية . وفي المبحث الثالث (ص ٤٦ - ٥٢) تحدثت عن سقوط آشور ونيوى .

وفي الفصل الثالث (ص ٥٣) تحدثت عن عصر نابوخذ نصر الثاني . وفي المبحث الأول (ص ٥٣ - ٥٤) تحدثت عن اسم الملك ومذلوله . وفي المبحث الثاني (ص ٥٥ - ٥٨) تحدثت عن نسبه ووضع العائل . وفي المبحث الثالث (ص ٥٩ - ٦١) تحدثت عن توليه لعرش بابل . وفي الفصل الرابع (ص ٦٢) تحدثت عن نابوخذ نصر ملكا . وفي المبحث الأول (ص ٦٢ - ٨٣) تناولت الحملات العسكرية للملك وسبب بابل . وفي المبحث الثاني (ص ٨٤ - ٩٤) تناولت الإدارة في عهد نابوخذ نصر وعن مركز الإدارة البابلية ، ودور المعبد في الإدارة البابلية . وفي المبحث الثالث (ص ٩٥ - ١١٠) تناولت الحركة العمرانية في بابل ، مدينة بابل وأبرز معالمها المعمارية ، نماذج من أبنية نابوخذ نصر في بابل : القصر الجنوبي وتخطيطه ، القصر الصيفي ، أسوار بابل وتحصيناتها ، بوابة عشتار ، شوارع الموكب ، معبد ماردوك ، صرح الزقورة اى - لتن - ان - كى . وأنهت المؤلف كتابها بعدة استنتاجات (فى ص ١١١ - ١١٣) وخلاصة للبحث (فى ص ١١٤ - ١١٥) والمخطوطات والخرائط (فى ص ١١٦ - ١٣٤) وأخيرا المصادر العربية والأجنبية (فى ص ١٣٥ - ١٣٩) .

الديوية (قصور وتحصينات وشوارع وبوابات) بل شملت العمارة الدينية المتمثلة في معبد مار دوك وملحقاته وزقورة اى - اتمن - أن - كى .

القصر الجنوبي :

يمثل موقع القصر مركز المدينة ، وتبلغ مساحته ٥١ ألف متر مربع وقامت بالحفر في موقعه بعثة ألمانية برئاسة كولوى في عام ١٨٩٩ واختتمها في عام ١٩١٧ ثم بدأت المؤسسة العامة للأثار في العراق بالعمل فيه وصيانة بعض أجزائه المهمة في الجانب الشرقى منه.^(١) عاش نابوخذ نصر في هذا القصر أثناء حياة والده نابو بولاصر الذى شيده بالابن على أساس من الأجر ويبدو أنه كان متراضعا قوايسا لما أضاف له ووسع فيه نابوخذ نصر من بعده . ويحتوى القصر على ما يقرب من ٢٠٠ مرفق وخمس سالتات كبيرة ويحيط بكل مساحة عدد من الغرف المختلفة الحجم والوظيفة .

وتحتوى بوابة القصر على صالة للمدخل مع غرف على الجانبين وهى أماكن كانت مخصصة لإقامة حرس القصر ، وتؤدي بوابة المدخل إلى المساحة الشرقية مباشرة التى تحيط بها مجموعة من الغرف المتداخلة من الناحيتين الشمالية والجنوبية . ويتم الوصول إليها بواسطة ممرات يفصل فيما بينها ويرجح أن يكون هذا الجزء من القصر كان مخصصا لعقد محكمة حيث تم العثور فى أنقاضه على مجموعة من الألواح الطينية التى تعالج موضوعات الأحكام والعقود القانونية.^(٢)

وتعد قاعة العرش من أهم أقسام للقصر وتقع إلى الجنوب مباشرة من الساحة الوسطى الكبيرة ، ويبلغ طولها ٥٢ مترا وعرضها ١٧ مترا . تمكن خبراء

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٩٩ - ١٠٢ . انظر أيضا خارطة رقم ٥

لمدينة بابل بأسوارها وتحصيناتها وقلاعها ومعابدها .

(٢) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

الترميم في متحف برلين (الشرقية سابقا) من إعادة تجميع واجهة قاعة العرش التي كانت مكسوة بطبقة من الآجر الملون المزجج بارتفاع ١٢,٤ مترا . وتعد هذه الواجهة من أعظم تكوينات الآجر المغطى بالمينا في العصر البابلي الأخير ، يتوسط الواجهة مجموعة من النخيل يحيط بها اقريز من الزخارف الهندسية والنباتية .^(١) أما القسم الخاص بحريم القصر الملكي فإنه يقع في الجهة الغربية من القصر .

لقد ترك نابوخذ نصر وصفا لقصره فيقول :

... أنا وضعت أساساته الصلبة ، ورفعته بالقار والآجر بعلو الجبل ، وأنا أمرت بجلب الأرض العظيم ليمتد على طوله لأجل سقوفه ، ووضعته في أبوابه المصاريح من الأرض المغطى بالفضة ، والمداخل والمخارج من البرونز ، وجمعت فيه الفضة والذهب والأحجار النادرة ، وكل ما يصبو إليه الخيال من الأشياء الثمينة ، وخزنت ثروة طائلة من الكنوز الملكية فيه .^(٢)

ويوجد جدار يمثل هذه النقوش الزخرفية الجميلة من قاعة العرش معروض بمتحف برلين .^(٣)

القصر العبياني :

يقع شمالي بابل عند النهاية الشمالية الشرقية لصور المدينة الخارجى ويعرفه أهالى المدينة بتل بابل وأطلق عليه المنقبون الألمان القصر الصيفى . وهو مربع الشكل ويبلغ طول ضلعه ٢٥٠ مترا وهو مشيد على مصطبة عالية تعلو عن الأرض المجاورة والشارع العام بحوالى ١٨ مترا ونتيجة للتخريب الذى أصاب القصر

(١) د. سيد توفيق : تاريخ الفن فى الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، دار

النهضة العربية ١٩٨٧ ، ص ٣٨٤ - ٣٨٥ صورة ٢٤٩ .

(٢) ترجمة حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

Parrot, Assur, p. 177 Fig. 224.

(٣) ،

في الفترات اللاحقة فإنه من الصعب إعطاء صورة تفصيلية عن مرافق وملحقاته (١). ومن نقوش نابوخذ نصر نجد أنه يصف هذا القصر بأن الفرض منه جعله قلعة أو حصن لحماية بابل من جهة الشمال . فيذكر لنا " أوعز لى قلبسى أن ابنسى قصرا لحماية بابل . فبنيت قصرا من الأجر والجص " (٢).

أسوار بابل ومحيطاتها :

التي تقع أطلالها على بعد حوالي مائة كيلو متر إلى الجنوب من بغداد . بلغت مدينة بابل أوج مجدها واتساعها في عهد نابوخذ نصر فتقدر مساحتها بعشرة ملايين متر مربع (٣). فقد أحيطت المدينة بسورين كبيرين لحمايتها ، خارجي وداخلي . ويبلغ محيط السور الخارجي حوالي ١٨ - ٢٠ كم يتكون من ثلاثة أجزاء يلي كل جزء الجزء الذي بعده ، فقد شيد الجدار الأول من اللبن ويبلغ سمكه ٧ أمتار ، وشيد الجدار الثاني من الأجر وسمكه ٧,٨ متر ، أما الجدار الثالث فقد بنى بالأجر أيضا ويبلغ سمكه ٣,٣٠ متر .

أما السور الداخلي فيبلغ طوله ٨ كم ويتألف من جدارين الأول من داخل المدينة ومشيد من اللبن والأجر ويبلغ عرضه ٦,٥٢ متر والثاني عرضه ٣,٧٢ متر ومشيد من اللبن أيضا .

وأبرز ما يميز هذا السور الداخلي فهي البوابات الثمانية التي تؤدي إلى داخل المدينة عبر شوارع مستقيمة حملت نفس اسم تلك البوابات التي اتخذت سبع منها أسماء الآلهة البابلية : ففي وسط الجدار الشمالي نجد تحفة نابوخذ

(١) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) ترجمة حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٢ ، راجع مخطط رقم (٧) للقصير الصيفي .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

نصر المعمارية "بوابة عشتار" وإلى جانبها بوابة الإله سين . وفي الجدار الشرقي بوابة الإله ماردوك وزيبا وفي الجنوب بوابة لوراث وشمش ، وأخيرا باتجاه الغرب بوابة الإله اداد .^(١)

بوابة عشتار :

تعد هي البوابة الرئيسية لسور المدينة الداخلي وهي مدخل المدينة من ناحيتها الشمالية . ويعود تاريخ بناء البوابة إلى فترة سابقة لعصر نابوخذ نصر ، وقد أعيد بناؤها في عهده بحيث أصبحت أكثر ثقلاً وإحكاماً . وترك لنا نابوخذ نصر وصفاً دقيقاً لإعادة بناء هذه البوابة حيث يذكر كيف زينها بالثيران والتنين المصقول المطلي ووضع أبوابها بعد أن غطاها بالنحاس وثبت فيها مغاليق ومفاصل من البرونز .^(٢)

كانت بوابة عشتار ، قبل نابوخذ نصر ، عبارة عن هيكل ضخم من الأجر مزدان بصفوف من الحيوانات البارزة التي تمثل الثور والتنين دون استخدام أية زينة أو تلوين ولكن عندما شيد نابوخذ نصر السور الخارجى للمدينة أصبحت بوابة عشتار تقف في الخط الثانى للدفاع . ويكشف لنا مخطط هذه البوابة عن بوابة مزدوجة تتألف من بوابتين الواحدة خلف الأخرى ولكل منها باب خارجى وآخر داخلى ، يوصل بينهما جدار قصير يجعل منهما وحدة بنائية واحدة . ويوجد في مدخل بناء كل بوابة منهما برجان بارزان زينا شأنهما شأن الواجهة كلها والممر الرئيسى والواجهة الجنوبية الشرقية المواجهة للمدينة بحيوانات صفت في صفوف أفقية تبدو فيها الثيران

(١) حياة إبراهيم : للمرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٦ ، انظر مخطط رقم (٨) يوضح بوابة عشتار والجزء الشمالى من شارع الموكب وأجزاء من بوابة عشتار ؛ وأيضاً نجد عند د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، بعد ص ١٢١
رسم تخيلى لبوابة عشتار . Parrot, Assur, p. 174- 175 Fig. 221-222.

والنتين لكل من يدخل المدينة وكأنها تتقدم لاستقباله وتحذيره في الوقت نفسه وتحمي حصر عدد هذه الحيوانات التي تزين البوابة وملحقاتها فبلغت حوالي ٥٧٥ تنينا برأس أفعى وثورا و ١٢٠ أهدا وكان التنين يرمز إلى المعبود ماردوك والثور يرمز إلى إداد . وقد وضعت هذه الحيوانات بالتناوب في ثلاثة عشر صفا (١) لا يزال موجود منها فقط على البوابة حوالي ١٥٢ نقلت إلى متحف برلين (٢) فقد استطاع خبراء متحف برلين (الشرقية سابقا) من إعادة تركيبها .

تحدث د. سيد توفيق عن تاريخ الفن في العصر البابلي المتأخر من عام ٦٢٦ إلى ٥٣٩ ق. م ، فحدث عن فن النقش على اللوحات وعلى الأختام الأسطوانية والنحت والتصوير والزخرفة ومنها ما اصطلح على تسميته بوابة عشتار (٣) .

شارع الموكب :

بعد شارع الموكب ، الشارع الرئيسي لمدينة بابل والطريق المقدس الذي يربط المدينة ببيت الاحتفالات الدينية المعروف باسم " بيت اكينو " ويفترق شارع الموكب بوابة عشتار في اتجاه الجنوب . ويبلغ طول الشارع ابتداء من بوابة عشتار حتى باب سور زاقورة إى - تمن - أن - كى ومعبد ماردوك حوالي ٧١٠ مترا . أما اتساع الشارع فيتراوح ما بين ١٠ و ٢٠ مترا . ولقد رصف الشارع استنادا للنصوص المسمارية بنوعين من الحجارة البركانية التي يميل لونها إلى الاحمرار واللون الكلسي (٤) .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٥٥٢ - ٥٥٤ ، ص ٥٨٨ شكل ٦٠ ؛ د. سيد توفيق : تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، دار النهضة العربية ١٩٨٧ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ صور ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(٢) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٣) د. سيد توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٨١ - ٣٨٦ .

(٤) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ؛ Parrot, Assur, p.172

معبد مارمدوك :

وهو يعد المعبد الرئيسي في المدينة الذي أضيفت إليه زاقورة بسابل إي - ثمن - أن - كى . وهو مربع الشكل يبلغ طول واجهته الشمالية حوالي ٧٩,٣ متراً ويبلغ طول واجهته الغربية ٨٥,٨ متراً . وزود الجدار الخارجى بأبراج وأربعة مداخل في وسط كل جانب من جوانبه الأربعة . ويرجح أن تكون البوابة الشرقية هي البوابة الرئيسية التي تفتح على الفناء الداخلى . وتحيط بهذا الفناء مجموعة من الغرف ويقع قدس الأقدس الخاص بالمعبود مارمدوك على الجانب الغربى .^(١)

زاقورة إي ثمن أن كى :

تمثلت أهم عناصر ومعالم بابل الكلدانية في تجديد زاقورة إي - ثمن - أن - كى أى البرج البابلى المدرج أو البرج كما سماها الإغريق والعبرانيون والإغريق والمسلمون وحدائق مدرجاتها التي اشتهرت خطأ باسم الحدائق المعلقة . وخصصت هذه الزاقورة لمعبد المعبود مارمدوك أساساً ، المعبود البابلى القديم . فإلى الشمال من معبد مارمدوك ترتفع زاقورة بابل المعروفة عند البابليين باسم إي - ثمن - أن - كى أى بمعنى " بيت أسس السماء والأرض " وتقع الزاقورة في نطاق المعبد المقدس . وكانت محاطة بسور يمتد حولها وتعلوه أبراج كثيرة .^(٢)

كان بعض الباحثين قد أشار إلى وجود هذه الزاقورة قبيل الكشف عن أساساتها وأنها هي التي جاء ذكرها في سفر التكوين باسم " برج بابل " . فهل هذا يعنى أنها كانت موجودة منذ أقدم العصور أى منذ العصر السومرى أو الأكدي ؟ ولم

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ - ١١٠ .

تكن يمثل هذه الضخامة التي أصبحت عليها فيما بعد ، ففي عهد الملك شولوجي من عصر الأحياء السومري جاء ذكر معبد المعبود ماردوك دون أية إشارة إلى وجود زاقورة (أو برج) ملحقة به مما يدل على صغر حجمها في ذلك العهد . ولكن أعيد تشييدها وأضيف إليها بعد ذلك في العصر البابلي الأول ربما في عصر الملك حمورابي ويعتقد أنها دمرت خلال الهجوم الحيثي على بابل في حوالي ١٥٣٠ ق. م . وأيضاً عندما غزا الملك الآشوري توكلتي نينورتا الأول مدينة بابل ، وأما الدمار الشامل التي تعرضت له بابل وأثارها فقد كان على يد جيش الملك الآشوري سنحاريب . وبعد وفاته بدأ خليفته ابنه اسرحدون بإعادة بناء إى - ثمن - أن - كسى من جديد ، وذلك على نفس المكان الذي كان يقوم عليه أصلاً ولكن وفاة اسرحدون حالت دون إتمام هذه العملية لذلك أنجزها ابنه آشور بانيبال . وقد جاء ذكر هذا البرج تحت التسمية إى - ثمن - أن - كسى في النصوص الآشورية ويذكر الملك الكلداني نابو بولاصر مؤسس الأسرة ، في نصوصه أنه أعاد بناء البرج ، وأكدت نصوصه ومناظره أنه استقى وحى الأرباب في تخطيطها القديم واشترك مع ولديه في وضع أساسها ، فحمل أدوات البناء فوق رأسه ، وحمل ولى عهده طين اللبنة الأولى ، ورفع ولده الآخر معولا ومجرها (١).

ويرى البعض الآخر أن تاريخ بناء زاقورة لبابل يعود إلى أواخر الأسف الثانية ق. م . وهناك نقش يشير إلى وجود هذا البناء قبل عصرى نسابو بولاصر ونابوخذ نصر . ونتيجة لتداعى بناء للزاقورة في زمن نابو بولاصر عمل الملك على

(١) د. توفيق سليمان : أسطورة للنظرية السامية ، الجزء الأول " دلالتها وتطويرها - حقيقتها في التوراة - أسباب وضعها " ، بيروت ، دار دمشق ١٩٨٢ ، ص ١٧٥ - ١٧٩ .

تحدث المؤلف بإسهاب في هذه الصفحات عن أعمال التنقيب التي حدثت في مدينة بابل وذلك بسبب ما ذكره رواة سفر التكوين عن المدينة والسبرج اللذين كان بنو آدم يشيدونهما .

إعادة بنائها ولكنه لم يتمكن من إكمالها ، حيث لم يرتفع بناؤها في عصره إلا أكثر من خمسة عشر مترا .

ويصف لنا نابوخذ نصر عملية الإشراف على استكمال بناء الزقورة قائلا :
 " ... إى - تمن - أن - كى ، البرج المدرج لمدينة بابل ، الذى قام بتنظيف موقعه نابو بولاصر ، ملك بابل والذى ... وضع حجر أساسه ، وجدرانه الخارجية الأربعة ... ولكنه لم يتم بتعليق قمته لجعل إى - تمن - أن - كى عاليا وجعل قمته تتنافس وعلو السماء ، والأقوام الساكنة فى أقصى البلاد والتي بسط حكمى عليها ماردوك سيدى والمنتصر إله السماء ، جميع الأقطار وجميع الشعوب من البحر الأعلى إلى البحر الأسفل والأقطار البعيدة ... قد دعوتها للمساهمة " (١).

وبلغ هذا البناء قمة كماله فى عهد نابوخذ نصر ، ويؤكد ذلك مقاييس الطوب الذى كشف عنه معول المنقب كولوى . وتستدل من نص نابوخذ نصر أن أباه لم ينجز من البرج سوى خمسة عشر مترا من علو البرج الكلى الذى يقارب أحد وتسعين مترا . وأن نابوخذ نصر جلب عمال وصناع من مناطق عديدة وجنداه لبناء هذه الزقورة .

وكشفت أعمال البعثة الألمانية برئاسة كولوى فى بقايا الزقورة عام ١٩١٣ عن الأساسات والأجزاء السفلى منها . أى القاعدة السفلى مسرق معظم أجزائها وكذلك السلالم الثلاثة الواقعة فى الجانب الجنوبى من السبرج . فالسلم الأوسط وعرضه ٩,٣٥ متر كان يودى إلى وسط البرج وبهئى مدخلا للطابق الأول منه وطوله نحو ٦٠ مترا . أما السلمان الجانبيان وعرض كل منهما ٨,٣٠ متر ، يلتقيان فى وسط الحافة العليا للطبقة السفلى .

أما الوصف الذى أورده هيرودوت فيتلخص فى الحديث عن برج شامق يتكون من سبعة طبقات إضافة إلى المعبد العلوى فى قمة السبرج . وهناك لوحة مسمارية من الفترة السلوقية (٢٢٩ ق. م) تعرف باسم " أنو - بيل - ثونو " .

تعطينا قياسات لارتفاعات قواعد أو طبقات اليرج وما بقي منه في هذه الفترة . ويقص علينا الجغرافي ميترايون الذي زار آثار بابل في عام ٢٥ ميلادية إن إعداد الأرض وتمهيدها لبناء هذه الزقورة كان يستلزم جهود عشرة آلاف عامل لمدة شهرين أو أكثر . وفي أطراف سور المسطحات زرعت الزهور ولذلك أصبحت تشبه الحدائق المعلقة للنظر إليها من بعيد ، وكانت تروى بواسطة آلات رافعة . وكانت تخوم اليرج محاطة بسور يمتد حولها ، وعلى الجانب الداخلي من السور وعلى طول امتداده توجد أبنية مكرسة لعبادة إله المدينة . أما البنايات الواقعة في الجانب الشمالي الشرقي وضمن تخوم الزقورة فإنها على ما يبدو ليست معابد ولكنها عُرِف استخدمت كمخازن . أما الأبنية الواقعة على الجانب الجنوبي فإنها قريبة إلى مساكن ربما كانت مكان لإقامة الكهنة . أما الغرف الصغيرة الواقعة على امتداد أسوار الفناء الشمالي والغربي فهي على الأغلب كانت تستخدم لإيواء آلاف الزوار الذين يأتون لزيارة المعبد الرئيسي .^(١)

وخدمت زقورة بابل أربعة معابد أخرى كبيرة ، كان منها معبد " نين ماخ " ربة الخصب ، وهي معابد أخذت في تخطيطها وقواعد تماثيلها بالأسلوب الآكدي القديم دون الأسلوب الآشوري .^(٢) كما احتفظت أجيال الرواة العبرانيين والمسلمين بصورة أسطورية عن هذه الزقورة .

ومن حيث الواقع لم يتبق من هذه الزقورة غير أطلال لثلاث مدرجات (من أصل ثمانية) تؤدي إلى مسطحة الأول من ناحية الجنوب . وقد شيدت من الطوب اللبن وكسيت بالآجر ، وشكلت في واجهاتها كلها مشكاوات رأسية متعاقبة ، وأنها توسطت فناء سورا عظيم الاتساع (٦٦٧ × ٣٦٥ مترا) ، ويقع المدخل الرئيسي لسوره من ناحية الشرق . ويرى طمء الآثار بعد الأخذ بما ذكره هيرودوت

(١) انظر مخطط رقم (٩) لزقورة بابل ومعبد ملودوك في مؤلف حياة إبراهيم، السابق ذكره

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٥٥٢ .

وغيره من المؤرخين من أن كل مسطح من المسطحات المتعلقة للزقورة قد لون بلون مختلف عن اللون الآخر ، ومن الألوان التي اقترحوها لها أو لمسطحاتها على التتابع ألوان :

الأبيض ، الأسود ، البنفسجي ، الأزرق ، البرتقالي ، الترمزي ، الفضي والذهبي .^(١)

وكان طول ضلع مسطحها الأول يبلغ حوالي ١٨٣ مترا ، بينما بلغ طول ضلع مسطحها الثاني نحو ١٠٦ مترا . وتضمن عدة مقاصير لكبار أرباب بابل والمدن المجاورة مثل ماردوك ونبو ويا وأنو وسين وتاشتنتوم ونوسكو ، وعدة حيرات لكنوز للزقورة .^(٢)

وكان يصل بين الزقورة ومعبد ماردوك طريق للمواكب ارتفعت أرضيته عن مستوى أرضية المدينة ورصفت باللبن المكسو بالقار ثم غطيت ببلاطات متممة من الحجر الجيري وحفت بها مربعات صغيرة من قطع الرخام الأحمر (البرشيا) . وكان يحف بالطريق جدران وتطل على جانبيه أبراج متباعدة ويبدو أن بعض واجهات جدارنه كسيت بأفريل من الأجر الملون ونقشت نقشا بارزا يمثل الكائنات الحارسة وبخاصة الأسود .^(٣)

وقد قام بهدم هذه الزقورة التي اعتبرت ضمن عجائب الدنيا السبع القديمة الملك الفارسي أكبركسيس الأول في القرن الخامس ق. م.^(٤) وقد حاول الإسكندر الأكبر إعادة بناءها مرة أخرى ولكنه عدل عن ذلك لضخامة أصل البناء .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٥٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .

(٤) المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٥٥٣ ؛ د. نبيلة عبد الحليم : المرجع

السابق ، ص ٢٣٤ ؛ وراجع أيضا فيما سبق ص ٩١ .

كما استخدم أهل المنطقة معظم لبناتها الباقية في مبانيهم الحديثة .

نابونيهيد :

كانت انطلاقا بابل الكلدانية أشبه بصحوة الموت بالنسبة لتاريخ العراق القديم فلم تستمر النهضة بعد نابوخذ نصر طويلا ، وتعاقب ثلاثة ملوك من أسبرته على العرش في مدى سبع سنوات ملؤها العنف والنزاعات الداخلية ، ثم انتقل الحكم منها إلى نابونيهيد ، الذي كان من أسرة يويدها الكهنة ، فقد تدخل الكهنة أكثر من مرة في شئون الحكم ، وفي هذه الفترة بدأ نجم الملك قورش الفارسي في الظهور ، فحاول نابونيهيد التقطاع بمناصرة قورش ضد الميديين حلفاء بابل بالأمس . وكان يهدف من وراء ذلك إلى تخلص مدينة حران الآشورية من سلطانهم لحسابه ، ونجح في استعادتها فعلا وجدد معبدها . ثم تمالى في الثقة بنفسه فغزا شمال سوريا حتى وصل حماة وجبال أمانوس . وغزا جنوبها حتى أدوم وغزة ولأمر ما أناب نابونيهيد عليه على عرش بابل ولده بال شار أوصر .

وفي عام ٥٤٥ ق.م . صحت عزيمة الملك الفارسي قورش وبدأ في تنفيذ مشروعه لغزو الهلال الخصيب كله . وهنا حاول نابونيهيد أن يجمع الأحلاف حوله ، وخشى الآخرون من بطش الفرس العتاة ، ولم يستطيعوا الوقوف أمام الفرس ، ودخل قورش بجيوشه بابل وادعى في نصوحه أنها فتحت أبوابها له ورحبت به ملكا .^(١)

(١) يبدو أن الاستيلاء على بابل كان أمرا في غاية الصعوبة ، لأن استحکامات برج بابل وأسوار المدينة ومناعتها كان أمرا معروفا ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد توجه قورش للاستيلاء عليها ، وعبر الجيش الفارسي نهر دجلة في ربيع عام ٥٣٩ ق.م. وكتب المؤرخون أن ارتفاع سور المدينة كان يبلغ ثمانين ذراعا وأن قطره كان خمسة وعشرين ذراعا ، وكان على هذا السور خمسين برجاً للمراقبة ، ومزود ببوابات من البرونز ، راجع حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم من البداية حتى عصر الساساني (ترجمة د. محمد نور الدين عبد المنعم ود. السباعي محمد السباعي) ، ص ٨٢ وحاشية (٢) .

وهكذا انتهى دور بلبل في التاريخ القديم كدولة مستقلة في عام ٥٣٩ ق. م . كما انتهى قبلها دور آشور بعد عام ٦١٢ ق. م . ولكن زوال دورهما السياسى لم يستتبعه إطلاقا زوال تأثيرهما الحضارى فى الشرق الأدنى القديم .

وبقيت بلاد النهرين تحت الحكم الفارسى إلى أن جاء الإسكندر المقدونى واستولى على بلبل عام ٣٣١ ق. م . ثم استطاع الفرس بعد فترة طرد حلفاء الإسكندر من بلادهم وبلاد النهرين ، وفى هذا الوقت دخلت إلى أواسط بلاد النهرين موجه من اللخميين العرب ، ومنهم المناذرة الذين كانوا فى كثير من الأحيان حونا للفرس الساسانيين ضد الرومان .

أرسل سيدنا أبو بكر جيش المسلمين لغزو بلاد الفرس ، فبدأ بجنوب العراق وكان قائد الجيش خالد بن الوليد الذى تقابل مع هرمز الذى أعد جيشا كبيرا واشتبك مع المسلمين فى معركة انتهت بمقتله وهزيمة الفرس . وتولت الانتصارات التى حققها خالد بن الوليد فى جنوب العراق ، فسيطر خلال المدة التى مكثها فى العواق ، قرابة سنة ، على أجزاء واسعة منه ، وصالح بعض القبائل ، وقبل منها الجزية .

العراق القديم وعلاقاته الخارجية :

منذ أيام الأسرات السومرية - تعرضت مدينة أور لهجوم القبائل العيلامية من إيران ، وفى عصر الأمرات السامية - تعرضت عيلام للهجوم عيلاميا وعلى عاصمتها سوم من قبل الملك سرجون الأول . ووصول نفس الملك إلى آسيا الصغرى وسيطرته على جزء كبير من الأناضول ويقال أنه وصل جزيرة قبرص ويبدو أنه واصل أطماعه حتى جزر البحرين ، ولقام المنشآت فى شرق شبه الجزيرة العربية .^(١)

(١) د. أحمد فخري : المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥ ؛ وأيضا :
Contenau, op. cit., p. 92.

وفى اسيرة لجيش الثانية التى كانت معاصرة لأورنمو مؤسس اسيرة أور الثالثة - تولى جوديا حاكم لجيش وقام بتشجيع التجارة مع كثير من أقطار الشرق الأدنى القديم مثل عيلام وسوريا والأناضول (١).

وفى نهاية أسيرة أور الثالثة (عاد النفوذ السومرى مرة أخرى) ونجح العيلاميون فى هزيمة آخر ملوك هذه الأسرة ونفيه إلى عيلام ودمروا أور (٢).

* وعند قيام دولة بابل الأولى تقابل حمورابى مع ملك لارسا ريم سين فى حرب قاسية وانتصر عليه ثم تقدم إلى مارى واستولى عليها .

وتمكن الحيثيون فى نهاية الأسرة البابلية الأولى من القضاء عليها . وبعد أن قضى الحيثيون على مملكة بابل وجد الكاسيون الفرصة سانحة لإخضاع بابل لسلطانهم . واستطاع أولام - بوريث ملك الكاسيين من أن يهزم ملك أرض البحر ويقضى على مملكة بابل الثانية (٣).

وتم القضاء على الأسرة الكاسية بواسطة ملك العيلاميين شورتورك - ناخونتا أثناء العهد الآشورى الوسيط .

وفى أثناء العهد الآشورى الحديث الذى قامت فيه الإمبراطورية الآشورية الأولى ، تولى شالمانصر الثالث الذى قام بحملات فى سوريا وفلسطين وقضى على أحلاف الآراميين والعمانيين فى قارقر . وفى عصر الملك تيجلات بلاصر الثالث بدأ ملوك آشور يتدخلون علانية وأكثر من مرة فى شئون سوريا العليا وخاصة فى

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٤٦ - ٤٥٢ ؛

د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ ؛ وأيضا :

Contenau, op. cit., p. 92.

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ - ٤٨٣ ؛ د. أبو المحاسن

عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٦٩ ؛ وأيضا :

Contenau, op. cit., p. 98.

شنون مملكة ممال

وفي عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية تدخل الملك شالما نصر الخامس في شنون فلسطين وحاصر البامرة . وتولى سرجون الثاني وقام بإعادة الاستقرار في فلسطين والاستيلاء على البامرة التي مهدت له السيطرة على سوريا العليا وفلسطين . وتولى سنحاريب الحكم والتدخل مرة ثالثة في شنون الولايات السورية والفلسطينية . واستطاع سنحاريب القضاء على التحالف هناك . ثم حارب عيلام في موقعة هالولي ، ثم حاصر أورشليم وأخضعها . وتولى الملك أسرحدون الذي وضع خطته لغزو مصر والحد من قيام الثورات على فلسطين فاتجه إلى الشاطئ الفينيقي وقضى على صيدا ودخل حدود مصر عن طريق شرق الدلتا .

وفي عهد الملك آشور اتل ايلتي شن أحد الملوك الميديين هجوما على آشور فصدده الجيش الآشوري . واستطاع أخيرا الملك كي إكسار ملك الميديين أن يستولى على شمال العراق واتفق مع ملك بابل وهاجما معا عاصمة آشور فسقطت في أيديهم بعد حروب عنيفة . ولم يهتم الميديون بامتلاك آشور واكتفوا بنصيبهم من الغنائم وقيام العهد البابلي الجديد (المملكة الكلدانية) وتولى نابوخذ نصر الثاني وتدخله في شنون فلسطين وأمره للحاكم اليهودي سنبسياس مع الكثير من سكان مملكة يهوذا واحتلت أورشليم وخربت بأكملها .^(١)

العراق القديم وعلاقته بمصر :

ترجع علاقات مصر مع العراق إلى عصور ما قبل الأسرات ، فقد كان هناك تشابه كبير في فن كل من البلدين ، تشابه في العمارة (المقابر) والأختام الأسطوانية وخاصة في تمثيل الحيوانات بأسلوب ضخيم وأسطوري أحيانا وأكثر وضوحا بحيث نلمس أن بعض الأشخاص كان لهم نفس النفس الزوى ويسكنون نفس

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٧٦ - ٣٨٥ ؛ د. أبو المحاسين

عصفور : المرجع السابق . ص ٥٠٨ - ٥١٤ ؛ وايضا :

Contenau, op. cit., p 114 - 117

المساكن . وبوجه عام كان هناك تطور متشابه ومتعاصر في كلتا الحضارتين ، وبعد هذه الفترة يبدو أن الاتصال قد توقف قليلا لفترة ما وانطوت مصر على نفسها ويبدو أنها اكتفت بالعلاقات التجارية .^(١) كان ملوك بابل وآشور خلال الدولة الحديثة يتبادلون المراسلات المطولة مع ملوك مصر ، ولكن يبدو أن الأمر لم يتعد في كل هذه المراسلات سوى الأدب الدبلوماسي فقط . ونلاحظ من جهة أخرى أن أجناس هذه الإمبراطوريات البعيدة ظلت غريبة على الشعب المصري ، ولم يحدث أن ظهرت على الآثار المصرية أشكال أو تماثيل للبابليين ، وأطلق المصريون على نهر الفرات الاسم الشائع ماء نهارين أو " النهر الذي تجرى مياهه على عكس مجرى نهر النيل " أى المياه المنعكسة .^(٢) ونعلم أيضا أن تحوتمس الأول ، قد أقام لوحات الحدود على نهر الفرات ، وهي جزء من الميامة أو العلاقات ذات الطابع العسكري ووصل تحوتمس الثالث إلى نهر الفرات .^(٣)

وكان هناك نوع آخر من العلاقات الدبلوماسية وهي علاقات المصاهرة فنجد أن الملك تحوتمس الرابع تزوج من أميرة ميتانية هي موت أم ويا ، وقد أعطى لها هذا الاسم عند وصولها إلى مصر . وكانت مملكة ميتاني دولة متحضرة يحكمها أمير يسمى إرتاتما وكان نهر الفرات يفصل هذه المملكة عن ممتلكات الملك المصري في آسيا ، وقد رأى تحوتمس أنه من الأفضل عقد معاهدة مع إرتاتما وثقوية هذه العلاقة بالزواج حتى لا تتعرض مناطق نفوذه البعيدة في آسيا لأى هجوم أو متاعب ، وتزوج أمنحتب الثالث من الأميرة الميتانية " جيلوهيبيا " ابنة الملك شوتارنا التي وصلت إلى مصر ومعها ثلثمائة ومربع عشرة من حريم الشرف . وتزوجت من الملك ، ولكنها نحت إلى الصف الثاني بواسطة الملكة تي فيما بعد ، وبعد وفاة شوتارنا تولى الملك بعده ابنه توشراتا فأرسل إلى ملك مصر أميرة صغيرة

(١) Contenau, op. cit., p. 83.

(٢) Erman - Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 690.

(٣) د. رمضان السيد : تاريخ مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية رقم

٢١ ، هيئة الآثار المصرية ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٨١ .

السن وهى تادوهيا فى الوقت الذى كان فيه امنحتب الثالث مريضاً بسبب كبر سنه واعتلال صحته .

استمرت وصول الخطابات البابلية إلى مصر من كل من كادشمان انليل وبورنابورياس . وكانت خطابات الأول تعبر عن رغبة ملحة فى الحصول على الذهب . وكان الملك أمنحتب الثالث يرسل له ثلاثين وزناً منه كل عام .^(١)

وكتب ملك بابل كاداشمان انليل الأول إلى أمنحتب الثالث ، يعتذره بأنه ليست له ابنة يرسلها عروساً إليه ، ويرجوا فى الوقت نفسه بأن يزوجه من إحدى بناته فأعذر أمنحتب الثالث بحجة أنه لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أى إنسان . فعاد الملك البابلى وألح عليه بأن يختار له فتاة من قصره . ومن بين الرسائل التى عثر عليها فى تل العمارنة رسالة من ملك بابل كالميسين الذى كتب إلى الملك المصرى أمنحتب الثالث أن ابنته التى طلبها الملك للزواج قد بلغت سن الرشد ، وأنه سوف يرسلها إليه ويعلن أن كمية للذهب التى أرسلت إليه كانت ضئيلة .^(٢)

وبعد وفاة أمنحتب الثالث ، أرسل بورنابورياس ملك بابل ، خطابين إلى أخناتون يحدثه فيهما عن بعض القلاقل فى فلسطين ، وما تعرضت له بعثته التجارية فى مكان ما بجوار عكا . ونجد الملك البابلى يحذر الملك المصرى من تكرار مثل هذه الأعمال خشية أن ذلك يضعف من نفوذه وفى خطاب ثالث يتحدث عن مجموعة من الحكام الكنعانيين أرادوا أن يكونوا حلفاء مع بابل لمهاجمة المناطق الخاضعة للنفوذ المصرى . وكان ذلك فى عهد والده كوريجالزو الذى رفض هذا العمل الموجه ضد

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٤ .

(٢) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤ ، ٩٩ .

حليفه أمنحتب الثالث. ^(١) عثر على نسخة من أسطورة نرجال واير شكيجال . وهى الأقدم ، ضمن رسائل تل العمارنة ويعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق. م. وهى نسخة مختصرة لا تتجاوز تسعين سطرا . وتدور أحداثها حول نزول نرجال من السماء إلى العالم السفلى ومهاجمته لاير شكيجال وإنزالها عن عرشها وكيف أصبح ملكا على الأموات ^(٢) فى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين أخذت هذه العلاقات طابعا آخر ويتمثل ذلك فى الغزو العسكرى الآشورى لمصر فى نهاية حكم ملوك نباتا . وجاء الآشوريون إلى مصر ثلاث مرات : ^(٣)

الغزوة الآشورية الأولى (٦٧١ ق. م) :

فى عام ٦٧٤ ق. م . أى فى السنة السادسة عشر من حكم الملك الكوشى طهرقا ، بدأ الملك الآشورى أسرحدون سلسلة من الهجمات ضد مصر أدت فى النهاية إلى سقوط أسرة ملوك نباتا ، وكان أسرحدون قد تولى من بعد سنحاريب ، ورأى من الأفضل إعادة سياسة الغزو فى فلسطين واستولى على صور ، ولم يمنع الفشل الذى منى به طهرقا فى فلسطين من قبل فى أن يحول أنظاره عن آسيا بل على العكس نجده يتابع سياسة التحريض وإشغال الثورات ضد الآشوريين فى سوريا أثناء إقامته فى تائيس ، فهو بدون شك ولا أحد سواه الذى أشار للتمرد فى صيدا ، فقرر أسرحدون فى ٦٧١ ق. م. مهاجمة مصر مباشرة ونجح فى عبور صحراء سيناء ووصل إلى وادى الطميلات ، وقد تقادى الدلتا ، حيث تجمعت فيها بالتساكيد القوات المصرية ، ودمر الحاميات المصرية ووصل فى خلال خمسة عشر يوما إلى منف واستولى عليها كما أسر الحريم وعائلة طهرقا وقال : " إنه انتزع جنود كوش من مصر " . واتجه بعد ذلك نحو الدلتا التى هاجمها من الخلف وأخضعها لسيطرته . أما عن طهرقا فقد نجح فى الهروب فى البداية إلى طيبة ، ثم هدد أسرحدون هذه المدينة ، وسار بمحاذاة الوادى نحو الجنوب ، على حين أسر مقتومحات حاكم المدينة والكاهن الرابع لأمون رع بالاعتراف بالسيطرة الآشورية حتى يتجنب سقوط طيبة ،

(١) د. عبد القادر خليل : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
(٢) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٣٥ - ١٣٧ .
(٣) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦٣ .

وارسل منتومحات الجزية لكى يتفادى لقاء الفاتح القوى ، ويرى بعض المؤرخين أنه فى بداية الأمر نجح طهرقا والمصريون للذين معه فى مطاردة الغزاة إلى ما وراء الحدود الشرقية للتلتا .

ولكن فى عام ٦٧١ ق.م . هزم طهرقا بالفعل ، وانسحب إلى مصر العليا بعد سقوط منف ، وأدرك اسرحدون أن السبيل الوحيد للاحتفاظ بالبلاد التى تعرضت للهزيمة هو تقسيمها إلى ممالك صغيرة متشابهة مثلما كان الحال عند غزو بونخى لها ، وتبعاً لذلك قسمت البلاد إلى عشرين مقاطعة منفصلة ، ويحكم فى كل منها أمير محلى من المقاطعة ، وسحوا للأسرات المحلية بأن تبقى فى أماكنها ، وتولى مهام الحكم فى سايس ومنف الأمير - نكاو - الذى كان يبدو من سلالة تـف نخت المنافس السابق لبونخى ، وحفيد باك إن رن إف . وفى تانيس كان يوجد أمير يسمى بادى بامت وفى مندىس كان يحكم على العرش الأمير بامى الذى ربما كان ابناً للحاكم الذى سلم هذه المدينة لبونخى ، واتباع اسرحدون نفس هذه السياسة فى بعض الأكشليم الأخرى .

ولأسباب ما غادر اسرحدون مصر بسرعة - ربما - بسبب مرض مفاجئ ولم يترك وراءه غير قوات قليلة ، واستغل طهرقا رحيله لكى يحرض حكام الأكشليم الذين خضعوا له أثناء الغزو الآشورى .

الغزوة الآشورية الثانية (٦٦٦ ق.م) :

لم يعد طهرقا نفسه منهزماً ، فقد عاد فى عام ٦٦٩ ق.م . إلى منف وبدأ يبحث عن حليف فى آسيا الصغرى ، وحاول أن يؤلب الأمراء ضد الاحتلال الآشورى ، وعقد هؤلاء الأمراء معاهدة مع طهرقا فى مصر العليا ، الذين فضلوا سيطرته على سيطرة اسرحدون ، وكان هذا التحالف سبباً فى عودة الآشوريين مرة ثانية فى عام ٦٦٦ ق.م ، وكان طهرقا قد استطاع أن يسترد منف ، ولجأ اسرحدون إلى القيام بحملة لكنه توفى فى الطريق وبعد قليل أخذ ابنه وخليفته آشور بانتيال فى تنفيذ مشاريع أبيه فأرسل قائده الأعلى الذى جمع قوات الإمبراطورية من فينيقيا وسوريا وفلسطين ، ولم يكن قد مضى أكثر من ثلاثة أعوام على نجاح طهرقا فى

جمع المصريين من حوله وأرسل آشور باتييال جيشا إلى مصر ، ودارت المعركة في شرق الدلتا وهزم الجيش المصري في كاربانيه Karbanit ثم تقدم الغزاة إلى منف واستولوا عليها مرة أخرى وفر طهرقا للمرة الثانية إلى طيبة وعندئذ تتبعه الغزاة بصعودهم النيل والاستيلاء على طيبة التي تعرضت للسطب والنهب من جانبهم ونجت من التدمير ، مما خفف من وقع الكارثة . وبعد ذلك نزل الآشوريون إلى الوجه البحري ، وأقاموا الحاميات في المدن الرئيسية ، وعما قريب نجد أن نكاو أمير سايس واثنين أو ثلاثة أمراء آخرين قد بدأوا في التفاوض مع طهرقا ، الذي استقر من جديد في طيبة أملا منهم في التخلص من الآشوريين .

لكن هذه المحاولة باءت بالفشل وقبض على نكاو ومؤيديه وأرسلوا مقيدسين بالحديد إلى نينوى - عاصمة الآشوريين - ونجح نكاو في النهاية في كسب ود الآشوريين وحصل على العفو ، وكان آشور باتييال ذكيا أكثر مما يجب ، ولذلك عفا عن نكاو ، وسمح له بالعودة إلى سايس محملا بالهدايا وحكم هناك وأصبح مواليا للآشوريين ، وظلت طيبة وكل الأجزاء الجنوبية من مصر العليا مخصصة لطهرقا ، ولم يحاول الآشوريون التوغل إلى هذه المناطق مرة أخرى .

ثم توج تانوت آمون كملك على كل من نباتا وطيبة في عام ٦٦٤ ق.م ، ولم يتردد في الذهاب للإقامة في طيبة لكي يحاول غزو البلاد كلها .

ووصل إلى طيبة وتقدم إلى منف ، وظل نكاو وفيا لأشور باتييال وقتل أثناء الصراع ، وسقطت منف في أيدي مؤيدي وجنود تانوت آمون وقدم القربان للمعبود بتاح ثم أبحر بعد ذلك ليقابل أمراء الدلتا الذين فضلوا السلام على الحرب ، وتقبل ولاء أغلب الأمراء المحلية في الدلتا وفيما بعد نجد أن الدلتا كلها بدأت تصور ضد الآشوريين وتحالف مع تانوت آمون الذي كان قد دعا أمراء الدلتا إلى قصره ، وكان المتحدث بلسانهم هو أمير سويد - باخروى - وفي هذه الأثناء كان منتومحات يتولى شئون طيبة ، وغطى سلطانه نفوذ كبير الكهنة واكتشفت له آثار عديدة تبين أنه كان مواليا لطهرقا وتانوت آمون .

الغزوة الآشورية الثالثة (٦٦٤ ق. م) :

على الرغم من أن الآشوريين قد خرجوا من مصر للمرة الثانية فإنهم لم يترددوا في العودة إليها مرة أخرى ، وأصبح الطريق ممهدا أمام آشوربانيبال لدخول مصر ، وتقدم بجيوشه دون أن يقوم بمعركة فعلية ، وقد فر تانوت آمون إلى طيبة . وجاء حكام الدلتا الموالون للآشوريين لتقديم فروض الطاعة للفتاح . وفي هذه المرة أراد آشور بانيبال أن يعاقب بشدة عدوه تانوت آمون ، وتتبعه حتى طيبة واستولى على المدينة التي نهبها ودمرها . ومن بين الغنائم التي سلبها سلتان من الذهب والنحاس ، وذراع نبال سقطت المدينة الكبرى في جميع أنحاء العالم القديم ، وقد أشير إلى هذا في الكتاب المقدس في سفر ناحوم الجزء الثالث ، ٨ ، الذي ذكر أيضا أن أطفالها قتلوا في كل مكان في أنحاء المدينة وحكم على نبلاتها بالنفي والأسر وقيد كل كبار نبلاتها بالسلاسل . أما عن تانوت آمون فقد أرغم على الفرار فيما وراء الحدود الجنوبية إلى نباتا ، وهكذا عاد تانوت آمون إلى كوش ، حيث لم يعد من هناك على الإطلاق وتوفي هناك ودفن في كورو . وهو بعد آخر ملك في سلالة ملوك نباتا الذين حكموا على عرش مصر .

وفي نقش عثر عليه في الكرنك يذكر لنا منتومات الأعمال التي قام بها في محاولة لإعادة بناء ما دمره الغزاة فهو يقول : " لقد طهرت كل المعابد ، وهذا ما يجب صله لأنها سرقت بعد غزوة قام بها أجنبى أجنبي " . ويتحدث عن الكارثة كما لو كانت " عقابا مقدسا " وكان يبحث دائما عن وسائل جديدة يعيد بها إلى المعابد هيئتها وكان " يعمد أيامه ولياليه في البحث والتفكير " .^(١)

وفي بداية الأسرة السابعة والعشرين عندما غزا قميص مصر كسان جيشه يضم أعدادا متنوعة من مختلف الأجناس والعناصر وخاصة البابليين للكدانيين ، نجد أن البابليين قد جاءوا إلى مصر ولكن في صورة أخرى غير التي دخل بها

(١) Leclant, Montouemhat, quatrieme prophete d'Amon, BdE 35 (١) (1961), p. 60.

الاشوريون مصر في نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ، فقد جاء البابليون هذه المرة في ظل الغزو الفارسي . فبعد سقوط بابل في عام ٥٣٩ ق.م دخل قورش إلى بابل وتوج ملكا في معبد بابل ، وكان من الطبيعي أن تتضمن عناصر من البابليين إلى جيشه الذي استعان بهم خليفته قمبيز عند غزوه لمصر . وفي دراسة حديثة للباحث د. صبحي يونيس عن البابليين في مصر خلال العصر الفارسي الأول^(١) وذلك من واقع الوثائق الآرامية التي عثر عليها في الفنتين والتي كانت تعيش فيها هذه الجالية البابلية ، وترجع هذه الوثائق إلى القرن الخامس ق.م ويتضح من دراسة هذه الوثائق وجود أسماء لشخصيات أصلها بابلي ويتداخل فيها أسماء معبودات بلاد النهرين : نبو ، سين نانا ، ماردوك ، شمش ، اداد^(٢) وعاش البابليون في هذه المنطقة في دأخل حامية خاصة بهم ، وابند إلى رجال هذه الحامية حماية حدود ميسر الجنوبية ومراقبة طرق التجارة القادمة من الجنوب وأيضا اسند إليهم استخراج الأحجار من محاجر أسوان . وكان زمام القيادة العليا لهذه الحامية في يد الوالى الفارسي وقد خص الفرس أنفسهم بالمراكز العسكرية العليا بينما شاركهم البابليون فى الرتب الوسطى . أما وظائف صغار الضباط فكانت أغلبها من نصيب البابليين وشاركهم فيها الآراميون . ويظهر هذا الوضع المتميز للبابليين في مصر إبان القرن الخامس ق.م في تولي أحدهم وهو " مانوكى " منصب القاضى وذهب في عام ٤٣٥ ق.م مع اثنين من القضاة الفرس من أجل فحص أحد القضايا كما كان هناك عدد كبير من كتبة الوثائق من البابليين كما تولي لثان من أفراد الجالية البابلية في مصر مسئولية بعض الإقطاعات والضياح التابعة للوالى الفارسي في كل من الوجه القبلى والوجه البحرى . كما تولي بعضهم وظائف أخرى مثل اصطحاب القوافل التجارية والممل في

(١) د. صبحي يونيس : البابليون في مصر القديمة خلال العصر الفارسي الأول .

(٢٥٠ - ٤٠٤ ق.م) في كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الأنثروبولوجيين

العرب ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ٤١ - ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ - ٤٨ .

تجارة الرقيق (١).

وهكذا عاش البابليون في منطقة أسوان (ومنف) وسط مجموعات سامية أخرى عاشوا جميعا متجاورين في جزيرة الفنتين دونما اى نوع من التواصل .
ورأينا كتبة بابليين يكتبون عقودا لعائلات يهودية ، ويشهد آخرون منهم عليها كما تزواج البابليون مع غيرهم ممن حولهم . ويستدل من الوثائق الآرامية أن البابليين أحضروا معهم إلى مصر معبوداتهم . فقد ورد على أحد البرديات من الفنتين ابتهالات للمعبودات : بعل ، ونبو ، وشمش ، ونرجال . كما جاء ذكر اسم معبد للمعبود نابو في أسوان على بردية من سفارة . وعلى الرغم من مشاركتهم غيرهم عقائدهم فقد حافظوا على معتقداتهم الخاصة بهم (٢).

ويختتم الباحث دراسته بالتأكيد على أن البابليين عاشوا إلى جانب الفرس والجاليات السامية الأخرى في الفنتين وشاركوهم تعاملات الحياة اليومية وتم نوع من الزواج المختلط في بعض الحالات بينهم وبين الفرس والآراميين : لهذا خرجت أجيال تحمل أسماء مشتركة ومتداخلة فتسمى البابليون بأسماء فارسية ومصرية ويهودية وكذلك فعلت العناصر الأخرى (٣).

وكنا أشرنا فيما سبق إلى العثور في جزيرة الفنتين على إحدى عشرة بردية تحتوى أربع لفات منها على قصة " أحيقار " مدونة بالخط الآرامي وترجع إلى القرون الخامس ق.م . وكيف تعرض هذا الحكيم لوشاية من ابن أخيه نادين في عصر الملك اسرحدون الذى أمر بقتل الحكيم: أحيقار ولكنه بفضل حماية الضابط الذى كلف بقتله وكان أحيقار قد أوى من قبل هذا الضابط . أما لفات البردى السبع الأخرى فإنها تحتوى على مواظ وإرشادات أحيقار التى أتخذ فيها من حكايات الحيوانات أمثلة يعزز بهات حكمته (٤).

(١) د. صبحي يونس : المرجع السابق ، ص ٤٩ - ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٤) راجع فيما سبق ، ص ٢٧١ .

بعض المظاهر الحضارية في العراق القديم

سوف نتحدث هنا باختصار شديد عن بعض المظاهر الحضارية في العسواق القديم .

• ففي الواقع كان لكل عصور من عصور العراق القديم التاريخية خصائصه الحضارية التي يتال بها .

فهناك حضارة العصر السومري (وما فيها من فنون ونحت للمسكن والمقابر ^(١)) وحضارة العصر الأكدي (وما فيها من فنون متنوعة) .^(٢)

وحضارة عصر الإحياء السومري (وما فيها من فنون متعددة) .^(٣)
وحضارة دولة بابل الأولى (وما فيها من تشريعات وأدب بابلي غني ورفيع) .^(٤)
وقد اشرنا من قبل إلى المظاهر الحضارية في عصر هذه الدولة في مجال الأساطير وفي علم الجغرافية وفي العلوم الطبيعية وفي مجال الطب والفلك .^(٥)

وحضارة العصر الكاسي (وما فيها من حياة فكرية خصبة)^(٦) . وحضارة آشور (وما فيها من تقدم في مجال العمران والفن والأدب)^(٧) وأخيرا حضارة العصر البابلي الأخير (وما فيها من فن وعمارة) .^(٨)

(١) د. عبد صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٤٠٤ - ٤١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤١٨ - ٤٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥٩ - ٤٧٨ .

(٥) راجع فيما سبق ، ص ٢١٣ - ٢١٧ .

(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ - ٤٩٣ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٥٣٠ - ٥٤١ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٥٤٤ .

أولا : نظم الحكم والإدارة :

(١) الملك ومعاونوه : فى كل أسرة كان تقديس الملك شيئا مسلما به ، كما حدث بالفعل فى عصر الأسرة الأكديّة وخلال عصر أسرة أور الثالثة .

وفى بداية الأمر كان الملوك محل تقديس بعد وفاتهم ولكن فيما بعد كانوا يقدسون أثناء حياتهم أيضا . وكان مفوضا من المعبودات ويمسك نفوذه وسلطانه عن طريق الحق المقدس الذى منح له . وهو بذلك يحقق إرادة المعبودات ، فهو الذى يعلن الحرب بأمّتهم ويعلن السلم باسمهم وكان الملك يمارس سلطانه بعد أخذ مشورة المعبودات . وذلك عن طريق كهنة الوحي المقدس . وكان من واجباته حماية الناس وقيادة الجيش ونشر العدالة وإقامة المشاريع العامة . وفى العراق القديم كان الملك هو الكاهن الأكبر (من الناحية النظرية على الأقل) وكانت الملكة هى الكاهنة الكبرى ولكنهما لا يمارسان هذه الوظيفة على الإطلاق . ولكن نجد فى بابل على سبيل المثال ، كان الملك هو الذى يعطى إشارة البدء فى موكب أعياد العام الجديد ، وذلك بالأخذ بيد تمثال المعبود ماردوك ، وكان يفوض فى كثير من الاحتفالات ، الكهنة الذين يؤدون الطقوس باسمه .

وكان هذا الاعتقاد سائدا فى الملكيات الأخرى فى غرب آسيا (أسرة أكد واور وبابل وآشور) . وكانوا يؤكّدون هذا الحق فى مراسيمهم ، فالملك كان يلقب بلقب " ملك الأغلبية والأقطاب الأربعة فى العالم " .

وكانت الملكية مطلقة ووراثية ، وكان الابن الأكبر هو ولى العهد ، ولكن هذا لم يمنع حدوث اختصاب والاستيلاء على العرش بدون حق شرعى فى بعض الفترات .

وكان يساعد الملك فى ممارسة سلطانه ووظائفه ، وزير أو مسئول كبير أو وزير كان يختار فى أغلب الأحيان من الأقرباء فى عائلة الملك وكان يعاوننه أيضا وزراء فى المالية والشنون الاقتصادية . وكان الملك بنفسه هو الذى يشرف على تطهير الأنهار

وشق القنوات وبناء المعابد وكل المشروعات العمرانية (١).

وكان هناك طبقة من الموظفين العموميين . ومن هؤلاء الذين يرسلهم الملك كسفراء للخارج ومعهم مترجمون وكتبة وقضاة (٢) . وكان حكام الأقاليم يلقبون أنفسهم بلقب " وكيل المعبود " أى أنه يستمد سلطانه من سلطة معبود المدينة أو الأقاليم المحلي .

وكان يطلق على الحاكم الأقليم أو المدينة اسم " اشاج " (٣) الذى نجده مذكورا بصفة دائمة على اللوحات ، وأصبح حاكم الإقليم بعد ذلك ضمن موظفى الملكية . ومن أهم موظفى القصر بجوار الملك ناظر القصر الملكى وأمين خزانة الملك وإلى جانب هذين الموظفين يوجد عدد من الموظفين والحرفيين والمتخصصين وأصحاب الخبرات (٤).

ومن ناحية أخرى علمنا بطريق مباشر ، أنه كان هناك سلم وظيفى لموظفى الدولة فى العصر الآشورى ، وذلك لأن بعض الموظفين كانوا يسجلون أسمائهم ووظائفهم بالتتابع طبقا لسنوات حكم الملك . وقد عثر على قوائم عديدة من هذا النوع (٥).

وفى الألف الثالثة ق.م كان الكاهن الأكبر يعين بواسطة الملك عن طريق الاختيار ولكنه أصبح موظفا ملكيا فى الألف الأولى ق.م (٦).

(٢) الفراتين : يعد القانون المرأة الحقيقية لمقياس حضارى أى بلد ، وقد كشفت لنا

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) Contenau , op. cit ., p 77 .

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٥) Contenau , op. cit ., p. 76-77 .

(٦) Id , op. cit ., p. 78 .

الحفائر في العراق من مجموعات من النصوص التي تمثل مجموعة من القوانين أو النصوص القانونية بعدد وغير تعد من أقدم الشرائع المدونة منها :

- ما ينتمي إلى عصر الملك أوركاغينا من سلالة لجش في أواخر العصر السومري الأول والذي يعد أول مشرع في تاريخ البشرية حيث وردت بعض الإشارات من عصر فجر الأسرات تشير إلى إصلاحاته الاجتماعية وتنظيمه الإدارة وإزالة الظلم عن طبقة الفقراء^(١).

- ومنها ما ينتمي إلى عصر أسرة أور الثالثة مثل قوانين أورنمو "مؤسس الأسرة" وكتبت بالسومرية وهي تأخذ بمبدأ التعويض لا بمبدأ القصاص .

- ليث - عشتار (خامس ملوك اسين في عصر الأحياء السومري) وعثر عليها مدونة على كسر من الألواح الطينية وكانت تشمل في الأصل مائة مادة لم يصلنا منها إلا ٣٥ مادة فقط^(٢) . وقوانين بلالاما وهو من أهم ملوك مدينة اشنونا (شرق بغداد) الحياء السومري . وكتبت هذه القوانين باللغة الأكديّة . ثم أخيراً قانون حمورابي الشهير من الأسرة الأولى^(٣).

أما عن القوانين الآشورية فلم ترد منها مجموعة كاملة ، فمن العهد الآشوري " القديم " ، وجدت بعض مواد قانونية تتعلق بمستعمرة آشورية تجارية . ومن العصر الآشوري " الوسيط " عثر على مجموعة أخرى على ألواح طينية ولكنها لا تؤلف تشريعاً كاملاً بل بعض المواد القانونية^(٤) . ونجد إن بعض القوانين الآشورية التي عثر عليها ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م ، وكانت متأخرة في بعض أحكامها وينودها عن القوانين البابلية . كان الهدف من القوانين البابلية هو

(١) د. عبد العزيز صالح : للشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٠٣ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .

(٣) تحدثنا عنها بالتفصيل فيما سبق ، ص ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١١-٢١٣ ، ٢١٤-٢١٦ .

(٤) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

المحافظة على الأسرة وكيانها وحماية المجتمع وتنظيم العلاقة بين الناس . وكانت تفرض عقوبات صارمة في حالة عدم تنفيذ مواد القانون ، وتصل العقوبات إلى حد بتر أحد أعضاء الجسم أو الإعدام .

وكانت هناك محاكم تشبه المحاكم الابتدائية للنظر في مختلف القضايا يرأسها أما مدنيون أو كهنة . وكان لابد من وجود شهود عند تحرير عقود غير رسمية^(١).

(٣) الجيش : في البداية لم يكن هناك قوات نظامية . وكان الملك هو الذى يمسير إلى الحرب على رأس جيشه يرتدى خوذة شبه مخروطية الشكل يتدلى منها ما يستتر العنق من الخلف ويتسلح بحربة أو سلاح آخر .

ونعرف أن القوات السومرية كانت مقسمة إلى قسمين :

المشاة الخفيفة ، وكانت ترتدى زيا خاصا بها ، ولها سلاح عبارة عن مقمعة قتال بمقبض ، ثم المشاة الثقيلة ، وكان يرتدى كل جندي فيها معطفا ثقيل من الجلد وأحيانا كان يطعم بقطع صغيرة من الممدن .

ويحمل كل منهم ردا كبيرا مستطيل الشكل ، والبيض الآخر يحمل الرماح الطويلة ، أما عن عربة القتال فكانت عبارة عن صندوق بمقدمة مرتفعة وله فتحات كانت تسمح بمرور رباط مقود الحيوانات التى تشدها ، وإلى جانب قائد العربة كان يوجد محارب الذى يشهر سهامه باليد ، لأنه يبدو أن الجيش السومري لم يستخدم القوس الذى كانت تستخدمه الأجيال السابقة .

أما الحصان فلم يستخدم إلا من ابتداء الأسرة البابلية الأولى . وكان الحيوان المستخدم لجر العربات قبل ذلك العصر هو الحمار الوحشى^(٢).

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١١ - ٢٢٧ .

(٢) Contenau . op. cit ., p. 92 .

وكان الحصان معروفا سلفا ، في بابل ، ولكن استخدامه كان نادرا ثم انتشر استخدامه في عصر الكاسيين ، خاصة في جر العربات الحربية ، وبفضل الحصان أصبح للفزاة نوع من التفوق العسكري .

وعند الآشوريين كان الجيش يتكون من حرس الملك وكانوا يسمون كورادو أى اليقظون ، وكانوا أول من يدخل المعركة اما بقية قوات الجيش ، فكانت تتكون من قواد مساعدة مزودة بأسلحة بسيطة . وعندما تكونت الإمبراطوريات ، أصبح هناك مدارس حقيقية للفنون الحرب والقتال .^(١)

وكان من حق الملك أن يمنح قطعة أرض فضاء لأى فرد نظير خدماته العسكرية ، وبحق له توريثها لأولاده بعد ذلك . وكان ملوك آشور قواد حرب أكثر منهم رجال دولة ولكنهم لا يخرجون في حملاتهم دون استشارة المعسودات . وقد اشتهروا بالقسوة وفي معاملاتهم لأعدائهم . وكانوا بعد انتصاراتهم يبيحون لجنودهم البلاد المفتوحة فيعملون فيها النهب والتدمير .^(٢)

ثانيا : النظم الاجتماعية :

فطبقا لما جاء على لوحة حمورابى نجد أن المجتمع العراقي القديم كان مقسما إلى ثلاث طبقات :

أولهما : طبقة الأسياد أو النبلاء وكان أفرادها هم أعلى طبقة في المجتمع ولكن ذلك لا يستلزم انهم كانوا طبقة حاكمة أو اتحصروا فيهم الثراء والمادة .

وثانيهما : الطبقة التى يستأجرها غيرها أو طبقة العمال أو العامة .

ثالثهما : هى طبقة الرقيق .

وكما تناولت مواد القانون مشاكل الميراث وعلاقة الأفراد بالرقيق وغير

Contenau , op. cit ., p. 79 .

(١)

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

الرقيق كم أعطى المرأة حقها في مزاولة مهنة التجارة وفي التعلم ودخول دور العلم .
كما نظم قانون حمورابي علاقات الزواج بين الأفراد ونظم الأنفاق بين
الرجل والمرأة وأعطى حقها في مهرها . فمن المظاهر الاجتماعية التي كانت مساندة
في العراق القديم أن الرجل يتزوج بامرأة واحدة في معظم العصور . وأن كان
القانون يبيح للزوج أن يتزوج بامرأة أخرى في حالة مرض زوجته الأولى أو إذا
ثبت أنها عاقرة .

وكان هناك ما يسمى بالخطبة التي تسبق الزواج وعلى الخاطب أن يقوم
بتقديم الهدايا لمروسته وفي حالة وفاة الخطيب فإنه يحق لأحد أقاربه أن يحصل محله
لإتمام الزواج فإذا رفض والد الخطيب كان عليه أن يعيد لعائلة الخطيب المتوفى
هدايا التي قدمها لمروسته وفي حالة وفاة الخطيبة كان للخطيب الحق في أن يستزوج
من إحدى أخواتها ، وإذا حدث طلاق بين الزوجين لأي سبب من الأسباب كان على
الزوج أن يدفع لها تمويضا . وإذا تزوج الرجل من أمه فإنها تصبح حرة بعد أن
تتجب له أطفالا .^(١)

عبر أدب الحكم والنصائح عن الكثير من واقع المجتمع وخاصة في
النصوص السومرية والأكديّة والآشورية وغيرها . وقد تناول د. سليم فسي مؤلفه
الأوضاع التي تخص الأمرة من كافة النواحي وكيف تناولها أدب الحكم والنصائح
فتحدث بالتفصيل عن أربعة محاور تناول فيها :

أولاً : الزواج : وما جاء بخصوص في هذه النصوص وما يجب أن يقوم
به الرجل والمرأة .^(٢)

فنجد أن الحكيم السومري عبر أهمية تكوين أسرة ابغ تعبیر فأنقذ الشخص

(١) د. ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) د. أحمد سليم : الأمرة في العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم
والنصائح " دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ٢١ - ٤٢ .

الأعزب والمرأة غير المتزوجة .

“ أن الشخص الذى لا يعول زوجة ، لا يعول أبناء ، إنه شخص لا يؤتمن ، ذلك الذى لا يعول إلا نفسه :

“ المنزل بدون صاحب ، كالمرأة من غير زوج ” .

وترك الحكيم السومرى للفتى حرية اختيار زوجة فقال :

“ تزوج امرأتك طبقاً لاختيارك وأنجب طفلاً حسب رغبات قلبك ”^(١)

ومن الجدير بالملاحظة أن اختيار الزوجة لم يكن أمره مستروك تماماً لرغبات قلب الفتى ، بل كانت هناك عوامل أخرى ، منها المصالح المشتركة والثروات . فلقد جرت العادة فى عصر حمورابى أن لاختيار والد الشاب خطيبة أبنة ، وعندما يتم الاتفاق بين العائلتين يشرع فى إعداد الخطبة . ومن مظاهرها أن يرسل إلى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث ، كما يقدم الشاب أو والده مبلغاً من المال إلى والد العروس كان يطلق عليه اسم “ تبرهاتو ” أى المهر ^(٢) ، وكان عقد الزواج فى العراق القديم يوقع بين الرجل (زوج الغمستقل) وبين أب الفتاة (عن زوجة المستقل) أو أخاها أو ولى أمرها ^(٣) . وعبرت إحدى الحكم السومرية عن أهمية المرأة فى حياة الرجل ودورها فى تحديد مستقبله فى عبارة قصيرة بليغة جاء فيها :

“ المرأة مستقبل الرجل ” .^(٤)

ثانياً : الأطفال :^(٥) كيفية تربيتهم والعلاقة بين الوالدين وأبنائهم والعلاقة

بين الأبناء وبعضهم البعض ، ومن النصائح التى يوجهها الأب لأبنة بالفسيحة لفائدة

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٦٧ .

التعليم :

• إلى أين أنت ذاهب ؟

لن أذهب إلى أى مكان

إذا لم تكن ذاهبا إلى أى مكان ، فلم تكون كسولا ؟

أذهب إلى المدرسة ، وقف أمام معلمك ، واسمع دروسك أفتح حقيبة كتبك ، وأكتب لوحك ، ودع العريف (المدرس) يكتب لك لوحك الجديد ، وعندما تنتهى من دروسك وتقدمها للعريف أحضر إلى المنزل ولا تتجول فى الشوارع ^(١) .

ثالثا : العلاقات الأسرية : ^(٢) تقوم على أن يطيع ويحترم الصغير الكبير وأن يحترم ويكرم الابن أباه ، ويحترم الأخ الصغير أخاه الأكبر ، ومن النصائح فى هذا الصدد :

" احترم أخاك الأكبر "

" اسمع كلمة أخيك الكبير كما تسمع كلمة أبيك "

" لا تغضب قلب أخذك الكبرى "

رابعا : الحياة المنزلية : ^(٣) ، وهى للحكم والأمثال والنصائح المتصلة بمظاهر الحياة اليومية من حيث المسكن والإيرادات والنفقات وضرورة العمل لكسب الرزق والطعام والثياب والملابس والأدوات المنزلية والنظافة والخدم وغيرها والالتزام بالتعاون المشترك ، وفى هذا الصدد يقول الحكيم :

" يد على يد - يبنى منزل الرجل "

(١) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨١ - ٩٨ .

حقّد على حقّد - يدمر منزل الرجل ^(١) .

ومنها أيضا ما جاء فى إحدى لوحات الحكم البابلية التى تحت على الإحصان
على الفقراء لأن ذلك يدخل المساعدة فى قلوب الأكلة :

" أعط الطعام للجائع والنبذ للعطشان "

" أن ذلك يدخل السرور للإله شمش ، الذى يكافئ الإحصان ^(٢) "

ثالثا : الحياة الاقتصادية :

كانت مصادر دخل الدولة تأتى من المعابد والضرائب وغنائم الحروب .
وفى الألف الثالثة ق م ، لعبت المعابد دورا خاصا وهاما فى زيادة وتوزيع ثروات
البلاد . فكان للملك بعد كل انتصار يحققه يقوم بإرسال جزء من الغنيمة إلى المعبد .
وكانت تلك الغنائم تضاف إلى قائمة القرابين التى تقدم للمعبود ، والتى أصبحت تمثل
مصدرا هاما فى المعابد .

فقد كان الملك يقوم بغارات موسمية عبر الحدود ويستولى بعدها على عبدة
غنائم ، وفى أثناء فترة حكم ملوك أسرة أور الثالثة ، نجد أن هذه السنوات كانت
تؤرخ بالسنة التى حدث فيها نهب أو استيلاء على مدينة أو قرية ما ، مرة واحدة أو
عدة مرات . وتقصر علينا المصادر الأثورية أعداد الغنائم التى كانت تفوق الخيال
من أشياء ثمينة ورؤوس حيوانات وأسرى الذين كانوا يستخدمون كمبيد . وكانت هذه
الحملات الحربية تقاد بواسطة الملك نفسه أو فى بعض الأحيان بواسطة شخصية
هامة تعادل شخصية الوزير الأول يحمل لقب تورتان أو رئيس الأركان . وكان
المعبد يقوم بقرض الفضة والحبوب والحيوانات وعندما يتعرض الملك لبعض
الصعاب المالية فى حياته ، فكان المعبد أو موارده وكل ثرواته توضع تحت تصرف

(١) المرجع السابق ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

الملك مباشرة لمساعدته .^(١)

أما جباية الضرائب فقد كانت من مسؤوليات حكام الأقاليم ، الذين كان عليهم وضع تقرير محدد بما يجب أن يحصل من السكان والأهالي . وكان هناك بعض المدن التي تتمتع بإعفاء كامل .

(١) الزراعة :

عرف أهل العراق القديم الحرث بمساعدة الثور فكانوا يستخدمون المحراث الذي يجره ثوران . وتشير بعض النصوص من النصف الثاني من الألف الثانية ق.م من مصادر كاسية وأشورية وحورية ، أنه كانت هناك حالة اجتماعية سائدة تعرف بما يسمى الإقطاع وكانت هناك أراضي لزراعة الحبوب ولزراعة الأشجار وأراضي مخصصة للبهائم .

وكان هناك أجر محدد للعامل الزراعي . وعقود تنظيم العلاقة بين مالِك الأرض الزراعية والمستأجر وبين المنتفعين بهذه الأرض وبين من يستأجرونها من مزارعين ورعا ، إلى جانب وجود الإقطاعيات الصالحة للزراعة ، وكانت توجد أيضا المراعي .^(٢)

(٢) الصناعات والحرف :

صناعة الفخار : وكانت تحتل في العراق القديم مكانة خاصة منذ أقدم العصور وخاصة في مجال الإنتاج الفني . فهناك فخار يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات ، أو العصور العتيقة ، سواء الملون باللون الموحد أو عدة ألوان ، خاصة ذلك الفخار الذي عثر عليه في سامراء ، تل حلف ، العبيد ، جمدة نصر ، ويدأت

(١) Contenau , op . cit . , p . 78 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ - ٢٣٢ .

تظهر السيطرة المومرية فى عصر الوركاء حيث اختفى فيها الفخار الملون فهل هذا يدل على أن بعض المومريين فى عصر الوركاء قد جاءوا من خارج حدود إيران الشمالية ، أو على الأقل كان يوجد عنصر أجنبي كان لا يهتم بصناعة الفخار الملون ، وعرفوا صناعة الأواني من الطمي والألواح للكتابة عليها . وعرفوا خواص الطين والأصباغ المختلفة كما توصلوا إلى طريقة التزجيج وعرفوا المعائن والمواد الكيماوية التى تدخل تركيبها .

المتعدين : عرفوا صهر المعادن وعرفوا تحويل بعض المعادن الفقيرة إلى معادن ثمينة وعرفوا صناعة الأواني المعدنية ، وتوصلوا إلى معرفة أنواع مختلفة من السبائك ^(١) وكانت الأدوات البرونزية ملازمة فى بعض الأحيان الأدوات المصنوعة من الحديد ، وهى تستخدم للزينة ، وقد حولج النموذج فى خطوط محددة ، ولكن حركة الحيوانات التى تمثل الجزء الكبر من الزينة بقيت ذات حركة وقسوة كبيرة .

وقد عرف المراقبون صناعة التماثيل من المعادن . وكانت الطريقة هى استخدام نماذج أصلية من الخشب المصنوع بدقة وكانت هذه النماذج مغطاة فى بعض الأحيان بالقطران ، ويقوم الصانع بوضع صفائح من المعدن على هذا النموذج ثم يبدأ بعد ذلك عملية الطرق على الأطراف بحيث يتخذ شكل النموذج . وهكذا لم يكن التماثيل من المعادن ولكن صورة معدنية على نموذج خشبي سواء أكان هذا بالنسبة لتماثيل البرونز أم الحديد أم الفضة .

وكانت الرأس والجسد فى التماثيل الصغيرة تصنع على نموذج دألى من الشمع الذى يوضع عليه صفائح المعدن وعند خرقها نجد أن الشمع يذوب ويختفى

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

ويبقى الشكل المجوف . ومثل هذا النوع من الرؤوس كان يزين مؤخرة القيثارة ، أو بعض التماثيل السومرية في هالفجي (قيثارة متحف اللوفر على سبيل المثال) . وكانت الرأس تماثل إلى حد ما الحجم الطبيعي للرأس الملكية في عصر أسرة أكد .^(١)

صناعة أدوات الزينة :

* كانت أغلب أنواع الزينة مثل الحلى من المعادن ، فقد استخدم معدن الذهب بواسطة الطبقات العليا والبرونز والحديد المطعم بالبرونز عند الطبقات الأخرى . فمنذ ظهور الحديد أصبح البرونز نادرا . وقد أمدتنا المقابر الملكية في أور بمناح جنازى ذا قيمة كبيرة ، إذ يضم أواني من الذهب عقودا من نفس المعدن ومطعمة بالأحجار الكريمة ذات الألوان المتعددة مثل اللازورد والزمرد والصدف (وألوانها الأزرق والأحمر والأبيض والأسود) وكانت هذه الألوان تثبت بالقطران . وقد عثر على غطاء للرأس من الذهب المطعم (غطاء رأس 'مسكا - لامدوج ') .

واستخدم أهل العراق أيضا الخواتم والحلقن والأساور التى تلبس حول المعصم أو فى أعلى الساعد . وكان الرجال والنساء يضعون عقودا أو تماائم حول رقابهم من الأصداق أو الأحجار شبه الكريمة .^(٢)

التطعيم :

لا يمكن أن نغفل الأهمية التى حظى بها فن التطعيم فى العصور المتأخرة ، فمنذ عصر الوركاء ، نجد أن الأعمدة والجدران قد زينت بقطع من الفخار والفسيفساء ، وقد أمكن العثور من عصر المقابر الملكية لأور على خواتم من الذهب مطعمة بالأحجار ذات الألوان . ومن بين التحف النادرة ذات الأهمية ، نذكر فقط العاج الذى كان يزين الصناديق وقطع الأثاث الثمينة التى عثر على مجموعات عديدة

Contenau, op. cit., p. 72.

(١)

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

منها في تمرود في آشور (منها رأس ملونة في حالة جيدة من الحفظ) .

صناعات أخرى :

مثل صناعة النسيج وصناعة الملابس والأزياء المختلفة . فمثلا كان السومريين والأكديون هم أول من عرف النقبة التي كانت محلاة بخيوط تشبه الشباك وتنتهي بأهداب في صفوف منتظمة ، وهو زي المعبودات والملوك . ويضاف إلى النقبة قطعة قصات تلف حول الكتف اليسرى ، أما غطاء الرأس فلا يظهر إلا على نقوش المعبودات والملوك حيث كانت المعبودات تتميز بقلنسوة مزينة بقرون^(١).

(٣) التجارة والمواصلات :

كانت مختلف أجزاء غرب آسيا القديمة ، في علاقات وطيدة ، وكانت التجارة تمثل المكانة الأولى في نوعية هذه العلاقات . وكانت الأنهار تربط بين الكثير من مدن العراق^(٢) . فتنتقل البضائع التجارية من آشور حتى الخليج العربي على معابر ، وهي مجموعة من جذوع الأشجار ، وكان يطلق عليها اسم ' الكلك ' وعند وصول التجارة إلى المكان المطلوب ، يفك الكلك وتباع أعضائه بعد تجفيفها . وقد كشف عن أرشيف يؤكد هذه العلاقات التجارية في آشور الشرقية ' نوزي ' وفي بابل ، وأحيانا كانت تشيد المراكب لتسهيل عملية التعامل التجاري وتقام العصفون والقلاع لتأمين طرق المواصلات . إما عن النقل البري فقد عرفوا العربات التي تجرها الحمير من عصور ما قبل التاريخ .

وكان نظام المقايضة معروفا في المعاملات التجارية . وكان هناك الأوزان والعناية بالوزن والمكاييل^(٣) ، كما نظمت مواد قانون حمورابي المعاملات التجارية والديون وفوائدها وريفة سدادها ومواضع الرهون أو الرهونات واستحقاقها وعواقب تبديد الأمانات .

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) Contenan, op. cit ., p. 80 .

(٣)

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

رابعاً : الديانة والمعتقدات :

(١) الديانة السومرية : كان لاختلاط الساميين والسومريين منذ زمن طويل ، أثر كبير على مجتمع كل منهما ، وقد تعرضت الديانة أيضاً لهذا التأثير فالديانة السومرية كانت نقية في بداية الأمر ولكنها أصبحت عرضة للنفوذ السامي ودخلتها عناصر سامية ، كما أننا لا نعرف الشيء الكثير عن الديانة السامية في تلك العصور البعيدة ، التي تأثرت هي بدورها بالسومريين ، فإن الفصل بين العقيدتين ، شيء من الصعب تحقيقه . ولكن بمقارنة السومرية ، بديانات البلاد الآسيوية التي تعرضت لبعض النفوذ السامي ، (مثل آسيا الصغرى) يمكننا أن نكون فكرة عن العبادات البدائية في بلاد النهرين ، وإذا بحثنا عن أصول الديانة السامية ، فليس علينا أن نبحث في بلاد تأثرت قليلاً بالحضارة الآسيوية " الجزيرة العربية على سبيل المثال " لرسم العالم الأناسية للديانات السامية .

ويبدو أن السومريين في بداية الأمر ، قد مثلوا معبوداتهم في هيئة آدمية وأضفوا عليها بعض الخصائص التي تساعد على التعرف على صورهم وتوصلوا أيضاً إلى تمثيل معبوداتهم عن طريق الرموز فقط .

وتعرفنا عن الأصل الحقيقي إلى حد ما لهذه المعبودات عن طريق الأناشيد التي كانت تؤدي إليهم وأيضاً عن طريق الألقاب التي تصاحب أسماءهم عند الإشارة إليهم ، وأخيراً عن طريق الأسماء الشخصية للأفراد التي كان لها غالباً معنى مقدس ، أي أن اسم المعبود يتداخل في تكوينها (مثلما كان يحدث في مصر القديمة) .

وهكذا نرى عند السومريين الأوائل ظهور شخصية " إنانا " معبودة الخصب والإخصاب ، والتي تشرف على زيادة نسل العائلة للبشرية ، وأيضاً العائلة الحيوانية ، وكان من ضمن رموزها نوع من الصواري بنهاية مقومة ، وترمز هذه النهاية المقومة إلى الكواخ البدائية والمساكن والمراعى .

وكان المعبود الكبير آشور يمثل وهو يحمل في يديه أغصان بها أوراق أو زهور ويرمز إليه بالمسبلة ، ويمثل أحياناً على هيئة الثور أما زوجته ، فكانت تمثل

على هيئة أنثى الأسد ، على حين كان يمثل ابنهما المعبود للصغير على هيئة الجدى . وقد اندمج هذا المعبود مع المعبود تاموز (أو تموز) .

ولكن قوى الخصب تتعرض فى بعض الأحيان للاختفاء ، فالخضرة تختفى فى الشتاء لكى تولد من جديد فى الخريف .

وقد اعتقدت الديانات الآسيوية ، بأن هناك اختفاء سنوى لمعبودة الخضرة فى الشتاء يتبعها بعث جديد وظهور متجدد ، وغالبا ما يحدث الجفاف فى آسيا الغربية فى الصيف ويكون السبب فى هلاك كل الخضرة وليعت البرودة كما كان معتقدا .

لهذا نجدهم قد ميزوا بين شمس الخريف فى الصباح التى تنفى الأرض وشمس الظهيرة الشديدة التى تحرق كل شئ ، والتى تساعد على انتشار المدوى وكان معبود العالم السفلى والطاعون يسمى فى بلاد النهرين نرجال .

ويحتفل بالوفاء أو الاختفاء السنوى للمعبودة بإقامة الطقوس والأعياد فى أثناء أعياد المعبودات دوموزى - تاموز وجيزيدا يمسود الحزن وينطلق البكاء والنواح طبقا للطقوس .

وكان من نتيجة هذه العبادات هو الاعتقاد بوجود ارتباط قوى بين عالم السماء والأرض ، وكل ما يحدث على هذه الأرض ، لابد أن يكون له رد فعل فى عالم المعبودات وبالعكس . وهذا ما أدى إلى الاحتفال بعظمة هذا الارتباط المقدس . ليس لهذا فحسب بل وكذلك الارتباط الجسدى ، ممثلين إما بواسطة تماثيلهم أو بواسطة كهنتهم .

وكانت لطقوس والأناسيد تهتم بإظهار الأكرار الرئيسية للمعبودات البدائية ، ويقال أنها كانت تشرف على الفيضان وتنحكم فى مصادر المياه ، وكل ظواهر النامنة عنهما . وكانت هناك معبودات ثانوية ، ترث بعضا أو واحدة من هذه الوظائف . وقد تودى هذه الأكرار فى بعض الأحيان إلى القضاء على فكرة ما هو مقدس .

وكان هناك عامل هام ، إلا هو تعدد الأشكال فى مجمع المعبودات السومرية وفيما بعد فى مجمع المعبودات السومرية - الأكديّة ، ولا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن عددا من هذه المعبودات لها أشكال مختلفة إلى حد ما ولكن لها نفس الأصل ويمكن إنقاص أعدادها إلى الأكل ، كما حاول الكتبة أنفسهم أن يفعلوه فى تعليقاتهم وبينوا لنا أن ذلك المعبود ما هو فى الواقع إلا نفس الصورة من معبود آخر ، ولا نستطيع أن نتبين إن كانت تلك الأشكال المتعددة لنفس المعبود مميزة بواسطة اسم المدينة التى يعبد فيها أو المدينة التى يقع معبده فيها .

وبالإضافة إلى هذا نجد أن الساميين قد تشبهوا ببلاد سومر فى بعض المظاهر الحضارية ، لذلك نجد أن الساميين كانوا يحتفلون بالسومرية كلغة واعتقدوا معبوداتهم ، وترجموا أسمائهم دون أن يتركوا شيئا من عقيدة ومبادئ أى معبود ، ولكن كانوا يفرعون من وعائه الأصلي ، لكى يضعوه بنفس الأصالة فى قالب آخر وازداد كثيرا عدد المعبودات غير المتشابهة فى الظاهر ، ولكن متشابهة فى العمق والأصالة .^(١)

(٢) العقيدة البابلية :

جاء عصر الأسرة البابلية الأولى ، وجاهد الكهنة من أجل خلق شئ من النظام ووضع حد لهذه الفوضى ، قسموا المعبودات إلى عائلات . وأن العالم قبل نشأته كان يمثل فراغا تميز بعنصرين مختلفين من الرطوبة :^(٢)
أحدهما الماء العذب والآخر يمثل الماء المالح ثم ولدت منهما كل الكائنات ثم انجبا السماء والأرض ومن هذين الأخوين جاءت ثلاث معبودات أخرى هى الثالوث لمجموعة المعبودات البابلية : أنو (معبود السماء) أنليل " معبود الأرض ومعبود الجر والهواء " إيا " معبود الماء " وخاصة مياه المحيط الأزلئ الذى طفت عليه الأرض .

يضاف إليهم نرجال معبود العالم السفلى الذى تزوج من إيرشيكجال ملكة عالم الأموات ومعبودات الكواكب : سين " (أو نانا) معبود القمر "

(١) James , Mythes et Rites dans la Proche Orient ancien , Paris (1960) , p. 136 - 140 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

وأیضا : د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ٩١ - ٩٣ .

وشمس " معبود الشمس " وعشتار " (إنا) لتي تمثل كوكب الزهرة " .
 يضاف إلى ذلك نورتا " معبود الحرب " ونابو " معبود الألب " وماردوك
 الذي ارتقى إلى المرتبة الأولى بفضل البابليين وأصبح على رأس المعبودات جميعا .
 والكي الإله الذي يراقب الكون والموكل إليه بالخصب وتكاثر الأغنام والماشية .
 هذا بالإضافة أيضا إلى عدد من المعبودات الثانوية ، التي جاءت بصفة
 دائمة من مجمع المعبودات السومرية ، والقوى الخيرة والشريرة الأخرى ، التي
 عدت غالبا من أنصاف المعبودات . ونجد في كل هذه المعبودات غياب قواعد
 الخصب والإخصاب إلى حد ما ، ولكن لحسن الحظ كانت توجد للمعبودات عشتار
 (أو إنا) وعدت تلك الأخيرة في بعض النصوص كزوجة لعدة معبودات مختلفة
 وعدما البعض الآخر " مخصصة للمعبودات " .

وفي مثل هذا المجمع الديني المعقد الغزير يبدو أن عبادة الكواكب قد ذهبت
 إلى أبعد مدى وهذا يرجع إلى الساميين ، لأن كل المعبودات كانت قد تشبهت بالنجوم
 أو بمجموعة الكواكب . كما كان لكل مدينة معبودها حتى أصبح عدد المعبودات
 كبيرا جدا .

(٣) الأعياد البابلية :

من أهم الأعياد البابلية عيد " العام الجديد " وكان هذا العيد معروفا عند
 السومريين ويسمى " لاكي تو " ويحتفل به لكل المعبودات المحلية في المدن المختلفة .
 ولكن في العصر البابلي ، أصبح لهذا العيد أهمية خاصة ، نظرا لصلته بعبادة
 ماردوك معبود بابل ، الذي بقي كمعبود للخصب وكان يرمز إليه بالكبش وكان
 يحتفل به كل عام ويكيه الناس والكهنة عند احتفاله ، ثم تحل الأفراح عند عودته .
 وبمع ذلك تقام الأعياد ابتهاجا بارتباط ماردوك بمعبودة الخصب ، ويطلق على
 الطقوس التي تؤدي أثناء الاحتفالات ، عيد العام الجديد - تذكرنا هذه الاحتفالات في
 كل مراحلها ، بمثل ما كان يؤدي للمعبود أوزير في مصر القديمة . وكان يحتفل بهذا
 العيد في فصل الخريف ، وبالتحديد في شهر مارس - أبريل ^(١) وتستمر هذه

الاحتفالات أنثى عشر يوما ، وكان ملك بابل يشارك فى هذه الاحتفالات . وكان عليه أن يقوم بالحركة الرمزية " الأخذ بيد المعبود " لكى يدعو إلى الرحيل أثناء " الموكب الكبير " الذى يقود ماردوك إلى المقصورة التى تقع خارج المدينة ، وتسمى " بيت لاكيتو " حيث يستقر هناك فترة قبل أن يعود إلى العاصمة وكان يتخلل الاحتفالات التى تؤدى أثناء عيد العام الجديد بعض الطقوس لمدة أنثى عشر يوما :

الأيام السبعة الأولى :

اليوم الأول : احتفالات مازال يكتنفها الغموض

اليوم الثانى : يقوم الكاهن الأكبر بعملية التطهر فى مياه نهر الفرات ، ثم يدخل معبد ماردوك متحليا بملابس الكتان ويؤدى نوعا من الطقوس إلى المعبودات وبعدها تفتح الأبواب لكى يدخل بقية الكهنة ، وتبدأ الطقوس بالموسيقى والأناشيد الدينية .

اليوم الثالث : يدعو الكاهن الكبر الفنانين ويضع أمامهم الذهب والأحجار الثمينة بخزائن ماردوك لكى يصنعوا تماثيلين أحدهما يمثل المعبود ممسكا بثعبان والآخر ممسكا بعقرب (رموز القوى السفلى للطبيعة) .

اليوم الرابع : بعد وجبة المساء التى تقدم للمعبود يقوم الكاهن بترتيل أشعار الخليفة .

اليوم الخامس : تقام الطقوس أثناء الليل والتى تشبه المعبود ماردوك بنجوم السماء وتؤدى فى هذا اليوم التضحية : ذبح ثور " أو كبش " ثم يتم تطهير الكعبد بالبخور وغيره .

اليوم السادس : وصول تماثيل المعبودات الأخرى إلى المعبد ، لكى تشارك فى الاحتفالات وهى المعبودات الكبيرة ^(١) مثل أنو ، أنليل ، سين ، شمش ،

أداد^(١)، وعشتار^(٢).

اليوم السابع : يتم إعداد مشاهد تعبر عن موت ويعث ماردوك ، وهى عبارة عن مشاهد تمثل أو تقلد بدون أصوات ، وفيها يعبر الكاهن عن نزول المعبود مارودوك إلى العالم الآخر فتتوقف كل ظواهر الحياة على الأرض . وكان موت هذا المعبود ويعثه من جديد عاما بعد عام ، يضاف عليه طبيعة مقدسة وإنسانية فى وقت واحد ، وكأنه بموته ويعثه هذا يرمز إلى ذبول الحياة على وجه الأرض ثم بعثها من جديد .^(٣)

وما العام الجديد إلا رمزا للحياة الجديدة ، واشتراك الملك فى هذه الاحتفالات وقيامه بالطقوس أمام المعبودات ، إنما يعنى انه يحصل منهم على السلطة من جديد .

اليوم الثامن : حتى الحادى عشر : ظهور المعبود ماردوك فى موكب كبير فى المدينة وتأتى المعبودات منذ الصباح لكى تكرم ماردوك . ويبدأ الموكب من قلعة أراहतو ونهر الفرات .^(٤)

ويصل موكب المعبود من قاربه حتى " بيت لايكتو " فى الضواحي وتصل معه قوارب تماثيل المعبودات الأخرى . ويمكث تماثيل المعبود ماردوك وتماثيل المعبودات الأخرى فى " بيت لايكتو " من اليوم الثامن حتى اليوم الحادى عشر .

(١) هناك لوحة عثر عليها فى هاولتو (ارسلان تاش) من القرن الثامن ق.م . صور عليها المعبود آداد . بهيئة آدمية ممسكا بمجموعة من السهام وصور واقفا على ثور ، راجع : Parrot , Assur, p. 76 Fig. 84.

(٢) هناك لوحة أخرى عثر عليها فى تيل بارميب (تل أحمر) من القرن الثامن ق.م صورت عليها المعبودة عشتار بهيئة آدمية ويدها مقود حيوان حراسة ، راجع : Parrot , op . cit ., p. 76 fig . 85 .

Id., op . cit ., p . 97 - 102 .

(٣)

Id., op . cit ., p . 103 .

(٤)

وتؤدى الاحتفالات الرمزية التي تشير إلى اصل الخليفة . وفي نهاية اليوم الحادى عشر ، تبدأ العودة إلى بابل وتتخذ المعبودات طريق بابل فى الليل ، على ضوء المشاعل ، وعند دخول المعبد ينشد له هذا النشيد :

« (أيها) المعبود عندما تعود إلى منزلك . منزلك يقول لك ' تحية لك ، أيها المعبود .

' بابل ' التي هي مدينة سعادتك لا تتركها على الإطلاق غير مسكونة ' . (١)

اليوم الثانى عشر : تعود المعبودات فى الصباح إلى مقاصيرها الأصلية . وتنتهى الأعياد .

(٤) الممالك وأساطير الخليفة :

كانت هذه القصائد منتشرة فى كل المراكز الهامة فى العراق ، ومنها ما ترجم بلغات أخرى وانتشر فى البلاد المجاورة للعراق . ونجد فيها أن الديانة تقترح تفسيراً للمشكلات الكبرى التي تفلق وتواجه البشرية . فقد سمي العراقيون هذه القصائد بقصائد الخليفة . جمع فيها البابليون الأساطير القديمة التي تبين أن سلالة المعبودات التي توالى حتى خلق الشر كان بعضها أكثر اكتمالا من الأخرى ، ولذلك حدث أن هاجم بعضها بعضاً الآخر ، وكان المعبود الأكبر شجاعة من المعبودات الأخرى هو ملردوك . ومن هذه الأساطير : (٢)

- أسطورة ألواح الخليفة السبعة أو نشأة الوجود :

يذكر د. صالح أنها نقشت على سبعة ألواح طينية وهي تحتوى على نحو ألف بيت تقريباً وتشير إلى أنه لم يكن فى بدء الخليفة سوى ماء ازلى . ويقول د. صالح : « اختلط عند حذبه بمالحة ، ويمثل الماء العذب فى أبسو وهو مذكر والماء للملح تشيرى إليه المعبودة تيامة أو تيامات وهي أنثى اللذين أعطيا بمجهودهما

Rutten , op. cit ., p. 104 .

(١)

(٢) د. فاضل عيد الواحد : سومر أسطور وملحمة ، ص ١١٨ - ١٢٥ .

كيان للكرض . وكانا مرتبطين ونشأة أجيال الأرباب في جوف تيامة جيلا بعد جيل وكان كل جيل يفوق من سبقه واختير من بينهم للمعبود ليا معبود الحكمة . ولكن حكمه هؤلاء الأرباب لم تمنع شدة صخبهم وسعيهم إلى التبدل والتغيير مما اقلق أباهم أبسو وأخذ يفكر في القضاء عليهم رغم معارضة أمهم تيامة . لولا أن تلقى عليه " ايا " النعاس ثم قتله وأقناه في نفسه وبني بيته فيما كان يشغله (أبسو) وعاش فيه هو وزوجته ، واتجبا ولدهما ماردوك الذي فاقت قدراته كل الحدود .

وهنا عاودت تيامة ذكرى زوجها المضحى به وانقلبت على أحفادها وسلطت عليهم الكواسر والزواحف واستعانت عليهم بمعبود قديم يدعو " كنجو " أغرته بنفسها وعهدت إليه بالواح المقادير ^(١) . وعجز الأرباب متفرقين أمام هذين الحلفين ، حتى تخيروا من بينهم ماردوك وفوضوه السلطة المطلقة وغلغوا عليه قدراتهم وأسرار أسمائهم وارتضوه ملكا عليهم . وقد تعدد بقاءه مع تيامة بالسحر مرة وبالحرب مرة أخرى حتى تصيدها بشبكة وأطلق عليها ربح السموم فلألت جوفها ونفتحتها ، فتيدها وذبحها . ونال من حليفها كنجو واسترد منه ألواح المقادير وختمها بخاتمة . ثم عاد إلى تيامة فبقرها وقسمها نصفين وجعل نصفها الأعلى سماء ونصفها الأسفل أرضا

(١) تروى الأساطير السومرية البابلية تفصيل منازلات وحروب رهيبة بين الآلهة التي يقف قسم منها إلى جانب الخير ونصرتة بينما يقف القسم الآخر منها مع قوى الشر . وهناك أسطورة بابلية تحكى لنا سرقة ألواح المقادير على يد الطائر العملاق " انزو " من كبير الآلهة انليل . ووصلت إلينا أسطورة انزو مدونة باللغة البابلية في نسختين ، الأولى وهي الأقدم يقوم فيها بدور البطل نيني جيسو معبود لجش الذي ينازل انزو ويسترد منه ألواح المقادير . أما النسخة الثانية فبطلها المعبود ننورتا معبود مدينة نمر التي استعادها منه بعد صراع رهيب وكيف تم تكريمه من قبل الآلهة وفي مقدمتهم انليل ، تقديرا لبطولاته المتميزة بين كل الآلهة التي تراجعت أمام بطش انزو ، راجع : د. فاضل عبد الواحد : سومر أسطورة ونلحمة ، ص ١٢٥ - ١٣٥ .

وعين في السماء حرما ونظم ماءها وعين مواضع الأرباب فيها ، وأرسي الأرض وجبالها ودجلة والفرات وفجر العيون والينابيع - وأراد أن يخلق في الأرض بشرا . فأشار عليه أيا الحكيم بأن يضحي بأحد المعبودات ويخلق الإنسان منه فجمع المعبودات واستفتاهم ، فأجمعوا رأيهم على كنجو خليف تيامة السابق وقويه ونجسوه وخلقوا الإنسان من دمه ليعبدهم . ثم اتخذوا " اساجيل " مقرهم المختار في بابل وأقروا بالوصول لجان لماردوك وتنازلوا له عن ألقابهم وأسمائهم ورتلوا له ترثيلة تمجيد انتهت بها اللوح السابع من أسطورة نشأة الوجود والخلق حسب الأساطير البابلية^(١)

وتطرقت الأسطورة إلى أمر المعبود ماردوك ببناء مدينة نابل ومعبدها الشهير " اساجيلا " مع معابد أخرى للآلهة العظام ثم تشير إلى أن الآلهة خلعوا على ماردوك خمسين اسما إلهيا جديدا فأضافوا بذلك لقواه السابقة قوى سحرية جديدة لا يمتلكها غيره من الآلهة الأخرى^(٢)

وتلتقى مع قصة الخليفة البابلية أسطورة لترو وسرقة ألواح المقادير في عدد من النقاط الرئيسية : تردد عدد من الآلهة وأحجامهم عن منازل قوى الشر يتكرر في الأسطورتين . فنجد ماردوك (أو آشور) في أسطورة الخليفة وننورثا (أو نين جيرسو) في أسطورة سرقة ألواح المقادير . وإظهار دور إله الحكمة ايا (انكسي) في معالجة المواقف المحرجة والخطرة فهو معروف بحبه لمساعدة الآلهة . ثم تكريم البطل المنتصر في هاتين الأسطورتين يعتبر خاتمة طيبة وسعيدة فالآلهة تكرمه في النهاية وتمنحه أسماءها وألقابها أي أنها تتنازل عن سلطاتها وامتيازاتها مما يزيد في علو شأنه بين كل الآلهة^(٣)

- (١) د. عبد العزيز صليح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٧٧ - ٤٧٨ ؛
وأيضا د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢١٩ ؛ وبخاصة
د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١٢٤ ؛ وأيضا : Rutten ,
op. cit. , p. 89 - 91 ; Philipe et Rouche , Histoire , p. 43 .
(٢) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

ملحمة جلجامش أو الطوفان :

وهي من الأساطير المعروفة ومع أن جلجامش قد جاء ذكره كأحد ملوك الأسرة الأولى في الوركاء إلا أنه منار موضوعا لعدة قصص تصف أعماله ومغامراته وبطولاته الخارقة وأشهرها تلك التي تتصل بالطوفان وهي أطول ملحمة في الشعر البابلي ، وهي قصيدة شعرية طويلة مدونة بالخط المسماري واللغة البابلية على اثنتي عشر لوحا من الطين وتحتوي على نحو ٢٥٠٠ سطرا عثر على معظمها في مكتبة الملك آشور بانينال في العاصمة نينوى . ويعود زمن استنساخ الألواح الآشورية إلى النصف الأول من القرن السابع ق.م. (١)

وتمثل هذه الألواح ثلاثة عصور هي : العصر البابلي القديم ، العصر البابلي الوسيط ، العصر الآشوري الحديث (٢) وتختلف قصة ألواح كل عصر عما سبقه في بعض التفاصيل .

وهي ملحمة تتعامل مع أشياء من عالمنا الدنيوي مثل الإنسان والطبيعة والحب والمغامرة والصدقة والحرب . وقد أمكن مزجها لتكون خليفة لموضوع الملحمة الرئيسي إلا وهو " حقيقة الموت المطلقة " وعلى الرغم من كفضاح البطل جلجامش من أجل تغيير مصيره المحتوم عن طريق معرفة سر الخلود من رجل الطوفان ، ينتهي بالفشل في نهاية الأمر . ولكن مع ذلك الفشل يأتي شسعر هادئ بالامتسلا وتوقع الأمر للمحتوم (٣)

والحكمة المستفادة من هذه الأسطورة بروايتها العديدة هو التأكيد على نفاذ قضاء الآلهة بوجوب موت الإنسان "وفاته " لا خلود إلا للذكر والعمل الصالح (٤)

(١) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٠ - ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

وتبدأ بمقدمة تتكون من خمسة وعشرين بيتاً ليس لها علاقة ببطل الوركاء ومأثوره . يذكر الشاعر السومري قصة خلق الكون بفصل السماء عن الأرض ومن ثم خلق الإنسان بعد ذلك . ويذكر بعد ذلك صراع إله المياه إنكي مع العالم السفلي الذي تجسد في هيئة تنين . وبعد تلك المقدمة يدخل الشاعر في تفاصيل القصة فيحدث عن شجرة اسمها " خولوبو " لعلها الصفصاف ، كانت تنبت على ضفاف نهر الفرات . وذات يوم هبت رياح الجنوب فاقطعتها من جذورها وحملها النهر بعيداً فسي مياهه وبينما كانت الشجرة تطفو رأتها " العذراء الضحوك " الآلهة إانا التي كانت تتجول على ضفاف الفرات فانتشلتها من النهر وقررت زرعها مجدداً في بستانها المشر على أمل أن تكبر الشجرة فتصنع منها عرشاً تجلس عليه وسريراً تنام فيه . ونمت الشجرة لكن جذعها لم يروق لأن حية بنت عشا في جذورها ، وعلى راسها وضعت الطائر انزو صفاره ، وفي وسطها بنت الشيطانة ليليث بيتها . فذهبت إانا باكية إلى أخيها إله الشمس أوتو وأخبرته بما حل بشجرتها وسألته أن يخلصها من أولئك الأشرار . ولكن أخاها لم يستجب لندائها . فلجأت إلى البطل جلجامش الذي هب على الفور لنجدها . وجاء وهو يحمل درعاً سميكا وفأساً ثقيلة فهجم على الحية عند أسفل الشجرة وقتلها . فلما رأى الطائر انزو ذلك فر هارباً إلى الجبال وهدمت الشيطانة ليليث بيتها . وبعد ذلك استطاع جلجامش ومن معه من رجال مدينته أن يقطعوا الشجرة ويقدموها إلى إانا . واعتزلاً منها بالجميل قامت بصنع شيتين من جذع الشجرة " طبله ومدق ويظهر جلجامش أسرف في استعمال هاتين الأدوات فأنتقل بذلك كاهل مواطنيه من رجال الوركاء بأصباة استغلهم الدائم على صوت دقات الطبله لخوض الحروب .

وبسبب صرخات النسوة زوجات الرجال المحاربين سقطت الطبله والمدق من يد جلجامش إلى أعماق العالم السفلي . ولم يستطع البطل انتشالهما رغم محاولاته المتكررة . فجلس حزينا وهو يبكي بمرارة واضطر إلى الاستعانة برقيقه أنكيو الذي لم يتردد في النزول إلى العالم السفلي .^(١) لاسترداد الحاجتين المفقودتين . وحذره

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٢ - ١٨٣ .

جلجامش من مغبة النزول وما سوف يتعرض له من أخطار ولكن انكيكو لم يستزم بوصايا جlgامش فتكثرت منه صراحة العالم السفلى ولم يستطع العودة إلى عالم الأحياء وحاول جlgامش إنقاذه وتخليصه من قبضة العالم السفلى واستعان بأله الحكمة انكى الذى نجح فى فتح ثغرة فى العالم السفلى ليخرج منها شبح انكيكو إلى الأرض ، فذلك كل ما تبقى من انكيكو ، وعندئذ تعانق جlgامش مع شبح صاحبه انكيكو وراح الأول يطرح الأسئلة على الثانى عما رأى فى العالم السفلى ، عالم الأموات (١).

وفى المصادر البابلية يعاود جlgامش سؤال انكيكو عما يوجد فى العالم السفلى قائلا :

" اخبرنى يا صديقى ، اخبرنى يا صديقى ، اخبرنى عن أحوال العالم السفلى الذى رأيته ، سوف لن أخبرك ، يا صديقى ، سوف لن أخبرك ولكن إذا كان لزاما على أخبارك عن أحوال العالم السفلى الذى رأيته فأجلس ولبك ! حسن سألجس وأبكى ... " (٢).

وتروى لنا نصوص ألواح أخرى ما يلى :

كان جlgامش يتحلى بالشجاعة وحب المغامرة فقد حباه أله الشمس شمش بالحسن والجمال وخصه أله الرعد أند بالبطولة والقوة البدنية الخارقة . لذلك عرف جlgامش بين أهل الوركاء بلقب " البطل الجميل " وزاع صيته فى الوركاء وفى غيرها من مدن سومر واکر . وكان أمرا طبيعيا أن يفتن بقوته وجماله بنات الوركاء الحسان وأن لا يجد من رجالها من يجرو على منعه أو الوقوف أمامه .

لذلك لجأ أهل الوركاء إلى الآلهة لكى تخلق رجلا يكون ندا لجlgامش فى القوة والعزم . فاستجابت الآلهة لهم وعهدوا إلى إلهة النسل " أرورو " العظيمة لتخلق ندا له فى البأس والقوة فخلقت " انكيكو " الذى قطع حياته فى البرية ليألف طبيعتها

(١) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٦٣ - ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

الصعبة ويتطبع يطباع وحوشها المقترسة منها والوديعة وليكتسب قوة بدنية غير عادية تؤهله لدورة المرتقب وكان هناك مورد للماء يشرب منه انكيديو مع حيوانات البرية وكان هناك صياد ينصب شباكها بالقرب من هذا المورد ، الذى كان يبعد مسيرة ثلاثة أيام عن مدينة الوركاء . وكان لابد لانكيديو المتوحش أن تستيقظ لدى أعضائه غرائزه الجنسية فأنجذب إلى فتاة كانت قد ذهبت مع الصياد يقصدان المكان الذى يتربد إليه انكيديو ومع حيوانات البرية ونجحت الفتاة التى أرسلت مع الصياد فى الاتصال بانكيديو الذى أحس بحالة من الخذلان والضعف وأصبح غير قادر على مجاراة حيوانات البرية فى عدوها وانطلاقها . فلقتعه الفتاة بتركه حياة البرية والذهاب معها إلى الوركاء المسورة . فوافق على الذهاب معها ، وأكثر من ذلك وحدها بتحدى جلجامش ومعاقبته حالما يضل الوركاء لينتبه أنه الأقوى بين الرجلين . وتعود بعدها على حياة الإنسان العادى وأصبح رجل يأكل الطعام ويشرب الجعة ويلبس الثياب ومهر تماما حياة البرية مع الحيوانات . ووصل انكيديو بصحبة الفتاة مدينة الوركاء لدخلها يتجولان فى الأسواق ، ولما رأى الناس انكيديو بمضلاته المفتولة وأكتافه العريضة رأوا فيه الشخص الذى يمكن أن ينزل جلجامش .^(١)

وتقابل اللذان فى أحد شوارع الوركاء ، وأخذ هذا الصراع طابع العنف بحيث أن أبواب وجدران المنازل اهتزت لهوله . وبدأ الصراع بين جلجامش وانكيديو عندما اعترض انكيديو طريق جلجامش ومنعه من دخول بيت " إشخارا " ربة الزواج والإجاب .

وكانت الغلبة فى المنازلة من نصيب جلجامش الذى بقى ثابتا بقدمه على الأرض مما يعنى أن خصمه لم يستطع زحزحته . وأدرك جلجامش أن أنكيديو هو أفضل من نازله من الرجال لذا أخذ صديقا له حتى صار كل منهما يلزم الآخر ولا يفارقه . وفى يوم ما شعر انكيديو بحالة الاكتئاب وعندما سأله جلجامش مستفسرا عن سبب حزنه أجابه بأن الأسى يتغلبه لضعف قواه . وهنا عرض عليه جلجامش الذهاب فى رحلة إلى غابلات الأرز ليسرى عنه ولينسيه همومه ورفض الفكرة بسبب ما

(١) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٨٥ - ١٩٥

يكتنف هذا السفر من مخاطر وأهوال . وهناك والنهية أقعته جلعامش بالذهاب
معا .^(١)

وينتقل اللوح السادس من الملحمة إلى تكملة القصة فبعد أن عاد جلعامش
مع رفيقه بعد رحلتها إلى غابات الأرز ، وقعت عشتار في حب جلعامش ما عجبت
به وبرجولته وأمرها جماله وحسن منظره وعرضت عليه الزواج مقابل هدايا سخية
ولكن جلعامش رفض العرض فاستاءت من رد جلعامش وذهبت إلى أبيها أنسو إليه
السماء وهى تبكى بمرارة وأخبرته بما قال جلعامش ثم طلبت منه أن يعطيها " ثور
السماء " لتأخذه إلى مدينة الوركاء لكى ينتقم لها من جلعامش .

فأجابها أبوها أنه إذا أعطاها الثور فسوف تحل في الوركاء سبع سنين
عجاف ويعانى الناس من الجوع ، فأجابته بأنها احتاطت للأمر وخزنت ما يكفى
الناس من غلال ومؤن . وإزاء ذلك لم يجد أبوها بدا من وضع مقود الثور فى يدها .
وفى الوركاء أخذ ثور السماء يجول ويطنش بالناس عندئذ نادى انكىدو على رفيقه
وطلب منه أن يسرع ويطنن الثور ما بين السنام والقرنين ، ففعل جلعامش وسقط
الثور ميتا على الأرض فلما رأت عشتار ما حل بثورها راحت تغتف كل من
جلعامش وانكىدو باللعنات .

وأمر جلعامش صناع الوركاء بأن يلقوا قرنى الثور بالذهب ويزينوها
باللآزورد . وبعد ان انتهى الصناع من ذلك أخذ جلعامش الرأس وعلقه فوق سريره
تذكارا لذلك النصر .

وعندما خلد كل من انكىدو وجلعامش للنوم ، رأى انكىدو فى نومه حلمه
قص تفاصيله على صديقه جلعامش ، لقد رأى أن الآلهة مجتمعة أنسو إليه السماء
ورئيس مجعها ، وأنليل إله الريح والذي بحوزته شارات الملك ، وشمس إله العدل .
وأدرك انكىدو مغزى حلمه ، لقد حكمت عليه الآلهة فى مجلسها بالموت . فالتقى
انكىدو بنفسه على الأرض أمام جلعامش وأجهش فى البكاء . لأنه سوف يفارق أخيه

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ٢٠٦ .

جلجامش ويذهب إلى العالم السفلى ولن يرى صاحبه بعد ذلك . ثم رفع انكيديو رأسه وأخذ يطيل النظر في الباب الذي قطع خشبه يديه من غابة الأرز بعد أن قتل الوحش خمبابا . ومرض انكيديو مرضا شديدا وظل طريح الفراش أحد عشر يوما متواليه ، لأزمه خلالها جليجامش يكلمه ويواسيه ويخفف عن آلامه . ولكن انكيديو مات ولفظ أنفاسه أثناء ما كان جليجامش يحدثه ويذكره بمآثرهما معا . وعند الفجر أرسل جليجامش في طلب الصناع ليصنعوا تمثالا لصديقه انكيديو . وأنتاب جليجامش شعور بالحزن العميق وأدرك أن دوره أت أجلا أن عاجلا وأنه هو الآخر سوف يدركه الموت ويجعل منه جثة هامدة . وأصبح شبح الموت يطارده ليل نهار حتى دفعه هذا الإحساس إلى الهيام على وجهه في البراري طالبا للخلاص من مصيره المحتوم ولكن أين سيتوجه جليجامش ؟ . ولم يكن أمامه الخيار سوى أن يقصد رجل الطوفان أوتتابيشتم فهو الإنسان الوحيد الذي نجا من الموت وحصل على الخلود بعد أن أنقذ نسل البشرية من الطوفان .^(١) ويصل إليه بعد أهوال وبعد أن تتصلحه إحدى المعبودات بالانصراف عن فكرة الخلود لأنه من البشر ومصيره الموت ، وما أن يصل إلى جده حتى يسرد له هذا الأخير قصة الطوفان " ويشير فيها إلى أن المعبودات حُزمت على أحداث الفيضان وقد حابه المعبود إنكي - أيا - فأخبره بوقوع الفيضان الوثيك ونصحه بعمل سفينة من سبعة طبقات تسم كلا منها إلى تسعة أقسام وجهزها بما تحتاج من مؤن ... الخ .^(٢)

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ - ٢١٦ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ د. عبد العزيز

صالح : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ - ٤٧٩ .

وبعد أن نجا من الطوفان قدم قربانا إلى المعبودات . وصعد المعبود ' أنليل إلى السفينة وأخذ بيد اوتنايشتم ' وأخرجه من السفينة هو وزوجته ثم أمر بأن يصحبا معبودين . وبعد أن روى له هذه القصة دل جلامش على مكان وجود نبات الخلود . في قاع بحيرة وقال له : " أنه نبات له اشواك مثل الورد تخر يدك فإذا ما ظفرت به وجدت (حياة متجددة) . ولما سمع جلامش هذا الكلام من لوتنايشتم أسرع بالنزول إلى قاع البحيرة بعد أن شد أحجار ثقيلة في رجله لتسهيل مهمة الغوص وأخذ يبحث عن ذلك النبات الشوكي وعندما وجدته مد يده وقطعه رغم الوخز الشديد الذي سببه له النبات . ومن ثم قطع جبل الأثقال من رجله فعاد مسرعا إلى سطح الماء . وأصبحت فرحته عظيمة بحصوله على هذا النبات الذي يعيد للإنسان شبابا متجددا إذا أكل منه . وصاح على الملاح اورشناي وخطبه قائلا : " يا اورشناي أن هذا النبات ثبات يشفي الفم يحصل الإنسان على نفس الحياة لأحمله معي إلى الوركاء المسمورة وأعطيه إلى شيخ ليأكله ويجربه وسيكون اسمه ' يعود الشيخ إلى صباه ' وأنا سأكل منه وأعود شابا كما كنت " .

وواصل جلامش والملاح اورشناي رحلتهما في طريق العودة إلى الوركاء . وبعد أن قطعا ثلاثين بيرو (ساعة مضاعفة) رأى جلامش بركة فنزل للاستحمام فيها . وبينما هو في البركة شمت حبة رائحة النبات الشوكي فتسلقت إليه وخطفته . ولما أخذته خلعت عنها جلدتها وعند ذلك جلس جلامش وأجهش في البكاء . وأخذ يندب حظه لأنه لم يستطيع أن يحقق لنفسه مغنا رغم كل ما بذله من جهد وما لقي من أهوال . وإذا كان هنا من رابع في نهاية المطاف كله فهي الحبة أو ' سبع الأرض ' كما يسميها البابليون ، لأنها حصلت على النبات السعري وأصبحت تنعم بشباب متجدد على النوام فتتزع عنها جلدتها كل عام .^(١) وهناك رواية ثالثة من هذه الأسطورة .^(٢)

(١) د. فاضل عبد الواحد : سومر أسطورة وملحمة ، ص ١٦٠ - ٢٢٧ .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

أسطورة أديبا :

التي تعطينا تفسيراً آخر لحياة الإنسان غير الخالدة ، فقد طلب أديبا في حضرة المعبودات وخاصة أنو أن يعطى له الغذاء الذي يحقق له الخلود ، ولكنه أساء النصيحة ورفض هذا الغذاء وفضل أن يأكل من طعام الخلود الذي قدم إليه بناء على نصيحة المعبود أنكى - أيا - وقامت البشرية نتيجة خطئه هذا .^(١)

أسطورة صهوه أيتانا إلى السماء :

نتلخص في أنه عندما نزلت الملكية من السماء على الأرض لم يكن لأحد الملوك ولد تلقى كى تهبه المعبودات هذا الإرث ، لهذا تكفل المعبود أيتانا بعمل غير لقاء حصوله على الملك ، ويقول د. صالح : " وقد أوى من كل شئ فيما عدا نعمة الإثجاب ، وعلم من تنبؤات الكهنة أنه لا علاج لعقمه هذا إلا بالحصول على نبات الإثجاب ، وأن هذا النبات يوجد في السماء السابعة ، سماء أنو . وتضرع أيتانا إلى المعبود شمس كى يهبه ولدا يخلد ذكره . وهنا دله شمس على نسر عجوز مهيب الجناح مثقوب المسالب منبؤ في حفرة عميقة . وكان هذا النسر صديقاً للثعبان عاشاً متجاورين وانقسموا على الإخلاص ، وكان الثعبان يعيش في ساق شجرة والنسر على قمته . وأنجب كل منهما ولدا . وكان للثعبان نصيب مما يصيده النسر وللنسر نصيب مما يصيده الثعبان . ولكن النسر حث بقسه والتهم ابن الثعبان وعندما عاد الثعبان واقتد ولده اتجه بشكواه إلى شمس فأشار عليه شمس : بأنه سوف يقتل ثور برى وأن عليه أن يقرر بطنه ويختبئ فيه حتى إذا حط النسر عليه ليأكله تمكن منه وفعل به ما يشتهي . وقد حدث ما رسمه شمس وحضره ولده أن تكون هناك مكيدة ولكن النسر حط على بطن الثور يريد التهامها وهنا تمكن الثعبان منه ونزع ريشه وكسر جناحيه وقلم مخاليه ورماه في حفرة ليلقى حتفه فيها . ولما سمع أيتانا القصة من النسر ساعده على استرداد قوته واستوى جناحيه . وعندما اعترم للصعود إلى

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ؛ د. فاضل عبد

الواحد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ - ٢٤٣ .

السماء ، طلب النسر منه أن يلاصقه صدرا لصدر وأن يضم ماعديه حول وسطه ثم أقلع به وأخذ يصعد به إلى أعلى حتى اختفت الأرض والبحر من تحتهما . ولما أوشكا بلوغ الهدف اختلفت الروايات في مصيرهما ، فروت إحداها أنهما بلغا سما أنو بينما روت أخرى أن النسر خاف وارتعد وهوى بحمله سريعا حتى سقطا على أرض أنو .^(١)

وكانت أشعار الخليفة تؤدي في اليوم الرابع من احتفالات العام الجديد ، وكان يودها الكاهن الأكبر بمساعدة الكهنة الآخرين . وهي عبارة عن قصائد أو ترتيل تعكس انتصار ماردوك على المحيط الأظلي ، وفي نفس الوقت تردد أحداث موت ماردوك وبعثه مرة أخرى .

وهناك أسطورة نزول أنانا (عشتار) إلى العالم السفلي ؛^(٢)

التي تحدثنا عنها المصادر السومرية والبابلية . وقيام هذه المعبودة بزيارة العالم السفلي أي عالم الأموات الذي كان تحت سيطرة أختها الكبرى الآلهة إيرشكيغال . ولم يزل الغرض من هذه الرحلة غير معروف بالرغم من وجود عدة تفسيرات محتملة . ربما كانت من أجل استمالة حبيبها وزوجها تموزي لأنها هي التي سلمته إلى للشياطين مقابل خروجها من عالم الأموات .

وعندما وصلت إلى البوابة الأولى طلبت من رئيس الحرس أن يفتح لها الباب وإلا فأنها " ستحطم كافة الأبواب والمزاليح وتبعث الأموات ليلتصموا الأحياء به . فطلب منها الحارس (إلا تقدم على شيء من ذلك وأن تنظر ريثما يخبر سيده

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ ؛

د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق، ص ٢٢٢ ؛ د. سيد توفيق :

المرجع السابق ، ص ٣٤٢ صورة ١٩٨ ؛ د. فاضل عبد الواحد : المرجع

السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٤٠ .

(٢) د. فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

ايرشكيجال بالأمر . وتذكر للنسخة الآشورية أنه لما سمعت ايرشكيجال نبأ وصول
عشتار لأصاها الفرع وكانت تخشى أن تسبب لها أختها عشتار متاعب تهدد سلطانها
فى عالم الأموات وأن تأخذ منها رعاياها من الأموات رجالا وصبيانا وأطفالا . وعلى
أية حال فيعد أن أفاق ايرشكيجال من ذهولها واستردت أنفاسها أمرت الحارس أن
يفتح لأختها الباب . فرحب الحارس بالضييفة قائلا " أن عالم اللارجمة لمسرور
بحضورك يا سيدتى " . لكنه سرعان ما جردها من تاجها لثاء ما كانت تهم بمسور
البوابة الأولى .

فأعترضت عشتار على ذلك بغضب شديد لكن الحارس أجابها بأنه لا مفر
من ذلك " أنها نواميس العالم السفلى " . وفى البوابة الثانية جردها من قرطبيها ، وفى
الثالثة من سلسلة حول عنقها ، وفى الرابعة من الحلى التى كانت تزين صورها ،
وفى الخامسة من نطاق حول من كل ما عليها من ثياب عند البوابة السابعة . ولما
عبرت عشتار البوابة السابعة أصبحت أمام أختها ايرشكيجال وجها لوجه . وعندما
راعتها ايرشكيجال تفجرت غضبا وأمرت وزيرها نامتار أن يأخذها ويحبسها ويطلق
عليها أرواحا شريرة وكان شرط خروجها من عالم الأموات هو إيجاد بديل .

(٥) المعتقدات الجنائزية :

كان المتوفى يوضع فى بادئ الأمر على الأرض ويغطى بنوع من
الحمير ويحيط به حاجز من الطوب ، ومنذ عصر الأسرة البابلية الأولى ، كان
المتوفى يوضع فى تابوت من الحجارة . وفى عصر الإمبراطورية البابلية الجديدة ،
كان المتوفى يوضع داخل تابوت من الفخار ذى فتحة بيضاوية . وكان يوضع معه
دائما ما يسمى بالمتاع الجنائزى ، الذى كان يستفيد منه المتوفى فى حياته ثم فى
خلوده فى العالم الآخر طبقا للطرق المسجربة .

وقد بقى هذا الاعتقاد فى العالم الآخر عند الآشوريين والبابليين ^(١) . وكان
العالم الآخر فى فكرهم ومعتقداتهم هو " الأرض الكبيرة " أو " بلاد بلا عودة " التى

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

تصل إليها المياه الثقيلة من نهر خاص بالعالم السفلى ، والذي يجرى من الغرب والسهول الصحراوية ، وكان هذا العالم مكونا من سبع دوائر بكل منها مدخل يوجد إلى جانبه حارس ، وفي هذا المكان تحكم المعبودة إيرشسكيجال (أخت المعبودة عشتار) والمعبود نرجال زوجها .

وفي الواقع كان يخشى من الموت بدرجة كبيرة ، لذلك نجد أن الديانات في آسيا الغربية تنفق في أن تمثل لنا العالم السفلى أو عالم الموتى كحياة بطيئة ومكان مظلم يعيش فيه المتوفى ، فيه التنفس ردي ، وملووعة بالأتربة الخائفة ، ولكن المتوفى لن يتعرض من جانب أسياذ هذا المكان لأي نوع من العقاب ، وليس له من غذاء أو شراب ولهذا كان المتوفى في حاجة إلى الطعام والشراب عن طريق القرابين التي تؤدي إليه بفضل معونة أبنائه وزوجاته ، ومن لا تؤدي إليه القرابين فإنه في مكانه العودة إلى الأرض ويصبح روحا شريرة ، وتمساء هؤلاء الذين يموتون دون أن يتركوا ذرية فإن مصيرهم كان محزنا تأكلهم الديدان ويملؤهم الغبار .^(١)

ولهذا نجد في الروايات الأخرى لأسطورة جلجامش ، أنه طلب المعبودات أن يصعد جسد صديقه أكيدو مرة أخرى على الأرض لبضع لحظات ، وعندما سألته عن حالة الموتى في العالم الآخر ، أترك منه المصير المؤلم الذي كان متوقعا لهم ، وكانت تؤدي للمتوفى العادى القرابين المختلفة أو الولائم ، وذلك لكي يتفذى منها الأجداد والمعبودات ، وتبعاً لذلك توضع أدوات المائدة في المقبرة ، أما بالنسبة للملك فكانت الاحتفالات أكثر أهمية . وفي حالة الوفاة كان يسود للشعب الحزن العميق وكان هناك ما يسمى بالنشيدات والمنشدات اللاتي يرتدين الملابس الحمراء ويحملن أساور من ذهب (لأن لون هذا المعدن يبعد الشيطان) وكان جسد الملك يوضع في تابوت مستطيل ، وأثناء تلاوة الطقوس الجنائزية نجد امرأة تسمى " كالاتو " أى " الخطيئة " للمتوفى ، هي في الواقع التي كانت تقوم بتأدية الطقوس قبل غلق المقبرة .

وفى عصر المقابر الملكية لأور (حوالى منتصف الألف الثالثة) كان الملك المتوفى محاطا فى العالم الآخر بكل بلاطه وزوجاته والموسيقيين والخدم والحاشية ، ولكن هذه العادة تغيرت ، ولم يعثر عليها فى مكان آخر وحل محلها تماثيل تتخذ أشكال آدمية صغيرة من الفخار ، ومن بين هذه التماثيل تلك التى تمثل دور " الخطيبة " (وهذه الأشكال الصغيرة تشبه تماثيل الأوثىبتى " المجيبات " فى مصر القديمة) . وفى العصر البابلى كانت العادات تشبه تلك التى كانت سائدة فى العصور السابقة . ومن الملاحظ أن أدوات المتاع الجنائزى قد تطورت وزداد عددها ، وقد صنعت من مواد مختلفة .^(١)

(٦) المعابد والكهنة :

كان عبدة المعبودات فى غرب آسيا ينسبون إليها صفات وخصائص إنسانية ، وشينا فشيئا أصبحت هذه المعبودات مميزة برموزها أو حيواناتها المقدسة أو الشارات الخاصة التى كانت تصطحبهم فى المناظر المألوفة ، وانتهى الأمر بأن مثلت هذه المعبودات برموزها فقط .

فمثلا فى المراسيم الخاصة بهبات الأرض والأوقاف والتى حفرت على الأحجار وتسمى " كودورو " نجد مجموعة من المعبودات ممثلة بطريقة موجزة وبمبسطة ، بعدد محدود من الرموز .

وكانت معابد المعبودات ، فى العصر السومرى ، عبارة عن مساكن تماثل إلى حد ما تلك التى كان يقطنها الإنسان . ونسب السومريون إلى معبوداتهم رغباتهم وفضائلهم ونقاط ضعفهم ، وخصصوا لها الهبات ، وخدموا من القابض أعدوا إعدادا منظما ودقيقا . وكانت المعبودات تملك القوارب والعربات والرموز الخاصة بها . وكانت المعابد عبارة عن مؤسسات كاملة ، تحقق لنفسها اكتفاء ذاتيا ، أولا كان الكهنة والكاهنات يختارون ويتدربون منذ الصغر ، على أساس أن يكونوا معاقين من

أى عيوب جسمانية وبعضهم كان مسئولاً بصفة خاصة بتحقيق إرادة المعبودات ، وهم ما يسمون بالمنجمون ، وأن يبعثوا التأثيرات الضارة بإقلائهم وهم المنشدون ، وأن يدخلوا المعادة فى قلوب المعبودات بأصواتهم ، وهم المغنيون وأن يصاحبوا الطقوس وأداء التراتيل بأنغام الموسيقى ، وهم الموسيقيون . إلى جانب هؤلاء يوجد حراس المعبد ، والمشرّفون الذين يقومون بنسخ الأناشيد والطقوس . وغالباً ما يحررون المقود ، وفى عصر الإمبراطورية البابلية الجديدة ، نجد أن الكاهن والكتّاب القانونى الذى يحرر العقود القانونية ، كان يطلق عليهما لقباً واحداً . وكان هناك بالمعبد أيضاً مجموعة من الكتّبة التى تختص بحسابات المعبد وإدارته .^(١)

كانت المراسيم عديدة ومعقدة ، لذلك نرى أن تفاصيلها كانت تسجل طبقاً للطقوس التى كانت تصف مراحلها المختلفة ، منها نظافة الجسد ، الطهارة ، حرق البخور ، صب الماء المقدس ، الأضاحى التى تعقب الأناشيد والتراتيل التى يقوم فيها المتعبد بمدح المعبود أو البكاء على حالته ، التى لن تدوم على الأرض وتشمل الأناشيد نصوص تدل على الاعتراف بكثرة الذنوب كما تنص على أن هذه الذنوب ربما كانت غير مقصودة .

ونجد أن الديانات فى غرب آسيا ، كانت تمنح أهمية كبرى للطقوس لمّا قلّ تقصير فى الطقوس قد يؤدى إلى غضب المعبود ، ونجد هذا الأمر عند أهل بلاد النهرين وأيضاً عند الحيثيين ، فنعرف عند الأوائل ، طقوس الأناشيد التى كانت يوصف فيها بالتفصيل المراحل المختلفة لصناعة الأجراس من النحاس ، التى تصاحبهم بالمعزف عليها أثناء الغناء .^(١)

خامساً : الحياة الثقافية :

الكتابة واللغة :

(١) الكتابة البدائية :

لا يوجد إلا كتابة بدائية واحدة ، تلك التي تمثل الأشياء المادية ، وهي ما تسمى بالكتابة التصويرية . وقد عرفت كل الشعوب في الشرق القديم المحاولات الأولى للكتابة مثل المصريين القدماء . فعند المصريين مثلاً ، كانت صور الأشياء تتغير حتى أنها لا تتماثل إطلاقاً مع الأصل . ونلمس هذا الأمر بصورة أكثر شيوعاً عند أهل بلاد النهرين^(١) ، ولعل السبب الذي جعل كتاب العراق لا يستزمون دائماً بشكل العلامات في الأصل ، أن ذلك يرجع إلى استخدام الأدوات في اللغة نفسها . فالكتابة اليومية كانت تسطر على ألواح الطين الغالية من الشوائب ، والتي كانت تشكل على هيئة لوحات كبيرة إلى حد ما ويكتب عليها بواسطة قلم بسيط من البوص - وذلك قبل أن يجف الطين . وبعد ذلك تترك هذه اللوحات لكي تجف أو تحرق وتحولها إلى قلب من الطين المحروق يساعد على الاحتفاظ بها مدة أطول . والرسم على الطين بعمق قليل بأداة ذات حد ، التي يمسك بها بطريقة راسية يخلق نوعاً من الأخطاء التي لا يمكن تصحيحها ولكن إذا ضغط الكاتب بطريقة مائلة على من القلم ، فنجد أن الخطوط ترسم بطريقة أكثر وضوحاً على الطين ، ويؤدي هذا إلى إظهار الرسم كمجموعة من الخطوط المستقطعة ، مما أدى إلى

(١) د. أبو المعالي صفور : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٢) تحدثنا فيما سبق ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

إعطاء كتابة بلاد النهرين صورة لزوايا متعددة ، ومسامير متتابعة ومنها جاءت الكتابة المسمارية . وكتبت بهذه اللغة السومريون والآشوريون والبابليون . واللغة المسمارية تنتمي إلى عائلة اللغات الآسيوية .. وقد استخدم الكتابة المسمارية أيضا الحيثيون والفينيقيون والعيلاميون والحثيون والميتانيون .. وكانت تحتوي على ما يقل على ٦٠٠ علامة تقريبا ، منها نحو ١٥٠- علامة فقط هي التي كانت تستخدم استخداما صوتيا بحتا ^(١) . وقد امتازت اللغة والكتابة المسمارية على الرغم من النقص الذي كانت تعانيه في بعض التركيبات اللغوية ومثل ذلك اللوحات التي عثر عليها في تل العمارنة في مصر الوسطى ، والتي كانت عبارة عن مراسلات بين ملوك مصر أمحتب الثالث والرابع وبعض الولايات والمدن في سوريا وفلسطين ، مما يدل على أن مصر قد اعترفت باللغة المسمارية ككتابة وكلفة رسمية في المراسلات السياسية العالمية لأن كل الرسائل التي خرجت من مصر إلى حكام وأمراء تلك البلاد والذين كانوا موالين لها كانت مكتوبة بالمسمارية .

وكان قد عثر على هذه الرسائل في المكان أو الموقع الذي كان يشغله أرشيف الديوان الملكي الذي عثر فيه حتى الآن على ٣٧٩ خطبا كتبت على ألواح طينية . وهي موزعة كالآتي : ١٩٩ بمتحف برلين ، ٨٣ بالمتحف البريطاني ، ٥٠ بالمتحف المصري ، ١٨ بمتحف اكسفورد ، ١ بمتحف اللوفر ، ١١ بمجموعة خاصة ، يضاف إليها قطعا صغيرة لا تحمل أرقاما ^(٢) . ومن أهم ما عثر عليه بين هذه الألواح جزء من لوح عبارة عن قاموس كانت كل صفحاته مقصمة إلى ثلاثة أعمدة سجلت في العمود الأول الكلمة بالمصرية وأمامها في العمود الثاني معناها بالمسمارية الأكديّة ، وفي العمود الثالث النطق الأكدي مكتوبا بالأحرف المصرية . وكان هذا القاموس في أيدي كتبة " مكتب مراسلات الملك " التابع للديوان الملكي ، وذلك للاستعانة به عند ترجمة ما جاء في هذه المراسلات وعند تحرير الرد

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) Knudtzon, Die EL Amarna Tafeln, A Allen 1964, p. 991 - (٢) 996 .

عليها .^(١)

وهذه الكتابة لم تكن شائعة في العراق فقط ، بل كان الأمر كذلك في كل
آسيا الغربية حتى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .

وكانت هناك طريقة أخرى استخدمت في بعض الحالات ، وهي استخدام
الحروف .

(٢) اللغة السومرية :

الأبجدية : في الواقع عندما أراد السومريون أن يسجلوا كتاباتهم التصويرية
كانوا يقرأون الاسم بالشئ المرسوم .

ولكتابة اسم القدم فكانوا يرسمون القدم التي تقرأ " دو " ولكن هذه الطريقة
جعلتهم يزدون إلى ما لا نهاية العلامات ، دون أن يستطيعوا أن يسجلوا تغييرات
الكلمة سواء كانت فعلا أم اسما ، لاحظوا أن الكلمات مكونة من مقاطع (وقد يبدو
لنا هذا الحادث عادى جدا ولكن بالنسبة للمبتدئ ، فهو اكتشاف حقيقي) ثم تطورت
الكتابة على أيدي السومريين إلى المرحلة الصوتية التي تؤدي علاماتها وصورها
وظائف المقاطع الصوتية - كما يمكن التعبير بها عن المعنويات . فالقدم استمرت
تمثل بالقدم ولكن أيضا بالنطق " دو " وهكذا حصلوا على علامات للمقاطع المفتوحة
والتي تتكون من حرف متحرك وسلكن مثل (Aa,Bb) وللمقاطع المغلقة التي تكون
من حرف متحرك بين حرفين ساكنين مثل dan ، وأضاف السومريون الكثير من
علاماتهم الصوتية ، مع توالي الزمن واستمرار الضبرة ، حتى أوفت بمطالب
حضارتهم .

(١) د. أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، بلوى

كيمب : تشريح حضارة (ترجمة أحمد محمود) ، المجلس الأعلى للثقافة ،

المشروع القومي للترجمة ٢٠٠٠ ، ص ٣١١ .

تعتبر اللغة السومرية من عائلة اللغات الآسيوية وقد حلت رموز السومرية بعد السامية الأكديّة بفترة وجيزة ، وهي مازالت حتى الآن مجالا لبعض الترجمات ولكنها لم تصل بعد إلى الدقة المطلوبة . وكانت أول النصوص العراقية التي أمكن ترجمتها مكتوبة بالسومرية ، وكانت هي اللغة المستعملة بوجه عام إلى أن حلت محلها اللغة السامية ، قيل أن يسود في البلاد الطابع السامي بالكامل ، وقد أهملت هذه اللغة لصالح الأكديّة ، التي كانت تستخدم في مجالات الحياة اليومية ، ولكنها بقيت حتى نهاية الحضارة الآشورية - البابلية : لغة ديانة خاصة بكل استخدامات الطقوس ، ولدينا أيضا بعض التراجم بحروف يونانية لكلمات سومرية ، مما يدل على الرغم من اللغة السومرية قد عدت في العصر اليوناني لغة ميتة ، إلا أنها كانت لغة للكتابة والحديث في الحياة اليومية ، كما يحدث الآن بالنسبة للغة اللاتينية واليونانية القديمة وعلى ذلك فإذا كان الموطن الأصل للغة السومرية هو بلاد سومر ، إلا أنها استخدمت كلغة ديانة وثقافة في كل بلاد النهرين ، وانتشرت أيضا في آسيا الغربية كما تدل على ذلك القواميس الحقيقية من هذا العصر . وتشمل اللغة السومرية جميع ومختلف النصوص : نصوص تاريخية خطابات ، نصوص قانونية ، نصوص أدبية ، التي اشتق منها الأكديون الكثير وخاصة الأدب الديني الذي سوف يستمر طويلا .^(١)

وعندما اتصل الساميون بالسومريين نجد أنهم اعتنقوا كتاباتهم وكانوا يطلقون الكتابة التصويرية لأسماء الأشياء التي كانت توجد في لغتهم الأصلية وتبعاً لذلك نجد أن الطريقة كان من الممكن تطبيقها على لغات مختلفة وذلك ما حدث في الواقع عند البابليين والحثيين وآخرين .

(٣) الألفبائية الهيروغليفية :

تميزت بكتابة منذ المراحل الأخيرة للحضارة الوركاء أو حضارة

جمدة نصر في فجر التاريخ العراقي (١).

وكانت هناك عدة نظريات ترى أن الكتابة المسمارية ، جاءت من أصل مصري قديم ، أو أصل كريتى بل رأى بعضهم أنها من أصل ينتمى إلى شبه جزيرة سيناء (نصوص المحاجر في سيناء التي استغلّت بواسطة المصريين) ولكن لا يمكننا القول بأن أبجدية لغة ما قد تطورت عن لغة أخرى ، إلا إذا كانت العلامات موضع المقارنة لها نفس القيمة فى كلتا اللغتين . وليس لدينا هذا اليقين فى نصوص شبه جزيرة سيناء . ولكن هذا الاحتمال غير مقبول نظرا لاكتشاف العديد من النصوص القديمة ومنها يتضح أنه ابتداء من منتصف الألف الثانية ق.م انتشرت فكرة تبسيط الأبجدية للكتابة المسمارية ، التي كانت شائعة فى كل أسيا الغربية وكانت المسمارية من الكتابات المعقدة إلى حد كبير ولكن على الرغم من ذلك عاشت فى أسيا الغربية حتى بداية دخول المسيحية .

والتوصل إلى نوع الأبجدية ، لا يعنى فقط اختراع عدد قليل من العلامات ، فالتقدم يتمثل فى الواقع فى فهم أن مقطع الكلمة مكون من عدة أصوات بسيطة ويجب معرفة كيفية عزلها . وقد يبدو لنا هذا الأمر بسيطا اليوم ولكن مضى وقت طويل قبل أن يتوصل القدماء إلى معرفته . وهنا يتمثل الاكتشاف الحقيقى ، فقد توصل أهل بلاد النهرين إلى فهم المقاطع كما رأينا وعزلها فى الكلمات وعرفوا أيضا تمييز بعض الحروف المتحركة مثل ' a . I . u ' (كما فى اللغة الإنجليزية) ولكنهم لم يسجلوها إلا منعزلة أو لتقوية نطق المقاطع ، ولم يكن لديهم دراية عن حذف الحروف المتحركة فى المقاطع للمحافظة على الحروف الساكنة .

وتحدثنا فيما سبق عن متى بدأ حل رموز الكتابة المسمارية والمحاولات الأولى لقراءتها وذكرنا أن المحاولات الأولى لحل غموض الكتابة المسمارية جاءت على يد جروكفند عام ١٨٠٢ الذى ظل عدة سنوات يواصل أبحاثه ودراساته لبعض المخطوطات المسمارية . وفى عام ١٨٣٥ عكف رولتسون على دراسة الكتابات

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

الثلاث التي حفر بها نقش يستقون على الطريق التجارى القديم المؤدى من كرمشاه إلى همدان، والكتابات هي : الفارسية القديمة ، العيلامية العتيقة ، والبابلية السامية . وبعد جهد دام اثنتى عشر سنة كاملة نجح فى ترجمة النصين العيلامى والبابلى عام ١٨٤٧ ونشر النص الكامل لنقش بيتسون بالكتابة البابلية السامية عام ١٨٥١ . ونفى هذا العام قدم رولنسون بحثا لجمعية الدراسات الآسيوية الملكية فى لندن أوضح فيه توصله إلى قراءة عدد من الأسماء ومعرفة القيمة الصوتية لبعض العلماء تعرف على شكل ٥٠٠ كلمة من الكتابة المسمارية البابلية .

وتوالت الجهود بعد ذلك لمعرفة المزيد عن الكتابات المسمارية وعكف العلماء على دراسة رموز الكتابة المسمارية ومقارنتها بالنصوص الفارسية القديمة. (١)

وعندما لجأ العلماء إلى قراءة النصوص السومرية ، التى أمكن حل رموزها وجدوا أنها قد كتبت بنفس الطريقة الأكديّة ، وقد أمدت النصوص الأكديّة الأثرى من بعون مفيد . فبالنسبة لهم كانت اللغة السومرية لغة ميتة . وكان الأكديون قد كتبوا قواميس حقيقية للكلمات . ويفضل هذه للكلمات أصبحت الترجمة أكثر تيميرا ، ولكن يوجد بها بعض الصعاب حتى الآن نظرا لظلة ثراء للغة نفسها . وبوجه عام نجد أن اللغات الآسيوية ، أقل دقة من اللغات السامية ولهذا السبب بالتاكيد نجد أن الأكديين الذين كانوا أقل تقدما فى الحضارة قد تأثروا بكل مجالات الحضارة السومرية ، بما فى ذلك الكتابة لأنهم رأوا أن لغتهم سوف تحل فى وقت ما محل الكتابة السومرية .

وكانت بعض الشعوب الصغيرة فى العراق تتحدث بلغات أخرى غير المسمارية وتدخل هذه اللغات فى نطاق العائلة الآسيوية ومنها :

الفاتيكية : وكانت لغة دويلة فى منطقة أورارتو التى كانت تتمتع بشئ من القوة والنفوذ ولذلك قلمت آشور فى عصر الملك سرجون الثانى ولكن آشور انتصرت عليها فى القرن الثامن ق م .

(١) راجع فيما سبق ، ص ١٣٨ - ١٤٢ .

الجوتية : لغة سكان الجبال في منطقة زاجروس ، الذين احتلوا جزءا من العراق ، فترة تناهز المائة والعشرين عاما .

الكاسية : وهي لغة يتكلم بها سكان الجبال المجاورين للجوتيين ، والذين جاءوا بعد الجوتيين بمئات السنين وسيطروا على منطقة دجلة والفرات لعدة قرون . وكل هذه اللغات التي تنتمي إلى العائلة الآسيوية على الرغم من التباين الواضح بينهما ، إلا أنها لا تتماهى في أسلوب توزيعها في النصوص المختلفة .

الأكدية : وهي أول اللغات السامية ، ولم تظهر نصوص اللغة الأكدية قبل الأسرة الأكدية على الإطلاق ، وهي متباينة بشكل ملحوظ في آشور وفى بابل ، وأقدم النصوص المعروفة عنها ترجع إلى بداية دخول المسيحية .

(٤) الأدب وشروعه :

يعتبر الأدب الأكدي ، الذي لم يكتشف منه إلا أجزاء بسيطة من أهم مجموعات الأدب التي وصلت إلينا . ونجد كل أنواع النصوص فى هذه اللغة : نصوص تاريخية ، علمية ، قطعا أدبية كبيرة ، خطابات ، عقود ، نصوص دينية وفى جميع الاتجاهات ، هذا بالإضافة إلى ' القواميس ' التي تحتوى على مجموعة متنوعة من الكلمات .

ولا يجب أن ننفل أن اللغة الأكدية والكتابة المسمارية كانتا لهما أهمية كبيرة ، فى استخدام البردى والرق فى بلاد النهرين . ولكن اندثرت بقاياهما بسبب طبيعة الأرض ورطوبتها فى بعض المناطق .^(١)

وكان على الكاتب أن يجمع تعبيراته فى جمل قصيرة وذلك حسب الموضوع . فإذا كان الموضوع هو مرد أحداث تاريخية أى تسجيل ما يسمى بالحوليات الملكية وقصص الحملات الحربية (حيث نجد نفس التقسيم) فقد كانت القصة تتكون من جمل لها نفس الخصائص ، وكان الأسلوب دائما مقتبسا وغير معبر

عن الآراء الشخصية وإذا كان هناك تجديد فجدده في التفاصيل الدقيقة .

ونجد هذه الحالة من التفكير شائعة عامة في الأدب ، وترتبط النصوص الأدبية في العراق بالديانة وتذكر على سبيل المثال قصائد الخليفة وما جاء فيها من صور وتعبيرات . وكان هناك ما يسمى بالنصوص التاريخية ، التي جمعت من مختلف البلاد وتسمح لنا معرفة بعض الأحداث التاريخية . فهناك نصوص خاصة بالمراسلات وهي عديدة (عبارة عن خطابات بين الملوك أو بين الوزراء ، وهي في الواقع إما أوامر أو تقارير رسمية) . ومن بينها خطابات الملك حمورابي والملوك السرجونيين ، وإذا كان الأدب الأكدي قد امتاز بالتنوع فإنه بقي إلى حد ما جامدا لا نقابل فيه حماس حسب الحياة الذي نقف به نصوص وأدب السومريين . وهناك بعض الخطابات التي تتضمن بعض الأمثلة والحكم والتعاليم ^(١).

عثر على مئات من اللوحات الطينية التي تبيين ما وصل إليه الأدب السومري ، ولهذا فهل الأكديون والأموريون والبابليون الكلدانيون من هذه الآداب كما نقل منها الحيثيون والعوريون والكنعانيون ^(٢).

ويرجح أن السومريين قد بدأوا يسجلون أعمالهم الأدبية منذ حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م . ويمكن التعرف على ما يقرب من مئمة لوحة وقطعة تتصل بأدب الحكم والأمثال والنصائح السومرية . كما تم الكشف كذلك عن ما يقرب من عشرين لوحة وقطعة ترجع إلى العصر السومري الأكدي وجدت في مكتبة الملك آشور بانيبال في نينوى ^(٣).

وجاءت هذه اللوحات والقطع من مواقع كيش ونيبور ولور وهي موزعة

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

(٢) د. أحمد سليم : الأسرة في العراق القديم " دراسة من خلال أدب الحكم والنصائح " ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٥ ، ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢ - ١٤ .

حاليا في العديد من متاحف العالم. (١)

وجاءت بعض هذه الحكم والأمثال مسزودوج اللغة : أى كتبت باللفتين المشهورتان : اللغة السومرية واللغة الأكديّة . وظلت السومرية هي اللغة المائدة فى التدوين حتى برزت اللغة الأكديّة فى العصر الأكدي وتزايد استخدامها حتى طغست على السومرية منذ مطلع الألف الثانية قبل الميلاد . وعلى الرغم من زوال السومريين من الحياة السياسية فى هذه الفترة من الألف الثانية ق.م إلا أن لغتهم استمرت هي لغة الثقافة ، استمر التدوين بالسومرية جنبا إلى جنب مع اللغة الأكديّة بلرعيها الأساسيين : البابلية والآشورية إلى آخر عصور العراق القديم . وقد تأثر الإنتاج الأدبي بهذا الازدواج اللغوي ، لهذا لا يمكن فهم النصوص الأدبية وترجمتها إلا إذا ترجم النص من السومرية إلى اللغة البابلية أو الآشورية. (٢)

(٥) العلوم والمعارف المختلفة :

قامت العلوم فى العراق القديم والبلاد المحيطة به على " التصنيف العلمى " أى محاولة فهم ما حولهم والربط بين الحيوانات المختلفة وسلالتها والنباتات وأنواعها حسب التشابه . وقد اخطأوا فى ذلك حيث أنهم وضعوا تحت جنس الكلب : الذئب والضبع والأسد ، كما جعلوا كل ما يعيش فى الماء تحت صنف الأسماك بما فى ذلك الأصداف البحرية والسلاحف ، وربما كانت مصنفاتهم فى النباتات أكثر دقة حيث أنهم جعلوها فى مجاميع متشابهة من حيث أشكالها وثمارها وميزوا فى بعض أنواع

(١) متحف جامعة بنسلفانيا ، ومتحف الشرق الأدنى القديم فى اسطنبول ، متحف جامعة شيللر بألمانيا ، المتحف الوطنى فى بغداد ، المعهد الشرقى فى جامعة شيكاغو ، متحف نيس ، وفى تورنتو ، وفى لندن ، وخاصة المتحف البريطانى وغيرها ، راجع : المرجع السابق ، ص ١٤ - ١٥ حاشية (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦ - ١٧ حاشية (٢) .

الأشجار بين الذكر والأنثى. (١) وقد قام التصنيف العلمي على مبدأ تقسيم العلوم إلى التخصصات الأتية : علم الحيوان ، على النبات ، وعلى الجيولوجيا .

الطب : فى مجال الطب توصلوا إلى الكثير من المعارف عن الأمراض وتشخيصها وتشريح الجسم والعقاقير النافعة . وكان العلاج مختلفا بالمسحر لأنهم كانوا يعتقدون أن الأمراض سببها أرواح شريرة تنقص جسم الإنسان .

والمريض ما هو إلا إنسان ارتكب معصية أو خطأ ما ، ولذا فهو يصاب بمرض كمقاب له . ولذلك كان يجب أولا معرفة نوع الخليفة التى ارتكبها المريض ويبدأ الطبيب ، الذى كان فى أغلب الأحيان كاهنا يراجع قائمة المعاصى التى ربما قد ارتكب المريض إحداها وهى قائمة طويلة جدا . (٢) وكان على المريض أن يذكر نوع الخليفة لى ينال مساعدة المعبود ولكى ينجو من الشيطان والروح الشريرة . ولذلك كان يقوم الكاهن بتريده الرقى والتعاويذ ذات الكلمات المؤثرة والفعالة باسم القوى العليا وباسم المعبودات ، وذلك بهدف طرد الروح الشريرة وطرد الشيطان إلى ملى آخر ليترك جسم الإنسان ، ويعرض عليه أن يطل فى جسد حيوان مثل الماعز أو الخنزير ، ومن المقبول فى بعض الأحيان أن فرعا من نبات البوص ، يقطع بطسول المريض ، كما يستخدم كبديل لجسد الحيوان . (٣)

وبعد أن يخادر الشيطان جسد المريض ، تقدم القرابين وتؤدى الطقوس للصلح بين الإنسان المريض والمعبود لتفادى وقوعه فى الشر مرة أخرى ، ومثل هذه الطقوس لم تكن فى متناول كل إنسان . لذلك كان الإنسان يستخدم قس ببعض الأحيان لوحة كبيرة تحمل نقوشا بارزة تشير إلى هذه الطقوس وتحل محل أدائها عمليا . وكان الطبيب يضيف إلى علاجه بعض الصيغ السحرية ، ولكن هذا العلاج لا يعالج طبيعة المرض ولكن يؤدى وظيفة فقط ضد الشيطان بمواد سوف يكرهها

(١) د. أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ شكل ٤٧ .

(٢) Contenau , op . cit . , p. 50 .

(٢)

Id , op . cit . , p. 61 .

(٣)

الشیطان من حیث المذاق والرائحة (وهذا ما یسمى بالعلاج الطبیعی) . وحدث فیما بعد فی الکف الأولى ق-م نوع من التقدم وأمكن تصنیف أنواع الأمراض وطبیعتها وأصبحت مرتبة ومعروفة ، وقام بما یسمى بالطب الفعلى ولم یصبح ذا طابع سحرى ، وفى القرن السابع ق-م توصل الآشوریون فی عصر الملك سرجون الثانى إلى إرشادات طبیة سوف تستخدم فیما بعد فی طب هیوكراتس .

• وقد اعتبر المعبود أیا معبود المیاء للطب أيضا . ومن معبودات الطب الأخرى المعبود ننازو وابنه ننجشزیدا . ومن رموزه المقدسة عصا تلف علیها حیة أو حیتان وذلك لأن الحیة قادرة علی تجديد شبابها لأنها تخلع جلدها فیمود لها الشباب وهذه الشارة هی التى اتخذها الأطباء الصیادلة شعارا لهم الآن .^(١)

وكان الأطباء ینقسمون حسب تخصصاتهم إلى جراحین ومعالجین بالعقاقیر وعرفوا استخدام الأدوية المستخرجة من عناصر نباتیة و حیوانیة ومعدنیة كما قسموها من حیث استعمالها إلى أدویة تستعمل من الظاهر " أى دهون " وأخرى تتناول عن طریق الفم .^(٢)

ومن الأطباء من كان یؤدى عمله كموظف رسمى وخاصة لدى الملك ومنهم من كان یعمل لحسابه الخاص . وقد یرسل الملك بعض الأطباء الرسمین إلى ملوك بعض الأقطار الأخرى لمعالجتهم .^(٣)

الكیمیاء : عثر للمراقبین علی بعض المؤلفات فی الصناعات الكیمیاءة كما أن عملیاتهم الكیمیاءة كانت تتضمن بعض الرقى والتعاییز . وعرفوا المواد الملیدة مثل الزئبق وعرفوا الماء الملكى الذى ینیب للذهب كما نجحوا فی استخراج عدد کبیر من الأدوية من المعادن الصخریة وصلنا منها ما لا یقل عن ١٢٠ نوعا^(٤)

(١) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٥٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

(٤) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

ولأغراضهم العلمية عرفوا الأصباغ والعقاقير واستخدموا الأدوية والصابون والمطور. (١)

التنبؤات والفلك : اعتقدت المجتمعات القديمة في غرب آسيا في المعرفة ، عن طريق الوحي المقدس ، وكان من السهل عليهم أن يفترضوا وجود صلة بين عالم السماء وعالم الأرض وهذه الصلة يجب أن تستمر وذلك عن طريق المعبودات التي كانت ترشد الأحياء إلى رغباتهم . لذلك عد التنبؤ وسيلة للمعرفة . ولمعرفة الأحوال الجوية كان أهل بلاد النهرين يمالئون المعبودات وجزءا كبيرا من تنبؤاتهم كان ألقب إلى الطريقة العلمية . أما الفلك بالنسبة لهم هو معرفة التنبؤات الجوية فكانوا يقدرون نوعية السحب وحجمها ، وضوء الكواكب ، والضوء الذي يحيط بالنجوم ، والأحلام كانت بالنسبة لهم شيئا حقيقيا ، فهم لا يحملون برؤية الشيء ولكن كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم يعيشون حياة أخرى أثناء النوم أو السبات وكان عليهم أثناءه ، أن يتلقوا أوامر وتعاليم المعبود. (٢) وهذا كان يتطلب نوعا من التفسير الذي كان يقوم به الكهنة المنجمون . وكان لهؤلاء الكهنة طابع رسمي أو صفة رسمية . لذلك كان الملوك يعملون على الاحتفاظ بعدد منهم في لا قصورهم عند التشاور معهم في أمر ما يتعلق بمستقبل أو إدارة البلاد ، أو تفسير الأحلام . ويبدو أن جميع أنواع التنبؤات كانت معروفة في غرب آسيا القديمة .

فمثلا التنبؤ بالميلاد غير الطبيعي للطفل أو الحيوان ، ووصف التكوين غير الطبيعي للمولود الجديد يدل على نوع من التقدم العلمي . ولكن مثل هذه التنبؤات يجب أن تفسر بقصد حسن نية . فعندما تجربنا النصوص أن حدثا ما سوف يقع ، فيجب فهم النص هنا بأنه " يشبه إلى ... " .

ونجد أن البابليين قد جمعوا هذه التنبؤات في كتب ولما كانت المعبودات هي التي توحى بتعاليمها للأحياء فليس هناك ما يمنع من إرادتهم ورغبتهم توجد مكتوبة

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

Contenau , op. cit ., p. 54 .

(٢)

على كبد الضحية التي تقدم إليهم ، ولهذا عمد الكهنة إلى صنع نماذج للكبد من الطين سجلوا عليها رغبات المعبودات .

وكان هذا النوع من أدب التنبؤات مترجما في البلاد المجاورة للعراق . والتي كانت تعتقد في التنبؤات . وكانت النصوص المخصصة للتنبؤات تمثل جزءا هاما من الأدب العراقي والأدب الحيثي .^(١)

أما بالنسبة للفلك ، فقد تطور وأصبح يقوم على أسس رياضية واستخدم الفلكيون وسائل بسيطة وأمكن للتوصل إلى نتائج ملموسة عند البابليين ، ومن ذلك اعتبار الشمس مركز الكون وأن المد والجزر يرجعان إلى تأثير القمر وقد استخدموا في أرسادهم بعض الآلات . كما يعتقد أن قمم الزقورات كانت تستخدم لرصد الأجرام السماوية . فقد تعرفوا أو توصلوا إلى حساب فترات الكسوف وقد تركوا لنا لوحات تعبر عن المسافات المختلفة بين النجوم غير المتحركة والتي تدل على دقة بالغة .

وقسم البابليون اليوم إلى ١٢ قسما كل منها يتكون من ٣٠ جزء وقسموا السنة إلى ١٢ شهرا قمريا يضاف إليها شهر آخر كلما دعت الحاجة لضبط فصول السنة . كما قسموا دائرة السماء بواسطة النجوم إلى ١٢ قسما ورصدوا بعض الكواكب مثل الزهرة وحسبوا أبعادها بالدرجات وقياس الزمن استعملوا ساعات مائية لقياس ساعات الليل وشمسية لقياس ساعات النهار .^(٢)

المعبر : كان معروفا في العراق القديم ، كوسيلة لطرد الأرواح الشريرة التي تلازم الإنسان ، وتسمى إلى الليل منه ، فكانوا يعتقدون في أهمية الاسم الذي يحدد شخصية الإنسان ويحدد معالم الشيء .

فكل شيء له اسم وهذا الاسم هو المعبر ، وبدونه يصبح الشيء مبهما وغير واضح وليس له وجود . وهذا الاعتقاد كان سائدا أيضا في مصر القديمة . وكلما كان

(١) Contenau , op . cit . , p. 55 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

للتشئ اسم يمكن التعرف عليه فإنه يصبح من السهل على الإنسان التحكم فيه والسيطرة عليه عن طريق السحر .^(١)

ولكى يهرب الإنسان من سيطرة مشابهة ، فعليه أن يخفى اسمه ومن المقبول أن معرفة الاسم ، ومعرفة بعض الكلمات (كلمة ذات قوة) التي تنطق مع الصوت المناسب ، ترغم من توجه إليه أن يبتعد .

وبالمثل نجد أن التمثال الموضوع في المعبد ليكون محل عبادة ، والذي يحمل اسم من يمثله يصبح الممثل الدائم لصاحبه ، وإذا كانت هناك دعوات مكتوبة على التمثال وموجهة إلى المعبودات تصبح لهذه الدعوات نفس القيمة ، كما لو كان صاحب التمثال هو الذى ينطق بها . وفى هذه الحالة فإن السحر له تأثيرا على قوة الطبيعة .

ولحماية المجتمع والبشر من الأرواح الشريرة أو الأعمال السحرية المؤذية يجب استخدام السحر .^(٢) فالأرواح الشريرة موجودة بكثرة من حولنا ، منها ما هو نصف مقدس ومنها ما يمثل الأرواح الشريرة التى تخص هؤلاء الذين كانوا قد تعرضوا لمصائب فى الحياة أو توفوا نتيجة حادث معين ، أو هؤلاء الذين لم تشيد لهم مقابر أو هؤلاء الذين لم تقدم إليهم قرابين جنازية ، كل أرواح هؤلاء بمقدورها إيذاء الإنسان الحى .

ويتحرك الشيطان داخل الإنسان ، لأن الإنسان قد أهان المعبودات أو أقدم على خطيئة ما (أغلب هذه الخطايا ضد الطقوس الدينية وربما حدثت بدون عمد) فيغضب المعبود ويعتمد عن مخلوقاته ويصبح المكان مهبطا لتدخل الشيطان . وفى حالات أخرى قد يقوم الساحر نفسه ببدء أحد الأرواح الشريرة ضد أى إنسان قد اختاره هو كضحية له .

وكان الفرض من السحر فى بابل هو الصراع ضد أغراض وأهداف

Contenau , op . cit ., p. 58 .

(١)

Id , op . cit ., p. 58 .

(٢)

الشيطان وقوى الشر . وكان الكاهن يستخدم طريقة نداء وكتابة الاسم ، لكي يطرد الشيطان عن طريق الصيغ التي يتعرف بها على شخصية الشيطان مما يؤدي إلى وضع الشيطان في موقف ضعيف لأنه قد تعرف عليه ويضطره إلى ترك المكان .

وبالنسبة لأي إنسان ارتكب معصية أو خطيئة ، فإن الكاهن يقوم بتطهيره من الخطيئة عن طريق حرق بعض الأعشاب وبعض المواد كما لو أنه يحرق الشيطان نفسه ، ويقوم أحيانا بعمل تمثال صغير يشبه الروح الشريرة ويعطيه نفس اسم هذه الروح ، ويقوم بتعذيب هذا التمثال ويقضى عليه بإلقائه في النار ، وهذه الطريقة تسمى بطريقة السيطرة على قوى الشر ^(١) . وقد وصف هذا السحر على لوحات صغيرة كانت توضع في مكتبات المعابد وكان يسمى السحر للدفاع عن النفس والسحر للهجوم على قوى الشر وكان يستخدم نفس الطرق والأساليب .

سادسا : التعاليم :

كان العلم والمعرفة قاصرين منذ أقدم العصور على طبقة قليلة هي طبقة الكهنة التي تنتمي إلى الكهنة ، الذين كانوا يتلقون العلم وخاصة التعاليم والحكم من الكهنة ومن الصغير كان الكاتب يعد نفسه لتمرين الكتاب ^(٢) ، وفهم العلوم التي سوف يتخصص في أحد فروعها فيما بعد . وإلى جانب هؤلاء الكهنة المعاصرين نجد كتبة المعبد ، كتبة الجيش ، كتبة الحسابات ، كتبة الوصفات الطبية وأخرين . وقد عثر على مئات من اللوحات التي تمثل الواجبات المدرسية التي كان يخط عليها المعلم بعض العلامات بالحروف والجمال ومن تحتها كان التلميذ يحاول تقليدها ونسخها وتكرارها عدة مرات ^(٣) . وكان هناك من الكهنة والمتعلمين من يتخصص في مختلف فروع الثقافة كالطب والفلك والقانون والعلوم والرياضة والموسيقى .

(١) Id ., op . cit ., p . 59 .

(٢) د. أبو المحاسن عصفور : للمرجع السابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٣) Contenau , op. cit ., p. 17 - 19 .

وقد عثر على بعض اللوحات الصغيرة التي تسمى " تعليقات " وكانت مخصصة لتخفيف العبء عن ذهن المعلم ، وتساعد على ترويض ما يجب قوله ، وما يجب إخفاؤه على الإنسان العادي وخاصة فيما يخص المبادئ الدينية .

الحساب : إذا تحدثنا عن الحساب ، فنجد أنه عثر على قوائم عبارة عن جداول ضرب وقد عثر على بعض المسائل على لوحات صغيرة ودراسة هذه المسائل على الرغم من عدم تشابهها من الناحية العلمية ، بالنسبة لعصرنا الحاضر ، فإنها تدل على تقدم علم الحساب . وكانت طريقة العد مزدوجة : أحدهما هي كتابة العدد واحد يضاف إليه أعداد أخرى ، والثانية هي كتابة الكمية التي تمثل القاعدة مثل وجود عدد من الدقائق في الساعة .

وقد قسم البابليون الدائرة إلى ٦٠ درجة ^(١) . ومنها جاء تقسيم الساعة إلى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة إلى ٦٠ ثانية .

وقد عثر على لوح عليه نظرية هندسية مكتوبة بالمسمارية ^(٢) وعثر أيضا على خريطة للعالم مبين عليها مدينة بابل كنقطة قريبة من مركز دائرة العالم بالكتابة المسمارية ^(٣).

سابعها : الحياة الفنية :

العمارة والفنون : أثر الفن السومري على البلاد المجاورة ، وذلك طوال فترة تطور الفن في هذه البلاد وأنت هذه المحافظة على الفن السومري الذي نجده في بعض البلاد (عمارة آشور على سبيل المثال) إلى اعتناق بعض الاتجاهات الفنية من الفن السومري وأنت أيضا إلى نوع من عدم التماسق لكي تتناسب مع إمكانيات هذه البلاد المجاورة ، وكمثال للفن في العراق القديم ، نأخذ الفن السومري ، ولنتبع

Contenau , op . cit . , p. 53 .

(١)

(٢) د. أبو المحاسن حصفور : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ ، شكل ٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥١ ، شكل ٤٩ .

اتجاهاته ومراحل تطوره والتغيرات التي تعرض لها في انتشاره وفي طريقة تنفيذ هذه منذ عصر فجر التاريخ حتى النهاية (١).

(١) العمارة :

المساكن :

كان للعمارة طابع الأشكال البسيطة مع إضافات فن النحت البارز التي تعطيه الحياة والثراء . ولم يكن فن نحت التماثيل هو الفن المسيطر فمثلاً بالنسبة للمساكن نجد أن البيئة وطبيعة بلاد سومر قد أثرت على الفن ومواد العمارة وأشكالها ، فليس هناك حجارة للبناء أو أخشاب سوى التفليل وأرض تتسرب إليها الماء بسبب فيضان الأنهار . ونتيجة لذلك استخدم الفنان الطوب من الطين المخلوط بالقش والجف في الشمس (٢) ولكن مثل هذه الأبنية لم تكن دائمة ، لأنها لم تكن ذات جدران مميكة ولم يكن هناك نوافذ في المساكن لأن الفراغات تعرضها للخطر ، وفي أغلب الأحيان كان الباب هو المنفذ الوحيد الذي يعطى الهواء ويسمح بدخول الضوء وكانت هناك في بعض الأحيان فتحات تترك بين ألواح السقف لتسمح بدخول الضوء . وإذا كان السقف المسطح مكوناً من كتل التفليل ، فهناك مطابق آخر ، كان يصعد إليه عن طريق سلم خارجي . وإذا لم يكن السقف مسطحاً ، فقد كان على هيئة

(١) عن الفن بوجه عام وكافة مجالاته ونماذج منه منذ فجر العصور التاريخية حتى نهاية العصر الكلداني ، راجع : د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٧٦ ، ص ٣٧٣ - ٣٨٣ ، ٤٠٤ - ٤١٢ ، ٤١٨ - ٤٢١ ، ٤٣٢ - ٤٣٤ ، ٤٨٢ - ٤٨٣ ، ٤٩٨ - ٥٠٢ ، ٥٣٠ - ٥٣٩ ، ٥٥١ - ٥٥٤ ، د. سيد توفيق : تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، ص ٣١٣ - ٣٨١ ؛ وفيما سبق ، ص ١٧٠ - ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ، ٢١٧ ، ٢١٩ - ٢٢٠ ، ٢٣١ - ٢٣٥ ، ٢٤١ - ٢٥٠ .

قبر حيث يوضع الطوب اللبن على هيئة نصف دائرة^(١) ولكي يقضى السومريون على رطوبة الأرض ، لجأوا إلى وضع أبينتهم فوق سطح مرتفع من الطوب اللبن . وقد عمل الأموريون على تطبيق نفس الأسلوب ، ولكي يساعدوا على صلاية هذا المسطح المرتفع أضفوا إليه كتل من الأحجار أو بقايا حجرية صغيرة أخرى . وكانت هذه المسطحات تتطلب وسائل معينة ومعقدة لتصريف مياه الأمطار والمياه المستخدمة في المساكن .

ولم تطبق تلك الوسائل في المساكن البسيطة . فكانت المساكن في البداية عبارة عن أكواخ حلقية من البوص المغطى بالطين المجفف والمدخل مغطى بحصير ولم يدم هذا النوع من المساكن طويلا .^(٢) فإذا شاعوا أن بينوا فوقها ، فكانوا يهدمون تلك المساكن ، ويمهدوا بها الأرض . ثم تبدأ عملية التشييد من جديد . وينطبق هذا الحال أيضا على المباني الكبيرة المشيدة من الطوب اللبن . وقد عثر على بقايا لرى ومدن كانت على هيئة أكوام ، وهي التي عرفت فيما بعد باسم " تل " في العراق .

وكانت الأكواخ منتشرة في البداية في جنوب العراق ، ثم استخدم اللبن في بناء المساكن الصغيرة والمنشآت العامة .^(٣) أما عن آشور ، فكانت البيئة غير معرضة لخطر الفيضان ، واستخدم اللبن في بناء الجدران والحجارة ، لأن البيئة كان يكثر فيها الحجارة ، كما توافرت فيها الأخشاب ، في شمال البلاد ، لذلك تفسرت طريقة البناء وأصبح لها طابع خاص بها . ولم تستخدم الأحجار في بداية الأمر ، إلا في النقش الخائر الذي يزين القصور والجدران الخارجية من أسفل ، وكان تصبغ المساكن عبارة عن فناء أو ساحة مكشوفة يحيط بها عدد من الحجرات . كما يستعان في تهوية هذه الحجرات بأنابيب فخارية متقوية موجودة في الجدران .^(٤)

(١) Contenau, op. cit., p. 65.

(٢) Id., op. cit., p. 64.

(٣) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق، ص ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

المعابد :

منذ العصور القديمة كانت المعابد تقام من الطين ، ونتيجة لعدم وجود الأحجار الصالحة للبناء في جنوب العراق ، فاستعاض عن ذلك بجعل الجدران سميقة ضخمة من الطين حتى تصبح أكثر متانة . وفي بعض الأحيان كانت متعرجة وذلك لضرورة الدفاع عنها . وكان المبنى عبارة عن سور مقوس الشكل يحيط بأرض فضاء يشيد من داخلها مبنى مسطح . وكان لهذا المبنى نفس مساحة المسطح تقريبا . وكان هذا النوع من المباني هو المفضل عند الساميين . ثم ظهور نوع آخر من المعابد السومرية عبارة عن أرض مسطحة يحيطها سور به مدخل في وسط واجهة المبنى .

وأحيانا أخرى نجد العكس فنجد المدخل في إحدى الواجهات الطويلة وهو مائل إلى الداخل . وكان المدخل يؤدي إلى فناء أوسط وهذا بدوره يؤدي إلى بهو عن طريق بوابة رئيسية وهذا البهو ينتهي في طرفه البعيد بقوس الأقداس الذي تقع أمامه غرفة يلحق بها مخازن للأدوات والمواد المستخدمة في الطقوس .^(١)

وأخيرا نجد أن المعابد الهامة في سومر ، كانت مصحوبة ببرج من عدة طبقات في هيئة مصاطب تتدرج في صفرها إلى أعلى . وهو الأصل الذي تطور إلى الزقورة التي كانت تقام بجانب المعبد ، وللوصول إلى عدة طبقات أو مسطحات ، كان يجب اتخاذ طريق منحدر حول الطبقات أو عن طريق سلم مدرج يربط كل مسطح من الزقورة بالآخر وعلى نهاية الزقورة توجد ما يسمى بالمقصورة ، التي تحتوي على تمثال المعبود .

ويعتقد بعض المؤرخين أن أهل بلاد النهرين كانوا يبنون هذه الزقورات لاعتقادهم بأن المعبود يهبط إليها ويشرف منها على شؤون البشر^(٢) وكان من المعتاد

(١) د. أبو المحاسن حنفور : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

أن يوضع في أساس كل معبد رمز للحماية يكون أحيانا عند البوابة في إحدى المشكاوات وأحيانا تحت أرضية قوس الأقداس . وقد يوجد مائدة قرابين أمام قسوس الأقداس .^(١)

ومن الجدير بالذكر أن قسوس الأقداس في الزقورة كان يتمثل في أعلى طبقة منه حيث يوجد قسوس الأقداس صغير . وروى هيرودوت أنه كان يحوى سريرا مزخرفا زخرفة فخمة وتقوم إلى جانبه مائدة من الذهب .

كما روى هيرودوت أن المعبود كان يأتي ليمضي الليل في هذا المكان .^(٢) ومن أشهر الزقورات ، زقورة أور وخور سباد .^(٣)

وفي العصر البابلي ظهر طراز جديد من المعابد يبدو أنه كان لعبادة الملك الحاكم وهو عبارة عن معبد مربع الشكل أضيفت إليه دعائم وفي مدخله برجان مزينان بالتجاويف . وهذا المدخل يؤدي إلى حجرة بها طاقة بها تمثال المعبود وأمامها مجرى من الفخار لتصريف سوائل القرابين وإلى يسار الحجرة غرفة للاجتماعات أو للطقوس ، وإلى يسار هذا المعبد كان يقع قصر الحاكم الذي يقع إلى غربه معبد آخر بنفس نظام المعبد السابق ، خصص أيضا لعبادة الملك ، أي أن القصر الملكي يقع بين هذين المعبدين .^(٤) ومن أشهر الزقورات في العصر البابلي زقورة بابل أو برج بابل الذي أقيم على قاعدة مربعة طول كل ضلع منها ٩١ مترا ، وأقيم على سبعة مدرجات كل واحدة أصغر من الأخرى ، وارتقاع كل منها ٩ أمتار . ويوجد أحلاما معبد أو مقصورة المعبود ماردوك معبود المدينة .^(٥)

(١) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

(٣) Contenau, op. cit., p. 67.

(٤) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٦٤ شكل ٥٤ .

القصور :

ما هي إلا صورة مكبرة للمساكن البسيطة ، والتي تتكون من فناء كبير يحيط به عدة حجرات ، وهذه القصور كانت عرضة للإضافة والزيادة . وينطبق هذا على قصور سومر وأكد التي وصلت إلينا في حالة جيدة . ومنها قصور أشنونا ومن آشور قصور نوزي وخور سباد كان القصر يحتوى على مساحة مربعة تؤدي إلى الديوان وهو عبارة عن حجرة كبيرة للأعمال الإدارية . وبالقصر غرف للحراسة ، وعند مدخل القصور توجد أبراج قوية تحميها ووضعت عليها تماثيل لثيران مجنحة ذات رؤوس بشرية ربما كان القصد منها أن تكون رمزا للحماية وذلك في العصر الآشوري . وفي العصر البابلي اختفت هذه التماثيل وحلت محلها نقوش لحيوانات وأزهار على أجر أزرق مزجج . وكان القصر يقع في إحدى نهايتي الشارع الرئيسى للمدينة .^(١) وفي النهاية الأخرى يوجد المعبد الرئيسى وإلى جواره الزقورة .^(٢)

المقابر :

هي " المسكن الأبدى " الذى يعيش فيه الإنسان حياته البطيئة فى العالم الآخر ، وكان الموتى فى سومر يدفنون تحت أرضية المساكن ، وفيما بعد كان المتوفى يدفن فى جبانات منفصلة ، ويوضع المتوفى فى توابيت من الخشب أو الأحجار أو الفخار . ومن النادر أن نجد مقبرة سليمة ولم تمسها أيدي النصوص ، فسرقا المقابر كانت معروفة ، وذلك بسبب الثروات التى كانت توضع مع المتوفى الذى كان يتمتع بشئ من الفنى . ولكن المثال الشاذ عن هذه القاعدة ، وهو الجبانة الملكية لأور حيث نجد أن المقابر الغنية قد نجت من أيدي النصوص والكشف عنها جعلنا نعرف على فن الزخرفة عند أمراء النصف الأول من الألف الثالثة ق. م .^(٣)

(١) د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٢) راجع فيما سبق ، ص ٢٦٣ .

(٣) Amiet, les Civilisations Antiques du Proche Orient, p. 68.

(٢) الفنون التشكيلية والتعبيرية :

عرف الإنسان العراقي القديم للرسم والنقش والنحت منذ القدم ، عرف مثلاً رسم الأشكال الهندسية وأشكال الحيوانات والنباتات على الفخار وقد وجدت أمثلة للرسم فيما بعد في قصر تل أحمر ، (تل بارسيب) حيث نجد في هذا القصر الأثوري الذي يرجع إلى حوالي بداية النصف الأول من الألف الأولى ق.م. رسوماً لما كان موجوداً على حجارة القصور الأثورية الكبرى ، والتي كانت منتشرة في العواصم وفيها نرى : حياة الحاكم ، انتصاراته ، أعمال الصيد وبعض الموضوعات الدينية في العواصم . وتقليد النقوش في رسوم الجدران نجده في خصور سجاد وقد استخدم بكثرة هناك كما تدلنا على ذلك الحفائر ^(١) . وعرف الفنان قواعد المنظور ومنه الكاريكاتير .

النقش :

مارس أهل العراق القديم فن النقش منذ القدم ، وكان الفنان يلجأ إلى ترتيب كل لوحة أو منظر إلى أحدهما الآخر (مثل للموكب المنقوش على أنية واركبا في بغداد) أو يجمع العناصر حول المنظر الرئيسي مثل لوحة النسر ، ونكسر لوحة نرام - سين ملك أكد كمثل أفضل لفن النقش ثم لوحة قانون حمورابي .

وقد جاءت أكبر مجموعة من النقوش من قصور نمرود وخورمباد وهي نقوش بارزة لها تأثير بالغ نظراً لضخامتها وكثرتها ولكن بها بعض الجمود . وكانت النقوش البارزة توضع في مربعات حسب الموضوعات ، وكانت المناظر تحدد أولاً في خطوطها العامة بالرسم ثم يتناولها الحفاريون بالنقش لتحقيق الصورة المطلوبة وإضافة زينات الزى والملابس .

وقد لعب فن النقش على الأحجار ، دوراً هاماً في فنون العراق فجد أن كل شخص كان عليه أن يحمل معه خاتم أسطواني صغير ينقش عليه اسمه ووظيفته

وابتداء من العصر البابلي الجديد ، اختفت الأختام الأسطوانية شيئا فشيئا ، والنقش على الأحجار كان يجب استخدام أداة حادة أو أداة لولبية التي تحدث ما يشبه الدوائر البسيطة ، التي كان يجب على الحفار جمعها أو وصلها بعضها عن طريق الحفر تاركا أثر هذه الدوائر الصغيرة واضحا .^(١)

النحت :

وجدت نماذج جميلة للنحت منذ أقدم العصور ومن خير الأمثلة على ذلك القيثارة الممثل بها رأس ثور .^(٢)

وكان نحت التماثيل قليل الانتشار بين فنون الشرق القديم الأخرى ونجد أن السومريين في العصور القديمة ، قد أنتجوا تماثيلا لأنهم كانوا يرغبون في أن تظل صورهم خالدة في المعبد ، ومن بقايا الحفائر في جمدة نصر والوركاء عثر على الجزء الأمامي لرأس جميلة فقد منها تطعيم العين . وفيما بعد أبلان عصر الأسرة الأكديّة وعصر جوديا ، أصبح فن التماثيل ذا أحجام كبيرة ومن الأحجار الصلبة مثل الديوريت ، وبلغ درجة كبيرة من الإتقان الحقيقي . ونذكرها على سبيل المثال الواس الصغيرة التي كتشف عنها في حفائر موس من عصر الأسرة البابلية الأولى .

فقد زادت موضوعات النحت في عهد البابليين . أما في عصر الآشوريين فقد شاع تمثيل المعبود بهيئة أنمية داخل قرص الشمس وهو يسحب قوسه ليعاون الملك ضد أعدائه . كما شاع تزجيج قطع كبيرة من المنحوتات . وقد بالغ الفنان في إظهار ملامح التمثال وبالع في حجم العيون ولذا اضطر إلى جعل نسب الوجه إلى الرأس أكبر ولم يوفق في إبراز تقاطيع الجسم ولم يهتم بالزى الذي يلبسه التمثال . غير أنه بلغ مرتبة عالية في إتقان الحيوانات وأبدع في إخراجها .^(٣) ونرى مظاهر

(١) Amiet, op. cit., p. 102.

(٢) د. أبو المحاسن صفور : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ شكل ٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ - ٢٥٩ .

العنف في فن الفحت في تمثال آشور ناصر بال والتمثال النصفى لامرأة تسمى آشور بل كالا من آشور .

وكان إعداد الأحجار وقطعها أمرا سهلا ، فوجد في العصور القديمة ونفسى العصر الآشوري كان من السهل قطع الحجر الجيري بآلة حادة لحظة استخدامه من المحاجر لأنه كان يحتوى على الماء في تكوينه الطبيعي . أما بالنسبة لإعداد الديوريت فكان الأمر مختلفا إذ كانت تتطلب عملية تقطيعه إلى وتد كبير فتفصل الشظايا ، ويهذب عن طريق احتكاكه بالزمال .

بقايا العواصم القديمة في العراق :

بابل : تقع بابل على بعد ١٠٠ كم ، إلى الجنوب من بغداد على ضفاف نهر الفرات ، وقامت أول حفائر فيها في عام ١٨٥٢ ، بواسطة " فرنل " ^(١) . وإذا كانت القرون قد توالى عليها وأخفت معالمها ، فإنها ما زالت تكين بأماجدها للملك نابوخذ نصر الثاني ، فقد شهدت معابدها نهضة معمارية كبيرة في عصر هذا الملك ، فقد كان من أكبر البناء في الأسرة البابلية . وكشفت الحفائر في هذه المدينة الهامة ، عن أجزاء متعددة من معابدها وقصورها ، منها بوابة المعبودة عشتار . وكان يحيط بالمدينة سور خارجي به تسعة أبواب ، تحمل كل بوابة اسم معبودة معينة وكان ارتفاع السور الخارجى حوالى ١٢ مترا وواجهة كل بوابة حوالى ٣١ مترا . وكانت هذه البوابات مزينة بتمائيل ضخمة لحيوانات خيالية مثل الأسود والثيران وكانت مطعمة بالطوب المطلى بالمينا أو الأجر المزجج . وكان يوجد بداخل المعابد الهامة مثل معبد المعبودة الخصب والثمار . وكان يمشد بالقرب من هذه المعابد أبراج بمدة طبقات وهي ما تسمى بالزاقورات . وأحيانا كانت تقام بجوار مدخل المعبد ، ومن أمثال هذه الزاقورات " زاقورة بابل " أو " برج بابل " وللوصول إلى قمة الزاقورة التي كانت عبارة عن كتل كبيرة من الطين الجاف المكوم ، ومقسمة إلى عدة طبقات أو مسطحات ، كان يجب اتخاذ طريق منحدر - مائل حول الطبقات أو عن طريق

سلم مدرج يربط كل مسطح من الزاقورة بالآخر ، وفى نهاية الزاقورة توجد مقصورة بها تمثال معبود بابل .^(١) وقص علينا الجغرافى سترابون الذى زار آثار مدينة بابل قبل عام ٢٥ ميلادية أن إعداء الأرض وتمهيدها لبناء هذا البرج أو هذه الزاقورة كان يستلزم جهد ١٠ آلاف عامل لمدة شهرين أو أكثر . وقد شيدت هذه الزاقورة على قاعدة مربعة طول كل ضلع فيها ٩١ مترا ، وأقيمت على سبع مدرجات أو سبع طبقات كل واحدة أصغر من الأخرى ، وارتفاع كل منها تسعة أمتار .

ويوجد فى أعلاها معبد أو مقصورة المعبود ماردوك معبود الخصب والرخاء معبود المدينة . وكان يرمز إليه بالكبش ، هذا إلى جانب الحدائق التى زرعت على مسطحات هذا البرج وأصبحت تشبه الحدائق المعلقة أو المرتفعة والتى كانت تروى بواسطة الآلات الرافعة . وقد قام بهدم هذا البرج أو هذه الزاقورة التى اعتبرت ضمن عجائب الدنيا السبع القديمة الملك اكسركسيس الأول فى القرن الخامس ق.م. وقد حاول الإسكندر الأكبر بنائها مرة أخرى ، ولكنه عدل عن ذلك لضخامة أصل البناء وارتفاع تكاليفه .

ويذكر سترابون الذى زارها ، أنها أصبحت مدينة مهجورة بعد ذلك .

نيناوى : إلى جانب بابل ، كانت هناك مدينة نيناوى ، إحدى عواصم آشور التى عثر فيها على كتلة حجرية مستطيلة عليها نص كتب باللغة المسمارية من العصر الآشورى ويذكر حملة قام بها الملك سنحاريب ملك آشور ضد الفرس ومحاصرته لها .^(٢) وهذه اللوحة موجودة الآن بالمتحف البريطانى فى لندن .

نمرود : إحدى عواصم آشور ، وبدأ الكشف عنها عام ١٨٤٥ ، بواسطة العالم " لايارد " الذى عثر فيها على نقش باللغة المسمارية وهو موجود أيضا

Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus, p. 58. (١)

Id., op. cit., p. 48. (٢)

بالمتحف البريطاني. (١)

أور : عاصمة السومريين لعدة منولات ، وما زالت تحتفظ أرضها حتى الآن بزاخورة أور الشهيرة . وقد عثر فيها العالم الإنجليزي " ولسلي " على لوحة منقوش عليها بعض الجنود السومريين بعرباتهم الحربية . وهي موجودة الآن بالمتحف البريطاني. (٢)

Eydoux, A la Recherche des Mondes Perdus, p. 47. (١)

Id., op. cit., p. 61. (٢)

كشف الأعلام

(١)

(سينا) إبراهيم : ٢٨، ٢٧،

٢١٨، ٢٩

أبيس : ١٠٥، ١٠٧ - ١٠٨،

١١٩ - ١٢٠، ١٢٣

أبو : ٢١٩

أبي - سين : ٢٠٩ - ٢١٠

اتارغاتس : ٢٦

أي - اتمن - ان - كسي : ٢٧٦،

٢٨٠ - ٢٨٥

اثينا : ١٩، ٢٣، ٩٢ - ٩٣،

١١٧، ١٢٠

اجيسيلوس : ١١٧ - ١١٨

احيقار : ٢٧١، ٢٩٧

اغمينس : ١١٣

أخوريص : ٩٥، ١١٥، ١١٧

اداد : ٦٧، ٢٥٠، ٢٧٩،

٢٨٠، ٢٩٦، ٣١٧

اداد نيراري الثاني : ١٦٨،

٢٥٣

اداد نيراري الثالث : ٢٥٦

ادوليس : ٢٥، ٢٦

اراميتي : ٢١٣

ارتاتاما : ٢٩٠

ارتاكسر كسييس الأول : ٨٢

(حاشية) ، ٨٧، ٩٣ - ٩٤، ١١٣،

١٤٧، ١٥٠

ارتاكسر كسييس الثاني : ٤٨، ٩٤،

١١٢ - ١١٤، ١١٥ - ١١٨،

١٣٥

ارتاكسر كسييس الثالث : ٩٦،

١١٤، ١١٨ - ١٢٠

ارجشتي الأول : ٧١

ارسامس : ٩٣، ١١٣

ارسن : ٩٦، ١٢٠

ارواد : ٢٥٣

اريلاندس : ١٠٦، ١١١

اريدو : ١٦٤، ١٧٨، ١٨١

(١)، ١٨٦، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٧

اسبرطه : ٨٠، ١١٧ - ١١٨،

١١٩

أسرجنون : ٦٤، ٧٣، ٢٦١ -

٢٦٢، ٢٧١، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٢،

٢٩٧، ٢٩٣

اسوس : ٩٧، ١٢٣

اسسين : ١٠، ٦٢، ٢١٠ -

٢١١، ٢١٣ - ٢١٤، ٢١٨،

٢٢١

اشبي ارا : ٢١٠

- أشـشـونـا : ١٠، ١٦٤،
 ٢١٠، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢١ .
 آشور : ١٥، ١٦، ٣٤، ٦٠،
 ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٠ - ٧١، ٧٧،
 ٧٩، ٨٨، ٩٩، ١٦٤، ١٦٨ ،
 ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ - ١٧٧ ،
 ٢٣٩ (٣)، ٢٤٧ - ٢٤٨، ٢٥٢ ،
 ٢٥٥ - ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٥،
 ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣،
 ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٠٣،
 ٣١١، ٣١٢، ٣٣٩، ٣٥٨ .
 آشور قبل ليلاني : ٢٨٩،
 آشور لخادين : ٢٦٧ .
 آشور اوبلانيط الأول : ٢٤٦،
 ٢٥١ .
 آشور باننيال : ١٤، ٦٥، ٧٠،
 ٧٤، ٧٩، ٩٩، ١٤١، ١٤٤،
 ١٤٦، ١٦٩، ٢٦٢ - ٢٦٦،
 ٢٦٩، ٢٩٣ - ٢٩٥، ٣٢١ .
 آشور دان : ٢٥٢ .
 آشور ناصر بل الثاني : ٢٥٣،
 ٢٥٥، ٢٦٦، ٢٦٧ .
 اصطخر : ٥٠، ٩٣، ٩٨،
 ١٤٣ .
 اكباتان : ٧٨، ٨٣، ٨٩، ٩٩،
 ١٤٢ .
 أكد : ٦١، ٦٤، ١٥١، ١٦٤،
 ١٦٨، ٢٠٠، ٢٠٢ - ٢٠٣،
 ٢١١، ٢١٩، ٣٢٣، ٣٥٥ .
 اكسر كسيس الأول : ٩١ - ٩٣،
 ٩٨، ١١٢، ٢٨٥، ٣٥٨ .
 الأراميون : ٢٥١، ٢٥٢،
 ٢٥٥، ٢٧٢، ٢٨٨ .
 الأرني : ٢، ٥، ٢٩، ٣٣، ٣٥ .
 الإسكندر الأكبر : ١٩، ٣٠،
 ٣٩، ٥١، ٩٧ - ٩٨، ١٢٣ -
 ١٢٤، ١٤٨، ١٥٤، ٢٨٥، ٢٨٧،
 ٣٥٨ .
 الإسكندر الثاني : ١٢١ .
 الإسكندرونة : ٩٧، ١٢٣ .
 الإسكندرية : ١٤، ٣٠ - ٣١،
 ٣٦، ١٧١ .
 الأثيونين : ٢١، ٣٢ .
 الأثوريون : ١٧، ٢٥، ٦٤ -
 ٦٥، ٧٠ - ٧١، ٧٣، ٧٧ - ٧٩،
 ٨١، ٩٩، ١٤١، ١٦٧ - ١٦٨،
 ٢٤٦ - ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣،
 ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٢،
 ٢٧٣، ٢٩٢ - ٢٩٤، ٢٩٦،
 ٣٣٠، ٣٤٤، ٣٥٦ .
 الأكبيون : ٦٠ - ٦١، ٦٥،
 ٩٩، ١٤٠، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٧،

- المسيحيون : ٦٩ ، ٧٢ - ٧٥ ،
٧٨ ، ٩٧ (١) .
- المومنيون : ٢٥ ، ٦٠ - ٦٢ ،
٦٥ ، ٩٩ ، ١٤٠ ، ١٧٧ ، ١٩٢ -
١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٠٤ ، ١٩٩ ، ٣٠٩ ،
٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٩ .
- العبرانيون : ٢٥ ، ٨١ ، ١٣٦ ،
٢٥٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٨ .
- العييد : ١٧٧ ، ١٨١ (١) ، ١٨٤ -
١٨٦ ، ٣٠٨ .
- العيلاميون : ٥٦ ، ٥٩ - ٦٥ ،
٩٩ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ٢٠٩ - ٢١١ ،
٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ .
- الفاو : ١٤ ، ٣٣ .
- الفرس : ٨٠ - ٩٨ ، ٢٧٣ ،
٣٥٨ .
- الفتون : ١٠٦ ، ١١٣ - ١١٤ ،
٢٩٦ ، ٢٩٧ .
- الفينيقيون : ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ،
٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٨٤ ، ٩٢ - ٩٣ ،
١٠٤ ، ١١٣ ، ٣٣٥ .
- القدس : ١٤ ، ٢٣ ، ٣٥ .
- الكاسيون : ٦٣ ، ٧٥ ، ١٥٤ ،
٢٣٩ (٣) ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٨٨ ، ٣٠٣ .
- ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٣١١ ،
٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ .
- الأموريون : ٢٠٩ - ٢١١ .
- الأورارتيون : ٤٥ ، ٥٨ (٢) ،
٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ - ٧٦ .
- البابلونيون : ١٧ ، ٢٤ - ٢٥ ، ٦٢ ،
٧٩ ، ٨٥ ، ١٤٠ - ١٤١ ، ١٦٧ ،
١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٦ -
٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ،
٢٦٥ ، ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٢٨١ ،
٢٩٠ ، ٢٩٥ - ٢٩٧ ، ٣١٨ ،
٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٦ .
- البارثيون : ٩٧ (١) ، ٩٨ .
- الجوتيون : ٥٩ ، ٦١ ، ٢٠٠ ،
٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٥١ .
- الحوريون : ٦٣ ، ٧٠ ، ١٤٠ ،
٢٣٩ (٣) ، ٢٥١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ،
٣٤١ .
- الحيثيون : ١٥ ، ١٦ ، ٦٣ ،
١٤٠ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ -
٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ،
٣٤١ .
- الدير : ١٧٨ ، ١٠٢ .
- الرومان : ٧ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٦ ،
٣٠ ، ٣٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٨ .
- السامرة : ٢٥٨ ، ٢٨٩ .

- الكلدانيون : ٢٤، ١٦٥، ٢٣٨،
٢٧٢ - ٢٧٤ .
- الكيميون : ٥٨ (٢) ، ٦٩،
٧٢، ٧٤ - ٧٥، ٧٨ .
- اللوريستانيون : ٥٨ (٢)، ٧١ -
٧٢، ٧٥ .
- اللوليبيون : ٤٥، ٥٩، ٧٠،
١٥١، ٢٠٢ .
- الليبيون : ١٠٠، ١١٢ .
- الليديون : ٧٩، ١٣١ .
- الماراتون : ٩٠ .
- المنايون : ٧٠، ٧٩ .
- الميتانيون : ٢٣٩ (٣) ، ٢٤١،
٢٥٠، ٣٣٥ .
- الميديون : ٤٥، ٦٩ - ٧٠، ٧٢،
٧٦ - ٨١، ٨٥ - ٨٦، ٨٨، ٩٧
(١)، ٩٩، ١٠٠، ١٢٩، ١٤٤،
١٤٩، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٣،
٢٨٦، ٢٨٩ .
- الوركاء : ١٢، ١٦٥، ١٦٩،
١٧٧، ١٨١ (١) ، ١٨٦ - ١٨٨،
٢٠٦، ٣٠٩، ٣٢٤، ٣٣٧ .
- اليمن : ٥، ٦، ١٤، ٣٤ .
- اليونان : ٧، ١٧، ١٨، ١٩،
٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٦، ٩٢، ١٠٣،
١٠٥، ١٧١، ١٧٢ .
- اليونانيون : ١٤، ١٧، ١٨، ١٩،
٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥،
٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٩٠، ٩٢ -
٩٣، ٩٥ - ٩٧، ٩٩ - ١٠١،
١١٢ - ١١٣، ١١٥ - ١١٧،
١١٩، ١٢٣، ١٣٠، ١٧٨، ٢٣٨ .
- امازيس : ٨٠، ٩٩ - ١٠١،
١٠٩ - ١١٠ .
- امرسين : ٢٠٩ .
- المنحطب الثالث : ١٦، ٢٩٠،
٢٩١، ٢٩٢، ٣٣٥ .
- المنحطب الرابع : ١٦، ٢٥،
٢٩١، ٣٣٥ .
- آمون : ٢٦، ٨٤، ١٠٣ - ١٠٤،
١٠٩ - ١١٠، ١٢٢، ٢٩٩ .
- امى زادوجا : ٦٢ .
- اميرتى : ٩٢ - ٩٣، ١١٣ -
١١٥ .
- آن شوشيناك : ٦٧ .
- اناروس : ٩٣، ١١٣ .
- اناسا : ٢٥، ٢٠٨ - ٢٠٩،
٢١٦ - ٢١٧، ٣١٢، ٣١٥،
٣٢٢، ٣٢٩ .
- انانطوم : ١٩٧ .
- انتشان : ٨٠، ٨٢، ٢٠٥ .

اور کلچینا : ۱۰، ۱۹۷، ۲۲۲،
۳۰۱ .

اور نلفشی : ۱۹۶ .
اورنمو : ۱۰، ۲۰۶، ۲۰۸،
۲۱۴، ۲۱۹، ۲۲۲، ۲۸۸، ۳۰۱ .
اورنین جیرسو : ۲۰۵ .
اوروگ : ۶۲، ۱۹۷، ۲۰۴،
۲۰۶ .

لوما : ۱۶۴، ۱۹۶، ۲۰۲،
۲۱۰ .

لونتاش جال : ۵۰، ۶۳، ۶۶ -
۶۷ .

لونتاش هوپان : ۱۵۱، ۱۵۲ -
۱۵۳ .

ایا : ۲۳۵، ۳۱۴ .

ایلانا : ۱۸۷ .

ایلانتیم : ۶۱، ۱۹۶، ۱۹۷ .

ایلتا : ۲۱۹، ۲۳۵، ۳۲۸ .

ایروشموم الأول : ۲۵۰ .

ایسخوروس : ۴۷ .

ایفکراتس : ۱۱۶ - ۱۱۷ .

ایلول شوما : ۲۵۰ .

ایلو موایللو : ۲۳۴ .

اینوما ایلیش : ۲۵ .

انکی : ۲۰۹، ۲۱۶ - ۲۱۷،
۳۲۲ .

انکی ایا : ۳۲۸ .

انکیدو : ۳۲۲ - ۳۲۷ .

انلیل : ۲۰۸، ۲۱۲، ۲۱۶،
۲۱۷، ۲۲۳، ۲۳۵، ۳۱۴، ۳۱۶،
۳۱۹ (۱) .

آنو : ۱۸۷، ۲۱۷، ۲۳۵، ۲۸۵،
۳۱۴، ۳۱۶ .

اھریمان : ۱۳۴ .

اھورامازدا : ۸۹، ۱۱۰،
۱۳۳ - ۱۴۹، ۱۳۵ .

اوتشا بیشتیم : ۲۱۷، ۲۳۵،
۳۲۷ .

اوتو حیجال : ۲۰۶ .

اوجاریت : ۱۶، ۳۳ .

اور : ۳۲، ۱۶۴، ۱۷۷،
۱۹۴ - ۱۹۵، ۱۹۷، ۲۰۲ .

۲۰۶ - ۲۱۲، ۲۱۴، ۲۱۶، ۲۱۸،
۲۵۰، ۲۶۷، ۲۸۷، ۲۸۸، ۲۹۹،
۳۰۷، ۳۱۰، ۳۴۱، ۳۵۹ .

اورارتو : ۷۰ - ۷۱، ۷۳ -
۷۴، ۷۶، ۷۹ .

اورشلیم : ۸۱، ۹۳، ۹۹، ۲۶۰،
۲۷۴، ۲۸۹ .

(ب)

- بابل : ١٤ - ١٦ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٥٠ ، ٥٩ - ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٩ - ٨١ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٧ - ٩٩ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٦٨ - ١٦٩ ، ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٧٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ٢٤٠ - ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ - ٣٥٧ .

بادتييرا : ٢١٧ .

بازار جادة : ٧٦ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٩٨ ، ١٥٠ .

بتريا : ٨٠ ، ٩٩ .

بخت نصر : ٨٥ ، ٩٩ .

برسى بوليس : ١٤ ، ٣٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٦ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ .

بروسوس : ٣٦ ، ١٧٠ - ١٧١ .

بسماتيك الثالث : ١٠٠ ، ١٠١ .

بلوتارخ : ٢١ ، ٤٩ .

بورنا يورياس : ٢٩١ .

بوزور - انشوشناق : ٦١ ، ٢٥٠ .

بوغاز كوى : ١٤ - ١٦ ، ٣٣ - ٣٤ ، ٢٦٩ .

بيبلوس : ١٤ ، ٣٣ .

بلالاما : ١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٣٠١ .

بلوزيوم : ١٠٠ - ١٠١ ، ١١٦ ، ١١٩ .

بلينى : ١٧٤ .

بيستون (لوبيستون) : ٤٩ ، ٨٧ - ٩٠ ، ١٤٢ - ١٤٥ ، ١٧٦ .

(ج)

تادوميا : ٢٩١ .

تاتوت آمون : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

تخوتمس الاول : ١٠٠ ، ٢٩٠ .

تخوتمس الثالث : ٩ ، ١٠٠ ، ٢٩٠ .

تخوتمس الرابع : ٢٩٠ .

تتمر : ١٤ ، ٣٣ .

تشوجا زامبيل : ٥٠ ، ٦٣ ، ٦٦ - ٦٧ ، ١٥٣ ، ١٥١ .

تل حصونة : ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨١ (١) ، ١٨٢ - ١٨٣ .

جلجامش : ٢٥، ١٩٠ (١) ،
٢٠٤، ٢١٦ - ٢١٧، ٢١٩ (٢) ،

٢٣٥، ٣٢١ - ٣٢٧، ٣٣١

جمدة نصر : ١٧٧، ١٨١ (١) ،
١٨٨ - ١٨٩، ٣٠٨، ٣٣٨ .
جنداش : ٢٤١ .

جند يسابور : ٣٠ - ٣١ .
جوديا : ٦١، ٢٠٥، ٢٨٨ .
جوماتا : ٨٥، ٨٩ .
جيلوهيا : ٢٩٠ .

(ا)

حران : ٣٠، ٢٨٦ .
حطب : ٣٥، ٢٥٥ .
حماة : ٢٢١ - ٢٢٣، ٢٢٥ ،
٢٣١ - ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٨٦ ،
حمورابي : ١٠، ٥٠، ٦٢ -
٦٣، ١٢٧، ١٥٣ - ١٥٤، ١٦٩ ،
٢١٦، ٢١٩ (٢) ، ٢٢٠، ٢٤٧ ،
٢٦٦، ٢٨٢، ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٣ ،
٣٠٤، ٣١١، ٣٥٥ .
حور محب : ١٠، ١٥ .

(آ)

خاتوميل : ١٥ .
خباباشا : ٩٦، ١٢٠ - ١٢٢ .

تل حلف : ٥٣، ١٧٧، ١٨٤ ،
٣٠٨ .

تل العمارنة : ١٥ - ١٦، ٢٩١ .
تموز : ٢٥، ١٩٠، ٣١٣ .
توشبه : ٧١ .

توكلتي نينورتا الأول : ٢٣٨ ،
٢٥١، ٢٥٤، ٢٨٢ .

توكلتي نينورتا الثاني : ١٨٦ ،
٢٥٣ .

تيامه : ٢١٩ (٢) ، ٣١٨ -
٣١٩ .

تيجلات بلاصر الأول : ٢٥٢ .
تيجلات بلاصر الثالث : ٢٥٧ ،
٢٨٨ .

تيل بارمسيب : ٢٥٧، ٢٦١ .

٣١٧ (٢) ، ٣٥٥

تيوس : ١١٧ - ١١٨ .

(ب)

ثوكو نيس : ٤٧ .

(ج)

جاو جامفه : ٩٧ .
جبيل : ٢٥٣ .
جرمو : ١٨١ - ١٨٢ .

خور مباد : ٢٦٥ ، ٢٥٩ ، ٣٤ -
 ٢٦٦ ، ٣٥٤ - ٣٥٥ .
 خومبان - نومنا : ٦٦ .
 خيتا : ١٦ .

(٥)

دارا الأول : ٥٠ - ٥١ ، ٨١
 (٣) ، ٨٥ - ٩١ ، ١٠٧ - ١١٢ ،
 ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ،
 ١٤٢ - ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
 ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٧٦ .
 دارا الثاني : ١١٤ ، ٩٤ - ١١٥ .
 دارا الثالث قودمان : ٩٦ - ٩٧ ،
 ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٢ - ١٢٣ .
 (سيدنا) دلود : ٢٥ ، ٢٨ .
 دلمون : ٢٠١ .
 دمنق : ٢٥٥ ، ٢٥٧ .
 دور شركين : ٢٦٥ ، ٢٦٧ .
 ديا الكو : ٧٨ .
 ديموقراط : ٢١ .
 ديونور الصقلي : ١٣ ، ٢١ ، ٤٨ ،
 ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٧٣ .
 ديوسكو ريديس : ٢٣ .

(٦)

رأس الشمسسرا : ١٤ - ١٦ ،
 ١٤٥ ، ١٨٤ .

رمسيس الثاني : ١٥ .
 روما : ١٧ ، ٢٦ .
 روم سين : ٦٣ ، ٢٢١ ، ٢٨٨ .
 ريموش : ٢٠٢ .

(٧)

زرانشت : ١٣٣ - ١٣٧ .
 زينوفون : ٩٤ ، ٩٥ - ٩٥ ،
 ١٧٣ .
 زيوسدرا : ٢١٧ .

(٨)

ساكيز : ٧٠ ، ٧٣ - ٧٤ .
 سامراه : ١٨١ (١) ، ١٨٣ ،
 ٣٠٨ .
 سايس : ٢١ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
 ١٠٦ ، ١٠٩ - ١١٠ ، ١١٣ ، ١٢٤ ،
 (٤) ، ٢٩٣ - ٢٩٤ .
 سترليون : ٢١ ، ٤٨ ، ١٠٣ ،
 ١٦٦ ، ١٧٤ ، ٢٣٧ ، ٢٨٤ ، ٣٨٥ .
 سرجون الأول : ٦١ ، ١٦٨ ،
 ١٩٩ (٤) ، ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢٠٣ ،
 ٢٤٧ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
 ٢٨٧ .
 سرجون الثاني : ١٣ ، ٢٥٨ -
 ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٨٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ .
 سلاميس : ٩٢ .

سمييار : ١٩٠، ١٦٤، ٦٥ :
 ٢٠٢، ٢١٧، ٢٢٠ .
 سين : ٢٥٣، ٢٣٢، ٢٢٢، ٦٧ :
 ٢٧٩، ٢٨٥، ٣١٤، ٣١٦ .
 سيوه : ٨٤، ١٠٣، ١٠٤ .

(ش)

شابريلس : ١١٦ - ١١٧ .
 شارجالي شاري : ٢٠٣ - ٢٠٤ .
 شالمناصر الأول : ٢٥١، ٢٦٧ .
 شالمناصر الثالث : ١٦٩، ٢٥٥،
 ٢٦٧، ٢٨٨ .
 شالمناصر للرابع : ٧١ .
 شالمناصر الخامس : ٢٥٨، ٢٨٩ .
 (سيننا) شعيب : ٢٧، ٢٩ .
 شمش : ٢٢٣، ٢٤٤ - ٢٤٥،
 ٢٥٣، ٢٧٩، ٢٩٦، ٣١٥ -
 ٣٢٨، ٣١٦ .
 شمش اداد : ٢٥٠ .
 شمش لاد الخامس : ٢٥٦ .
 شويوليوما : ١٦ .
 شوتارنا : ٢٩٠ .
 شوتروك ناخوتسا : ٦٣، ٢٠٢،
 ٢٧٢، ٢٥٠، ٢٨٨ .
 شومسين : ٢٠٩، ٢١٦ .
 ٢١٨ .
 شورويك : ٢١٧، ٢٣٥ .

(سيدنا) سليمان : ٢٥، ٢٨ .
 سمو ابوم : ٢٢٠ .
 سممو ايلونا : ٢٣٤ .
 سممو ديتانا : ٢٣٥ .
 سميراميس : ٢٥٦ .
 سناويپ : ٦٤، ٢٦٠، ٢٦٦،
 ٢٧١، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٥٨ .
 سوبارتو : ١٦٤، ٢٠١،
 ٢١٠ .
 سوريا : ٣، ٥، ١١، ١٦،
 ١٨ - ١٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٧٨،
 ٨٨، ١١٦، ١١٨، ١٢٣، ١٤٥،
 ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٣ .
 سوس : ١٤، ٣٢ - ٣٤، ٥٠،
 ٥٣، ٥٧، ٥٩ - ٦٧، ٧٥، ٨٢ -
 ٨٣، ٨٥، ٩٣، ٩٨، ١١٠، ١١٣،
 ١٣٠ - ١٣١، ١٤٥، ١٥١،
 ١٥٣، ٢٢٢، ٢٤٧ .
 سوكالماه : ٦٢ .
 سسور : ٦١ - ٦٢، ١٦٣،
 ١٧٦، ١٩٢، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٩،
 ٢٢٠، ٢٤٨، ٢٧٢، ٣٢٣ .
 سومو ايلو : ٢١٤، ٢٢٠ .
 سسيالك : ٤٥ - ٤٦، ٥٣ -
 ٥٧، ٥٩، ٦٩، ١٤٤، ١٥١ .

شولجی : ٢٠٦ ، ٢٠٨ -
٢٠٩ ، ٢٨٢ .

(ص)

(سیدنا) صالح : ٢٧ ، ٢٩ .
صرواح : ١٤ ، ٣٣ .
صور : ١٢٣ ، ٢٥٣ ، ٢٧٤ .
صیدا : ١٤ ، ١١٩ ، ٢٥٣ ،
٢٨٩ ، ٢٩٢ .

(ط)

طاليس : ١٨ ، ٢١ .
طهرقا : ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
٢٩٤ .
طیبة : ١٩ ، ٢١ ، ١٠٣ ،
٢٩٢ ، ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(م)

مشاتار : ٢٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣١٥ ،
٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ .
(سیدنا) عیسی : ٢٧ ، ٢٨ .
ملاحم : ٨ ، ١٢ ، ٥٩ - ٦٧ ،
٨٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ،
٢٠٢ - ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ،
٢٤٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(ف)

فارنا بازوس : ١١٦ - ١١٧ .
فانس : ١٠٠ - ١٠١ .
فراندتس : ٩٣ ، ١١١ - ١١٢ .
فلسطین : ٣ ، ٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ،
٣٤ - ٣٥ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٣ ،
١٧٢ ، ٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،
٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
٢٩٢ ، ٢٩٣ .
فیثاغورس : ١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ .
فینیقیّا : ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٦ ،
١١٧ ، ١٧٣ ، ٢٥٢ (١) .

(ق)

قاشان : ٥٣ ، ٦٩ .
قبرص : ١٦ ، ١٨ ، ٩٥ - ٩٦ ،
١١٣ ، ١٣١ ، ٢٠١ ، ٢٨٧ .
قرطاجة : ٨٤ ، ١٠٤ .
قرمیش : ٢٥٨ ، ٢٧٣ .
قمبیز : ٨٣ - ٨٥ ، ٩١ ، ١٠٠ -
١٠٨ ، ١٣٤ ، ٢٩٥ .
قورش العظيم : ٥٠ ، ٨٠ - ٨٣ ،
١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٥٣ ، ٢٨٦ ،
٢٩٧ .
قورش الصغير : ٤٨ ، ٩٤ ،
١٧٣ .
قورش الثالثی : ٩٩ .

لبنان : ۳ ، ۵ ، ۲۹ ، ۳۳ .
لجش : ۱۰ ، ۶۱ ، ۱۷۷ ،
۱۹۵ - ۱۹۶ ، ۲۰۲ ، ۲۰۴ -
۲۰۵ ، ۲۱۰ ، ۲۱۴ ، ۲۸۸ .
لوجال زاجیزی : ۱۹۸ ، ۲۰۱ .
لوریستان : ۷۱ ، ۷۳ ، ۷۵ ،
۱۳۰ ، ۱۵۲ .
(سینا) لوط : ۲۷ ، ۲۹ .
لیبیا : ۳ :
لیدیا : ۷۴ ، ۷۹ - ۸۰ ، ۸۸ ،
۹۹ ، ۱۲۷ .

(م)

ماجان : ۲۰۵ .
مارب : ۱۱ ، ۱۴ ، ۳۳ ، ۳۵ .
مارتو : ۲۱۰ .
ماردوک : ۹۸ ، ۱۷۰ - ۱۷۱ ،
۲۲۳ ، ۲۴۴ ، ۲۷۶ ، ۲۷۹ ، ۲۸۰ ،
۲۸۱ ، ۲۸۵ ، ۲۹۶ ، ۲۹۹ ، ۳۱۵ ،
۳۱۷ ، ۳۱۸ ، ۳۲۰ ، ۳۲۹ ، ۳۵۳ .
ملری : ۱۴ ، ۱۵ ، ۳۳ ، ۲۰۱ ،
۲۸۸ .

مانیتون : ۳۶ ، ۱۰۲ .
مانیشتمو : ۶۴ ، ۲۰۲ .
ماریفوس الصوری : ۲۴ .
مشرأ : ۱۳۲ ، ۱۳۵ ،
۱۳۷ .

(ک)

کادا شمان التلیل الأول : ۲۴۷ ،
۲۹۱ .
کاردونیاش : ۲۴۷ .
کارونداش : ۲۴۶ .
کالج . : ۲۶۵ ، ۲۶۷ .
کتسیاس : ۴۸ .
کرمشله : ۵۲ ، ۸۷ ، ۱۴۲ ،
۱۴۹ ، ۱۵۱ .
کرویسوس : ۹۹ .
کمری انوشروان : ۳۱ (۱) .
کلیرخوس : ۹۴ .
کوش : ۸۴ ، ۱۰۵ .
کوک ناشور : ۶۲ .
کی اخسار : ۲۶۵ ، ۲۷۲ ،
۲۸۹ .
کیا کسارس : ۷۹ .
کیدینو : ۲۳۸ .
کیش : ۱۶۴ ، ۱۷۷ ، ۱۹۱ ،
۱۹۴ ، ۱۹۷ ، ۲۰۰ ، ۳۴۱ .

(J)

لارمسا : ۶۳ ، ۱۶۴ ، ۲۰۶ ،
۲۱۰ - ۲۱۱ ، ۲۱۳ - ۲۱۴ ،
۲۱۸ - ۲۲۱ ، ۲۲۲ ، ۲۸۸ .
لبت عشتار : ۱۰ ، ۲۱۱ ،
۲۱۴ ، ۲۲۲ ، ۳۰۱ .

نابوخذ نصر الثاني : ٨١، ٧١،

١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧،

(٢) ، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦،

٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦،

٢٨٩ .

نختنبو الأول : ١١٥ - ١١٦ .

نختنبو الثاني : ١١٧، ١١٨،

١١٩ .

نولم مين : ١٤٧، ١٥١، ٢٠٢،

- ٢٠٤، ٢٤٧، ٣٥٥ .

نرجال : ٢٩٧، ٣٣١ .

نمرود : ١٤، ٣٣، ١٦٤،

١٧٧، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣١١، ٣٥٨ .

ننار : ٢٠٨ .

ننجال : ٢٠٨ .

(سينا) نوح : ٢٧، ٢٩ .

نيبور : ٦٦، ١٦٤، ١٧٧،

٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢ -

٢١٣، ٢٧٢، ٣٤١ .

نيت : ١٠٦، ١٠٩ - ١١٠ .

نين جيرسو : ١٩٦، ٢٠٥،

٣٢٠ .

نفسوى : ١٣، ١٤، ٣٣، ٩٧،

١٣٦، ١٤١، ١٤٦، ١٦٤، ١٧٧،

٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦،

مصر : ٣، ٨، ٩، ١٠،

١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩،

٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣٦،

٤٨ .

ملوفا : ٢٠١، ٢٠٥ .

منقوشات : ٢٩٢، ٢٩٣،

٢٩٤، ٢٩٥ .

منف : ٢١، ٣٢، ٩٥، ١٠١،

١٠٥ - ١٠٦، ١٠٨، ١١٣،

١١٦، ١٢١، ١٢٣، ٢٩٣، ٢٩٤ .

مورسيل الثالث : ١٥ .

(سينا) موسى : ٢٧، ٢٨ .

ميتاني : ١٥، ١٦ .

(٥)

نابو : ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٥ .

نابو بولاصر : ٧٩، ١٦٩،

١٧٠، ١٧٤، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٢،

٢٨٣ .

نابوريماني : ٢٣٧ - ٢٣٨ .

نابوليد : ٨١، ١٧٣، ١٧٤،

٢٨٦ .

نابونيد : ٨٥ .

نابوراسو : ٥٠، ٦٣، ٦٦،

١٣١، ١٥٣ .

نياتا : ١٠٥، ٢٩٢، ٢٩٥،

نابوخذ نصر الأول : ١٦٨

يوسيفوس : ١٧٠ - ١٧١،

. ١٧٣ - ١٧٤ .

يوسيفوس : ١٧٠ ، ١٧٤ .

يهوذا : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٩ .

٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٣٢١ ، ٣٤١،

. ٣٥٨ .

(٥)

(سيدنا) هارون : ٢٧ ، ٢٨ .

هكر : ٩٥ ، ١١٥ .

همـ^٢ـدلين : ٤٩ ، ٧٦ ، ٨٧،

. ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٢ .

(سيدنا) هود : ٢٧ ، ٢٩ .

هوميروس : ٢٢ ، ٢٥ .

هيپوقراتيس : ٢٢ ، ٢٣،

. ٣٤٤ .

هيرونوت : ٢٠ ، ٢١ ، ٤٧،

٤٩ ، ٧٧ - ٧٨ ، ٨٠ ، ١٠١،

١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٦،

١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤،

. ٣٥٣ .

هيكاتيه الملتى : ٢١ ، ٤٧،

. ١٧٣ .

(٥)

واجيت : ١٠٢ ، ١٢١ .

وجا حرمـ^٢ـنت : ١٠١ ، ١٠٦،

. ١٠٨ - ١٠٩ .

ورد مين : ٢١١ ، ٢١٣ .

(٥)

يودكس : ٢١ .

محتويات الكتاب

صفحة

| | |
|--------|-----------------------------------------------------------------|
| ٦ - ٣ | تعريف منطقة الشرق الأدنى القديم |
| ٣٣ - ٦ | أهمية دراسة ومعرفة تاريخ الشرق الأدنى القديم وبعض مظاهر حضاراته |
| ٣٩-٣٣ | بداية الاهتمام بدراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته |

تاريخ إيران القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ إيران القديم

| | |
|-------|-------------------------------------------------|
| ٤٦-٤١ | جغرافية الهضبة الإيرانية |
| ٥١-٤٦ | مصادر دراسة تاريخ إيران القديم وحضارته |
| ٥٨-٥١ | عصور ما قبل التاريخ (أو فجر العصور التاريخية) |
| ٥٨ | العصور التاريخية |
| ٦٧-٥٩ | العيلاميون |
| ٦٩-٦٧ | الشموب التي وفدت على إيران بعد ذلك : |
| ٧٠ | - اللولوبيون |
| ٧٠ | - المنايون |
| ٧١ | - الاورارتيون |
| ٧٢-٧١ | - اللوريستانيون |
| ٧٤-٧٢ | - المسكيثيون |

صفحة

| | |
|---------|--------------------------------------|
| ٧٥-٧٤ | الكيمريون |
| ٧٧-٧٦ | ظهور شعوب الميديين والفرس |
| ٨٠-٧٧ | الميديون وتأسيس دولتهم وأهم ملوكها |
| ٩٨-٨٠ | الفرس الأخمينيون ودولتهم وأهم ملوكها |
| ١٠٠-٩٨ | إيران القديم وعلاقاته الخارجية |
| ١٢٤-١٠٠ | إيران القديم وعلاقته بمصر |

بعض المظاهر الحضارية في إيران القديم

| | |
|-----------|------------------------------------|
| ١٢٩-١٢٥ | <u>أولاً</u> : نظم الحكم والإدارة |
| ١٢٩ | <u>تانياً</u> : النظم الاجتماعية |
| ١٣١ - ١٢٩ | <u>ثالثاً</u> : الحياة الاقتصادية |
| ١٣٧ - ١٣٢ | <u>رابعاً</u> : الديانة والمعتقدات |
| ١٤٩ - ١٣٧ | <u>خامساً</u> : الحياة الثقافية |
| ١٥٣ - ١٤٩ | <u>سادساً</u> : الحياة الفنية |
| ١٥٤ - ١٥٣ | بقايا العواصم القديمة في إيران |

تاريخ العراق القديم وبعض مظاهر حضارته

تاريخ العراق القديم

صفحة

| | |
|-----------|---------------------------------------------------------------|
| ١٥٧ - ١٦٧ | أهمية الموقع الجغرافي |
| ١٦٧ - ١٧٤ | مصادر دراسة تاريخ العراق القديم وحضارته |
| ١٧٥ - ١٧٩ | بداية الاهتمام بدراسة آثار بلاد الفهرين القديمة |
| ١٧٩ - ١٨٩ | <u>أولا</u> : عصور ما قبل التاريخ (أو فجر العصور التاريخية) |
| ١٩٠ - ١٩٢ | <u>ثانيا</u> : العصر الأسطوري |
| ١٩٢ - ١٩٩ | <u>ثالثا</u> : السومريون وأسرانهم وسلالتهم |
| ١٩٩ - ٢٠٤ | <u>رابعا</u> : الأكديون وملوكهم |
| ٢٠٤ - ٢١٩ | <u>خامسا</u> : نهضة المدن السومرية وأهم ملوكها |
| ٢١٩ - ٢٣٩ | <u>سادسا</u> : البابليون |
| ٢٣٩ - ٢٤٧ | <u>سابعا</u> : العصر الكاسي |
| ٢٤٧ - ٢٧١ | <u>ثامنا</u> : الآشوريون |
| ٢٧٢ - ٢٨٧ | <u>تاسعا</u> : العصر البابلي الأخير (المملكة الكلدانية) |
| ٢٨٧ - ٢٨٩ | العراق القديم وعلاقاته الخارجية |
| ٢٨٩ - ٢٩٧ | العراق القديم وعلاقته بمصر |

صفحة

٢٩٨

بعض المظاهر الحضارية في العراق القديم

| | |
|-----------|-----------------------------------|
| ٢٩٩ - ٣٠٣ | <u>أولا</u> : نظم الحكم والإدارة |
| ٣٠٣ - ٣٠٧ | <u>ثانيا</u> : النظم الاجتماعية |
| ٣٠٧ - ٣١١ | <u>ثالثا</u> : الحياة الاقتصادية |
| ٣١٢ - ٣٣٣ | <u>رابعا</u> : الديانة والمعتقدات |
| ٣٣٤ - ٣٤٨ | <u>خامسا</u> : الحياة الثقافية |
| ٣٤٨ - ٣٤٩ | <u>سادسا</u> : التعليم |
| ٣٤٩ - ٣٥٧ | <u>سابعا</u> : الحياة الفنية |
| ٣٥٧ - ٣٥٩ | بقايا المواسم القديمة في العراق |
| ٣٦٠ - ٣٧٢ | كشاف الأعلام |
| ٣٧٢ - ٣٧٦ | محتويات الكتاب |

لعبت منطقة الشرق الأدنى القديم دوراً هاماً في التاريخ القديم فهي المنطقة التي يتوافر فيها أقدم الآثار، والوثائق التاريخية التي تخص نشاط إنسان الشرق الأدنى القديم وأطولها بقاءاً في الزمن.

وانها منطقة نشوء الحضارات القديمة، فظهرت فيها أول وأقدم الحضارات، وإن إنسان الشرق الأدنى القديم خلف للأجيال التالية تراثاً حضارياً غنياً بالنظم الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والأفكار الدينية. والمعارف في الحياة الثقافية والعلمية وأساليب التربية والتعليم والابداع في مجالات الحياة الفنية والتنوع في مجال العلاقات الخارجية. وقد لا يعرف الكثيرون أن حضارات الشرق الأدنى القديم كانت مقدمة لنشأة الحضارة الأوروبية القديمة فكان لها تأثير واضح على حضارتى اليونان والرومان، وينفرد الشرق الأدنى القديم بأنه صاحب الأثر الدينى والروحى الذى لا يوجد له نظير فى مناطق أخرى من العالم القديم، وأخيراً يجب أن نعلم أن تلك الثروة الأثرية التى لا يزال معظمها قائماً فى مكانه فى معظم بلدان الشرق الأوسط أو عالمنا العربى تعد أدلة حقيقية وشواهد ثابتة على ما كان لأهل الشرق الأدنى القديم من سبق تاريخى وحضارى وهذا ما نحاول أن نظهره هذه السلسلة.

الناشر

Bibliotheca Alexandrina



0374066